الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٠١ - ربيع الأول ١٤١٤ هـ أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE 201 AUG/SEP 1993

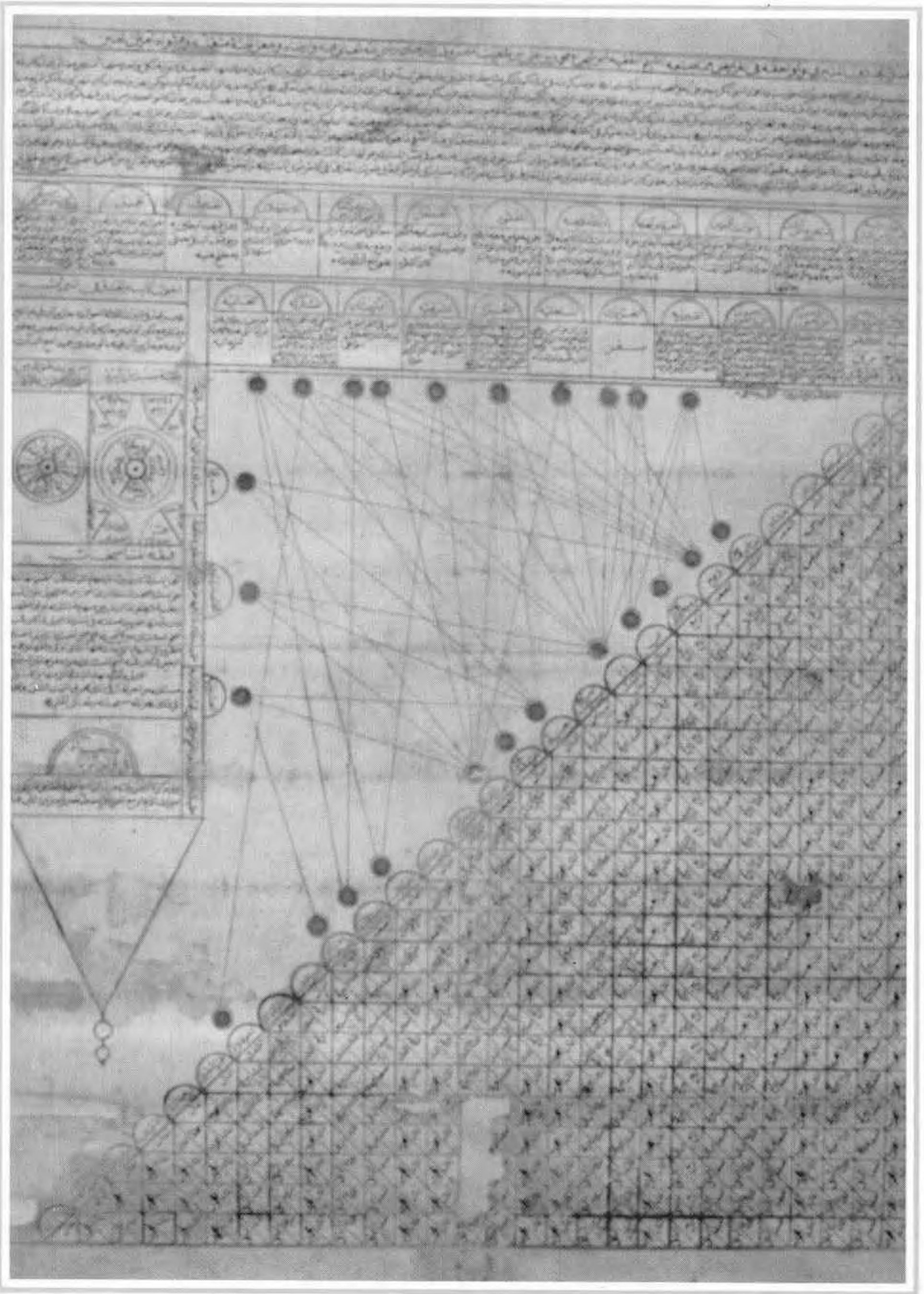


جمال حمدان:
عبقرية المكان والزمان

توظيف التراث الشعبي في مسرح الأطفال

كيف كان التعليم في القرية النجدية قديماً؟

استثمار الخرافات...



إطلالة

النقدُ الذاتي ليسَ نفلا

هل يمكن للإنسـان أن يقوّم نفسـه وينقد ذاته ـــ أي يراجع نفسه ثـم يحاسبها ـــ فيكون ملاحِظًا وملاحَظًا في الوقت نفسه؟

إن مسألة النقد الذاتي يمكن تحديد جدواها من منطلقين:

الأول: لماذا النقد الذاتي؟

الثاني: كيف يكون؟

فعندمـا يحدد الهدف من النقد الـذاتي، يعتمد تحقيق ذلك الهدف على معرفـة كيفية النقد وأسلوبه، ولعل في الإجابة عن: لماذا النقد الذاتي؟ وكيف؟ ما يبرر الرد على مقولة شائعة معناها: إن المقوّمين لا يقوّمون الناس بناء على قدراتهم وإنما يقوّمونهم على أساس ما يحب المقوّم ومـا يكره. إذ إن النقد الذاتي غالبا مـا يتميز عن نقد الآخرين بالـموضوعية وعدم التحيز، وذلك عندما يكون من أجل تصحيح مسار الذات وعملها وتطويرهما معًا.

وعندمـا يكون النقـد أحد مكـونات العمل، أو وسيلـة لربط السبب بـالنتيجة، أو أداة تصحيح لجانب وعي الـذات الذي يعد أرقى مراتـب الوعي، حتى تتبلور من خلالـه عقلية منهجية ويسيـر الإنسان في ضـوئها بعيـدا عن الظن الـذي تنعدم معه الثقـة المتولـدة من العلم، وبعيـدا عن الهـوى الـذي يضـاد العقل؛ فإن النقـد الـذاتي يسخّـر العقل والعلم باستعمال تلك المنهجية التي يتوخاها ويعتمـد عليها. وباتباع هذا الأسلوب يلتزم الإنسان الموضوعية ويكون النقد الذاتي وسطا بين المجاملة والنزاع.

وبعـد، فإنـه لا بـد من وجود المعلـومات التي سيخضعهـا العلم ويمحصهـا العقل بمعـايير دقيقـة تـوصل الإنسـان إلى تسخيـر المعلومـة لـلاستعمـال المطلوب أو للفـائدة المرجـوة، حتى تصبح أداة فاعلة في هذه العمليـة الداخلية وهي الحـوار النفسي الداخلي (النقدالذاتي).

إن تبني هـذه المبادئ شيء، وتطبيقهـا شيء آخر. ومسألـة النقد لا تنحصـر في تبني فكرة مـا واتخاذ موقف من خـلال النقد الذاتي لهـا، بل هي أداة أساسية للممـارسة، فعن طريقه يمكن لفكرة ما ـ أثناء التطبيق ـ أن تحصـل على نتائج فاشلة، مما يترتب عليه إعادة النظر في الممارسة عن طريق النقد الواعي.

وهـذه القـاعـدة ذات ارتبـاط وثيق مع الأبعـاد الـزمنية الثلاثـة: المـاضي والحـاضـر والمستقبل، سواء كانت لفكرة أو لشخص أو لحال أو لأمـة. والمتأمل في حال الأمة اليوم لو قارنها بأمم أخـرى من خلال بعد «الماضي» لوجد أن لأمتنـا سبقا في الميدان الحضاري والثقافي، كـان من أهم دوافعه إعمال العقل واستعمالـه، وهذا ما وجه إليه القـرآن الكريم في مواضع كثيرة، ولذلك كان العطاء بـلا حدود ولا قيود، فأبدع المسلمون في علوم شتى وفي تطبيقات لا حصـر لها، وما ابتكـار الصفر والمنهج التجريبي في العلـوم وفي أساليب البحث والاستقـراء وغيرهمـا من الإنجـازات الحضاريـة التي غـدت معروفـة للجميع، إلا شواهد تحمي هذه الحقيقة من أي زيف أو اعتداء.

وعند المقـارنة بـالحاضـر نجد البـون شاسعـا على الرغم مـن توافـر إمكانـات العطاء ومقـوماتـه وهي امتـداد لعطاء المـاضي، ولعل في تطبيق أسلـوب النقـد الذاتي مـا يجعل الإنسان يقف على الأسباب الحقيقية وراء واقع هذه الأمة كنتيجة حتمية.

و إذا كان الماضي أساسا مهما في توجيه الحاضر، وعاملا رئيسا في تكوينه، فلن يكون المستقبل على النحو الطموح الذي ننشدة لانعدام أسسه ومكوناته.

إن تبلور قضيـة النقد الذاتي للأمـة يبرز مشكلة ملحـة في حياتها الحضاريـة، وسوف يكشف حتمًـا أسبـاب هـذا الفشل الـذي تمثل في مـوقف هـذه الأمـة بين الأمم، حيث أصبحت ـ مع كل أسف ـ عالة على فكر الآخرين ومعطياتهم، كما سيكشف أنه في السوق الفكري لهـذه الأمة اهتمـامات متبـاينة يغلب عليهـا طابع المجـاملة والمـديح أو التسلط والأذى، دون نقد أو ترشيد.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

مجلـة الفيصل العـــدد (٢٠١) — ربيع الأول ١٤١٤هـ — السنـــة (١٧) — أغسطس/سبتمبـــر ١٩٩٣م

رئيـس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضـوع منشوراً من قبـل، أو مرسـلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ أن يكون مطبـوعًا أو مكتـوبًا بخط واضح، وبلغـة صحيحة وأسلوب سليم.

□ حين تردّ المجلـة على كاتب مـا بأن مـوضوعه «غير منـاسب للنشر» فإن هـذا لا يعني أنه «غير صالـح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يـرفق الكاتب (الـذي لم يسبق لـه الكتـابة في المجلـة) مع موضوعه الاسـم والمؤهلات العلميـة والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ تسـلـسـل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

□ الموضوعـات المنشورة في هذه المجلّـة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

□ يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر.

□ ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها.

في هذا العدد

الفيصل

● المراسلات :
مجلة «الفيصل» ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية .
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ -
فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١ .

● أسعار بيع النسخ :
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٢٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتى ١٥٠ فرنكًا - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية .

• EUROPE - AMERICA - ASIA: Pakistan 20R - Turkey 6000TL - India 25RUPPE - USA and EUROPE 2$

● أسعار الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل» .

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:
Personal Subscription S.R.150
Others S.R. 250

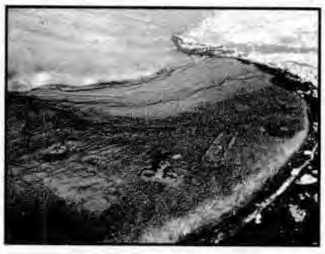
Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة .

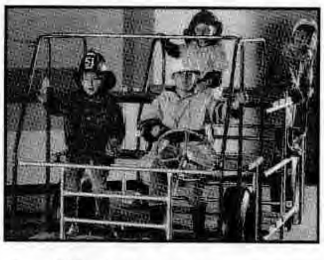
• ALL CORRESPONDENCE TO:
AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA
Tel. 4653026 - 4653027. Telex: 402600 DRFATH SJ. Telefax: 4647851.



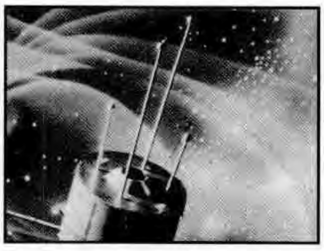
ص ١٤ د. جمال حمدان : تباينت الآراء في حياته وبعد مماته حول عزلته الاختيارية، إلا أن الجميع التقوا على دوره مفكرًا وأن عزلته لم تكن سلبية .



ص ٣٥ غريبة هي جزيرة إلّيسمير في أقصى الشمال من كندا، تغطيها الثلوج، وتصنّف على أنها صحراء، مساحتها ٧٥ ألف ميل ويسكنها ١٠١ فرد !



ص ٨٠ في متاحف الأطفال الحديثة تختلط متعة المشاهدة بمتعة ممارسة المهارة اليدوية، بلذة اكتشاف الأشياء والحقائق !



ص ١٠٧ يقول المستقبليون : اليوم لم نعد حيث كنا منذ سنوات . إن ما يحدث ليس مجرد ثورة تقنية لكنه مقدم حضارة جديدة .

الصهيونية واستثمار الخرافات



بقلم: د. حسن ظاظا

كنت أفكّر أثناء موسم الحج الأخير في «كبش الفداء» الذي ساقته السماء إلى سيدنا إبراهيم الخليل ليحل محل ابنه الذي كان قد همّ بذبحه. وكان واضحا أن تلك كانت معجزة، ودرسًا سماويًا لأبي الأنبياء عليه السلام، معجزة لأنه خليل الله، الثائر ضد الشرك به، لم يشترِ هذا الكبش، ولا ربّاه، ولا رعاه، بل هبط عليه من الأعالي في اللحظة الحرجة الخطيرة، من أين؟ لا يعلم ذلك إلاّ من أرسله! ودرسًا لأنه كان وحيًا إلهيًا عمليا بتحريم الضحايا البشرية، التي كانت طقسًا دينيا سائدًا في كل مكان، إلى مجموعة من الطقوس البربرية المتأصلة في الوثنيات القديمة. كانت القرابين الإنسانية أشكالاً وألوانا، منها مثلا ذبح أعظم عدد وقع في الأسر وأكل لحمه في وليمة حافلة! ومنها دفن طفل صغير حيًا تحت عتبة البيت الجديد قبل أن يسكنه أصحابه، منعًا لدخول الشياطين والأرواح الخبيثة والأوبئة والخلافات إلى السكّان! ومنها ـ وهذه في معاهدات الصلح بين طرفين متحاربين ـ أن يُحضر كل طرف منهما غلاما بالغًا رشيدا لم يعرف النساء، فيقف الكهنة والسحرة ويدعون على ناقض العهد من الطرفين بالويل والثبور وعظائم الأمور، وأن يموت قتيلاً من غير عَقِب له كهذين الشابين، وفي تلك اللحظة يقتلهما كاهنان، على حين كان كاهن آخر يشبّ نارًا حامية ويلقي عليها بحصى الملح حتى يتفجّر منها الشرر وهو يصيح: الدمَ الدمَ! الهدْم الهدْم! النار النار! كما روى ذلك النجيرمي في كتاب صغير سماه «أيمان العرب في الجاهلية». وكان العرف عند الكنعانيين والمؤابيين القدماء أن تشطر كل واحدة من الضحيتين عَرْضا، ويأخذ كل طرف من الخصمين النصف الأعلى من إحدى الضحيتين والنصف الأسفل من الأخرى، بمثابة (نسخة) من اتفاقية الصلح المبرمة بينهما! وكان الكنعانيون في إقليم بيت المقدس بفلسطين يقدمون الضحايا البشرية من الأطفال إلى صنمهم «مُلُك» في يوم معين، توقد فيه نار عظيمة في وادٍ ضيق في جنوب شرقي القدس، ويُذبح أولئك الأبرياء ويقذفون في النار وسط الطبل والزمر الصاخب الذي يغطّي على صراخ الصغار المساكين، مع عواء كهنة الكفر وصياحهم وخوارهم! وعرف الناس ـ قديمًا ـ ضحايا بشرية من نوع آخر هي الفتاة التي (تمنح) بكارتها لكهنة المعبد الوثني! ثم يقدمونها إلى الزائرين ويستولون هم على أجر الزنا، فإذا ولدت كان أبناؤها الذكور خدمًا للمعبد، والأناث من محترفات تلك الدعارة الدينية الوثنية. وبقي الاستيلاء على بكارة الأبكار في أوروبا إلى ما يقرب من مائتي سنة، فكان البارون الإقطاعي يسبق «العريس» ليلة الزفاف! ولم ينقطع هذا التصرف الهمجي إلاّ بالقضاء على الإقطاع والرقيق والاعتراف بحقوق الإنسان في القرن الثالث عشر!

فرسالة سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تكن لإحلال لحم الخروف بدل لحم الإنسان، بل كانت قرارا نهائيا بتحريم الإنسان دمه وماله وأبنائه وعرضه، وهي خطوة حاسمة في تاريخ التقدم الأخلاقي والحضاري للبشر في تلك الأزمنة البعيدة ـ حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م ـ قبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بما يناهز أربعة آلاف عام! ولعل معجزة إبراهيم في ذلك كانت أقوى من إلقائه في النار التي كانت عليه بردًا وسلاما. صحيح أن معجزة النار كانت نجاة لهذا الرسول الكريم بشخصه وتوحيد ربّه فقط، أما كبش الفداء فإنه كان رسالة عالمية بتحريم قتل الأبرياء، حتى قربانًا لله.

وعدت إلى الأديب الفرنسي «فولتير» في معجمه الفلسفي، تحت لفظة «المعجزات» فوجدته ـ كعادته ـ عقلانيا بحتا، يقول ما يعتقد أنه الحق، مهما خالفه معاصروه في القرن الثامن عشر، ومهما بقيت كتبه محرّمة في الأوساط الدينية عند النصارى، والدينية والسياسية عند اليهود. وقد تجد بعض وجهات نظره خلافا مع المسلمين أيضا، على الرغم من أنه كان يراهم أقرب إلى الفطرة السليمة، لدرجة أنه كتب قصة ضافية بطلها شاب شرقي حكيم سماه «الصدّيق».

يقول صاحبنا هذا في المعجم الفلسفي: إن المعجزة في أصل معناها هي الأمر الذي يثير العَجَب والإعجاب. ويمكننا في تلك الحالة أن نقول: إن كل شيء في الكون معجزة. النظام العجيب الذي يسيّر الطبيعة. دوران مائة مليون من الأجرام حول مليون من الشموس، حركة الضوء، حياة الحيوان. كلها معجزات قائمة دائمة! أما حسب العرف التقليدي فإن المعجزة هي كل ما يتعدى هذه القوانين الطبيعية الإلهية الخالدة. كأن يحدث كسوف للشمس وقت تألّق البدر في السماء، أو كأن يحمل قتيل رأسه بين ذراعيه ويمشي بها مسافة طولها ميلان ـ هذا ما نسميه الآن معجزة! ثم يناقش فولتير علماء اللاهوت المسيحي السابقين مثل أوغسطين أو جيروم أو بولس ثم يسأل: هذه الخوارق التي رووها لماذا لايحدث مثلها في زماننا؟ وبسؤاله الإنكاري هذا يريد أن يقول إن رواياتها كثرت جدا، وكثرت نسبتها إلى من اشتهروا بالتقوى والصلاح عندهم، بحيث صارت كراماتهم وخوارقهم التي تتحدى القانون الإلهي الطبيعي العام هي القاعدة المطّردة، والقانون الطبيعي الإلهي هو الشاذّ! وتلك قضية غير ما نحن فيه. فالذي يهمنا هو أن المعجزات أمور رهيبة جدا لا يقضي بها الخالق سبحانه وتعالى إلاّ تحديا للكافرين به، والمنكرين لدعوة رسول من رسله، والساعين لقتل هذا الرسول، فتأتي المعجزة تسفيها لهم، وتحديا لمن يدّعون أنّ ما دعا إليه هذا الرسول أو ذاك باطل. ولذلك لاحظ علماء المسلمين

الصهيونية واستثمار الخرافات

أن المعجزة تقع لوقت معيّن، وعلى يـد رسول يدعو إلى الله، ومن نـوع ما تحسنه أمة هـذا النبي : السحرة المصريـون واجهوا مـوسى بعصاه، واليهـود المعاصرون للمسيح اشتهروا بـالطب، خصوصا «الإسّنيين» أي «الأسـاة» بمعنى الأطباء، فشفى أمـامهم الأكمـه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله، ونبينا عليـه الصـلاة والسلام واجه العرب وهم أبطال الفصاحـة والبلاغة، وإرسال الأمثال، وإنشاد الأشعار وسرد القصص والحكم، فتحداهم بالقرآن الكريم، الذي لا يدخل في المعجزات الموقوتة حسب تقسيم فولتير، بل في المعجزات القائمة الدائمة، بدوام القـوانين الطبيعية الإلهيـة نفسها. وقـد تكون المعجـزة درسًا من الخالق، فنبيّـه يونس عليه السلام كان قد أتاه الأمر السماوي بالذهاب إلى أمّة من الكفار لتبليغ دعوة الله، فداخله الخوف، وتكـاسل، بل أراد أن يهرب إلى جهة بعيدة أخرى، فركب سفينة للكفّار، وثارت عاصفة على البحر، فأخذوا يونس وألقوه في الماء، فابتلعه الحوت وأبحر به إلى ساحل الأرض التي أمره الله بالذهاب إليها.

كل هذا الحديث الطويل ذكرته ـ باختصار شديد ـ حتى يتضح للقارئ أن العصبية العنصريـة اليهوديـة لم تكن ذات صلة بمعجـزات الله إلى أنبيائه، التي كانـت لهداية البشر على اختلاف أعـراقهم وألوانهم وبـلادهم. فالخارجـون مع موسى من وجـه فرعـون كان فيهم كثير من المصريين، بشهـادة التوراة التي بين أيديهم الآن، وكبش الفداء لابن إبراهيم كان إعـلانًا بتحريم القرابين البشرية، من أي جنس كانت، وبهذا يسقط ادعاء اليهـود أن الذبيح كان إسحاق؛ لأن شريعة الضحية الآدمية عند البابليين وعند غيرهم من الأمم كانت للابن البكر، وقد كان إسماعيل لا إسحق، وإن كان الجدال في ذلك يصبح ثانويا فرعيا، إلى جانب الهدف الأسمى وهو تحريم هذا الطقس الـوحشي الهمجي على كل من يؤمن بالله من النـاس كافة، ومعجزات المسيح الخاصة بالأمـراض والعاهات، والتي وصلت إلى إحيـاء الموتى، كـانت لإبطـال دعـوى أحبـار اليهـود من الفـريسيين والصـدوقيين والسـامـرة والإسيليين أن أسرار الموت والحيـاة كـانت عندهم، وفي كتبهم. وكانوا بذلك يعطون أنفسهم حق الحياة والموت على عامة الناس، فتحداهم المسيح وحطّم هذه الخرافة. ومعجـزة يونس كانت إرشادا له إلى أن أمر ربّه يجب أن يتلاشى معه الخوف من أشدّ عباده فجورا وكفرا، وهكذا تشجع يونس، وتكللت دعوته بالنجاح.

فـالمسألة كما نـرى لم تكن في وقت ما مسـألة عصبيـة قوميـة أو سياسيـة أو إقليمية، ولكن بني إسرائيل نبتت فيهم هـذه الدعوى بعـد السبي البابلي، أي بعد إبراهيم بألف وخمسمائة عام، وبعد مـوسى بألف عام، وهم مغلوبون على أمرهم، أسرى محتقـرون في أرض غريبة، يقـودهم زعماء سياسيـون مثل نحميا وحـزقيـال وعـزرا، وكـان مـن واجبهم أن يعيـدوا إلى أولئك المسـاكين الثقـة بأنفسهم، وبـالعـودة إلى الأرض التي اتخذوهـا وطنـا، أرض فلسطين، وبنـاء هيكل سليمان «أعظم وأحسن مما كـان»!! وقد أشرف على ذلك نحميـا وابتكر الشعار القائل (يدٌ تبني ويدٌ تقاتل) الذي تبنتـه الصهيونية ـ خصوصا المتطرفين منهم ـ إلى الآن.

فمن هنا فكّرتُ في كبش الفداء، وعدت إلى التوراة والمدراش والمشنا أبحث عن بعض التفاصيل، ورأيت العجب العجاب، رأيت أن أيـة واقعة قديمة من هذه الـوقائع المدهشـة تصبح عند القـوم قاعـدة وأساسـا تقوم عليه جبـال من الخرافات؛ لأن المعجـزة كانـت قد فقـدت عندهم مغـزاها ومعنـاها وغـرضها الأسمى، وانكمشت إلى صورة من صور السحـر! ففي التوراة (سفر اللاويين ـ الأحبار ــ الفصل ١٦) كانت الأمة قـد ارتدّت عن عبادة الله، وعـوقب هارون بموت ابنيـه، ثم جاء الأمر بطقـوس أذكرها حـرفيا وبلا تعليق بأرقـام جُمَلِها في كتابهم:

١ ـ وكلّم الربّ موسى، بعد مـوت ابْنَيْ هارون، إذ تقدّما بين يدي الرب، وماتا. ٢ ـ وقال الربّ لموسى: مُـرْ هارون أخاك ألاّ يدخل المحراب المقدس في كل وقت، حتى وراء الحجاب، إلى أمام الغشاء الـذي على التابوت (صندوق الصحف المقـدسة) لئـلاّ يمـوت لأنّي متجلٍّ في الغمام فـوق الغشاء. ٣ ــ بهذا يدخل هـارون المحراب المقدس: بِعجْلٍ مـن البقر لذبيحـة الخطيئة، وبكبش لقربان النار. ٤ ـ ويلبس قميصا خاصا من الكتان، ويكون على بدنه سراويل من كتّان، ويشدّ حزامًا من كتان، ويعتمّ بعمامة من كتان. إنها ثياب مقدسة، يغسل يديـه بماء ويلبسها. ٥ ـ ويأخذ من عنـد جمهور بني إسرائيل تَيْسَيْنِ من الماعز لذبيحـة الخطيئة، وكبشالقربان النار. ٦ ــ فيضحّي هارون بالعجل عن الخطيئة التي له ويكفّر عن نفسه وعـن بيته. ٧ ـ ثم يأخذ التيسين فيوقفهما بين يـدي الـربّ، عنـد باب سرادق الاجتماع ٨ ـ ويلقي هـارون عليهما قُـرْعتَيْن، إحداهما للرب والأخـرى لعزازيل (الشيطان). ٩ ـ فيقـرّب هارون التيس الذي وقعت عليه القُرْعـة للربّ، ويجعله ذبيحة خطأ. ١٠ ــ أمّا التيس الذي وقعت عليه قُرعة (عزازيل) فيوقفه حيـا أمام الرب ويستغفر عليه، ثم يطلقه في البرّية لعزازيل. ١١ ـ ثم يقرّب هارون عِجْل الخطيئـة التي له، فيكفّر عن نفسه وعن بيته، ويذبح عجل الخطيئة الذي لـه. ١٢ ـ ثم يملأ المجمرة من جمر النار التي على المذبح بين يدي الرب، ويملأراحتيّه بخورا عَطِـرًا مدقوقًا ويدخل بهما وراء الحجـاب. ١٣ ـ ويُلقي ذلك البخـور على النـار بين يدي الـربّ، حتى يغطي دخان البخور الغشاء الذي على العهـد، حتى لا يموت. ١٤ ـ ثم يأخذ من دم العجل فيرشّ بأصبعـه على وجه الغشـاء شرقًا، ثم يـرش من الدم أمـام الغشاء

العصبية العنصرية اليهودية لم تكن ذات صلة بمعجزات الله إلى أنبيائه

كبش الفداء كان رسالة عالمية بتحريم قتل الأبرياء حتى قرباناً لله

سبع مرات بأصبعه. ١٥ ـ ثم يذبح تيس الخطيئة الذي للشعب، ويدخل بِدَمِهِ إلى داخل الحجاب فيصنع به كما صنع بدم العجل، يرشّه على الغشاء وأمامه. ١٦ ــ ويستغفر أمام المحراب عن نجاسة بني إسرائيل ومعاصيهم وجميع ذنوبهم، وكذلك يعمل في سرادق الاجتماع، إذ يقيم معهم في وسط نجاستهم. ١٧ ــ ولا يَكُنْ أحد في سرادق الاجتماع منذ دخوله للتكفير في المحراب إلى أن يخرج، فيكفّر عن نفسه وعن بيته وعن كل آل إسرائيل. ١٨ ــ ثمّ يخرج إلى المذبح الذي أمام الرب ويكفّر عليه، فيأخذ من دم العجل ودم التيس، ويلطّخ زوايا المذبح من كل جهة. ١٩ ــ ويرشّ عليه من الدم بأصبعه سبع مرات، ويزكّيه ويطهّره من نجاسة بني إسرائيل ٢٠ ـ فإذا فرغ من التكفير عن المحراب وعن سرادق الاجتماع وعن المذبح، يأتي بالتيس الحيّ. ٢١ ـ فيضع هارون يديه على رأسه ويعترف عليه بجميع ذنوب بني إسرائيل ومعاصيهم وخطاياهم، فيلقيها على رأس التيس ثم يرسله بيد رجل خاص بذلك إلى البريّة. ٢٢ ـ فيحمل التيس جميع ذنوبهم إلى أرض منقطعة، ويرسل التيس في البريّة. ٢٣ ـ ثم يدخل هارون سرادق الاجتماع فينزع ثياب الكتان التي لبسها عند دخوله المحراب ويتركها هناك. ٢٤ ـ ثم يغسل بدنه بالماء في موضع خاص، ويلبس ثيابه ويخرج فيقرّب قربان نار له، وقربان نار عن الشعب، مكفّرا عن نفسه وعن الشعب. ٢٥ ـ أما شحم ذبيحة الخطيئة فيحرقه بخوراً على المذبح. ٢٦ ـ وأما الذي يطلق تيس عزازيل (الشيطان) فيغسل ثيابه ثم يغسل بدنه بالماء، وبعد ذلك يدخل المحلّة. ٢٧ ــ وأما عجل الخطيئة وتيس الخطيئة، اللذان أدخل دمهما إلى المحراب للتكفير، فيحملان إلى خارج المحلّة وتُحرق جلودهما ولحمهما وفرثهما بالنار. ٢٨ ـ والذي يحرقهما يغسل ثيابه وينظف بدنه بالماء، وبعد ذلك يدخل المحلّة. ٢٩ ـ هذا يكون لكم طقسًا أبديا في اليوم العاشر من الشهر السابع، فيه تذلّلون نفوسكم، ولا تعملون عملاً، لا الأصيل ولا الدخيل الغريب فيما بينكم.

وأعفي القارئ من تعليقات (المجاذيب) من بني إسرائيل في كتبهم الصوفية مثل: (القبالة) أي تلقّي الأسرار، أو (الزوهر) أي الإشراقات الباطنية، مع أن بعضها وصل إلى إحلال دم غير اليهود بديلا من دم الكباش والعجول والتيوس. ومن المؤكد أن (الربّ) تعالى عن ذلك علوّا كبيرا لم يكلم موسى بهذا الكلام، ولا قال له هذه الأمور، على الرغم من مجيئ ذلك في الجملتين الأولى والثانية من هذا النص وتأكيده بأنه (طقس أبدي) للقريب والغريب، الأصيل والدخيل، في الجملة الأخيرة. فكل هذه الأمور كانت (طقوسا أبدية) عسكرية مسطورة في معاهدات إنهاء الحروب لدى الفراعنة والبابليين والأشوريين والحيثيين والعرب في الجاهلية، وما لا يحصى من الأمم الوثنية. ومن أوضح الأمثلة لذلك معاهدة بين إمبراطور أشور وملك الآراميين المنهزم أمام جيشه في سورية. فقد تم الاتفاق على إنهاء الحرب لأن ملك الآراميين «مَاتِعْ إيلو» قد قبل شروط الإمبراطور الأشوري، وأقيمت حفلة بهذه المناسبة أدارها الكهنة الكفّار من الطرفين، بدأت ـ كما تقول المعاهدة ـ بقيام الكاهن الأشوري بذبح عجل وهو يقول: هذا الدم ليس دم العجل بل دم «مَاتِعْ إيلو» إذا نقض العهد، ثم يجهّز العجل للطبخ وهو يقول: هذه الرأس.. هذا الجلد.. هذه الذراع.. هذه الساق.. هذا الفخذ.. هذا الكبد.. هذه الأحشاء.. إلخ، ليست لهذا العجل بل هي أعضاء «ماتع إيلو» إذا نقض العهد! كل هذا لتجسيد اللعنات المنصبة على العدو احترازاً من عنده! وهي دائما وأبدا تتضمن معنى الغدر والحقد والصراع واللعنةوالشيطان!

ونحن نعلم أن موسى عليه السلام، بعد مواجهته للسحرة المصريين قد حرّم السحر قطعا ونصًّا، خصوصا على بني إسرائيل، وتكرر التحذير من ذلك مرارا في التوراة، بل إن هذه التوراة ـ حتى بنصها الحالي ـ تأمر بعقوبة السحرة بالقتل، يستوي في ذلك الرجال والنساء. ومع ذلك كان السحر يمارس في بني إسرائيل حتى يومنا هذا، لدرجة أن الدجالين من غير اليهود يجتهدون في التعوّد على رسم الحروف الأبجدية العبرية حتى يوهموا (الزبائن) بأنهم من الواصلين الراسخين في العلم. وكانت كل حركة إصلاحية حتى عند الأجيال المتعاقبة في اليهود، تبدأ بقتل السحرة والعرافين وأصحاب الجن وراصدي النجوم والباحثين عن أسرار الحروف والأرقام والأعداد وزاجري الطير وفاحصي أحشاء الذبائح والمتسكّعين في ظلام الليل بين القبور، وفي كل مرة ينتكس اليهود وينسون أن استثمار الخرافات لدى ضعاف العقول والجهلة والغوغاء من طغام الناس أمور محرمة بالنص في شريعة موسى.

بعد موسى بأجيال قليلة كان يحكم بني إسرائيل الملك شاؤول، الذي اختاره أحد الزعماء السياسيين لتلك الأمة، وهو «صمويل» الذي خلع على نفسه لقب «النبي» وأسس في زمانه «مدرسة للأنبياء» للتنبّؤ بالغيب لقاء أجر معلوم! ولكن شاؤول كانت فيه رعونة، وصلت بعد توليه الملك إلى حد الصرع والجنون أحيانا. وفي نوبة من هذه النوبات ـ وكان قد انهزم أمام الفلسطينيين ـ سكان البلاد الأصليين، وأراد أن يعرف مستقبل هذه المعارك، يقول النص (صمويل الأول ٢٨): فسأل شاؤول الربّ، فلم يُجبه الرب لا بالأحلام ولا بالكهنة ولا بالأنبياء. فقال شاؤول لخُدّامه: التمسوا لي امرأة ذات (تابعة) أي جنّية ـ فأذهب إليها وأسأل على لسانها. فقال له خَدَمه: إن في «عين دور» امرأة ذات تابعة. فتنكّر شاؤول ولبس غير ثيابه وانطلق هو ورجلان معه ووافوا المرأة ليلا. فقال لها: تكهّني لي بالتابعة، وأظهري لي من أسمّيه لك (وكان صمويل قد مات). فقالت له المرأة: أنت تعلم ما صنع شاؤول من استئصال أصحاب التوابع والعرافين من الأرض، فلماذا تنصب لحياتي شَرَكًا حتى تهلكني؟ فحلف لها شاؤول وقال بحياة الرب إنه لا يلحقك جريرة من هذا الأمر! فقالت المرأة: مَنْ أُظهر لك؟ قال: أظهري لي صمويل! فلما رأت المرأة صمويل، صرخت

الصهيونية واستثمار الخرافات

بصوت هائل، وكلمت المرأة شاؤول قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاؤول؟ فقال لها الملك: لا تخافي! ما الذي رأيت؟ فقالت المرأة لشاؤول: رأيت (آلهة) (أي أحد المخلوقات العلويّة) تصعد من الأرض! فقال لها: ما هي هيئته؟ قالت: رجل شيخ صاعد يرتدي عباءة! فعرف شاؤول أنه صموئيل، وخرّ على وجهه ساجدًا على الأرض. فقال صموئيل لشاؤول: لماذا أزعجتني، وأصعدتني؟ فقال شاؤول: قد ضاق بي الأمر جدًّا، لأن الفلسطينيين يحاربونني والله قد فارقني، ولم يعد يجيبني، لا بالأنبياء، ولا بالأحلام، فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع . . . إلخ.

الخرافات ليست اختراعًا إسرائيليًا أما توظيفها واستثمارها سياسيًا ودينيًا وتجاريًا فلهم فيه اليد الطولى

ففي هذا النص أشياء مهمة يمكن استنباطها منه، أوضحها ما يلي:

١ ـ أن الخرافات بقيت متأصلة في هذه الأمة إلى عهد شاؤول وإلى ما بعده، إلى يومنا هذا.

٢ ــ أن الفلسطينيين ليسوا في فلسطين منذ ظهور الإسلام كما تُوهِمُ الصهيونية الناس، بل كانوا أصحاب هذا الوطن قبل أن يطأه العبرانيون القدماء بأقدامهم، وكانوا يقاومون الاحتلال اليهودي في أيام شاؤول ــ منذ ثلاثة آلاف عام ـ بل قبل ذلك، إلى اليوم.

٣ ــ أن التناقض والتخبط واضح في قول المرأة إن شاؤول قد استأصل المتنبئين والعرافين من البلاد، ثم نراه يطمئنها ويتوسل إليها أن تمارس من أجله هذا(الفن)!

٤ ــ أن صموئيل يصعد من قبره ويتكلم! في حين أن موسى كليم الله لم يصعد من قبره بعد الموت، ولم يكلم أحدا! بل إن قبره لا يعرفه أحد كما جاء نصا في آخر التوراة الحالية. وواضح أن هذه الجملة في التوراة، قد سجلها أحد اليهود الكتبة المتأخرين عن موسى بزمن طويل.

٥ ـ أن هذا النوع من (المسامرات) ليس تاريخا كما يزعم اليهود، وشتان بين التاريخ والخرافة.

٦ ــ أن التلمود والمدراش والقبالة والزوهر قد (توسّعَتْ) في هذا المنهج بشكل جنوني ومضحك.

٧ ــ أن العدوى سرت إلى اليهود من البابليين والأشوريين والمصريين والفرس، فنَمَتْ وترعرعت، لدرجة أن أكثر الصحف اليومية في العالم تنشر تنبؤات فلكية (خنفشارية) معظم محرريها المعاصرين من اليهود، أو ينقلونها من حسابات وزيجات وقرانات فلكية من تآليف أصحابنا.

٨ ـ أن بعض هذه النبوءات قد نجح في إثارة فتن هائلة، نذكر منها مثالين:

الأول: حركة اليهود (الدُوسخة) في الامبراطورية العثمانية، وهي التي أثارها (شبتاي صبي) بالاتفاق مع يهودي ألماني كان يقيم في غزة في القرن السابع عشر، ويشتغل بعلم (الباطن) ـ في الظاهر فقط! فاتفق معه هذا المهرّج القادم من أزمير في تركية ـ وكان ذلك عام ١٦٦٤م ــ على أن يزعم أن السنة التي يكون رقمها (٦) ثلاث مرات، هي سنة ظهور المسيح المخلّص الذي يطرد المسلمين من بيت المقدس وفلسطين، ويقيم ملك سليمان من جديد! ودخل اليهود في الخرافة أفواجا عام ١٦٦٦م، ثم لما طلب علماء الإسلام في القسطنطينية إعدام هذا الرجل، واجههم بأنه ـ بحمد الله! قد اعتنق الإسلام هو وزوجته على يد النبي ﷺ! فاكتفى العثمانيون بنفيه إلى ألبانيا حيث مات هناك، وبقي أتباعه إلى يومنا هذا يظهرون الإسلام نفاقا.

الثاني: حركة هذا الأمريكي المتهوّس في (واكو) بالولايات المتحدة، حيث أسس طائفة (الداووديين) لإعادة مُلك داود، وسمى نفسه داود كورش، على اسم الإمبراطور الإيراني الذي منح اليهود المعاصرين له حق (العودة) إلى فلسطين، في القرن الخامس قبل الميلاد، على زعم اليهود. والثابت أن الرجل وجد مئات الآلاف من الأسرى والعبيد في الإمبراطورية الأشورية بالعراق عند تحطيمها، فأصدر قرارا عاما لكل النازحين من جميع الأجناس ليعودوا إلى بلادهم. أما هذا الأمريكي الدجّال فكان معه في الحصن الذي اتخذه قاعدة لنشاطه جمع من «المؤمنين» به، حوصروا على يد إدارة الأمن المركزي الأمريكية، فانتحروا جميعا في حريق رهيب، إلا أفرادا قلائل يعدّون على الأصابع. وكان ذلك منذ أسابيع.

وبعد، فلعله تبين لنا من هذا الحديث الطويل، المثقل بالنصوص والنقول، أن الخرافات لم تكن اختراعًا إسرائيليا، أما توظيفها واستثمارها سياسيا ودينيا وتجاريا فكان (لإخواننا) فيه اليد الطولى. وتيس الشيطان، اليهودي هذا، يذكرنا بأنه الإله (منديس) إله الفزع والقبح عند الفراعنة كان في أقدم صوره تيسا. والتيس في (الفيدا) الهندوسية رمز للنار المعبودة، وكانوا يصورونه على شكل لهيب نار يضيء بالليل بتدبير الإله (آغنى) الخاص بالنور والتألق.

وفي صلواتهم يقولون ـ أعزكم الله! أيها التيس! اصعدْ إلى سماء المقرّبين؛ لأن التيس مخلوق من نور (آغنى). آترافا/ فيدا ٩: ٥. وفي العصور اليونانية القديمة كان العرّافون يعتبرون الكبش حيوانًا شمسيا نهاريا، والتيس حيوانا ليليا قمريا، نسبوا إليه الشهوة الجسدية ودخل في العصور الوسطى المسيحية ضمن رموز الشيطان عندما يوسوس بالزنا للناس!

واقع التعليم في القرية النجدية قديمًا
كُتّابُ عَوْدة سُدَيْر

بقلم : د. عبدالله محمد الفيصل

نشر الدكتور محمد بن عبد الله السلمان في عدد مجلة « الفيصل » الواحد والتسعين بعد المائة الصادر في جمادى الأولى عام ١٤١٣ هـ موضوعًا بعنوان : «الكتاتيب في عهد الملك عبد العزيز ودورها الثقافي في نجد»، وجاء على ذكر عدد من الكتاتيب منها كتّاب عودة سدير *. وجاء الحديث مرة مع الصديق الزميل رئيس التحرير د. زيد الحسين فألمحت له إلى أن بمكتبتي مسودة مخطوطة حول واقع القرية النجدية قبل بداية النهضة التعليمية الحديثة، جعلتها محطة استراحة لي أكتب فيها عندما يكل الذهن من تصارع الأرقام أو استعصاء حل المعادلات الرياضية والمحاسبية. وأن بتلك المخطوطة فصلاً عن التعليم في ذلك الكتّاب ـ كتّاب عودة سدير ـ فطلب مني أخي رئيس التحرير نشر هذا الفصل، لعله يضيف نقطة على حروف الدكتور محمد السلمان. فأقول وبالله التوفيق :

تتأثر الحياة في أي مجتمع بالحالة الاقتصادية بصورة عامة، فارتفاع مستوى المعيشة يصاحبه تحسن في المستوى التعليمي، أو تحسن المستوى التعليمي يؤدي إلى ارتفاع مستوى المعيشة. إلا أن كل واحد منها لازم للآخر. وسيتناول الحديث أمورًا منها المستوى العام للتعليم، المدرسة ونظامها، أدوات الدراسة، منهج الدراسة، وصف يوم دراسي، مكافأة المعلم والاحتفال بإتمام القرآن الكريم.

المستوى العام للتعليم

لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن المستوى العام للتعليم في القرية منخفض جدًا، فالنساء لا يعرفن القراءة ولا توجد لهن مدرسة ولا كتّاب. ويستثنى من ذلك من تعلمت شيئًا من القرآن؛ من أبيها أو أخيها أو زوجها بعد الزواج. أما الرجال فلا تتجاوز نسبة من يقرأ القرآن منهم الثلاثين في المائة. وقليل جدًا من الرجال من يقرأ شيئًا غير القرآن. فهو يقرأ القرآن لأنه تعود على رسمه، أما لو أتى بكتاب آخر فقد لا يستطيع قراءته لأنه لم تتح له فرصة القراءة.

وإذا جاء الحديث عن الكتابة فإن من يكتب خطًا مقروءًا لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة. وما دام الحال كذلك فما حال الثقافة الدينية، وكيف يتم سد الحاجة إلى الكتابة لتوثيق العقود والمراسلات ؟ هذا ما سنتحدث عنه في السطور التالية :

الثقافة الدينية

يتم الحصول على الثقافة الدينية من مصادر متعددة منها :

١ ـ تدريس مبادئ التوحيد :

غالبًا تدرّس الأصول الثلاثة : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ. ويتم تدريس هذا الجانب في المسجد بعد صلاة العشاء وصلاة الفجر، خاصة في الشتاء لأن ليله طويل. ويتم ذلك بأن يعين الإمام واحدًا أو اثنين ممن لهم إلمام

* عَوْدة سدير : إحدى بلدان إقليم سُدَيْر، تبعد عن الرياض حوالي ١٤٠ كم تقريبا باتجاه الشمال الغربي، وقد حظي إقليم سدير بذكر وشهرة ومكانة في مجالات العلم والتجارة والزراعة، وأنجب عددًا كبيرًا من العلماء والفقهاء ورجال الدولة والمؤرخين والرواة والشعراء، وقد تلقى معظمهم علومهم الأولية في الكتاتيب التي كانت تنتشر في جميع بلدانه.

واقع التعليم في القرية النجدية قديمًا
كُتّاب عَوْدة سُدَيْر

بهذا الجانب لتعليم المحتاجين. ويتم التعرف على المحتـاجين بأن يدعو الإمام مجمـوعة أسماء بعـد الصلاة ثم يطلب من كل واحـد منهم أن «يقرأ الـدين»، وقراءة الدين تتم بأسلوبين: إما أن يسـأل الإمام الشخص عن ربه ودينه ونبيه والشخص يجيب، وإما أن يبدأ الشخص في سرد ما حفظه من سؤال وجواب. وإذا لـم يجب عن الأسئلة أو لـم يحفظ فإنه يحال إلى من يعلّمه ذلك.

٢ ـ خطبـة الجمعـة والعيدين:

يتلو الإمام خطبة الجمعة من كتاب يحتوي على مجموعة من الخطب أعدها بعض المجتهدين لتصلح لكل المنـاسبات العـامة. وقد تكـون مصنفة حسب شهور السنة بحيث يأتي مـا له علاقة بـرمضان في شهر رمضان، ومـا لـه علاقة بـالحج قبل الحج وهكذا. وتتصف هـذه الخطب بعمـوميتها وبـاحتوائهـا على جانب كبير من أحاديث الوعظ والترغيب والترهيب. وتخلو في الغـالب من أي جانب تطبيقي كفقه المعاملات والعلاقات الاجتماعية. وفي العيدين يتلو الإمام خطبة العيـد من كتاب أعـده أيضا أحـد المجتهدين. وغـالبًا مـا تكون خطب العيـدين من نفس كتـاب خطب الجمعـة. إلا أن خطبتي العيـدين معـدتـان خصيصًا للعيدين. وما يتأكد منه كاتب هذه السطور أنه لـم يسمع لخطبة عيد الفطر إلا نصًا واحدًا ولعيد الأضحى إلا نصًا واحدًا في سنوات مختلفة.

٣ ـ حديث ما بعد صلاة العصر «الدرس»:

وحـديث مـا بعد صـلاة العصر ويسمى «الـدرس». لا يختلف كثيرًا عن ذلك. حيث يختـار الإمـام كتـابًـا يشتمل على أحـاديث في الترغيب والترهيب لوعظ المستمعين وتذكيرهم بالآخرة.

ومما يجدر ذكره أن النساء يخرجـن لسماع خطبة الجمعة ولسماع «الدرس» أو حـديث ما بعـد صلاة العصر. وفي خـروجهن لا يختلطن بالـرجال، ففي يـوم الجمعـة يجلسن في شارع مظلـل أمـام محراب المسجـد الجامع. ويعرف هـذا المكان باسم الغرض الـذي أوجد من أجله حيث يسمى «مُجَبّ الخطبة»، وإذا انتهت الخطبة انصرفن إلى منـازلهن، أما في العصر فيجلسن في مؤخـرة المسجد بعيدًا عن الرجال. وإذا انتهى الحديث «الدرس» انصرفن من المسجد، ويتباطأ الرجال في الخروج حتى يكتمل انصراف النساء.

٤ ـ أحاديث شهر رمضان:

تكثف قـراءة الأحـاديث في المسجـد في رمضـان، حيث تستمـر تـلاوة الأحاديث يوميا من بعد صلاة المغـرب بحوالي الساعة إلى أن تقام صلاة العشاء وفي العشر الأواخـر من رمضـان تتلى الأحـاديـث عـلاوة على ذلك قبل صـلاة التهجد (القيام) وبين تسليمات صلاة التهجد.

٥ ـ نصائح بعض العلمـاء وزياراتهم:

ترد إلى القرية من حين لآخر نصـائح مكتوبة يكتبها أحد العلماء في أمهات المدن، وتـرسل للمدن والقـرى لقراءتها في المسـاجـد. وتكون نصـائح شاملـة تتضمن كثيرًا من الأوامر والنـواهي. وقد يقوم بعض طلبـة العلم بزيارة القـرية وإلقاء حديث ديني فيها.

وكما قيل فإن أكثـر مـا يلقى أو يتلى هو من بـاب الترغيب والترهيب. أمـا الجانب التطبيقي فقل أن تجد لـه أثرًا.

٦ ـ الاستفتاء:

لا تخلو القرية من عدد محدود جدًا من الـرجال الأفاضل الذين لهم اطلاع محدود في فقه العبادات والمعاملات يسألهم الناس عند الحاجة. أمـا إذا لـم يجد الشخص جوابًا عند هؤلاء فإنه ينتقـل بسؤاله إلى قاضي المنطقة حيث يجد عنده الجواب، خاصة في أمور الرضاعة والمواريث والحج وما شابه ذلك.

كتابة العقود والوثائق

يتم توثيق عقـود البيع والشراء والإجارة والمسـاقاة والوصـايا والقسمـة وما يحتـاج إلى توثيق من غير مـا ذكـر، يتم بكتابتهـا من قبل عـدد محدود من أهل الفقـه القادرين على الكتـابة كتابة مقـروءة. ويتم اعتماد من يصرح لهم بكتابة العقود والوثائق من قبل قاضي المنطقـة؛ لأن كتاباتهم تعتبر حجة في المنازعات القضائية ولا بد للقاضي أو كاتبه من معـرفة خط هؤلاء منعًا للتزوير، حتى إن المجتمع نسج عبـارة يـوصف بها الـواحـد من هـذه الفئة فيقـال فـلان «قلمـه ماشي»، أي خطه معتمد لكتابة العقود والوثائق.

كتابة الرسائل

الحاجة إلى كتابة الرسـائل قليلة، إلا أنها ضرورة في كل مجتمع. وفي القرية يقوم بكتابة الرسائل الفئـة المذكورة سابقا وبعض من يجد في نفسه الكفاءة ممن يحسن الكتابة، إلا أن هذه الفئة لا يتجاوز عددها أصابع اليد بين جميع سكان القرية.

هذا هو المستوى العام للتعليم. وهذا المستوى نتاج مؤسسة تعليمية واحدة هي المدرسة أو الكتّاب.

المدرسة أو الكتّـاب

يعرف مكان التعليم في القرية بالمدرسة. أما كلمة الكتّاب فهي غير معروفة إطلاقًـا. والمدرسة حجـرة ملصقة في المسجد، بل هي جزء منـه، إلا أنه ليس بينها وبينه أبواب بل يفصلهما جدار. والحجرة بطول اثنى عشر مترًا وعرض ستة أمتار تقـريبا. لها باب واحد يفتح على طـريق عام. أما من جهة المسجـد فلها نوافذ صغيرة تسمح بدخول الضوء فقط، والحجرة مقسومة إلى قسمين: الجزء الأمـامي بطـول ثمانيـة أمتار تقـريبـا، هـذا الجزء مصمم داخليا تصميمًا يفي بالغـرض. ففي صدر هـذا الجزء وعند الباب مبـاشرة بُني مجلس من طين على هيئة كرسي كبير، خصص هذا الكرسي «للمطوع»، والمطوع هنا هو المعلم، ولا يفصل هذا الكرسي عن الباب إلا مسافة متر تقريبا تركت ممرًا لدخول الطلاب وخروجهم. ومـا بقي من صدر هـذا المكان شغلـه كرسي المطـوع، والضلعان اللـذان عن يمين المطوع وعن يسـاره بني عليهما مجلس مستطيل للطـلاب على

هيئة كرسي. إلا أنه يخلو من مساند لليدين حتى يتسع لعدد كاف من الطلاب، أما الضلع المقابل لكرسي المطوع والذي يبعد عنه حوالي سبعة أمتار فقد بني به مجلس منخفض جدًا لصغار الطلاب.

ويجلس المطوع والطلاب مباشرة على هذه الكراسي المبنية من الطين، أي لم تكسَ بخشب ولا بقماش ولا بجلد ولا حتى بحجر أملس، بل لبن ملبس بالطين. أما أرض المدرسة فمفروشة بالرمل الأحمر الخالي من الغبار. أما الجزء الباقي من الحجرة، والجزء الخلفي فمتروك لإيقاد نار التدفئة في فصل الشتاء.

الشيخ سعد بن حسين

وكان يتولى التعليم في ذلك الكتّاب في تلك الفترة الإمام الفاضل سعد بن محمد بن حسين إلى جانب إمامة المسجد الجامع في العودة. وكان ــ رحمه الله ــ مثالاً للتقوى والورع وحب الخير. وقد توفي ــ يرحمه الله ــ عام ١٤١٠ هـ، وقد رثاه كاتب هذه السطور ــ بعد الصلاة عليه ــ بالأبيات التالية:



اعتدت رؤياك بالمسواك والكتب ... تمشي وقارًا إلى المحراب في أدب

وتخطب الناس بالتقوى تذكرهم ... وأنت في فعلها أقوى من الخطب

لم يعرف الناس سوءًا أنت فاعله ... أو تخلط الصدق قولاً منك بالكذب

لم تشترك في جدال غير مصلحة ... أو تشترك في نزاع بغية الطلب

أمضيت عمرك للخيرات تطلبها ... ومن تكن همُّهُ الخيرات لم يخب

كنت الإمام إمام الخير في زمن ... شقى الجميع بجمع المال والنشب

كنت الإمام إمام الخير في زمن ... يعز فيه ذووا الألباب والأدب

كنت الإمام إمام الخير في زمن ... غاب الجميع ولكن «سعد» لم يغب

كنت الموجه والمفتي إذا اشتبهت ... أحكام دين على الساعين في الطلب

كنت الموثق بالإحسان كاتبهم ... لم تعتذر مرة بالشغل بالتعب

كنت المعلّم للأجيال في زمن ... من يكتب الخط يُستدعى من السحب

كنت المعلّم والأيام جافية ... والرزق مطلبه بالكدِّ والنَّصَب

علمت جيلاً وأجيالاً له تبعت ... ربيت جيلا على الأخلاق والأدب

لولا جهودك في التعليم لاشتعلت ... حرائق الجهل مثل النار في الحطبِ

لولا جهودك في الإصلاح ما انتشرت ... روح المحبة في قاصٍ ومقتربِ

لولا جهودك بالتوجيه تبلغه ... باللين والرفق بل بالعطفِ والحدبِ

لأصبح الناس في دنياك حائرة ... مَا بين محتار بها وبين مضطربِ

واليوم تدنو من المحراب في دعة ... جسم مسجّى على لوح من الخشب

نكبر الله مولانا نقدّسه ... ندعو «لسعد» بأن ينجو من اللهبِ

وأن يكون نعيم الخلد منزله ... مع النبيين في العالي من الرتبِ

أدوات الدراسة

تتكون أدوات الدراسة أو لوازمها من مصحف للقراءة وحبر وقلم للكتابة، وعصى لضرب الطلاب.

المصحف

يحتاج كل طالب في المدرسة اجتاز مرحلة تعلم مبادئ القراءة إلى مصحف يقرأ فيه القرآن على ما سيأتي تفصيله في منهج الدراسة. والمدرسة لا توفر المصحف بل يترك أمر توفيره للطالب نفسه. والمصاحف نادرة جدًا، يجد الطلاب عناءًا كبيرًا في توفيرها.

لوح الكتابة

يتعلم الطالب القراءة والكتابة مستعينًا في ذلك بلوح خشبي. واللوح ليس له شكل ملزم إلا أن الشكل السائد أن يكون لوحًا من خشب الأثل بطول خمسين سنتمترًا وعرض خمسة وعشرين سنتمترًا تقريبا. يجهز في أعلاه بجزء ناتئ منه بطول خمسة سنتمترات وعرض أربعة سنتمترات تقريبا يجعل فيه ثقب يوضع فيه خيط يمسك به اللوح ويعلق به عند عدم الاستعمال، وقد تستخدم ألواح أصغر من هذا لصغار الطلاب.

ويستخدم اللوح لتدريب المبتدئ على حروف الهجاء ومبادئ القراءة. كما يستخدمه الطالب الذي تجاوز هذه المرحلة في التدريب على الكتابة بنقل بعض آيات القرآن الكريم من المصحف.

قلم الكتابة

لم تعرف القرية الأقلام الحديثة من أي نوع، لا السائل ولا الجاف ولم تعرف أقلام الرصاص. وقد توجد أقلام تسمى «الريشة» تتكون من سن معدنية للكتابة مثبتة على مقبض من خيزران أو أثل أو ما شابه ذلك. وهذا القلم يحتاج إلى أن يغمس في الحبر بين حين وآخر أثناء الكتابة لأنه لا يحتوي على خزان للحبر. كما أن هذا القلم لا يوجد إلا عند عدد محدود جدًا من الكتبة الذين تحدثنا عنهم عند الكلام عن كتابة العقود والوثائق. أما سائر الناس والطلاب بصورة عامة فلا يملكونه.

والأقلام السائدة بين الطلاب هي أعواد من شجرة برية تسمى «القرضى» تنبت في الصحراء خاصة في المناطق الجبلية، وهي صغيرة الحجم لا يتجاوز ارتفاعها المتر. وتمتاز أغصانها بالقوة والاستقامة وعدم التفتت. يختار الطالب جزءًا من غصن، ويكون ذلك الجزء بطول عشرين سنتمترًا تقريبًا، وقطره بين أربعة وخمسة ملمترات، ويعمل في أحد أطرافه بسكين أو آلة حادة سن للكتابة يشبه الريشة التي مر الحديث عنها سابقا. والكتابة بهذا القلم تشبه الكتابة بقلم الريشة، تحتاج إلى أن نغمس القلم في الحبر بين حين وآخر أثناء الكتابة. ويستخدم هذا القلم للكتابة على ألواح الخشب. وقد يستخدم للكتابة على الورق كقلم الريشة، إلا أن سنه في هذه الحالة تكون أدق من سن القلم الذي يكتب به على لوح الخشب.

الحبر

قلما تجد الحبر العادي، وإن وجد فهو كقلم الريشة، يوجد عند عدد

محدود ممن يكتبون العقود والوثائق . أما الحبر السائل فهو حبر يصنع محليا، بل يقوم الطلاب بصنعه كما قاموا بجلب الأقلام من الصحراء .

ويتكون الحبر من مادة سوداء تعلق في «المقرصة» مما يلي النار ومن الماء ومن مادة صمغية . و «المقرصة» قطعة من الحديد مستديرة محدبة يبلغ قطرها حوالي ثمانين سنتمترا تنصب على ثلاثة أحجار بحيث يكون الجزء المقعر مواجهًا للنار والجزء المحدب توضع عليه العجينة بعد تهيئتها لتكون قرصًا رقيقًا .

ويعمل الطلاب الحبر بجمع تلك المادة السوداء من عدد كبير من «المقارص» لأن ما يمكن جمعه من «مقرصة» واحدة لا يتجاوز ملء كف اليد . بعد ذلك تخلط هذه المادة بالماء فتحول إلى ما يشبه الرغيد الأسود، وتوضع على نار متوسطة لتظل تغلي حوالي ساعتين، يضاف إليها مادة صمغية تحضر أيضا من شجر بري صغير الحجم يسمى «العلندا»، والمادة الصمغية هذه تساعد على تماسك المعجون . بعد الغلي يتحول الرغيد إلى عجينة متماسكة . بعد ذلك يترك برهة من الزمن ليبرد ثم يقطع قطعًا صغيرة مستديرة تسمى أقراصًا، كل منها في حجم أقراص الحلوى لا يتجاوز قطر الواحد منها ثلاثة سنتمترات . وإذا جف جُمِعَ وخُزِّنَ للاستخدام . وعندما يراد استخدامه يؤخذ قرص من الحبر ويوضع في المحبرة، ويصب عليه قليل من الماء، ويوضع بوسطه قطعة قماش لتتخينه من ناحية ولتقي سن القلم من الاحتكاك بقاع المحبرة وجوانبها حماية لسنَّة . يتحول قرص الحبر مع الماء إلى مادة سائلة سوداء تعلق بسن القلم عندما يغمس بها تكون وسيلة للكتابة على اللوح أو القرطاس .

والمحبرة أو الدواة : هي إناء صغير يخلط فيه قرص الحبر مع الماء للكتابة . وقد يكون هذا الإناء زجاجة فارغة أو علبة معدنية صغيرة أو ما شابه ذلك . إلا أن هناك محابر خشبية تصنع أساسًا لهذا الغرض . وتتكون المحبرة هذه من قطعتين من خشب الأثل، إحداهما قاعدة والأخرى غطاء . وتكون القاعدة بطول عشرين أو خمسة وعشرين سنتمترًا وبعرض ستة سنتمترات تقريبا وبارتفاع خمسة سنتمترات يحفر في أحد طرفيها حفرة مستديرة بعمق أربعة سنتمترات تقريبا وبقطر يصل إلى خمسة سنتمترات تكون مكانًا لخلط قرص الحبر بالماء . وتُحفر بقية القاعدة بشكل مستطيل ليكون مستودعًا للأقلام سواء كانت أقلام «الريشة» أم أقلام «القرضى» . والجزء الآخر من الدواة هو الغطاء وهو مسطح مما يلي القاعدة ومحدب من الجهة الأخرى . ويثبت الغطاء على القاعدة بمحور خشبي أو حديدي في الطرف الذي لا يوجد به خزان الحبر، وهذا المحور يسمح للغطاء بالحركة في شكل دائري أو نصف دائري مما يسمح بكشف خزان الحبر، ومما يبقي الغطاء مرتبطا بالقاعدة حتى لا يفقد . وقد تربط المحبرة بخيط يثبت الغطاء ويحفظ ما بالداخل عند الفراغ من الاستخدام .

عصى المطوع

كلنا يدرك أن سن الطلاب في مرحلة التعلم في المدرسة من أصعب مراحل العمر، وكلنا يدرك أن في الطلاب المؤدب وغير المؤدب، المجتهد والمشاغب، وكلنا يدرك أن النفس البشرية تستجيب للثواب والعقاب . وقد أدرك ذلك مطوع مدرسة القرية، فأعد للمشاغب من الطلاب ولغير المجتهد منهم وسيلة عقاب تتكون من مجموعة من العصي . وهذه العصي متخذة من جريد قوي من جريد النخل يُزال خوصه وهو أخضر ويترك الجريد في الظل ليجف، وتجفيفه في الظل لا في الشمس يجعله يحتفظ بقوته وطراوته واستقامته . وعندما يجف الجريد تقطع أطرافه ؛ الطرف العلوي والطرف السفلي ليبقى الوسط بطول حوالي متر ونصف المتر ليقوم بالغرض الذي هُيِّئ من أجله .

منهج الدراسة

يتكون منهج الدراسة في جميع مراحله من أربع مراحل استعراضها فيما يلي :

المرحلة الأولى : تعلم مبادئ القراءة

وتسمى مرحلة «العراب»، فعندما يلتحق الطالب بالمدرسة يُكتب له في لوحه عدد من حروف الهجاء، ثم مجموعة أخرى، وهكذا حتى يتعرف على جميع الحروف . ثم ينتقل إلى مرحلة تدريب أخرى لتدريبه على الحروف والحركات . ومجموعة هذه المرحلة ما يلي :

أَ   إِ   أُ   أْ

بَ   بِ   بُ   بْ

. . .   .

يَ   يِ   يُ   يْ

ثم مجموعة تدريب تدرب الطالب على الحركة والشدة معًا، ومجموعة هذه المرحلة ما يلي :

أَّ   أِّ   أُّ

بَّ   بِّ   بُّ

. . .   .

يَّ   يِّ   يُّ

ومجموعة تدريب تدرب الطالب على حروف العلة وتأثيرها على النطق، وهذه المجموعة ما يلي :

أْ   أوه   إيه   أه   أو   أي

أبْ   بُوْهْ   بِيْهْ   بَهْ   بَوْ   بَيْ

. . .   .

أي   يوه   ييه   يه   يو   يي

وتسمى هذه المرحلة مرحلة «الغبيبة»، لأنها آخر ما يتعلمه الطالب في مرحلة العراب أو المرحلة الأولى .

المرحلة الثانية : مرحلة تعلم قراءة القرآن في المصحف

ويتم اجتياز هذه المرحلة بتجزئة القرآن الكريم إلى أجزاء، تقل أو تكثر حسب مرحلة الطالب وحسب اجتهاده . ويبدأ الطالب هذه المرحلة بالسور القصيرة من جزء عمَّ، ويستمر في القراءة بطريقة تنازلية حتى ينتهي من سورة البقرة، وبذلك يكون أنهى دراسة القرآن الكريم أو «ختمه» كما يقال لمن أنهى هذه المرحلة . وهذه المرحلة طويلة جدًا تأخذ من الطالب عدة سنوات . وإلى جانب تعلم قراءة القرآن في المصحف فإن الطالب يتعلم في هذه المرحلة الكتابة بتقليد كتابة المصحف على لوح الخشب .

المرحلة الثالثة : مرحلة تجريد القرآن

من ختم القرآن الكريم وأراد المزيد من التعلم فإنه يعيده، وإعادته تكون طبعًا أسرع من قراءته في المرة الأولى . والإعادة هذه تسمى «تجريدًا» .

المرحلة الرابعة : مرحلة غيب القرآن الكريم

من انتهى من تجريد القرآن وله رغبة في زيادة التعليم فإنه يبدأ بغيب القرآن حتى ينتهي منه . ومرحلة غيب القرآن هي آخر مرحلة يمكن أن يصل إليها طالب .

نظام المدرسة وأسلوب الدراسة

تستمر الدراسة في المدرسة طوال أيام السنة ما عدا أيام الجمع وأيام الأعياد وأيام قلائل قبل العيد وبعده . وتبدأ الدراسة يوميا في الصباح بعد طلوع الشمس ، وتستمر إلى صلاة العصر مع توقف لصلاة الظهر واستراحة قصيرة قبلها . ولا يُحضر للمدرسة طعام ولا شراب . ولا تُحضر لها أدوات أخرى غير ما ذكر سابقا ما عدا أيام الشتاء فإن الطلاب يحضرون معهم بعض الحطب لإشعال النار للتدفئة . وليس للدراسة زي خاص ، لا للمطوع (المعلم) ولا للطلاب .

ويقوم على متابعة الطلاب في جميع المراحل معلم واحد ، إلا أنه قد يطلب من الطلاب ، أن يساعد بعضهم بعضا . ومن أراد قضاء حاجته طلب من المطوع أو من ينيبه إذنًا بالخروج .

ويجلس الطلاب على الكراسي الطينية ، ويكون قربهم من المطوع حسب درجة تمكنهم من القراءة ، فمن تقدم فيه صار أقرب مجلسًا من المطوع .

وتتم الدراسة بأسلوب فردي جماعي ، فمن حيث الفردية فإن المطوع يحدد لكل طالب في المرحلة الثانية عددًا من آيات القرآن سواء سورة أو جزء من سورة ، يحددها له ليدرسها تسمى «خطة» قد يقرؤها المطوع في المرة الأولى للطالب ، وقد يطلب من زميل أقدر منه على القراءة أن يساعده في دراستها . وإن كان الطالب قد بدأ برنامج الكتابة فيطلب منه المطوع كتابة «الخطة» على لوحه ، وعندما يحس الطالب بتجويده للقراءة «الخطة» يطلب من المطوع أن يسمعها منه ، وهذا يسمى «تقصيص» ، حيث يتقدم الطالب فيجلس على الرمل أمام المطوع الجالس على كرسيه ، وتأخذ جلسة الطالب هيئة الاستعداد بحيث يجلس على رجله اليسرى وينصب ركبته اليمنى ويبدأ في التلاوة ، ويصححه المطوع إذا أخطأ في التلاوة . فإن كان خطؤه قليلا أجازه المطوع بكلمة «حافظ» ، وإن كان خطؤه كبيرًا طلب منه المطوع الاستمرار في دراسة «الخطة» والتقدم لتلاوتها أمامه مرة أخرى .

أما الصغار الذين لا يزالون في مرحلة «العراب» ، فإن المطوع يكلف اثنين ممن يحسنون الكتابة بمساعدة هؤلاء الصغار بكتابة «خططهم» على ألواحهم ، فيجلس الكاتب على الرمل ويتحلق الصغار حوله مشكلين نصف دائرة ويسأل كلا منهم ما هي خطته السابقة ، فيصفها له ، فيقول هل حفظتها أمام المطوع فقد يقول نعم وقد يقول لا ، فإن كانت الإجابة بنعم كتب له «خطة» جديدة ، وإن كانت الإجابة بلا كتب له «خطته» السابقة . ويحمل الطالب الصغير لوحة ويجلس على كرسيه المنخفض ويبدأ يردد ما في اللوح بعد أن ساعده في المرة الأولى طالب متقدم أو المطوع نفسه . وقد لا يتجرأ الطالب الصغير ليطلب من المطوع تحفيظه ، إلا أن المطوع هو الذي يتعرف على مدى حفظ هؤلاء الصغار لخططهم بالتفتيش عليهم بين حين وآخر . وإذا حفظ الطالب خطته أو تشوهت كتابتها غسل لوحه بالماء ، ودعكه بحجر أملس يسمى «مروه» . ويقرأ الطلاب بصوت مرتفع سواء القرآن أو تمارين القراءة . وقد يصدف فتتفق خطط مجموعة من الطلاب فيقرؤن قراءة جماعية تمزق هدوء أزقة القرية .

مكافأة المطوع

لا يتقاضى المطوع أجرًا عن تدريس الطلاب . وكل ما يتقاضاه هو مكافأة رمزية قبل العيدين تسمى «عيد» أو «عيدية» ، في حدود ريالين للطالب أو صاع عيش . ويتأخر كثير من الطلاب عن دفع هذا العيد لعدم مقدرة أسرهم على دفع النقود أو العيش .

وإذا حدث وختم أحد الطلاب القرآن ـ مع ندرة من يختم ـ يقدم أهله مكافأة للمطوع تتمثل في عدد من الريالات أو عدة أصواع من قمح القرية .

الاحتفال بختم القرآن

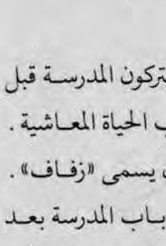
قلّ أن يختم أحد القرآن ؛ لأن الكثيرين من الطلاب يتركون المدرسة قبل إتمام قراءة القرآن لاحتياج أهلهم لهم لمساعدتهم في نوائب الحياة المعاشية . ولكن لو صادف وختم أحد القرآن فإنه يُعمل لذلك احتفال يسمى «زفاف» . وأهم مظاهر هذا الاحتفال هو أن يتجمع الطلاب عند باب المدرسة بعد خروجهم منها في اليوم المحدد «للزفِ» ، فيحملون الطالب المزفوف على أكتافهم ، ويتجهون به إلى منزل أهله وهم يرددون بصوت جماعي مرتفع عبارة :

«اشروه وإلا كسرنا عصه . في عاير نلصه»

وعندما يقتربون من منزل أهله يخرج إليهم أحد أقاربه ، أو يطل عليهم أحد أو إحدى قريباته ويقول : «مشرى . مشرى» ، عند ذلك يضعه الطلاب أرضا ويتوقفون عن ترديد الأهازيج . وثمن الشراء الذي التزم به أقاربه هو حفلة غداء أو عشاء يقيمها أقارب «الخاتم» للمدرسة مطوعًا وطلابًا .

من كتاب العدد

● عبد الله بن محمد الفيصل



ـ من مواليد عودة سدير عام ١٣٦٤ هـ .

ـ بكالوريوس العلوم الشرعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وبكالوريوس المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة الملك سعود ، ماجستير المحاسبة من جامعة يوتا ، ودكتوراه المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩م .

ـ عميد كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود وأستاذ المحاسبة بها .

ـ تولى رئاسة قسم المحاسبة وإدارة مركز البحوث وعضوية هيئة تحرير المجلة بكلية العلوم الإدارية وعضوية كل من المجلس العلمي ومجلس كلية الدراسات العليا بجامعة الملك سعود .

ـ رئيس لجنة معايير المراجعة بالهيئة السعودية للمحاسبين القانونيين ، وعضو لجنة معادلة الشهادات بوزارة التعليم العالي ، ومستشار غير متفرغ لعدد من الأجهزة الحكومية .

ـ له عدة مؤلفات ودراسات من بينها : المحاسبة المالية في البنوك التجارية ، المحاسبة مبادؤها وأسسها ، نحو إطار فكري للمحاسبة المالية في البنوك التي لا تتعامل بالفائدة ، أضواء على المحاسبة في البنوك الإسلامية .

جمال حمدان

عبقرية المكان والزمان

صبري عبدالله قنديل



كثيرًا مـا تفرض آليـات العمل العام على طرائق الأداء المختلفـة إفرازاتهـا المختلفة من خصائص ومتغيرات، تفضـي من تواتر الصراع والجلبـة إلى صراعات وتناقضـات صارخة ومتعددة، مـا دام وراءهـا ظروف اجتماعية واقتصاديـة مركبة، يديرهـا العامل البشري بكل تبايناته وأهوائه.

والعمل الثقافـي في هذا السياق لا ينجـو من ذلك، بل يتأثر ويؤثر، وهو في قلب الصراع، مما يفرض على المثقف فروضا ومحاذير كثيرة، قد لا ترضى دواخلـه عنها وتأباهـا مكونـاته وتوجهـاته، لكنها تفرض نفسهـا فرضاً ما دام المثقـف منخرطًا في آليـات الحركـة، ومأخـوذًا بضجيجها أخـذًا، فالوهج الاحتفالي في كل موقع يطغى على الحركة الذاتية للمثقف، يثيره ويشجعه على الإثارة ما دام قد اخترق نقاط الضعف فيـه، فيتعامل مع البريق تعامـل المسابق في الميـدان، كلما نال قـدرًا من الضـوء ازداد لهفـاً وتشـوقـاً لتكـرار المحـاولـة، فـالميدان مفتح الأبـواب أمـام كل المستويـات، لـذلك فـإن المـردود الثقـافي عنـد المثقفين المأخـوذين وهم ـ كثـر ـ يجيء أسـيرًا للتقليد والتأثـر، ويطغى عليه التشـويق والأداء الإعـلامي السطحي العابر.

وقد يخدم سـوء المناخ كثيرًا من السطحيين،

حين يمارسون التعامل معه فيبقيهم يعبثون ويشوشون على توجهات الفكر والإبداع الجاد، وقد يصيب طغيان القهر الاجتماعي في هذا المناخ المفاهيم العامة بالجمود انتصارا للغوغائية، فتنسحب من الميدان مواهب متفردة وتقتل براعم نابغة بالصدمة، وقد يكون ذلك دافعًا إيجابيا لصمود الصادقين، الذين يحملون بين جنباتهم إسهامات جديدة لحضارة الإنسان حين يترفعون عن كل هذا الزبد، وينأوْنَ بأنفسهم مختارين عن هذا الهزل المثبط للهمم، المدمر للقيم.

هذه التقدمة - وإن طالت - هي دون مبالغة صورة لواقع محزن في الرؤية، وقد تجسدت بواقعيتها تعبيرا عن ظاهرة ثقافية فريدة — كضد — ظلت تشع بالإبداع المتفرد بين جدران عالم محدود طوال خمسة وعشرين عاما أو تزيد، تلك الظاهرة التي توحدت مع نفسها فأعطت فكرًا إنسانيا معتدلا، لم تفلح صدمات هذا الواقع أن تنال منها، هذه الظاهرة هي هذا العبقري الدكتور **جمال حمدان**، الذي ضرب للثقافة العربية أروع نموذج للسمو على هذا الواقع الذي يموج بالمبالغات، ويشجع في وضح النهار على تسلق الأكتاف، وإهدار الحقوق، وقطع الطرق الموصلة إليها، فكان اختياره أن يعتزل هذا الواقع، ويخلص بتجربته الثرية من مآسيه، وقد وسعه بيته المفرط في التواضع، فصار واحةً وارفة بالسكينة والاستقرار وعالـمًا رحبًا آمنًا، سقطت عند أبوابه كل الدعاوى وانسحق عند أعتابه الأدعياء.

إن ما تعرض له هذا العالم الفذ من ظلم وغبن حين تخطته الجامعة في الترقية، وقدمت عليه من هو أقل منه علمًا وتحصيلاً وتجربة أمر يتعرض له الكثيرون من النوابغ والمبدعين في شتى مجالات الحياة، في ظل انعدام المعايير الموضوعية وتفشي ظاهرة المحاباة والشللية واعتماد النظرة الذاتية في الحكم. ولكن الذين يملكون القدرة على السباحة ضد هذا التيار السائد قليلون، لذا فإن الأغلبية تمل محاولات الإصلاح وفرض معاييرها الموضوعية والأخلاقية، فتكون أمام خيار السباحة مع التيار وتعاطي المبادىء السائدة، أو النأي إلى حد ما في محاولة لتطبيق تلك المعايير والقيم والرؤى التي يؤمنون بها على الذات، مع الارتباط بالواقع بقدر ما تقتضيه ظروف التفاعل الحياتي. وفي كل الأحوال فإن الخاسر هو المجتمع، لأن هذا الواقع غير الموضوعي يفرض قيودًا وحدودًا على الإبداع، ولكن تفرد جمال حمدان في تعامله مع هذا الواقع، إذ رفض قوانينه وأعرافه، وصاغ علاقة خاصة به كان له فيها الخيار، وجاء عطاؤه الفكري إدانة لا تقبل الطعن أو الاستئناف لهذا الواقع الثقافي والعلمي المكبل بشعارات الطنطنة وسيطرة الفكر الوظيفي، والمزدان بيالونات الأداء الوثني المستتر، والملتحف بأردية السواد والاقتناص.

ولذلك جاء قوله: «إن ثقافتنا الوطنية قاصرة محدودة، وحتى عند ذلك فنحن نأخذها بطريقة عاطفية فجة أكثر منها علمية ناضجة، ونحن ندفع لذلك كله ثمناً باهظًا في كل جوانب ونواحي حياتنا بلا استثناء» (بتصرف يسير)، قد جاء قوله هذا معبراً عن كبرياء المفكر الصادق المؤمن برسالته.

وقد اختلفت الآراء حول هذا الأسلوب المتفرد الذي اختطه جمال حمدان وارتضاه لنفسه في تعامله مع الواقع، وانعزاله الكامل عن المجتمع. فهناك من يرى أن هذا القرار كان مفيدًا لإنتاجه العلمي، ولم يكن سلبيًا في مجمله، ومن أنصار هذا الرأي الدكتورة نعمات فؤاد، إذ تقول في ندوة لها عقدت بالقاهرة: «إنه أحس بغبن في الجامعة وتقديم من يفوقهم، فرد بهذه الطريقة الدقيقة، ولم يكن انسحابه سلبيًا على الإطلاق، بل كان قمة في الإيجابية، فلو كان اندمج في صراع من أجل منصب لما كتب ربع ما كتبه». ويرى الدكتور شكري محمد عياد أن قرار العزلة مسألة كرامة، بينما يرى الأديب فاروق جويدة لهذا القرار وجهين، وجهًا يمثل التحدي والإنجاز: «لقد تحدى الواقع الثقافي القبيح بكتاباته فأنجز، وتحدى الواقع الحياتي الرديء بترفعه فزهد، وتحدى متطلبات النفس البشرية ورغباتها فاستغنى» ووجها آخر يمثل الظلم: «ظلم نفسه حين اختار حياة العزلة، وحين فضل الزهد، وحين اختار الانسحاب من معارك كان يمكن أن تحسم لصالحه؛ لأنه الأقدر والأكفأ والأعلم والأكثر طهارة وصدقًا». ويتفق الدكتوران حسن حنفي وفؤاد زكريا على أن جمال حمدان أخطأ باعتزاله، فقد خسرته الجامعة وخسرته أجيال عديدة من الجغرافيين الشبان، فقرار الاعتزال - من وجهة نظرهما - كان رد فعل أكبر بكثير من الفعل.

أما الصحفي كامل زهيري ففي رأيه: «أن جمال حمدان استعرض سلك التدريس الجامعي فوجده يبدأ بالمعيد ثم المدرس المساعد فالمدرس فالأستاذ المساعد ثم الأستاذ المشارك ثم الأستاذ فرئيس القسم بعد ذلك عميد الكلية ثم رئيس الجامعة وقد يصل بعد ذلك إلى درجة الوزير لكن لم يجد في كل هذا المراتب درجة عبقري» أيا كانت وجهات النظر فإن الدكتور جمال حمدان لم يغلق الأبواب والنوافذ دون عالمه؛ ليكون مجرد مؤلف، وكاتب يرتزق من وراء كتاباته، بل إنه انفتح على ثقافة أوربا وآسيا والعالم العربي والإسلامي، وعقد عدة مقارنات لتنبيه العقل العربي وإيقاظه، فقدم كتابه «دراسات في العالم العربي» عام ١٩٥٨م ثم قدم كتاب «الاستعمار والتحرير في العالم العربي» عام ١٩٦٣م، وكذلك كتاب «المدينة العربية» ثم كتاب «بترول العرب: دراسة في الجغرافيا البشرية» عام ١٩٦٤م، وكان قد قدم من منظور إسلامي عام

جاء عطاء د.حمدان إدانة لواقع ثقافي وعلمي مكبّل بشعارات الطنطنة

جمال حمدان

١٩٦١م كتاب «جغرافيا المدن»، ثم جاء عام ١٩٦٨م ليقدم كتابه «استراتيجية الاستعمار والتحرير»، وتوالت عدة كتب مكملة لأفكاره الإسلامية والعربية والمصرية.

لقد ارتقى الدكتور «جمال حمدان» بثقافته الموسوعية من مجرد جغرافي أكاديمي إلى آفاق أوسع وأنفع، فصار مفكرا محلقا، استنطق عبقرية الأرض لتلتحم بعبقريته، فكان من ذلك سجل ضخم لتاريخ عظيم لأرض تطوي في ثراها رصيدًا نفيساً من الاقتدار والتحضر ومقومات التقدم، لتؤكد قيمة هذا الرمز الثقافي الذي أشاع الاخضرار والأمل في صحراء الجدب والملوحة، فصار فكره صياغة لعبقرية المكان والزمان.

يقول الدكتور «حمدان»: «إن هدف العلم إنما هو الوصول من آلاف التفاصيل ودقائق الجزئيات وركام المعلومات إلى الكليات العامة والمعادلات المركبة، وإن فن تناول المادة العلمية لا يكفي وحده للتشخيص الإقليمي، بل لا بد كذلك من إطار من فلسفة المكان يحدد تلك الشخصية».

ولهذا قام فكره على بلورة القضايا الاستراتيجية بتفاصيل من الأسانيد العلمية والرؤية الثاقبة، والشجاعة المزودة بالصدق والأمانة في مواجهة المثالب وكشف مواضع الضعف. إن كتاب «شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان» يكفي لأن يكون وحده ـ بضخامته، وما تحمله صفحاته الآلاف المؤلفة من رصيد هائل لجواهر ثقافية، نقبت عن سر العبقرية من منظور تاريخي تأصيلي ـ أن يكون معلما لشخصية فكرية متميزة، تصدر عن إرادة فولاذية لوطنية منصهرة في الفكر الرفيع المتوقد، لا تثنيها المهادنة، ولا تصلح في خداعها الأساليب السافرة.

وقد جاء صدور الجزء الأول من هذا الكتاب الموسوعي متوافقًا مع ظروف بالغة الصعوبة والشدة كانت تمر بها الأمة العربية والإسلامية عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧م، وإذا كان المثقفون والمؤسسات الثقافية قد آلمتهم النكسة التي عمت كل مظاهر الحياة، فإن جمال حمدان تميز أيضاً في تعامله مع تلك الظروف، إذ عكف على إنهاء هذا العمل الثقافي الضخم الذي يعالج شخصية مصر من حيث وجودها الإنساني والزماني والمكاني، بكل ما فيه من عمق الرؤية لأبعاده الحضارية والثقافية، فالجغرافيا عند هذا العالم ليست ذلك العلم الوصفي الذي يقف عند حدود الموقع والتضاريس، وإنما هو علم يمزج بين السياسة والاجتماع والتاريخ والاقتصاد والفن والأدب والفلسفة وعلم النفس وعلوم أخرى، ومن أجل هذه الرؤية الخاصة للجغرافيا تعرض الرجل للهجوم ونقد الكثيرين من رؤسائه وزملائه، فكما يقول الدكتور إبراهيم عيسوي: «عابوا عليه الدخول فيما يعتبرونه «متاهات» سياسية واقتصادية واجتماعية وأنثروبولوجية، وفاتهم أن الرجل إنما كان يفتح أبوابًا جديدة للمعرفة، وكان يوظف الجغرافيا لغاية أسمى وكان يمزج بينها وبين علوم وفنون شتى مزجًا يفضي إلى نوع من المعرفة لا يمكن تحصيله بغير ذلك الأسلوب المبتكر.

إن الفكر الجغرافي عند الدكتور جمال حمدان تحول إلى أدبيات رفيعة المستوى مشوقة لكل مثقف يريد التزود بكل ما هو جاد وجديد، من أجل ذلك صار الفكر الجغرافي عنده معادلا إنسانيا فلسفيا موضوعيا، فالجغرافيا عنده ـ كما يقول: «هي بمعنى ما ـ في النهاية فلسفة، فإن من أخطر قضاياها فلسفة الجغرافيا، ولهذا تصبح فلسفة المنهج من شروط أي عمل جغرافي كبير، والجغرافيا أساسا ـ علم أشياء، لا ـ علم إنسان، وليس معنى هذا أن الجغرافيا علم (بشيء) الإنسان بلاتحفظ، كما يفلسف البعض، فإذا كان الإنسان يدخل الجغرافيا من أوسع أبوابها مع ذلك، بل ويحتل مركزها وبؤرتها وقلبها إلى ذلك، فإنما بمفهومين جغرافيين محددين وأصيلين، فللإنسان في البيئة جانبان جغرافيان: الإنسان كظاهرة جغرافية في حد ذاته، أي كعنصر جغرافي، والإنسان كعامل جغرافي».

عزلته كانت تنازلًا عن حقوقه ولم تكن هروبًا من التزاماته وواجباته

إن هذا الفكر صار محور انطلاق عبقرية الدكتور جمال حمدان الرئيسي إلى آفاق التاريخ والسياسة والاقتصاد والفكر الاستراتيجي، وذلك لإعادة اكتشاف الذات العربية التي ترتبط مكوناتها التاريخية ارتباطا عميقا بالأرض، فوضع عقولنا على الطريق الموصل إلى الفكر البنّاء، لهذا فالمطلوب ـ كما يقول ـ «جغرافية حية، جغرافية الحياة، بالدقة لا بمعنى الجغرافية الحيوية، ولكن بمعنى جغرافية الحياة اليومية، تلك التي إذا عرفتها عرفت كل شيء عن نمط الحياة في هذا المكان أو ذاك، جغرافية الحياة التي إن بدأتْ من أعلى آفاق الفكر الجغرافي في التاريخ والسياسة فإنها لا تستنكف عن أن تنفذ أو تنزل إلى أدق دقائق حياة الناس العادية في الإقليم».

إن اهتمام جمال حمدان بالنفاذ إلى أعماق الشخصية المصرية من خلال دراسته في عبقرية المكان، وكتبه: «قناة السويس: نبض مصر» و«أكتوبر في الاستراتيجية العسكرية»، و«نمو وتوزيع السكان في مصر» وغيرها إنما يوضح التزامه بقضايا وطنه ومجتمعه رغم كل ظلم وجور تعرض له، أي أن عزلته كانت تنازلاً منه عن حقوقه، ولم تكن هروبًا من التزاماته وواجباته، فهو رغم تلك العزلة تؤرقه هموم الوطن وتقض مضجعه، فينظر بعين العالم الفاحصة إليها، ويكتب لها وصفات العلاج؛ ففي الزراعة والريف

د. حمدان أول من أثبت أن يهود اليوم ليسوا أحفاد يهود فلسطين ماقبل الميلاد

يسكن الخير، والصناعة طريق الإنتاج والتنمية، وفي الصحراء وسيناء الحل الناجع لمشكلة التضخم السكاني، وقناة السويس: نبض مصر. وله رؤاه المعتبرة في الحكم والديمقراطية. وإذا كان قد قال عن كتابه «شخصية مصر» إنه تشريح علمي موضوعي يقرن المحاسن بالأضداد على حد سواء ويشخص نقاط القوة والضعف سواء بسواء، فهذا ما ينطبق أيضا على كل كتبه لأن منهجه هو «عدم خداع النفس أو الغير».

كانت صورة الواقع الثقافي والفكري واضحة عند الدكتور جمال حمدان، ولذا حذرنا ـ إذ كنا نسعى لأن تكون جغرافيتنا جغرافية حية للحياة ـ أن نواجه الخطر الذي يهدد جغرافية الوطن، فيقول: «إن أكثر ما يهدد دراسة جغرافية الوطن إنما هي الشوفينية (أي النعرة الوطنية) والشوفينيون سواء منهم الدعاة وأنصاف الكتاب الذين يتعاملون في الحماسة ويبيعون المبالغات والإثارة، ولا عجب بعد هذا ما نرى وما نلمس من تخبط التخطيط مثلا، وإحباطه وإجهاضه في عديد من المجالات، وعلى معظم المستويات، إذ لا تخطيط البتة أيا كان نوعه بلا جغرافيا، ثم في زمان التخطيط الفاشل هل من مفر أن يسير أو يستمر التخلف المادي والاقتصادي والحضاري العام؟».

إن اهتمامات جمال حمدان لم تقف عند حدود القضايا المصرية فحسب، بل تخطتها إلى هموم العالم العربي والإسلامي وقضاياه وذلك من واقع فهمه العميق لانتماء مصر العربي الإسلامي، وقد كانت له وجهات نظر جديرة بالبحث والدراسة والتعمق حملتها كتبه:

«الجمهورية العربية الليبية» عن البترول والمستقبل على هذه الأرض العربية وتأثيره في توجيهات الأمة، و«العالم الإسلامي المعاصر» و«اليهود أنثرو بولوجيًا» و«استراتيجية الاستعمار والتحرير»، وغيرها.

لقد قام الدكتور جمال حمدان في كل توجهاته على ركيزة الدين الحنيف، ليؤكد على أسس علمية أن الإسلام الفاتح هو دين عمل وإعمار ونهضة وابتكار وإعمال عقل وتجدد مستمر، وليس دين عبادة نظرية ودعة وقوالب جامدة، هو دين توحيد وليس دين تفريق، ويُبرز الجانبَ العربيَّ الإسلاميَّ في فكره كثير من المرتكزات العلمية، منها قوله: «في منطقة كالوطن العربي الكبير تسعى إلى الوحدة الشاملة في نضال تاريخي بطولي، وعلى الفور تتبدى لنا حقيقة الفلسفة الفكرية التي تكمن وراء القضية، إنها إذًا قضية المشابهات والفروق الجغرافية بين قطر وآخر من الأقطار العربية، قضية التفرد والتجانس، قضية الوحدة والتنوع، والمطلوب ممن يتصدون لهذه الدراسة أن ينقبوا عن أوجه الشبه لتأكيدها والضغط عليها، وهم مدعوون إلى إهمال أوجه الخلاف الطبيعي إن أمكن، معنى ذلك أننا أمة وسط، أمة متعددة الجوانب، متعددة الأبعاد والآفاق، مما يثري الشخصية الإقليمية والتاريخية ويبرز عبقرية المكان فيها».

وإذا كانت قضية فلسطين أكبر قضايا العرب والمسلمين وأهمها لما لها من تأثيرات سلبية عميقة على الكيان العربي الإسلامي، فإن جمال حمدان يراها الأساس لوحدة إسلامية سياسية، إذ يقول في كتابه «العالم الإسلامي المعاصر»: «إن فلسطين هي اليوم وعاء الوحدة الإسلامية السياسية مثلما هو مقياسها ومحكها الحق والحقيقي. وإذا كان ثمة للعالم الإسلامي من وحدة سياسية، فهي وحدة العمل السياسي، وهو العمل من أجل إنقاذ واستنقاذ فلسطين للعروبة والإسلام».

وكان جمال حمدان في كتابه «اليهود أنثروبولوجيًا» الصادر في العام ١٩٦٧م قد أثبت أن اليهود المعاصرين ــ المدعين انتماءهم لفلسطين ـ ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية الخزر التترية التي قامت بين بحر قزوين والبحر الأسود، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن من الميلاد وقد أكد هذا الرأي مؤلف يهودي هو آرثر كويستلر في كتابه «القبيلة الثالثة عشرة» الصادر في العام ١٩٧٦م، أي بعد تسع سنوات من كتاب جمال حمدان.

إن رحلة الدكتور جمال حمدان الفكرية الفريدة من خلال مطالعة كتبه المهمة التي صدرت ـ تؤكد لنا أنه قدم إلى تاريخ الأمة الخطوط الرئيسة لمشروع نهضة عربي إسلامي معاصر بكل ما يحمل من سمات دون ضجة أو افتعال، وقد أراد ــ يرحمه الله ــ أن يتوج مشروعه بموسوعة «جغرافية العالم الإسلامي»، وفي الوقت ذاته أراد أن يكرر صيحة الحذر والتنبيه بكتاب عن «اليهودية والصِّهيونِيَّة»، نسأل الله أن تكون مخطوطتا الموسوعة والكتاب قد حفظتا من النهب عقب حادث وفاته الأليم.

ولعل عطاء الدكتور جمال حمدان ــ كظاهرة ثقافية ـ أبرزت جوانب من قدرة الإنسان العربي المسلم على التحدي والعطاء الريادي، الذي يصعب على عدد من المؤسسات الثقافية أن تنجزه، مهما كانت قدراتها، لعله يكون محورا دراسيا، نخلص من تجاربه إلى إعادة النظر في أسلوب العمل الثقافي على امتداد الخريطة العربية، وتكريس كل إمكاناتنا لما تخرجه الأرض العربية من عبقريات تواصل تخصيب العقل العربي، فما أحوج الأمة إلى فكر ريادي ومتجدد في كل الميادين، يربطها بماضيها الأصيل، ويجعلها قادرة على الإشراق والتجدد والمشاركة، وإضافة الجديد لكل ما هو إنساني.

جمال حمدان عبقرية المكان والزمان

إعداد: قسم التوثيق بالمجلة



جمال حمدان في سطور

- اسمه بالكامل: جمال محمود صالح حمدان.
- ولد في ٤ فبراير ١٩٢٨م في محافظة القليوبية الواقعة شمال القاهرة.
- حصل على إجازة الآداب من جامعة القاهرة (فؤاد الأول) عام ١٩٤٨م.
- أوفد في بعثة علمية إلى إنجلترا عام ١٩٤٩م، وفي عام ١٩٥٣م حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة ريدنج، وكان موضوع الرسالة «سكان وسط الدلتا قديما وحديثا»، ولم تترجم الرسالة إلى العربية حتى الآن.
- عمل بالجامعات في الفترة من ١٩٥٣م إلى ١٩٦٣م حيث تدرج في وظائف هيئة التدريس حتى درجة أستاذ للجغرافيا.
- قرر التفرغ للبحث العلمي بعد خلاف مع المسؤولين بالجامعة لحصول غيره على ترقية كان هو الأحق بها.
- عضو في كل من الجمعية الجغرافية المصرية، جمعية نيويورك الجغرافية، عضو اللجنتين الأصلية والفرعية للمواد الاجتماعية في وزارة التربية والتعليم بمصر.
- في عام ١٩٥٩ حصل على جائزة الدولة التشجيعية كما نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٨م.
- حصل كتابه «شخصية مصر» على جائزة معرض الكتاب العربي المقدمة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٨٨م.
- توفي في ١٧/ ٤/ ١٩٩٣م.

أهم مؤلفاته:

- سكان وسط الدلتا قديما وحديثا (رسالة دكتوراه) ١٩٥٣م (باللغة الإنجليزية).
- دراسات في العالم العربي، ١٩٥٨م.
- بعض مظاهر جغرافية الحضر لمدينة الخرطوم، ١٩٥٧م (باللغة الإنجليزية).
- دراسة في جغرافية المدن، ١٩٥٨م.
- الشخصية والوحدة الإقليمية في العالم العربي، ١٩٥٨م.
- نمو وتوزيع السكان في مصر، ١٩٥٩م.
- المدينة العربية، ١٩٦٤م.
- القاهرة (مقدمة كتاب ديزموند ستيوارت) ترجمة يحيى حقي ١٩٦٩م.
- بترول العرب، ١٩٦٠م.
- دراسات في الحضرية المصرية ١٩٦٠م (باللغة الإنجليزية).
- الاستعمار والتحرير في العالم العربي، ١٩٦٤م.
- اليهود أنثروبولوجيًّا، ١٩٦٧م.
- أفريقيا الجديدة، ١٩٦٦م.
- استراتيجية الاستعمار والتحرير، ١٩٦٨م.
- العالم الإسلامي المعاصر، ١٩٧١م.
- بين أوروبا وآسيا، ١٩٧٣م.
- الجمهورية العربية الليبية، ١٩٧٣م.
- ٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية، ١٩٧٤م.
- قناة السويس ١٩٧٥م.
- شخصية مصر، ١٩٧٦م.
- شخصية مصر، ١٩٨٠م.
شخصية مصر، ١٩٨١م.
شخصية مصر، ١٩٨٤م.
- موسوعة العالم الإسلامي (معد تقريبا للطبع)
- جغرافية العالم الإسلامي.

آراء من مؤلفاته

حياة العرب

«أكثر من هذا، فإن معنى سيناء قد أصبح في الوقت الحالي يتجاوز أمن مصر وحياة مصر، إنها الآن حياة العرب جميعا، ودرع العروبة من المحيط إلى الخليج، وإن وقعت في قلبها وليس على هامشها، لماذا؟ لأنها قد أصبحت منذ إسرائيل وهي أرض المعركة العربية وميدان حرب العرب... المعارك على الجبهات العربية الأخرى كالضفة الشرقية للأردن أو الجولان يتحدد مصيرها إلى حد بعيد بمصير معركتها، لقد أصبحت سيناء بهذا المعنى أرضا عربية مثلما هي مصرية منذ الأزل، وبمثل ما أن مستقبل العرب «مصري» في نهاية المطاف».

شخصية مصر جـ٢ ص ٧٧٠ ـ ٧٧٣.

مصر والعروبة

«ومصر بالذات محكوم عليها بالعروبة والزعامة، فمصر لا تستطيع أن تنسحب من عروبتها، أن تنضوها عن نفسها حتى لو أرادت، كيف؟ وهي إذا نكصت عن استرداد فلسطين العربية كاملة من البحر إلى النهر، وهادنت وحكمت عليها بالضياع، فقد حكمت على نفسها أيضا بالإعدام، بالانتحار، وسوف تخسر نفسها ورصيدها، الماضي والمستقبل، التاريخ والجغرافية».

شخصية مصر جـ١ ص ٤٦

الاستعمار الأخطر

« وإنها [أي الصهيونية] تفرض من طرف واحد حربا دينية ليس الطرف الآخر مسؤولا عنها أو عن إثارتها أو طبيعتها، وتبعث بذلك شبه صليبيات جديدة من العالم الإسلامي. بل إن الصهيونيات أسوأ من صليبيات جديدة. فما كانت الصليبيات في العصور الوسطى إلا استعماراً استغلاليا فقط يتخفّى وراء الصليب، أما الصهيونيات التي تتخفى وراء النجمة السداسية فاستعمار استيطاني استهدف اقتلاع وتصفية الشعب تصفية جسدية، ويعمل على تهديد الأرض وتغيير طبيعتها ومعالمها إلى الأبد. وبالمقارنة، فإنها تجمع بين أسوأ ما في الصليبيات وشر ما في المغوليات الوثنية من تخريب وبربرية والتي كان طوفانها المدمر أكبر خطر تعرض له العالم الإسلامي في العصور الوسطى.

العالم الإسلامي المعاصر ص ١٥٩

اقتصاد مصر

«من المفيد والضروري أن ننظر في البداية إلى اقتصادنا الراهن ككل واحد، في نظرة تركيبية شاملة، تضع كل عنصر من عناصره في مكانه النسبي من مركبه العام، ثم تحدد علاقته بسائر تلك العناصر، وذلك قبل أن نتفرغ لتحليل تلك العناصر بتفصيل وعمق، ولهذا الغرض يمكن أن نحلل مركب الاقتصاد المصري إلى عناصره الأولية الآتية، الزراعة وتثويرها، الصناعة وانقلابها، البترول وثورته، موارد الموقع من قناة وسياحة، وموارد العمل من خارج الحدود، أي تحويلات المصريين المغتربين، ثم أخيرا التجارة الخارجية، وفي ضوء هذا الاستعراض الدينامي يمكن أن نصل في الختام إلى حكم متكامل على الهيكل الاقتصادي ككل مترابط».

شخصية مصر جـ ٣ ص ٧٥

الدين فقط !

« والخلاصة الموضوعية أن يهود العالم مختلطون في جملتهم اختلاطًا بعيد بهم عن الأصول الإسرائيلية الفلسطينية القديمة حتى لم تعد هذه تمثل في تكوينهم إلا قطرة في محيط (٥٪ في رأي الأنثروبيولوجي البريطاني جيمس فنتون). ومن هنا فلا جناح علينا إذا نحن قررنا في النهاية أن اليهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل. وأن هؤلاء شيء وأولئك شيء آخر أنثروبيولوجيًّا، وأن لا رابطة بين الطرفين إلا الدين والدين فقط».

اليهود أنثروبولوجيًّا ص ٨٩، ٩٠

أنفاق بين سيناء والوادي

«من الوجهة الاستراتيجية البحتة فلم يعد معنى لأن يتوقف ارتباط سيناء بمصر الوادي عبر القناة على كوبري سكة حديد قابل للتدمير بعد إعادة البناء، لا بد من سلسلة أنفاق تحت القناة تحمل شرايين المواصلات مثلما تنقل المياه، فمثل هذه الأنفاق تعد مجازيا بل عمليا، بمثابة إعادة تحقيق للاستمرارية والوحدة الأرضية بين الوادي وسيناء، ولرقعة مصر الجغرافية السياسية عموما رغم وجود القناة».

شخصية مصر جـ ٢ ص ٧٧٧

قمة المأساة

«قمة المأساة بالطبع أن الديون تحيل اقتصادنا القومي برمته تابعا خاضعا، معتمدا على الخارج، إلى حد رهن الاستقلال الوطني ذاته، ومن السخرية أن خير من عبر عن هذه التبعية هو روبرت ماكنمارا الذي قال حين كان رئيساً للبنك الدولي أن الشعب المصري يأكل ٣ أيام في الأسبوع من جهده، و٤ أيام من جهد غيره».

شخصية مصر جـ ٣ ص ١٣٤

جزيرة أوروبية في آسيا

«كان نصيب بريطانياً من العالم العربي نصف السكان وخمسَيْ المساحة. وامتلك الاستعمار الأوروبي في العالم العربي مساحة تزيد على مساحة أوروبا ذاتها. وأخيراً نشأ لون جديد من الاستعمار الاستيطاني في العالم العربي ممثلا في الصهيونية ابتداء من التغلغل ثم الغزو. وهو استعمار طائفي يقوم على أساطير شعب الله المختار والنقاء العنصري النازي من أجل خلق جزيرة أوروبية على ضلوع آسيا. وهو استعمار سكاني واقتصادي وتوسعي، بالأصالة عن نفسه وبالوكالة عن غيره تتمثل فيه جميع أغراض الاستعمار».

استراتيجية الاستعمار والتحرير ص ١٧٦.

النيل اللحن الأساسي

«باختصار. النيل هنا. هو اللحن الأساسي في السيمفونية الجغرافية، وإن المرء ليشعر بسهولة تامة، أن كل قوة مصر وحياتها وكيانها تحتشد وتتركز بكل كثافة في خط واحد محدد هو النيل، ما من إقليم في العالم بالتأكيد تتركز كل قوته في خط وحيد مثلما تفعل مصر النيلية، إنه خط «القوة العظمى» بها في الاستقرار، مثلما هو خط المقاومة الدنيا في الحركة، ومصر بدورها إذن نيلية التركيز والاستقطاب... فالنيل ليس عصب وشريان مصر وشارعها الرئيسي فحسب، ولكنه كذلك مرآتها ومغناطيسها وموجهها، وهو الذي يمنحها التجانس التركيبي، ويعطيها نسيجا شبكيا متدرجا في آن واحد، وتقع هذه العلاقة الحميمة كلها لا من خلال حتم جغرافي موهوم أو مزعوم، وإنما ببساطة من خلال مطلق السببية العلمية»

شخصية مصر جـ ٢ ص ٢٠٩، ٢١١

لا شك أن جمال حمدان يمثل ظاهرة فريدة، وأهم ما يميزه أنه غير قابل للتكرار، وما فعله في كل الميادين لن يستطيع أن يفعله غيره، سواء بالإيجاب أو السلب، وهذا الحكم ينطبق على الإنجازات الرائعة التي قدمها إلينا جمال حمدان في ميدانه الأصلي، وهو ميدان الجغرافيا، وكذلك في الميادين التي استطاع أن يستنبطها من ذلك الميدان شديد الجفاف، جعله عنصرًا أساسيًا في الثقافة العامة في مصر، وهذه ثورة فريدة من نوعها».

د. فؤاد زكريا

« كطبيب نفساني أرى في ما فعله جمال حمدان من حيث قدرته على الاعتزال والتفرغ التام للبحث العلمي والابتعاد عن كل مغريات الحياة أرى في ذلك نوعا من الإعجاز النفسي وقوة الشخصية والإرادة وتحدي الاكتئاب. وأتصور أن أي إنسان في موقعه لم يكن أمامه إلا العودة المرضية إلى المجتمع أو الانتحار، ولكن عبقرية جمال حمدان وإرادته معا قد حفظته وحفظت صحته النفسية، وهذا ما يستحق التأمل والدراسة».

د. يحي الرخاوي

آراء عنه

« كان يشدني إلى الدكتور حمدان طموحه الذي لا يبالي بمصاعب الحياة، وإرادته الصلبة التي تدفعه دفعًا لا هوادة فيه، نحو المثل العليا، وقد وجدت فيه وبصورة حادة وباهرة، كل ما كنت أفتقده في حياتنا الجامعية، بل وفي حياتنا الاجتماعية أيضا».

د. شكري محمد عياد

« كان حمدان أيضا عاشقا لمصر، ولأنه كان جغرافيًا فقد أتيح له وحده أن يعرف جسدها وأن يتأمله ويتملاه وينطق بلغته ويفصح عن معناه. كان أشبه بالتروبادور أو بالشاعر الجوال، لا يغني لمحبوبته من بعيد، بل يقطع المسافات والأيام ينظر في صور الأرض وحالات السماء حتى يصل إلى دارها، فيقف تحت شرفتها ويغني ».

أحمد عبد المعطي حجازي

« وقد أبدع جمال حمدان عالمه الكبير والرائع، عالماً يتحرر من التخصص الدقيق، وإن ظل محافظًا على المنهج العلمي، عالماً يضج بالناس الذين اعتزلهم ليزداد منهم قربى، وللوطن الذي اعتزله ليكتشف أدق أسراره، وليعرفه كما لا يعرفه سوى القلة».

د. لطيفة الزيات

« لقد اختار جمال حمدان أن يبقى في التاريخ شهيدا... ولكن خسرته الجامعة، وخسرته أجيال عديدة من الجغرافيين الشبان كان من الممكن أن تتلمذ عليه. خسرنا أبناء جمال حمدان وأحفاده. وما فائدة الإمام دون المأمومين؟ وما دور القائد دون الجند، وما ضرورة الرئيس دون الشعب؟ ».

د. حسن حنفي

إضـــاءة

● ولد جمال حمدان في إحدى قرى مدينة قليوب بمحافظة القليوبية المصرية المتاخمة للقاهرة من جهة الشمال وذلك في يوم ٢٨ فبراير ١٩٤٨م، وفي يوم ١٧ أبريل ١٩٩٣م توفي في حي الدقي بمحافظة الجيزة ـ جنوب القاهرة ـ، وبالتحديد في الدور الأرضي من المنزل رقم ٢٥ بشارع أمين الرافعي الذي عاش بين جدرانه لمدة تزيد عن أربعين عاماً.

● حصل على الدكتوراه من جامعة ريدنج بإنجلترا في الخامسة والعشرين، ونال جائزة الدولة التشجيعية وهو في الواحدة والثلاثين، استقال من الجامعة في سن الخامسة والثلاثين وكان أستاذاً مساعداً.

● حسب رواية جيرانه وأفراد أسرته لم يكن يستقبل أحداً في منزله إلا لماماً غير شقيقته التي كانت تزوره أسبوعيا، وقد زادت حدة العزلة ـ كما يقول شقيقه ـ بعد توقيع الرئيس المصري الراحل أنور السادات لاتفاقية كامب ديفيد، وكانت حاجاته اليومية يؤمنها له عامل بمرآب السيارات، وكان التخاطب بينهما يتم بأسلوب اتفقا عليه سواء بالطرق على الباب أو التصفيق باليد ولم يتغير هذا الأسلوب طيلة ٢٥ عاماً.

● اتصاله بالعالم الخارجي كان عن طريق الصحف والمذياع، ولم يكن في منزله شيء من الأجهزة الحديثة، بل إنه رفض ادخال الغاز الطبيعي إلى منزله ـ كما فعل سائر سكان عمارته ـ لأن ذلك سيعطله عن الكتابة والانفراد بالنفس طوال فترة التركيب لمواسير الغاز.

« تناولت رؤي جمال حمدان المستقبلية عددا من أكثر قضايا وطننا العربي وعالمنا حيوية. من قضية «دور مصر في وطنها العربي والعالم» إلى قضية «الاستعمار» وقضية «التحرير» إلى قضية «بترول العرب» إلى قضية «الصهيونية واليهودية» إلى قضية «الإسلام السياسي» و«قضايا» العالم الإسلامي إلى قضايا «النظام العالمي» إلى قضية «المدن» في عالمنا. . . وهذه الرؤية المستقبلية لا تتوافر إلا لذوي النظر الشامل الذين يحيطون بالواقع القائم، ويتعمقون فهمه من خلال تتبع حقائق المكان والزمان واستحضار سنن الحركة التاريخية وتحديد مجراها، ثم يدخلون في حسابهم عاملي الحلم والفعل لدى الإنسان في الاجتماع الإنساني».

د. أحمد صدقي الدجاني

« حقا لقد نجح جمال حمدان في استثمار العزلة التي فرضت عليه أو فرضها على نفسه من فرط حساسيته، وتحول إلى منشأة ثقافية فردية وفريدة في آن واحد يمارس من خلالها حقه في الإبداع والابتكار، ولكن ذلك ليس بالأمر المستطاع للكثرة التي قد لا تتحمل حياة الزهد والتقشف مثلما تحملها جمال حمدان».

د. إبراهيم العيسوي

إن وفاة جمال حمدان عكست معنى الحرب الضروس التي تشن في الخفاء على النجاح، تلك الحرب التي جعلت الكثير من العلامات الثقافية الكبيرة لا تأخذ حقها من التقدير فنحن نعيش عصر الثورة الإعلامية التي تشغل الأذهان عن كثير من القيم الحقيقية والأبنية الثقافية، وأصبح هناك صراع حضاري ضد النجاح، وهذا ما جعل جمال حمدان يعتزل الحياة عندما لم يأخذ حقه، وهذا جزء من ظاهرة صراع غير الموهوبين ضد الموهوبين.

سكينة فؤاد

« يؤكد الدكتور حمدان على أنه ليس المقصود بجغرافية الإسلام دراسة الجغرافية الإقليمية للعالم الإسلامي بل هو دراسة للإسلام في ذاته من حيث هو ظاهرة لها امتدادها، ومن حيث هو عامل مؤثر في إقليمه وفي تشكيل تاريخه وحياة سكانه وتكوين وجه النشاط البشري أو العلاقات الاجتماعية فيه بما في ذلك الجوانب السياسية. ومن هنا يقرر الدكتور حمدان أن جغرافية الإسلام يمكن أن تقع جنبا إلى جنب مع جغرافية الدين بعامة».

سامح كريم

الرثاء، رثاء جمال حمدان، لا يكون بالانفصال عنه - في حالة تحويله إلى اسطورة - وإنما بالتواصل معه وفهم ما أراد أن يقول، وأن يكون. وهذا كله يدفعنا إلى طرح السؤال الذي نحاول أن نخفيه جميعا: من المسئول وراء المصير الذي انتهى إليه جمال حمدان.

- هل هي الجامعة بعد أزمته معها (تتمنى أن يكتب على بيته لافتة: ممنوع زيارة الجغرافيين. .)؟

- أم هو المجتمع ؟

- أم هو نفسه (وقد صنع لنفسه كما صنع الآخرون له هالة اسطورية أخفت مسئوليته المباشرة وإحالتها على غيره)؟

د. مصطفى عبد الغني

. . الدكتور جمال حمدان ارتبط اسمه بفكري أثناء دراستي في الجامعة لتخصصي لأن من أهم الكتب التى كانت مقررة علينا في ذلك الوقت كان كتاب «جغرافية المدن» للدكتور جمال حمدان وله غير هذا الكتاب كتب جغرافية قيمة مثل مجلده الضخم حول مصر «شخصية مصر» «دراسة في عبقرية المكان» وله «دراسات في العالم العربي».

وله رأي جميل في الجغرافيا فهو يقول «الجغرافيا ليست شيئا نذهب إليه وإنما هي ببساطه حولنا تحيط بنا ونحن فيها كالهواء نتنفسها.

فريدة محمد حسين

● استكتبه الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل إبان توليه رئاسة تحرير الأهرام، ولكن لم يكتب غير مقال واحد وذلك لأن هيكل حذف جملة مما كتبه دون الرجوع إليه.

● قاطع الأستاذ أحمد بهاء الدين لأنه طالب في عموده بالأهرام بمعاش استثنائي له.

● كتب مقالات قبل شهور من هزيمة يونيو ١٩٦٧م تستهين بقوة إسرائيل وتصور الكيفية التي بها يتحقق انتصار مصر والعرب عليها.

● بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣م جاء كتابه «٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية» متوقعاً أن تصبح مصر قوة رئيسية في العالم، ومادحاً السادات، ولكن بعد اتفاقية كامب ديفيد تغير رأيه في السادات وصار سلبياً، كما زادت حدة عزلته.

● آخر إنتاجه الفكري كتابان معدان تقريبا للطبع وهما «جغرافية الإسلام»، و«اليهودية والصهيونية»، ويربط الكثيرون بين شروعه في طبع هذين الكتابين ووفاته حرقاً في مطبخه، فهؤلاء يرون أن هناك علامات استفهام كثيرة حول هذا الحادث الذي أودى بحياته.

رحل أليكس هيلي

منذ عام مضى، وبالتحديد في أوائل شهر شباط فبراير من عام ١٩٩٢م فُجعت الأوساط الأدبية في الولايات المتحدة الأمريكية بوفاة الأديب الكبير أليكس هيلي وذلك بعد صراع قصير مع المرض

فمن هو أليكس هيلي ؟ وما أهم أعماله ؟

الأديب الذي ردّ للزنوج الأمريكيين هُويتهم

أليكس هيلي



إيهاب فايق

يرتبط اسم **أليكس هيلي** في ذاكرة الأدب العالمي بروايته التاريخية «**جذور**» التي لقيت استقبالا وترحيبا عظيمين، ففي هذه الرواية تتبع هيلي تاريخ أجداده من الزنوج الأمريكيين، حتى أثبت أنهم ينتمون إلى قرية صغيرة في جامبيا في غربي أفريقيا. وبعد نجاح هذه الرواية تم تحويلها إلى مسلسل تلفزيوني لاقى نجاحًا كبيرًا لأنه أشبع فضول جيل كامل من الأمريكيين لمعرفة حقيقة أجدادهم. وكان هيلي قبل ظهور روايته الشهيرة «جذور» بمدة تقرب من أحد عشر عاما قد اكتسب شهرة كبيرة عندما كتب السيرة الذاتية للزعيم الزنجي الشهير مالكولم إكس. وإضافة لهذين الكتابين فقد كتب هيلي العديد من المقالات التي نشرت في المجلات الواسعة الانتشار، وظهر في عروض تلفزيونية عديدة، كما حاضر في أنحاء شتى من الولايات المتحدة.

ولد **أليكس موري بالمر هيلي** في الحادي عشر من آب/ أغسطس عام ١٩٢١م في مدينة **إيتاكا بولاية نيويورك**، وكان أكبر ثلاثة أطفال ولدوا لكل من برتا جورج وسيمون الكسندر هيلي، وعند مولده كان كلا الوالدين لا يزالان في المرحلة الأولى من الدراسات العليا: الأم في معهد (الكونسرفتوار) للموسيقى في مدينة إيتاكا، والأب في جامعة كورنيل، لذلك فقد أخذ **أليكس** وهو صغير إلى مدينة هيننيج ليعيش مع بعض أقربائه. وهناك تعرض هيلي لتأثير جدته وعماته اللاتي أثَرْنَ فيه روح البحث والتنقيب عن الماضي، ويتذكر هيلي الساعات الطويلة التي أنصت فيها للحكايات عن أحد أسلافه الأفارقة الذي رفض قبول اسمه الجديد (توبى)، الذي فُرض عليه عندما صار عبدا، فكان يصد العبيد الآخرين الذين ينادونه بهذا الاسم، ويعلن لهم أن اسمه هو (كين تاي). لقد كانت هذه الذكريات والحكايات بمنزلة التربة الخصبة التي أنبتت رواية «جذور».

لم يكن هيلي طالبا متفوقا في المدرسة العليا التي تخرج فيها بتقدير مقبول وهو في الخامسة عشرة، ثم التحق بعد ذلك بكلية الكورن في لورمان بولاية ميسيسبي، ولكنه انتقل بعد فترة قصيرة إلى كلية إليزابيث سيتي استيت للمعلمين في كارولينا الشمالية التي تركها في سن السابعة عشرة، وقد أسهمت خبراته بعد تركه الكلية بصورة مباشرة في نموه ككاتب. وفي عام ١٩٣٩م تطوع هيلي للعمل في سفن السواحل الأمريكية كعامل مطبخ، ولكي يقضي على الملل الذي كان يواجهه في أثناء عمله في شغل أوقات فراغه في الكتابة، وفي هذه الفترة اكتشف الجنود العاملون على هذه السفن أنه كاتب خطابات جيد. وكان بعضهم يدفع له أجرا رمزيا زهيدا لكتابة خطاباتهم لأهاليهم وأصدقائهم. وعندما تبين له أنه يمتلك قلما معبرا قرر أن يترك عمله على السفن لفترة من الوقت ويجرب العمل في الصحافة، وبدأ يوسع مدى مقالاته لمجلات عديدة، وقد تلقى عدة خطابات رفض لم تفتّ في عضده قبل أن تقبل مجلة This week نشر أول مقالة له.

كان هيلي يعيش في هذه الأثناء في شقة متواضعة في قرية جرينتش قرب نيويورك. وعمل كاتبًا مستقلاً. وقد عانى في هذه الفترة متاعب مالية عديدة

❞ خلال عامين نالت قصته "الجذور" ٢٧٢ جائزة، منها جائزة بوليتزر الأدبية ❝

وتراكمت عليه الديون، ولم تكن هناك بارقة أمل تلوح في الأفق. وبعد فترة قصيرة تبسم لـه فم الزمان؛ إذ تلقى مكافأة نشر إحدى المقالات التي كتبها لإحدى المجلات، ولم ترو هذه المكافأة المتواضعة ظمأه وتعطشه للتقدير الذي كان يريده، ولكن ذلك كان طليعة إرهاصات وبشائر ومخاض مولد الأعمال التي بدأ ينشرها في مجلات عديدة، من بينها مجلة ريدرز دايجست Reader's Digest التي نشر فيها بعد ذلك الفقرات الأولى من روايته الذائعة الصيت «جذور».



مالكولم إكس

بداية المجد

وأخيرًا أثمر توجه هيلي والتزامه العمل والبحث الدائبين في عملين بارزين: العمل الأول عندما طلبت منه مجلة «بلاي بوي» في عام ١٩٦٢م إجراء لقاء مع عازف الجاز الشهير مايلز ديفيز، وبعد أن تم ذلك طلبت منه المجلة أن يعد سلسلة جديدة من اللقاءات لتنشر فيها. **أما العمل الثاني فعندما طُلب منه كتابة مقالة عن الزعيم الزنجي المسلم مالكولم إكس، فقد كان اللقاء الذي أجراه مع هذا الزعيم هو الدافع له لكتابة كتابه الشهير «السيرة الذاتية لمالكولم إكس» (١٩٦٥م)، والذي بيع منه خمسون ألف نسخة فاخرة، ونحو خمسة ملايين نسخة شعبية**. في هذا الكتاب تتبع تغيير مالكولم ليتل M. Little لاسمه إلى (مالكولم إكس)، وإيمانه بأن السود في أمريكا قد حرموا من إظهار هوياتهم الحقيقية، ويصور الكتاب الفقر الذي عاش فيه مالكولم، والمواجهات بينه وبين السلطات الحكومية بعد مقتل والده، وبعدما بدأت أمه تفقد قواها العقلية، والحياة الصعبة التي عاشها في شوارع ديترويت بعد أن تم إيداع أمه إحدى المصحات، وانفصام عرى عائلته، وكيف أدت به حياة الشوارع إلى دخوله السجن. ونرى أيضا كيف اعتنق **مالكولم إكس** الإسلام وأصبح من أبرز زعماء المسلمين السود في أمريكا.

ويتناول الكتاب أيضا اختلاف (مالكولم إكس) مع (أليجا محمد) زعيم المسلمين السود. وينتهي الكتاب بسرد رحلة مالكولم إلى مكة المكرمة وعودته منها، وقد تغيرت نظرته السابقة إلى البيض على أنهم (شياطين) وعودته إلى الإسلام الصحيح.

وقد استقبل الكتاب استقبالا حسنا واستخدمته جامعات كثيرة في تدريس العديد من مقرراتها، كما نال إعجاب الرأي العام حتى كان من الشائع أن ترى الناس في محطات (مترو) الأنفاق أو في الشوارع يحملون نسخا من هذا الكتاب.

كما أثنى الكثير من الكتاب والنقاد على هذا الكتاب، فقال الأديب الأمريكي البارز **روبرت بن وارين**: «كان هيلي يقابل مالكولم بصورة شبه يومية عندما كان مالكولم في نيويورك، وأحيانا كان يصاحبه في جولاته ورحلاته. إن ما كتبه هيلي عن هذه الفترة، وعن كيفية اكتسابه ثقة مالكولم إكس، وكيف زرع في نفس مالكولم الحاجة إلى سرد قصته، لَعَمَلٌ شيق ومثير للغاية. وعلى الرغم من أن هيلي قد كتب كل هذا في جزء منفصل في نهاية الكتاب إلا أنه يُعتبر جزءًا متممًا للكتاب. وتمتاز السيرة الذاتية بأنها تعكس لهجة مالكولم نفسه واتجاهات تفكيره وسرعة بديهته، كل هذا لأن هيلي نجح بصورة بارعة في نقل كل هذه الخصائص»

وبعد الانتهاء من كتابه الأول «السيرة الذاتية لمالكولم إكس» بدأ هيلي يبحث عن شجرة عائلته في سجلات الديوان (الأرشيف) القومي في العاصمة واشنطن، ولم يدرك هيلي آنذاك أن تلك المحاولة الأولية سوف تؤدي به في النهاية إلى البحث في أكثر من خمسين مكتبة ودارًا للوثائق والسجلات في ثلاث قارات، قبل أن يتمكن مُن تحقيق هدفه. ولم يكن يعرف أن تلك المحاولة الأولى سوف تنتهي بكتابة روايته الشهيرة «**جذور**» التي نشرت بعد هذا البحث الأول باثني عشر عاما، وفي الأول من أكتوبر عام ١٩٧٦م على وجه التحديد.

«جذور» كتاب أم قصة؟

لقد دار الجدل طويلا على مستوى كبار المؤرخين وكبار الكتّاب حول: هل «**جذور**» **كتاب أم قصة**؟ هل هو كتاب لا شكّ ولا تحريف في أحداثه وشخصياته، أم هي قصة فيها قليل من التاريخ بكثير من الخيال؟

إن عنوان الكتاب الكامل «جذور: قصة عائلة أمريكية»، فما هذه العائلة؟ وما قصتها؟ وما أهمية هذه القصة في أمريكا؟ بَلْهَ خارج أمريكا.

رحل أليكس هيلي

كان الصبي **أليكس هيلي** يسمع من جدته في إحدى قرى الزنوج بجنوب أمريكا قصصا عن رجل قديم اسمه : الأفريقي، هي قصص ترويها الجدة عن جدتها العجوز التي كانت تقول لها إن قصة هذا الأفريقي بدأت عندما كان يبحث في الغابة المحيطة بقريته عن جذع شجرة ملائم ليصنع منه طبلة له، وكان يقول إن اسم قريته (جوفيور) وهي القريبة من نهر (كامبي بولونجو)، وهناك انقض عليه أربعة رجال وضربوه وقيدوه بالحبال وحملوه إلى حيث ألقوا به في سفينة تحمل الرقيق. وعبرت السفينة بحرا هائجا أياما وأسابيع طويلة، حتى رست به مع غيره من الصبيان والشبان المخطوفين على هذه الأرض الجديدة. ظلت هذه القصص عالقة بذاكرة أليكس هيلي راسخة فيها، فلما شب وانضمّ إلى الزعيم الزنجي الثائر مالكولم إكس فكّر في البحث عما وراء هذه القصص التي سمعها من جدته العجوز.

وبدأ بحثه في أمريكا مبتدئا بأقاربه من العجائز والشيوخ لتقصّي تاريخ عائلته منذ هبوط ذلك (الأفريقي) أراضي أمريكا، ثم أخذ يبحث في أوراق ووثائق قديمة في الديوان (الأرشيف) القومي في واشنطن، وفي مكتبة الكونجرس التي تضم كل وثيقة وكل صحيفة وكل كتاب طبع في أمريكا. ثم ظن أن الأفريقيين الذين جاؤوا إلى الأمم المتحدة أخيرا يستطيعون أن يساعدوه في بحثه فكان يذهب إليهم، ويسألهم عن تلك القرية في أفريقيا، فيستمعون إليه ويهزون أكتافهم، وينصرفون عنه، مندهشين من هذا الأمريكي الذي يبحث عن تلك القرية المجهولة وسط غابات أفريقيا. وأخيرا التقى بأستاذ في جامعة هارفارد متخصص في التاريخ الأفريقي القديم فقال له : إنه يرجّح أن تكون هذه القرية في جامبيا فهناك نهر بهذا الاسم.

بعد ثلاثة أيام كان أليكس هيلي يركب الطائرة في طريقه إلى جامبيا في غرب أفريقيا، وفي مدينة (بنجول) عاصمة جامبيا، قالوا له : إن هناك أفرادا من الناس وظيفتهم أن يحفظوا تاريخ القبائل والعائلات ويورثوا أولادهم هذا التاريخ، إنهم سجلّ حيّ يحتفظ بتاريخ كل أسرة هناك، إنهم يعيشون في القرى النائية، فنظم (سفاري)، أي قافلة من ستة عشر رجلا، وذهب يبحث عن واحد من هؤلاء الذين يحفظون التاريخ.

وأخيرًا وجد المؤرخ العجوز الذي راح يروي قصة العائلة وكأنه يقرأ في كتاب مسطور : إنها عائلة مسلمة مثل كثير من العائلات في تلك المنطقة، عائلة لها تقاليد اجتماعية ودينية تنبع من هذا الدين. ووصل المؤرخ في قصته إلى سنة ١٧٧٦م حين ابتليت تلك الأسرة بمأساة أليمة؛ فقد ذهب ابنها يلعب على شاطىء النهر فاختفى ولم يظهر له أثر بعدها. هل غرق في النهر وجرفته المياه؟ هل اختطفه تجار الرقيق؟ وذهب أليكس إلى لندن ـ حيث تحتفظ الحكومة في مكتب السجلات العامة بوثائق عن السفن الإنجليزية ـ ونقب في تلك السجلات، حتى اهتدى إلى السفينة التي حملت ذلك الصبي الأفريقي وكان اسمها (لورد لونجييه)، وقد أبحرت من نهر جامبيا حتى وصلت إلى ميناء (أنابوليس) في أمريكا يوم ٢٩ سبتمبر ١٧٧٦م. واستأنف الكاتب البحث في أمريكا، فوجد في جريدة مريلاند جازيت في عدد شهر أكتوبر ١٧٧٦م إعلانا عن وصول السفينة لورد لونجييه قادمة من نهر جامبيا في أفريقيا وعليها حمولة من ثلاثين شابا وصبيا من أجود وأصح الأصناف.

فعاد أليكس هيلي ليكتب القصة، قصة الأفريقي الذي اختطفوه من قبيلته المسلمة منذ مائتي عام. والذي عاد حفيده بعد سبعة أجيال فاعتنق الإسلام. وراح يكتب قصة جذوره من البداية ويرويها في مئات من الصفحات تعد جولات شائقة في تاريخ أفريقيا، ولمحات سريعة عن العرب والإسلام، وصورًا بشعة قبيحة عن الاستعمار الأوربي، ثم قصة طويلة مؤثرة عن تاريخ أمريكا، ويروي من خلال هذا كله قصة الحرية الإنسانية التي مرت عبر التاريخ وحفلت بكل المآسي والآلام.

أهمية «الجذور»

إن «جذور» وكما تقول الكاتبة الزنجية نانسي ل ارينز Nancy L. Arnez تمثل التاريخ الثقافي الذي أميط اللثام عنه على لوحة الزمان. ويخلو هذا التاريخ من سوء الفهم والتفسير المغرض لأناس يريدون تبرير خطاياهم ضد الإنسانية. ويعالج هذا الكتاب الجروح التي سببتها الأكاذيب التاريخية التي روّجها الأوربيون والأمريكيون في أوساط الزنوج كمحاولة لاستعباد عقولهم بعد ما استرقّوا أبدانهم.

وهذه الحرب النفسية كانت هي أكثر الجرائم وحشية. لقد ساعد هيلي بعمله المؤثر «جذور» على القضاء على الرعب المتأصل فينا (معشر الزنوج) من جراء جهلنا لهويتنا. لقد عرفنا بتراثنا الذي يدعو للفخر، وأعادنا إلى أصولنا وتربتنا، وجعلنا أقل خوفا من الأعمال الثأرية التي يقوم بها البيض، بعد أن لمسنا قبحهم في كتاب هيلي وعلى شاشة التلفزيون. لم يفعل هيلي ذلك مرة واحدة بل مرتين، الأولى مع السيرة الذاتية لمالكولم إكس، والآن مع «جذور» التي تمثل عملاً ملحميًّا كبيرًا ذا أبعاد كلاسيكية. **وعلى الرغم من أن هيلي قضى اثني عشر عاما في إعداد وكتابة رواية «جذور»، فإنه احتاج لمدة أقل بكثير لكي يصل إلى قمة النجاح ككاتب روائي؛ فبعد نشر الكتاب وفي خلال عامين فقط نالت القصة مائتين واثنتين وسبعين جائزة،** من ضمنها جائزة خاصة من المشرفين على جوائز الكتاب القومي، كما حصلت على

نادى بضرورة تغيير الصورة الظالمة عن الإسلام في أمريكا

جائزة بوليتزر الأدبية لعام ١٩٧٧م وهي الجائزة التي تعادل في أمريكا جائزة نوبل العالمية. وخلال هذه الفترة القصيرة **تم طبع أكثر من ثمانية ملايين ونصف المليون نسخة في ست وعشرين لغة مختلفة**. لقد حولت ظاهرة «جذور» هيلي إلى رجل أعمال ناجح جدا إذ كون مؤسسة كنتي Kinte Corporation في ولاية كاليفورنيا، وبدأت هذه المؤسسة في إنتاج الأفلام والتسجيلات والشرائط (جمع شريط)، ومن أهم وأول هذه الأعمال شريط بعنوان (أليكس هيلي يتحدث)، ويتناول هذا الشريط معلومات من هيلي عن كيفية البحث عن شجرة أنساب العائلة. ومن هذه المشروعات ومشروعات أخرى مرتبطة بروايته الناجحة «جذور» أصبح هيلي من الأثرياء.

وقد تعرض هيلي لمشكلات قانونية بعد نجاح «جذور»: في القضية الأولى اتهمته الكاتبة مرجريت واكر Margaret Walker بانتهاك قواعد حقوق الطبع والنشر في نيسان (أبريل) ١٩٧٧م. وعلى الرغم من أن الاتهامات قد سقطت في النهاية إلا أن هيلي كان قد تكبد مائة ألف دولار كأتعاب محامين. أما القضية الثانية فقد أثارها الكاتب هارولد كورلاندر Harold Courlander الذي كتب رواية «الأفريقي» African، وادعى أن هيلي قد استخدم فقرات معينة من هذه الرواية في كتابة روايته الشهيرة «جذور».

وفي ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٧م اعترف هيلي أن التهمة صحيحة ودفع نصف مليون دولار كتسوية ودية للخلاف، معترفًا بأن هناك فقرات من رواية «الأفريقي» ظهرت حرفيا في رواية «جذور»، وقد عزا ذلك إلى أنه في مرحلة إعداد الكتاب كان يقبل المذكرات والمعلومات غير الموثقة من الآخرين، ويبدو أن بعض هذه المعلومات التي استخدمها كان قد تم اقتباسها من رواية كورلاندر. وقد حاول هيلي أن يثبت ما أمكنه ذلك كل ما تضمنته رواية «جذور»، وكانت الصحة التاريخية هي شغله الشاغل خصوصا من المنظور العاطفي، الأمر الذي جعله يبذل جهدا خارقا ليصور ويثبت الصورة التي صاغها للمتاعب والآلام التي صادفها «كونتا كينتي» مع غيره من الضحايا في رحلتهم من أفريقيا للعالم الجديد.

لقد برز هيلي كأول أمريكي يتتبع بدقة رحلة أسلافه حتى وطنهم، كما صاغها ببراعة شديدة في رائعته «جذور»، ويعجب الكثيرون أيضا لأنه عمل على إرساء علاقات أفضل بين السود والبيض، ولهذا السبب فإن تأثيره الخالد على التاريخ لن يكون فقط لأنه كاتب بارع موهوب، ولكن لأنه من أكبر أنصار حركة الحقوق المدنية.

لقد أكمل هيلي جزءًا من الحلقة المفقودة بين الزنوج في أفريقيا والزنوج الأمريكيين، وأصبح اسمه مرادفا للرغبة في معرفة المرء تراثه، واعتبر النقاد كتابه عملا ملحميا كبيرا قُدر له أن يكون أحد الأعمال المهمة في الأدب الأمريكي.

اهتمامه بالإسلام في أمريكا

يبقى أن نتناول أحد اهتمامات أليكس هيلي، ألا وهو اهتمامه بصورة الإسلام في الولايات المتحدة، فعلى الرغم من أن الصحف ومختلف وسائل الإعلام الأمريكية قد حفلت في الأسابيع الماضية بسيل من المقالات حول الكاتب الراحل، وذلك عقب وفاته المفاجئة في أحد مستشفيات مدينة سياتل بولاية واشنطن، فإن أحدا لم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد.

فقد لاحظ هيلي خصوصا في السنوات الأخيرة بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار النظام الشيوعي أن هناك من يصور الإسلام وكأنه الخطر القادم، وأصبح هناك من يخلطون بين الإسلام كدين وبين التطرف كظاهرة سياسية، بل ومن يربط بين الإسلام وبعض الجماعات الإرهابية.

وكان ينادي بوجوب تغيير هذه الصورة الظالمة عن الإسلام الذي نعرف أنه دين السلام والتسامح، واقترح في أواخر أيامه أن يتم إنتاج فيلم عن الإسلام يعرض في التلفزيون الأمريكي ليصحح المفاهيم الإنسانية التي ينهض عليها الدين القيّم، ويوضح إسهام المسلمين العظيم في بناء صروح الحضارة الإنسانية، وفي مختلف المجالات مثل العلوم والرياضيات والفنون والعمارة... إلخ.

إن أفضل تكريم لهذا الرجل أن يخرج مشروعه إلى النور. ونرجو أن يتم ذلك قريبا.

لقد رحل أليكس هيلي، لكن أعماله ستظل خالدة بقصة الحرية الإنسانية التي مرت عبر التاريخ بمآس وآلام كثيرة.

المراجع

(1) R.P. Warren, Malcolm X : Mission and Meaning, "in The Yale Review Winter, 1966 pp 163-4.

(2) Nancy L. Arnez, "From His Story to Story : A review of 'Roots' ", in The Journal of Negro Education, 46, Summer 1977 p 367.

(3) Dictionary of Literary Biography vol. 38 Afro-American writers U.S.A latest edition pp 115-119.

(٤) عبد الحميد الكاتب، مقدمة الترجمة العربية لرواية «جذور».

القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٧٩م.

(٥) عبد الرؤوف الريدي، أليكس هيلي ورؤية من قريب لمصر الإسلام» الأهرام ١٧/٣/١٩٩٢م.

مسرح الأطفال والتراث الشعبي

بقلم: عبد التواب يوسف

مسرح الأطفال ـ أيا كان نوعـه وشكله ـ مجمع فنون: الأدب يتمثل في النص والكلمات والحوار والأغاني، والتشكيل واضح في (الديكور) والملابس، والحركات الإيقـاعية موجودة في الرقصات التي تجسد مـواقف معينة، والموسيقى قائمة كمؤثر، وكألحان للأغاني، بجانب فنون الإخراج، والتمثيل، والأداء، يضاف إلى ذلك كله الإضاءة، ولدينا جمهور من الأطفال نستكمل به العرض المسرحي.

وتتطابق فنون الأطفال وآدابهم تطابقـا كبيراً مع المأثورات الشعبية وتتلاحم معها بشكل عضوي، حتى لقد قيل في واحـدة من الدراسات في جامعة رايت بمدينة ديتـون في أوهايو الأمريكيـة إن ٧٥٪ إلى ٨٥٪ من أدب الأطفال مأخوذ عن التراث الشعبي، أو يمضي على منوالـه، وهي مقولة صـادقة يدركهـا الذين يتتبعون الكتابة للأطفال عالميا، فما من عمل إلا وفيه لمحات تراثية.

ومسرح الأطفال لا يشـذ في نصوصه عن هـذه السبيل، ويضاف إلى ذلك أن فنونا شعبية أخرى قد احتلت مكـانتها داخل هذا المسرح، وظهرت عناصر مـاديـة تـراثيـة في الملابس والـديكـور، وفي الموسيقى والغنـاء، وفي الحركـات والرقصات.

ومن هنـا أضحى مسرح الطفل مـرتبطـاً بـالتراث، فضـلاً عن أن هنـاك أشكالاً مسرحية صالحة للأطفال قد أضحت في حد ذاتها تراثا. وقد حاولت أن أغـوص في التاريـخ بحثا عن البـذور والجذور، إيمانـا مني بأن «الجذوع» التي نمت أشجارًا وارفة الظلال وافرة الثمار، قد خرجت من أرضنا وتربتنا.

غير أن سـؤالا ألح عليّ، أفسد متعـة البحث والدرس. وسـوف يرد هـذا السؤال في ثنايا هذه المقالة.

بذور مسرحية في التراث المصري والسومري

عثـر علماء المصريـات على مكتبـات مصرية قـديمـة صفت على رفـوفهـا الكتب، والكتاب عند قدماء المصريين يكتب على أوراق البردي، ويوضع على شكل لفافـات مستطيلة، داخل أوان من الفخـار حفظا لها. **ومن بين الكتب التي عثر عليها مسرحية مصرية هي «إيزيس وأوزوريس» التي يرجع تاريخها إلى ألفي عام قبل الميلاد**، وقد صورت المسرحية حياة أوزوريس، ثم فاجعة موته، ثم معجـزة بعثـه بعـد دفنــه، لكي يحارب الشر، ويصنع الخير للنـاس، وقـد تضمنت المسرحيـة تحليل فلسفـة النشـوء، والموت، والبعث والنشـور وخلـود الروح التي هي الجوهر، وتلاشي المادة التي هي العَرَض. وكانت هذه المسرحية تُمثل في عيـده الذي يقـام سنـويا، ويستمـر عدة أيـام تقـام فيها الاحتفـالات الشعبية، ويبدي سدنة معبده أفانين الوعظ المسبوك في قالب التسلية الشعبية.

وقد نشأ المسرح الديني ـ الذي هـو أصل المسرح الإنساني ـ على ضفاف النيل، **ويعترف الإغريق أن عناصر كثيرة من حضارتهم جاءتهم من مصر، وأنهم أخذوا فن المسرحية عن الفراعنة.**

كما كشفت الحفائر عن بـردية يرجع تـاريخها إلى ما قبل القـرن الثامن عشر قبل الميـلاد، كتبت عليها مسرحيـة من النـوع الذي يحتـاج إخراجـه إلى تسيير المواكب، ووجــد فيهـا حـوار بين شخصين، يتعلـق بمآل البشر بعـد الموت، وفلسفة الحياة الأولى والأخرى، ولم تخل من موضوع إنساني يعرض جزاء المحسن والمسيء في المعامـلات بين الناس، كما وجـدت بهذه البردية مـلاحظات تحوي توجيهات للمخرج، وما يلـزم أن يقوم به ممثلا الحوار وأفراد الموكب. ولم يكتف المخرج بـالقول وحـده، بل شفعه بصـور بعض المناظـر. وبإجماع علماء الآثار تعتبر هذه أقـدم مسرحية إنسـانية خرجت من عبـادة المعبد، وحـوت حوارا في شكل إنساني، وإخراجًـا على نحو فني يعتمد على تهيئة الجو، وابتكـار المناظر والديكور.

ومن الواضح أن كهنة مصر القـديمة كانوا يقومـون بتمثيليات على ضفاف البركة المقـدسة الملحقـة بمعبد الكـرنك، وكذلك في كـلٍّ من العرابـة المـدفونة و«صا الحجر» قبل الميلاد بما يزيد على ألف سنة. وقد روى **هيرودوت** أنه شاهد هـذه التمثيليات في مـدينة صـا الحجـر سنة ٤٥٠ ق. م. ونحن نجـد سمات مشتركة بين أوزوريـس المصري وديونيسيـوس اليوناني، حيـث يرمـز كلاهما إلى الخصب والنماء وهما معًا خير ما يتخذ نموذجا ومثالا من الأساطير لشرح فكرة البعث والحساب.

أما بالنسبة للملاحم، فقد عرفت سومر الملحمة التي كانت تترنم بها ألسنة أهل (أور) عاصمة سومر قبل ألفي عام قبل الميلاد. سومر التي كانت تمتد على نهر الفرات بمنطقة بغداد الحالية. ففي عـام ١٨٥٤م عُثر على اثني عشر لوحا بمكتبـة انيبال (إحـدى عواصم آشـور) وهي تتألف من طائفـة من القصص،

يرجع تاريخها إلى نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وتروي قصة **(قلقمش)** الذي يقال: إنه كان من ملوك سومر الأقدمين، وتروي الملحمة في أسلوب شعري غرامَ الملك وحروبه، ويتخلل ذلك فلسفة ما بعد الموت، والبعث، ووصف الجحيم.. إلخ.

ومن الواضح أن اليونان قد اطلعت عليها، وأنها كانت أحد المصادر التي اعتمدت عليها، كمادة ثرية شاركت في صياغة الإلياذة وغيرها من الأساطير، وخاصة فيما يتعلق بفكرة تجزئة الشخص بين عناصر بشرية وعناصر إلهية، أو اختلاط الألوهية بالإنسانية.

○ لدينا في التراث الإسلامي الكثير من الكنوز مما يمكن تقديمه دراميًا لتثقيف الطفل وتعليمه.

وقد عثر بالأقصر على ملحمة شعرية عن انتصارات رمسيس الثاني وألوان بطولته، ولا تختلف عنها كثيراً الملاحم التي صيغت حول حرب طروادة وانتصارات أبطال الهيلينيين. أي إننا نستطيع أن نلمح بذور الملاحم والمسرحيات في الحضارات القديمة في الشرق الأوسط ما بين آشور وبابل من جانب ومصر الفرعونية من جانب آخر، أي إن البذور قد وضعت هنا، وإن كانت الثمار قد نضجت في اليونان القديمة التي يعزو إليها بعضهم أنها مبتكرة للملاحم، وللمسرح. **ونظلم تراثنا كثيرا إذا نحن أغفلنا هذه البذور والجذور التراثية للفنّين، بعدما قدمت لنا الآثار ما يؤكد بالدليل القاطع أن وطننا العربي أصل الكثير من هذه الفنون العريقة في تربته. ولقد آثرنا أن ننقل هذا عن باحث تونسي، هو الأستاذ محمد الحبيب، حتى نبتعد عن الحماسة المصرية أو العراقية لهذا التراث المجيد.**

بذور مسرحية في التراث العربي

جاء في كتاب «تاريخ بغداد» أنه كان في زمن المهدي رجل صوفي لا يترك أسلوبا ولا سبيلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا فعله، وكان يخرج كل يوم اثنين وخميس إلى جهة خارج بغداد، فتجتمع إليه الخلائق من رجال ونساء وصبيان، ويجري حوارًا بين الجمهور طالبا منهم إحضار بعض الشخصيات الإسلامية الفذة التي كان لها دورها في التاريخ الإسلامي ونشر المبادئ والقيم الإسلامية، مظهرا جوانب هذا الدور لتأكيد المثل العليا التي استحقت من خلالها أن تكون قدوة ويتناول كذلك شخصياتٍ أخرى، ممن كانت لها سلبيات أضرّت بها وحفظها التاريخ، ويظهر من خلال الحوار ـ أيضا ـ هذه السلبيات.

ونرى وجود جمهور متفرج وممثلين، ونرى وجود حوار، هذا كله إن لم يكن من الفن المسرحي إلا أنه بدايات ومحاولات.

والمجتمعات البدوية لا تخلو من وجود مشاهد تمثيلية، يتفرغ لها أشخاص يحسنون أداءها جذبا للمتفرجين. يتخذ الممثل من أرض البادية مسرحا له، في ليالي الصيف المقمرة، ويستلقي على ظهره، ويرفع رجليه إلى أعلى بحيث تُشكل مع سطح الأرض زاوية قائمة ويُلبس قدميْه لباس رأس رجل، ويمسك بكل يد عصا، يدخل فيها كُم ثوب متصل بهما، ويشد أطراف الكم؛ حتى لا ينحدر عن العصا، وعند رأس اللاعب شخص يسنده، وآخر يغني له أغنية معلومة، يبدل فيها، بحيث يكون من معانيها ما يفرح أو يحزن، وفيها حركة، واللاعب يحرك يديه بالعصوين وقدميه بحسب نغم الأغنية ومعانيها، والأغنية تخاطب امرأة بدوية اسمها (وزيوزة) ـ ومنها اسم اللعبة ـ ذهب زوجها في غزو فهي تفرح أو تحزن حسب الأخبار التي ترد إليها عن زوجها، في حالتي الانتصار أو الهزيمة. وهذا هو مطلع الأغنية:

(يا وزيوزة، رجلج (رجُلك) غزا، على عنزه...).

وهي تمثيلية قصيرة، أو مشهد تشخيصي، يؤديه ممثل ماهر بمصاحبة منشد، ينشد أغاني عدة، مملوءة بالمعاني والحركات، ويشهد هذه التمثيلية القصيرة الخلق من رجال العشيرة ونسائها وصبيانها النازلين في أرض واحدة من البادية. وهذه التمثيلية إحدى وسائل الترفيه والتثقيف عندهم، وجدت لحاجتهم إليها[١].

الجذور المسرحية العربية وكيف أضحت في حد ذاتها تراثا

أصبح خيال الظل، وصندوق الدنيا، والأراجوز أو ما يسمونه بفنون المخايلة ـ من التراث. لقد كان الناس يشهدونها في الشارع أو في أماكن خاصة بها، مثل بركة الرطلي بالفجالة وغيرها، وكان خيال الظل مصدرًا ضوئيا، قوامه الزيت والقطن حينا، أو الشموع حينا آخر، ويحرك اللاعبون الشخوص بأعواد دقيقة من الخشب؛ لتسقط ظلالها السوداء على ستار أبيض، يجلس أمامه المشاهدون، بينما يقوم اللاعبون بأداء أدوارهم التي قد يكون من بينها الغناء، وربما قلد أحدهم صوت المرأة، وفي بعض الأحياء يكون بين اللاعبين امرأة تؤدي دورها.

وقد توارث الكثيرون هذه المهنة أبًا عن جد، وتوارثوا الحكايات والألغاز والأزجال، وأقدم ما وصل إلينا عنه ما قيل: إنه كان موجودا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري. ومن المعروف أن **صلاح الدين الأيوبي** قد شاهده، ومن قبله الفاطميون، وعرفه الأتراك فيما بعد، ونسب إليهم؛ لأنه دخل أوربا عن طريقهم. ومن المؤسف أن ينحسر خيال الظل في بلادنا بينما ازدهر في صور أخرى رائعة في بلاد أخرى، فهو **«المسرح الأسود»** في تشكيوسلوفاكيا، وقد شهدت عرضا له في براغ بهرني. كما إن الصينيين واليابانيين برعوا فيه إلى حد كبير، وشهدت القاهرة أكثر من عرض فريد وباهر لفرق من هناك. والشيء الطريف أني أشرت في محاضرة لي في جامعة أوهايو إلى خيالِ ظلٍّ ملون، وليس مجرد أبيض وأسود، وكان ذلك مثار دهشة الأمريكيين، لكن مخرجا شابا مصريا

مسرح الأطفال والتراث الشعبي

اسمـه حسن عبد المنعم قـدم من خـلال القناة الثـانيـة في التليفزيـون المصري مسلسلا بـواسطة خيـال الظل، كانـت شخوصـه مصنوعة مـن أشياء شفـافة ملونـة، وظهرت الحيـوانات والأشخـاص على الشـاشـة بألوان بهيجـة. ولست أدري لماذا تركنا هذا الفن المسرحي يندثر في بلادنا ؟

والأراجوز ـ أيضـا ـ صـار تـراثا، بعـد أن كـان بطل الموالد والاحتفـالات الشعبيـة، والطـريف أني رأيتـه في كـوفنت جـاردن في لنـدن عـام ١٩٧٠م في الشارع، حيث كان يعرض بمناسبة مـرور ثلاثمائة عام على إنشاء هذا السوق، وكان بنش آند جودي قد ظهـر في إنجلترا في أول مرة مع بناء هذا السوق. وظل



د. عبد الحميد يونس



د. محمد رضوان



علي باكثير

الأراجوز يعـرض على مدى اليـوم كله، مرة كل سـاعتين، والأطفال من حـوله مبهورون مشـدودون، يذهبـون، ويعودون ــ مثلـي ــ مع العرض التـالي. وقد عاش الأراجـوز في بلادنا طـويلا، بطرطوره الطـريف، وصوته المميـز، وعصاه الصغيرة التي يضرب بها كل مـن يجاوره، يختلف معـه أو يتفق! وإن كـــانت الشخصيـات التي تختار لـه من الشخصيـات غير المرضيّ عنها من الجمهـور، ليزيد ضحكهم. وهو يقدم عرضا دراميا فكاهيا من حكاية (حدوتة) أو نكتة، سـاخـرا من متناقضـات مجتمعنـا، نـاقـدا أوجه القصـور. ومعـروف أن دُمى كالأراجـوز وجدت في الحفريـات المصرية القديمـة، وواضح أنه تم تطـويره، ونقله الأتراك ـ أيضـا ـ فيما نقلوا، وإن قيل إنه ـ أصلا ــ فن تركي، وفي تقدير البعض أن مسرح العرائس والدمى لايزيد على أن يكون امتدادا له.

وقـد انتهى ـ أيضا ـ صندوق الدنيـا الذي كانت تتحرك صوره ومن ورائها مصدر ضـوئي، بينما الراوي يحكي القصـة التي يشهـدها الأطفال مـن خلال فتحات صغيرة، وقد أسدل من فوق رؤوسهم ستار قديم.

إن المخايلـة في تقديرنـا بذور وجذور لمسـارح الأطفال ـ أصـلا ـ وإن أقبل عليهـا الكبار، وقـد عـرض لها كثيرون في كتبهم التي يمكن الـرجوع إليهـا (من أمثال **أحمد تيمور**، د. **إبراهيم حمادة**، د. **عبـد الحميد يونس**). وفي تقديرنا أن هذه الأشكال يمكن أن تبعث من جديـد كإطارات لأعمال مسرحية للأطفال، مع تطويرها لكي تلائم العصر وتواكب التقنية الحديثة.

التراث الإسلامي في مسرح الأطفال

كان د. محمد محمود رضوان رائدًا لمسرح الطفل الإسلامي، حيث كتب في أوائل الأربعينيات مجموعة من المسرحيات الإسـلامية، وعلى منوالـه قدم **محمد يوسف المحجوب** عدة مسرحيات إسلاميـة (عمر والعجوز، فتح مصر، بلال، مولدالرسول).

إن التراث الإسلامي حافل بما هو رائع، وعظيم، وفيه قصص تاريخي ليس هناك أيسر من تقديمه دراميا، ليكون مادة تعليمية وتهذيبية وتثقيفية للأطفال، شريطة أن تنهض بذلك أقلام مسؤولة، وعلى دراية بهذا التاريخ، فلا تحرّف فيه أو تبدل أو تغير، مبررة ذلك بالمقتضيات الفنيـة. ولعل باكثير خير مثال لما قدم من خلال مسرحه الإسلامي.

وفي الستينيات فـازت ثلاثة أعمال لي في مسـابقة مسرحيـة تعليمية تربـوية للمسرح المدرسي حول حيـاة الرسـول ﷺ، **(ولـد الهدى، طلع البـدر، الفتح المبين)** وهي أعمال درامية، بلا راوية، وهـي مملوءة بالحركة والصراع والمواقف. وبـالطبع ليس هناك واحـد من الصحابـة بين شخصيات هـذه الأعمال. وإنما كلها شخصيات ثانوية، ابتكـرت لتؤدي دورها الدرامي. كما فازت مسرحيتي **«الأمير»** كأحسن عمل درامي قـدمته الإذاعـة خـلال عام ١٩٨٤م من صـوت العرب، وهي تعـالج ما هـو معروف عندنـا من أن أسرى بدر من قـريش كان يطلق سراح الواحد منهم إذا استطـاع أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابـة ويمحو أميتهم. وقـد احتفى الجهـاز العربي لمحو الأميـة بهذا العمل وعممـه في أقطار الـوطن العـربي. وقـد أشرت إلى هـذه النماذج بعيدا عما هـو معـروف من أعمال مسرحيـة تـدور حـول صـلاح الـدين الأيـوبي، أو غيره من الأبطال.

التراث الشعبي العربي
مصدرًا لمسرحيات الأطفال

تتسم الحكايات الشعبية بالبساطة المحببة، وتمثل الأحاسيس الفطرية لدى الإنسان، وجمهـور الأطفال يقبلـون عليها في شـوق ولهفة، إذ تمنحهم متعـة ما بعدها متعة، وتلبي الكثير مـن احتياجاتهم للنمو العقلي والنفسي، وتيسر لهم سبل النضج الـوجـداني، وتفسر لهم بعض الظواهـر والأحـداث التي تستغلق عليهم، وتحاول أن تجيب بالتجسيـد والتخيل على أسئلةٍ لا يجدون لها إجـابة، وتعينهم على فهم جوانب من الحياة، وعلى مواجهة مشكلاتها. ولعل تحليلات **بورنو بلتهايم** في هذه السبيل جديرة بالاهتمام، فهو يرى أن قصة **السندباد البري والسندباد البحري** وصولا من ألف ليلة إلى الأنا والأنا الآخر قبل عصرنا بقرون، ويراهما وجهين لعملـة واحدة، ويفسر قصـة **الصياد والعفريت** على أنها ترمز

لحبس الطفل وحده، أو إبعاده عن والديه، ويمر الصغير بالمراحل نفسها التي مر بها العفريت، في القمقم، حين يترك وحيدا، وهو ــ أي الطفل ـ يتقمص أحيانا دور المارد المحبوس، ثم يتقمص شخصية الصياد، حين يكون صغيرا ضئيلا أمام المارد، ويفرح لانتصار الصياد والعقل على العفريت وإعادة سجنه في القمقم والإلقاء به في البحر. ويرى أن هذه القصة أكثر روعة من القصة التي سجلها **الأخوان جريم عن عفريت الزجاجة**، كما يفسر قصة **ذات الرداء الأحمر** على أنها قصة تكشف عن الجنة للأطفال والفتيات، فالصغيرة تخرج لأول مرة من دارها لتجد ذئبا على الطريق، ثم تجده في الفراش بعد التخلص من جدتها!، كما يشير إلى أن **الأميرة النائمة** تحاول أن تشرح للأطفال جانبا من جوانب الموت والبعث. وهكذا، لذلك يرى تقديم هذه الحكايات ضرورة حتمية، سواء برواياتها أو إعدادها مسرحيا. **ونحن لدينا تراث رائع يتمثل في السير الشعبية: عنترة، الظاهر بيبرس، الأميرة ذات الهمة، أبو زيد الهلالي، سيف بن ذي يزن .. إلخ**، وبعضها له أصوله التاريخية، والآخر قصص خيالي



القراكوز من التراث الشعبي التركي

يحلق بالأطفال في آفاق واسعة رحيبة، ويرى فيهم الصغار أبطالا يعشقونهم، ويتخذون منهم قدوة، خاصة في فترة (التعلق بالبطل)، وفي أكثر من هذه السير ألوان من اللعب الإيهامي: علي الزيبق، حمزة البهلوان. وليس أيسر من تقديم هذا العالم السحريّ على خشبة المسرح، حافلا بالمواقف والمشاعر التي تشد الأطفال وتجتذبهم إذا شاهدوها مجسمة مجسدة، تدب الحياة في أبطالها، ويرونهم على خشبة المسرح، تصاحبهم بعض الحيل التي تجعل الأحداث مقبولة مرغوبًا فيها، والأطفال يتابعونها في يقظة ولهفة، بل ويندمجون معها، ويتقمصون أدوار أبطالها، حتى لو كانوا أبطال سير وملاحم، أو رحلات خيالية، أو حتى حيوانات أسطورية. وقد تستفيد هذه الأعمال من شخصية الراوي الذي كان يروي هذه الحكايات على الربابة؛ ليؤدي دوره بين المقاطع التمثيلية، ويربط بينها، ويشرح للصغار ما قد يصعب عليهم فهمه وإدراكه، ويقطع بهم فترات زمنية، ويسد الثغرات الناجمة عن مرور وقت قد يطول بين حدثٍ وآخر. وهذا شكل مسرحي يجتذب الأطفال، ولا يقلل من قيمة العمل دراميا، بل يضيف إليه، شكلا ومضمونا.

ولقد فُتن أطفال العالم بحكايات ألف ليلة، وأصبحت بعض شخصياتها لا تقل شهرة عن (ميكي) و(دكتور دي ليتيل) وغيرها من الشخصيات العالمية، واحتل السندباد وعلي بابا وعلاء الدين ومصباحه العجيب مكانة كبيرة في نفوس الأطفال، من خلال عشرات المسرحيات التي أخذت عن هذه الحكايات، واجتذبت الصغار إليها، حتى صار السندباد علما على السفر والترحال، وتمنى كل طفل أن يحوز مصباح علاء الدين، وأصبحت عبارة (افتح يا سمسم) على لسان الأطفال، بل وأصبحت عنوان أضخم برنامج تليفزيوني أمريكي لسن ما قبل المدرسة.

حول مسارح الأطفال في بلدان العالم المتقدم

أضحت مسارح الأطفال متنوعة، متعددة، من العسير حصرها. وقد تنوعت بين مسارح خيال الظل، والدُّمَى بأنواعها المختلفة، والأقنعة، بل والمسارح الورقية التي يصنع الأطفال أبطالها من الورق المقوّى، والمسرحيات المقروءة بصوت جهري، وتلك المقروءة باطنيا، بجانب تلك المسارح البشرية التي تعمل عليها فرق الهواة أو المحترفين، وقد يؤديها الأطفال أنفسهم، كما يحدث في المسرح المدرسي، والتعليمي، والتربوي. وهناك مسرحيات خليط: هذا بجانب ذاك، في ضفيرة واحدة.

وتعددت مسارح الأطفال أيضا إلى حد لا يمكن إحصاؤه، فما من مدينة ـ أو قرية ـ في البلاد المتقدمة إلاَّ ولديها لون ما من ألوان مسارح الأطفال، وكان يقال: إن في الاتحاد السوفييتي ـ عقب الحرب العالمية الثانية ـ مائة واثني عشر مسرحًا بشريًّا، ومائة وعشرة من مسارح العرائس، أما اليوم فقد تجاوزت المسارح أرقام المدن والقرى، فقد يكون بالمدينة الواحدة أكثر من مسرح للأطفال، وما من قاعة لمجلس قرية أو مدينة إلا وفيه مسرح، مجهز بكافة الأدوات، وعليه تقدم عدة فرق أعمالها ـ لا حفلا سنويا ـ بل أعمالا درامية على مدى العام كله، وأصبح لكل بلد خطة، وبرنامج، ومنهج، من أجل تدريب الطفل على تذوق الدراما، ومن أجل تهيئته لكي يصبح متفرجا مشغوفا بالمسرح.

إن باريس مثلا ـ كما روى المرحوم **فتوح نشاطي** منذ سنين بعيدة ــ توزع مؤلفي المسرح على الأحياء، ويتخصص كل حي بكاتب معين: **موليير، شكسبير، كورني، إبسن، شو، إلخ**، وتقوم مدارس الحيّ بمراحلها المختلفة بتقديم واحدة من مسرحيات الكاتب، وبعد أن يشاهدها أطفال الحيّ، يتنقلون هم أو المسرحيات، إلى الأحياء الأخرى، وبذلك يتذوق الأطفال أعمال المؤلفين البارزين كافة على مستوى العالم، وتنتقل الأعمال الناضجة منها إلى الشاشة الصغيرة مؤخرا. وقد أتيحت لي فرصة مشاهدة بعضها ورأيته يرقى إلى مستوى المسرح المحترف.

كل البلدان المتحضرة تتنافس في ابتكار ألوان من هذا المسرح، جذبا للأطفال: تثقيفا وتربية وتعليما، وصولا إلى مسرح الشارع للطفل، وقد نجح مخرج أمريكي في تكوين فرقة مسرحية من ثلاثة عشر حدثا من الأحداث الجانحين، نجح من خلال فرقته في علاجهم، وانطلق بهم يتجول؛ ليقدم بهم

مسرح الأطفال والتراث الشعبي

عروضا باهرة. وفي ميونيخ بألمانيا قامت مجموعة من الشباب بإنشاء فرقة مسرحية متنقلة، كالسيرك في بلادهم، تحط رحالها في المدن الصغيرة والتجمعات السكانية كافة؛ لكي تقدم أعمالها لقاء أجور رمزية، ولقيت الفرقة نجاحا كبيرا. . وشاهدت في إنجلترا قبل عشرين عاما فرقة مسرحية تعليمية تعينها أجهزة التربية من جانب، والمجلس الثقافي البريطاني من جانب آخر لتقدم يومًا مسرحيا تعليميا في مسارح البلديات.



من هنا قلنا: إن مسارح الأطفال تنوعت وتعددت، وانفتحت على ابتكارات وإبداعات جديدة كل يوم، وامتزجت الشاشة بالخشبة لتقديم عروض في قلب الصحراء الرملية أو الجليدية أو في الفضاء، أو في البحار والمحيطات، وأصبح من الصعب تصنيف مسارح الأطفال من زاوية الخشبة التي تقدم عليها، وإن ظل الرواد والمشاهدون هم الأطفال. ولقد رأيت في نيويورك فرقة مسرحية تقدم أعمالا لسن ما قبل المدرسة فقط ــ أي أقل من السادسة ـ وكانت التجربة مثيرة، فعند الوصول إلى باب المسرح، يستقبل الممثلون بملابسهم ضيوفهم الأطفال بالملابس المسرحية ليتعودوا عليهم وعليها، وحتى لا تخيفهم أثناء العرض. وهم يُعطون تذكرتين متصلتين، تفصلان عند منتصفها المثقَّب؛ إذ يبكي بعض الأطفال حين تؤخذ منه تذكرته عند الباب، لذلك ابتكروا فكرة التذكرتين، وعقب الدخول وقبل العرض يصطف الصغار ـ بعيدا عن آبائهم في أماكن الجلوس ــ ويمضي الصف إلى دورة المياه، حتى لا يقوم الأطفال في أثناء العرض. . وهكذا مع كل خطوة نجد تصرفا سويا سليما تربويا، يصل بهم إلى عرض ممتع لا ينسى.

حول مسارح الأطفال في مصر والوطن العربيّ

حظيت مسارح الأطفال باهتمام كبير عند كثير من الدارسين، وما من ندوة أو حلقة دراسية، أو مؤتمر لثقافة الطفل العربي، إلا وكان موضوع المسرح من الموضوعات المطروحة للبحث والمناقشة. ومنذ المؤتمر الأول للثقافة في القاهرة (آذار/ مارس ١٩٧٠م) إلى آخر ندوة وحلقة بحث نجد أكثر من ورقة، أو بحث، أو دراسة، بل عقدت لجنة ثقافة الأطفال بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ـ يومئذ ـ ندوة عام ١٩٧٢م، ناقشت فيها أمور مسرح الطفل مع سينما الأطفال، ثم حلقة كاملة عام ١٩٧٧م عن مسرح الطفل من أجل الانضمام إلى المنظمة العالمية الخاصة بمسارح الأطفال والتي اتخذت باريس مقرا لها، ولم تنضم إلى هذه المنظمة إلى يومنا هذا[٢].

وقد واكبت المحاولات التي بذلت في مجال مسارح الطفل: باحثا، ومؤلفا، ومُشاهدا؛ إذ كانت أول مسرحية من ثلاثة فصول للأطفال **(الحذاء الأحمر)** عن **أندرسون** من ترجمتي في أواخر الخمسينيات، وكتبت للحلقة الدراسية العربية التي عقدت في بيروت عام ١٩٧٠م دراسة عن الاهتمام بمسارح الأطفال.

وألفت مسرحية من ثلاثة فصول، قدمت في منتصف الستينيات ولعلها أول مسرحية مؤلفة، كما كشفت عن خمس مسرحيات كتبها شاعر الأطفال المرحوم **محمد الهراوي**، ونشرتها في كتاب يحمل عنوان **(الهراوي رائد مسرح الطفل العربيّ)**، وقد ألف ثلاث مسرحيات نثرا، ومسرحيتين شعرًا. واستفدت من الإذاعة في تقديم ما يزيد على عشرين مسرحية للأطفال، مأخوذة عن المسرح العالمي، وأغلبها من الحكايات التراثية، ولم نجعلها في صورة تمثيلية إذاعية، بل أبقينا على شكلها المسرحي، وقدمت عشرات الأعمال المسرحية للأطفال خلال الشاشة الصغيرة، الكثير منها مأخوذ من التراث الشعبي العربي، ومن بينها أعمال من ألف ليلة وليلة (علي بابا، ابن علاء الدين، الحصان الطائر).

وهناك عدة كتب، ورسائل جامعية، ودراسات في معهد الفنون المسرحية، كلها حول مسارح الأطفال. نقول هذا وعلامة استفهام كبيرة وسؤال نعرف الإجابة عنه، لكنه يقف في مواجهتنا بقسوة:

ـ كم مسرحية يشاهدها طفلنا على المسرح خلال كل مرحلة طفولته؟!

إن الإجابة لا بد أن تصيبنا بحالة إحباط شديدة، ويجب أن تدفعنا إلى الصمت طويلا. ورغم ذلك، فهذه ورقة جديدة، تتحدث عن مسرح الطفل، تراثا، وعن علاقته بالتراث، وسؤال آخر:

ـ ما جدوى كل ذلك ونحن بلا مسارح حقيقية للأطفال؟

يحظى مسرح الأطفال بالاهتمام في كل الوطن العربي ـ ومصر بالذات ـ وهو اهتمام قاصر على الكلام، وقلما يتعداه أو يتجاوزه إلى عمل جاد على مستوى القاعدة العريضة لأطفالنا، الذين لايتذوقون الدراما في طفولتهم، لذلك يشبون وكل علاقتهم بالمسرح منحصرة في الأعمال الفكاهية الخاصة بالمسرح التجاري. ولست أستثني بلدا عربيا واحدا من ذلك، اللهم إلا الكويت.

نعم، قد يقام مهرجان سنويّ لمسرح الطفل في التليفزيون عاما بعد عام في أعياد الطفولة، وهو مسرح رائع، لكنه يهدم مع أول خطوة يخطوها المسؤولون خارج أبواب التليفزيون بعد مشاهدة العرض وتصويره. لماذا لا يستثمر على مدى العام؟! كما قد يقام مهرجان لمسرح الطفل على مستوى الوطن العربي، وإذا به يقام في السويس بمصر، ولا يلقى اهتماما أو رعاية من مسؤول واحد

بوزارة الثقافة، ولا يحظى بحضور من جانب العاصمة، ولا يشهده إلا محافظ السويس الذي رعى المهرجان، وله التحية على ذلك.

وأتساءل بعد كل هذا، **هل نواصل الحديث والكتابة عن مسرح الطفل؟!**

توظيف التراث في الكتابة لمسرح الطفل

ومنذ وقت مبكر استثمر الكُتَّاب حكايات التراث الشعبي عالميا وعربيا في وضع مسرحيات للأطفال، حتى إن مسرحية علي بابا قدمت لهم بالإنجليزية في أواخر القرن الماضي! واستفاد أبطال ألف ليلة (شهريار وشهرزاد) في عديد من الأعمال المسرحية، وذلك بجانب بعض مقاطع من السير الشعبية، والنوادر، والطرائف، وهي شائعة لما تتضمن من مرح وضحك، يحببان هذه الأعمال إلى الأطفال. واشتهر جحا ـ خصوصا ـ كبطل للعديد من الأعمال، وكذلك عرفوا

مسرح الطفل العربي خارج الوطن صار مؤسسات شامخة

بعض الشخصيات العربية الساخرة الضاحكة، ومن بينها (أبو نواس) و(بهلول) وغيرهما. ولدي صياغات عدة لمسرحيات عن علاء الدين.

وتوظيف التراث الشعبي في المسرح لا يعني إعداد الحكايات والطرائف إعدادا مسرحيا بشكل مباشر فحسب، وإنما من الممكن **أن نستوحي من التراث أعمالا، ليست منه، لكنها تنتمي إليه، وتنسج على منواله.** إن بعضهم يكتب الأعمال التراثية بعد أن يلبسها ثوبا جديدا، ويضمنها وجهة نظر، قد تكون عصرية، وحديثة، بل ويتمادى كثيرون في إسقاطات، قد لا تفيدنا كثيرا في مجال الأطفال. وبعضهم الآخر يستوحي الجديد ـ كما قلنا ـ كأن يعثر طفل معاصر على مصباح علاء الدين، أو كما حدث في واحدة من الأعمال المسرحية، يُقدم علي بابا للمحاكمة؛ لأنه استولى على الكنز، نعم الكنز مملوك للصوص، لكن هل يحق لنا سرقة اللصوص؟ الأجدر بعلي بابا إذا كان أمينا أن يبلغ الشرطة والنيابة عن الكنز الذي عثر عليه؟!. إن أفكارا عدة يثيرها التراث في مجال مسرح الطفل، بعضها رافض للأفكار الواردة في التراث، ويواجهها، والآخر يفجرها من داخلها، والبعض يؤلف أعمالا جديدة أبطالها من التراث، ويلبسهم ثيابا عصرية. المجال واسع وبلا حدود. بل لقد ألف **فاروق خورشيد** عملا روائيا كاملا عن سيف بن ذي يزن لا يمت للسيرة الشعبية بصلة ـ اللهم ـ إلا استعارة«البطل» بمكوناته التاريخية، والاجتماعية والنفسية. وكتبتُ على نسق (الصياد والعفريت) أكثر من عمل، آخرها (عفريت الزجاجة القزم). وقد جعلت العفريت في حجم سلامية الإصبع، وليس ماردا، وأصبح العمل كوميديا.

على أننا يجب أن نحذر من العبث بالتراث، فإننا نرفض رفضا تاما ما صنعه أحدهم، حين روى قصة نافخ المزمار، التي جاءت في أعمال الأخوين جريم، ووصفها في إطار مصر الفرعونية فأساء إلى تاريخنا وشعبنا، وأفسد الحكاية نفسها. وحين يعالج أحدهم قصة علاء الدين يتصور أن من الضروري أن تكون قصة أخلاقية، وعلى ذلك يتحول علاء الدين الذي تقول القصة إنه كسول، تحول إلى ولد نشيط، لكي تصبح مكافأته المصباح!، مع أن القصة ـ أصلا ـ عاشت كل هذه السنين لسبب بسيط هو أن كل إنسان: كعلاء الدين، يبحث عن مصدر خارق لحل مشكلاته! كما أنَّ شاعراً كبيراً كتب (علي بابا) ورفض فكرة أن تكون عبارة (افتح يا سمسم) هي القادرة على أن تفتح أبواب الكنز، وجعل علي بابا يحمل معولا ليضرب الصخر! رغم أن القصة تعلي من شأن العبارة والكلمة، وتجعلها قادرة على أن تفتح الكنوز!.

إن التراث كنز، لنا أن نأخذ عنه، ومنه، شريطة أن يكون ذلك بقدر، وبحذر، وبدراسة متأنية؛ حتى لا نفسده لدى أطفالنا.

وبعد..

لقد صار «التراث» معاهد ومراكز على مستوى وطننا العربي وعالمنا الكبير، كما إن مسرح الطفل قد أضحى مؤسسات كبيرة وشامخة خارج هذا الوطن. ولكم كنت أتطلع وأتمنى لو كان لدينا الكثير من الإنجازات التي نشعر بها نحن ـ أصحابَ صندوق الدنيا، وخيال الظل، والأراجوز، أو فن المخايلة كما كانوا يسمونه ـ لكننا مع الأسف الشديد قد تخلينا عن تراثنا، فاصطنعه الآخرون، واشتهروا به، عندما تجاوزونا. ولقد حُرم أطفالنا من مشاهدة المسرح وانحصر دوره في القاهرة: عرائسيا وبشريا، وتناثرت فرق صغيرة في الأقاليم، وهذه وتلك لا تسمن ولا تغني من جوع، وأصواتنا تضيع في البَرِيَّة.

وإذا أريد لأطفالنا الخير، وإذا رغبنا في أن ننشئ جيلا يتذوق الدراما، ويتعرف الفنون الشعبية فلا سبيل إلى ذلك إلا بأن ينتشر مسرح الطفل في كل (كفر ونجع وقرية). فضلا عن المدن. وقد كان مكسيم جوركي يراه أروع مؤسسة لتربية الأطفال، وكذلك كان يشيد به مارك توين. وتتقهقر لدينا هذا الفن، حتى لم يعد له مكان حقيقي.

ومسرح الأطفال بالقاهرة دليل على انهيار هذا الفن. إن مسرح متروبول الذي يتساقط سقفه منذ عامين، وما زال على الحال نفسها هو رمز لما يجري. ومسرح العرائس يقدم عرضا سنويا!. ثم بعد ذلك نتحدث عن مسرح الطفل والتراث الشعبي!.

هوامش

(١) عبد القادر عياش. مشاهد تمثيلية في بادية الفرات. مجلة المعرفة السورية (عرض خاص عن المسرح)

(٢) هناك قرابة خمسين دراسة وبحثا عن مسارح الطفل أحصاها كتاب «مسيرة ثقافة الطفل العربي» لمؤلفته نبيلة راشد، والكتاب صادر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية عام ١٩٨٨م.

صداع العقول

تنزيلُ الكلام على خصوص المُراد



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قال أبو عبد الرحمن: هناك عموم استعمال، وهو أن اللفظ يحتمل عدة معانٍ وأعراف، ولكن المتكلم له خصوص مراد يشمل تلك المعاني كلها، أو بعضها، أو واحداً منها.

وخصوص المراد يكون بدليل يُعَيِّنه.

ومن الأدلة أن لا يستقيم الكلام إلا به.. مثال ذلك كلمة «الدابة» فالأصل في دَبَّ أن يمشي على هيِّنته ولا يسرع ولهذا قال الشاعر:

زعمتني شيخًـــــا ولست بشيخ
إنما الشيخ من يـــــدب دبيبـــــا

ولمراعاة أصل الاشتقاق سموا كل ما يدب على الأرض دابة.

ثم توسعوا فسموا كل ما مشى على الأرض دابة، وإن كان مشيه أسرع من الدبيب.

وعمت التسمية كل ما دب من الحيوان وغيره، وعمت كل حيوان يدب أو يمشي أو يزحف أو يطير.

وكل طائر سيقع فيدب!.

وغلبت التسمية على ما يركب من الدواب.

وقد ذكر الله بعض أنواع الدواب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ النور ٤٥ وهذه دواب الأرض، وكل فلك فيه أحياء فله دوابه.

ولما قال الله سبحانه: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ هود ٦ وكأن مأخذ الاشتقاق الدبيب في الأرض - وهو المشي الهيِّن - توقع البكري في تفسيره تسهيل السبيل أن يقول ربنا: وما من دابة على الأرض.

ولكن النص جاء برابطة الظرف «في» ولم يأت برابطة الاستعلاء «على»، ولهذا حار بين أمرين:

أن تكون «في» على بابها، واختيرت لتعم ما على ظهر الأرض وما في بطنها.

أو أن تكون بمعنى على كقوله تعالى ﴿في جذوع النخل﴾ طه ٧١ وقوله تعالى: ﴿أم لهم سُلَّمٌ يستمعون فيه﴾ الطور ٣٨.

قال أبو عبد الرحمن: التعبير بفي يحقق معنى الدبيب على الأرض، لأن ما يدب في بطن الأرض يدب على جزء من الأرض، فهو يدب على الأرض في وسط الأرض.

وما دب على ظهر الأرض فهو في الأرض، لأنه محاط بأبعادها الأربعة أمامًا ووراء ويمينًا وشمالاً وجنوبا.

وينفي هاهنا المنع من الاحتمال الذي احتمله البكري - وهو حمل الآية الكريمة على معنى «على» - لأنه لا يصرف اللفظ عن ظاهره إلا بعد مانع يمنع من الظاهر، وقاضٍ يقتضي الحمل على معنى صحيح آخر.

وهاهنا نقول: المراد معنى «في» الذي يشمل الدبيب في الأرض وعليها، ولا يراد خصوص معنى العلو، لأن التنزيل الكريم لم يراع خصوص الاشتقاق اللغوي - وهو الدبيب على الأرض - فنتوقع التعبير بعلى.

وإنما راعى عموم التسمية بعد تحقق الاشتقاق، وهو عموم جنس الحيوان، وذلك يشمل ما فوق الأرض وما في ظهرها.

وممن نص على عموم جنس الحيوان أبو حيان ابن حيان النحوي في البحر المحيط.

والشق الثاني من الآية الكريمة قول الله تعالى: ﴿إلا على الله رزقها﴾، فالله سبحانه لا مكره له، ولا أحد يوجب عليه، ولهذا لجأ بعض المفسرين إلى التأويل، ففسر «على» بمعنى «من».

وبعضهم لجأ إلى تأويل المعنى مع بقاء اللفظ على بابه، فقال ﴿على الله﴾: أي فضلاً لا وجوبا.

قال أبو عبد الرحمن: رابطة «على» لا تدل على الفضل، وإنما تدل على معانٍ منها التحمل والقدرة.. أي اجعل هذا الأمر عليَّ أتحمله عنك.

ثم يرد مع التحمل دلالة تقتضي الوجوب، وهذه الدلالة تكون لفظية في نفس السياق كدلالة اللام مع «على» في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ آل عمران ٩٧ فهذه أقوى دلالة على الإيجاب.

وقد يكون الوارد استصحاب حكم شرعي قائم بدليله كالعلم بأن الله يقدر الأقدار، وما قدره سبحانه فقد وجب.

نستصحب هذا الحكم مع هذه الآية الكريمة فنقول: كل دابة على الله رزقها بمعنى يتحمله ويقدر عليه فيرزقها ما دام لها في قضاء الله وقدره رزق.

فالتحمل والقدرة من معنى «على»، والوجوب من قضاء الله وقدره.

قال أبو عبد الرحمن: ولا تبال إن لم تجد في كتب معاني الحروف معنى التحمل لرابطة على، لأن المؤلفين في كل حقل بكر يستقرئون فتفوتهم أشياء، والعبرة بصحة المدلول وإن لم يقيده التقعيد النحوي، فإذا قال زيد: من حمل هذه الصخرة؟

فقال محمد: عليَّ: فسياق الكلام اقتضى تعهداً أوجب على محمد حملها.

ورابطة «على» وحدها اقتضت القدرة على التحمل.

ولما قال الزمخشري عن الآية الكريمة: «فإن قلت: كيف قال الله: ﴿على الله رزقها﴾ بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل؟.

قلت: هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد».

لما قال الزمخشري ذلك رد عليه ابن المنير بفرار لفظي، فقال: «الواجب وقوع الموعود».. أراد أن يفر عن وجوب التكليف.

وهكذا حاول البكري حمل «على» على معنى «من» أو «عن»، ثم قال: «أو أن المعنى وجوب اختيار لا إلزام كقوله ﷺ: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم».

وقال: لا يجب على الله شيء.

قال أبو عبد الرحمن: هاهنا أمور:

أولها: أن خلاف أهل السنة والجماعة مع غيرهم ليس حول أن الله لا يجب عليه شيء، وإنما هو حول أن الله لا يوجب عليه أحد، لأنه الملك الديان المهيمن الغني الحميد الرزاق الخالق القادر القوي.

لقد جعل سبحانه للمؤمنين حقا عليه أن يثيبهم، فوجب الحق بإيجابه سبحانه لا بإيجاب غيره.

والله سبحانه لا يظلم وهو القادر المهيمن لأنه حرم الظلم على نفسه.

وثانيها: أن التفضل ليس مقابلاً للوجوب، فيحمل الوجوب على التفضل.

وإنما التفضل صفة للواجب أوجبه تفضلاً منه سبحانه، فيجتمع الإيجاب والتفضل معاً، ولا يحمل أحدهما على الآخر.

وثالثها: إذا وجب وقوع الموعود، فالموعود الرزق، فيكون الرزق واجباً على الله. فيعود المآل إلى إيجاب الله لا إيجاب غيره، فلا يجب عليه سبحانه إلا ما أوجبه على نفسه مما هو مقتضى كماله من رحمته وعدله وملكه.

ورابعها: إذا جمع بين الوجوب والاختيار، فقيل: «وجوب اختيار»: فلا بد من التفصيل.

فَتحمُّلُ الواجب يكون عن إلزام، ويكون عن اختيار.

وأداء الواجب ليس له صفة الاختيار، لأن ترك الأداء لحرية الاختيار ينافي التزام التحمل أو الإلزام به، فيكون في الأولى خلفاً، ويكون في الثانية عصيانا.

أَحبابي

شعر: عبد الحليم عبد الكريم

أحبـــائي ودفء القلب
إن غـــابـــوا وإن حَضروا
وإن هـم أسرفـوا بـالصَّـدِّ
أو أغراهُـــمُ السفـــرُ
على عهـــد الهوى بـــاقون
يـــا أحبـــابُ ننتظـــرُ
نقـــول غـــدًا غـــدًا آتـــون
والأحـــزانُ تنتحـــرُ
نظـلّ لهم نصـــونُ الـــودّ
إنْ وصلـــوا وإنْ هجـــروا

○ ○

أحبـــائي وزادُ الـــروح
كـــادَ القلبُ ينفطـــرُ
ويـــرسلُ دمعَـــهُ الجاري
ويـنـــدبُ حظّـــه الوتـــرُ
أيغفُـــو الـــوجـــدُ ؟ لا يغفـــو
ونـــارُ الشـــوقِ تستعـــرُ
يُـــراودنـــا حـــديث الأمس
والجيرانُ والسَمَـــرُ
وجلســـة شرفـــةٍ سكـــرتْ
ينـــام بحضنهـــا القَمَـــرُ
أحبـــائي طـــوانـــا البعـــدُ
والأحـــزانُ والفكـــرُ
ألا مـــن عـــودة عجلى
لها يشـــدو هنـــا الـــزهـــرُ
فنمضي نـــذرعُ الآفـــاقَ
حيث يضمُّنـــا المطـــرُ

○ ○

نلمُّ شقـــائق النعمـــان
فيهـــا يسكـــرُ النظـــرُ
ويُكبر حبَّنـــا الحســـونُ
والنّـــوارُ والبشرُ

لم يَعُد الشعر فنّ العربية الأول

أحمد فضل شبلول

الناقد الدكتور عبد القادر القط واحد من النقاد الذين شغلوا الساحة الأدبية والنقدية بآرائهم وأفكارهم ومواكبتهم لبعض الأعمال الإبداعية الجديدة، خاصة عندما كان يرأس تحرير مجلة «إبداع» المصرية خلال سنوات الثمانينيات الميلادية، وهو عندما يصدر رأيا أو حكما نقديا فإن رأيه أو حكمه يلامس ـ في كثير من الأحيان ـ الحقيقة، لأنه رجل يعرف ماذا يقول بناء على خبراته وقراءاته المتعددة وتأملاته الفكرية والأدبية واحتكاكه المتواصل بالواقع الأدبي والثقافي.

وعندما يجيب القط عن سؤال صحفي وُجِّه إليه يقول: الرواية والقصة والشعر أيهم يواكب مقتضيات العصر الحديث؟ فتكون الإجابة: العصر الآن بوجه عام عصر الفن القصصي سواء قصة قصيرة أو رواية، أي إن القط يستبعد فن الشعر من قائمة احتياجات العصر الفنية أو الأدبية.

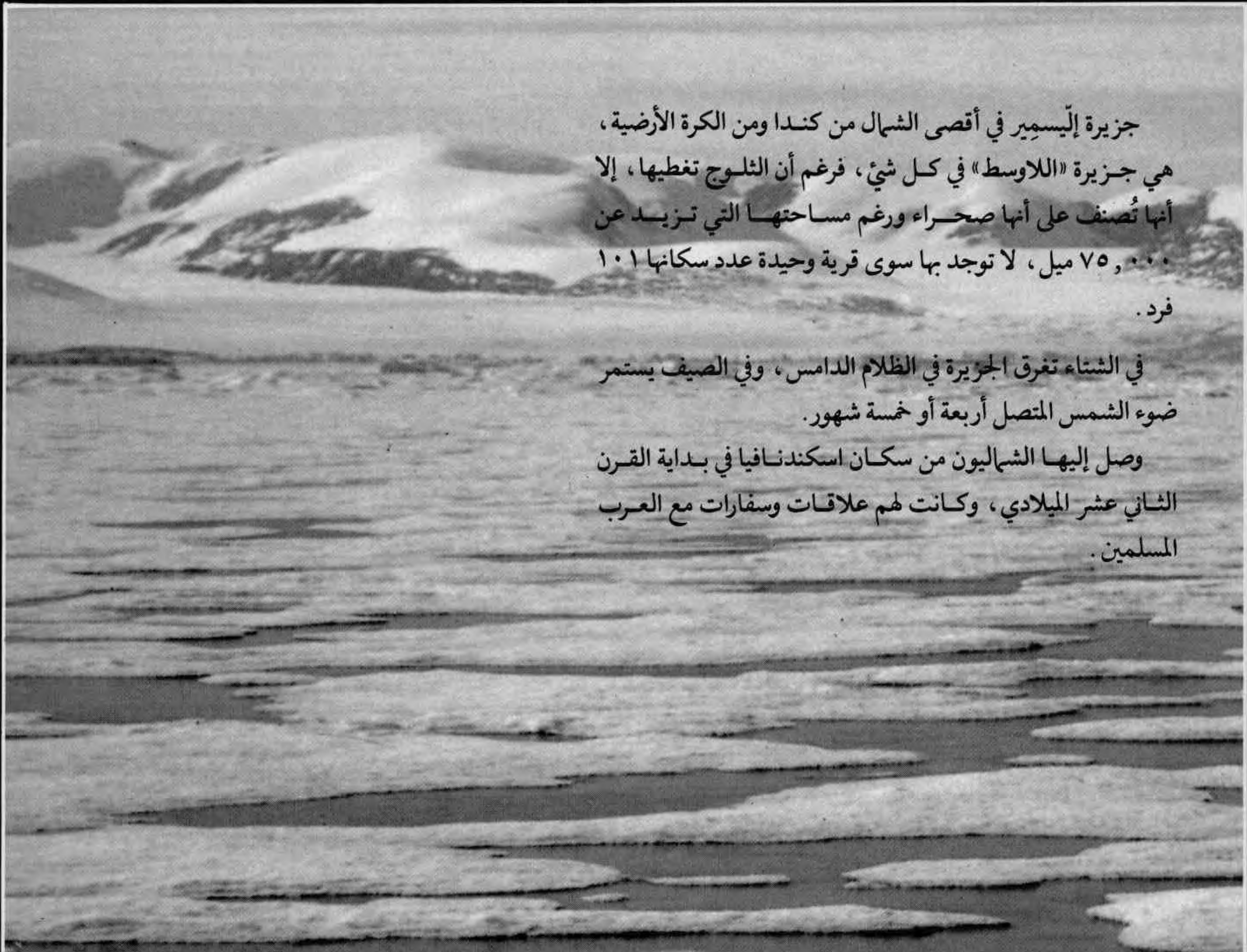
عندما يرى القط مثل هذه الرؤية فإننا يجب أن نتوقف كثيرًا عندها لنتأملها ونتحاور معها ونضعها على المحك الحقيقي للفعل الشعري ودوره في العصر الحديث، واضعين في الوقت نفسه الفعل القصصي والفعل الروائي على المحك نفسه لنرى أيهما تصدق عليه الرؤية. وفي الوقت نفسه لابد أن نضع آراء النقاد الآخرين جنبا إلى جنب مع آراء القط لنرى ما هي رؤيتهم ـ هم الآخرون ـ حول هذه القضية.

ويبدو أن هناك عددًا من النقاد يرى أن العصر الآن هو عصر الرواية لا عصر الشعر، ومن هؤلاء النقاد الدكتور ـ **جابر عصفور** ـ رئيس تحرير مجلة «فصول» الذي يرى في دراسته المعمقة «عصر الرواية» (المنشورة بمجلة «العربي» ـ العدد ٤٠٥ ـ أغسطس ١٩٩٢م) أن الرواية فن المدينة الحديثة التي تدخل عالم التصنيع وأن التراتب التقليدي بين الأنواع الأدبية قد تغير فانسحب الشعر من عرشه الذي ظل متربعا عليه طويلاً بوصفه سيد الأنواع الأدبية، وتعدل التراتب لتصعد الرواية هذا الفن الجديد الذي كان **محمد حسين هيكل** (ابن الذوات المتعلم) يخجل من الانتساب إليه في أوائل العقد الثاني من هذا القرن، ويختتم عصفور دراسته «عصر الرواية» بقوله: «فالرواية هي نغمة عصرنا المائزة وعلامته الإبداعية البارزة».

ويبدو أن الشعراء أنفسهم بدؤوا يحسون بانسحاب البساط من تحت أقدامهم، فهذا **نزار قباني** بعد أمسيتين شعريتين قدمهما مؤخرًا في باريس ولندن يكتشف أن قصائد الحب التي كانت تشعل الحرائق في ثياب المستمعين، وترفع حرارة القاعة إلى درجة الغليان، وتجعل المتلقين يذوبون على مقاعدهم كقطعة الشوكولاته، قد فقدت إشعاعها وجاذبيتها وطاقتها التحريضية، ويتساءل نزار في مقالة بعنوان «لا وقت للحب» **«ما الذي حدث للذائقة العربية حتى انقلبت على تراثها الغزلي الطويل وفكت ارتباطها مع الحلم والحالمين والعشق والعاشقين؟ ماذا يعني هذا الانقلاب الدراماتيكي في الذائقة العربية؟»** والإجابة تأتي من خلال السطور التي اقتطفناها لجابر عصفور. غير أن نزار يتوهم أن جمهور الشعر انصرف من قصائد الحب والعاطفة ليرتمي في أحضان القصائد السياسية، وبهذا يعلل فشل أمسيته الباريسية واللندنية فيقول: «لم يعد لقصيدة الحب مكان في الحياة العربية، فقد امتزجت السياسة بخبزنا اليومي حتى صرنا نأكل سياسة ونشرب سياسة ونتنفس سياسة ولا نرى في أحلامنا سوى عفاريت السياسة»، ويختتم مقالته بقوله: «وداعا يا قصيدة الحب».

ويرى الدكتور القط أنه حتى القصيدة السياسية ـ التي توَّهم نزار أنها حلت محل قصيدة الحب ـ لا مكان لها منذ بداية الحركة الرومانسية، فالشعر العربي يحاول التخلص من ارتباطه بالمناسبات وبالأحداث العارضة، **ويرى القط أن الرواية والمسرح الآن أقدر على الارتباط بالسياسة، وهكذا ينسف القط آخر أمل لوجود نوع من الشعر يعتقد أحد الشعراء الكبار في وطننا العربي أنه ملاذنا الأخير.**

إننا عند هذا الحد من الآراء لابد أن نعترف أن الشعر لم يعد فن العربية الأول كما كان، وأن فن الرواية الذي يتصاعد موجُهُ في العالم كله ويتصدر المشهد الإبداعي العالمي ـ على حد تعبير د. جابر عصفور ـ أصبح من العصر، وأصبحنا فعلا نعيش عصر الرواية.



جزيرة إلّيسمِير في أقصى الشمال من كندا ومن الكرة الأرضية، هي جزيرة «اللاوسط» في كل شيئ، فرغم أن الثلوج تغطيها، إلا أنها تُصنف على أنها صحراء ورغم مساحتها التي تزيد عن ٧٥,٠٠٠ ميل، لا توجد بها سوى قرية وحيدة عدد سكانها ١٠١ فرد.

في الشتاء تغرق الجزيرة في الظلام الدامس، وفي الصيف يستمر ضوء الشمس المتصل أربعة أو خمسة شهور.

وصل إليها الشماليون من سكان اسكندنافيا في بداية القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت لهم علاقات وسفارات مع العرب المسلمين.

إلّيسمِير

جزيرة في سقف العالم!

إعداد: قسم الترجمة

عاشر أكبر جزيرة

تُعدّ جزيرة إلّيسمير أكبر جزر كوين إليزابيث وأكثرها بُعدًا في الشمال من كندا، وتعد – أيضًا – عاشر أكبر جزيرة في العالم، تغطي مساحتها حوالى ٧٥,٥٦٧ ميلا مربعا، أي ما يماثل حجم كل من إنجلترا وإسكتلندا معًا، تصل إلى ما وراء خط عرض ٨٣° شمالاً وتمتد حوالى ٥٠٠ ميل من الشمال إلى الجنوب.

تتراوح درجة الحرارة بين ٧٠ فهرنهيت في الصيف و – ٧٠ (٧٠ تحت الصفر) فهرنهيت في الشتاء. وتقدم الأرض وجهين أساسيين للحياة لا وسط بينهما: الضوء والظلام. فخلال الصيف القطبي تدور الشمس مرة حول الأفق كل يوم، وبالتالي تغرق الجزيرة في حمام من الضوء مدة أربعة أو خمسة شهور في العام، وهذا هو وقت «الوفرة النسبية» إذ تنتهز الدببة القطبية الفرصة وتستفيد من المياه الذائبة في البحث عن الطعام، وتستمتع أيايل بيري وثيران المسك بالفاكهة التي تنضج في هذا الوقت الذي يمثل موسم نموها، على حين تمثل الأرانب الوليدة طرائد لذيذة للذئاب القطبية. ولكن كيف تعيش هذه المخلوقات وغيرها طيلة أربعة أو خمسة شهور من الظلام الدامس؟ هذا هو السؤال الحقيقي.

والواقع أن الجزيرة مجدبة جدًا، لدرجة أن أقرب شجرة تنمو على مبعدة ١٢٠٠ ميل إلى الجنوب منها، أسفل الدائرة القطبية. ورغم أن كثيرًا من أجزاء الجزيرة تكسوه طبقة من الثلج يصل سمكها إلى أكثر من نصف ميل إلا أنها تستقبل كمية تتراوح بين ٢ و٤ بوصة من البخار المكثف الذي يتحول إلى مطر، ولذلك تُصنف على أنها صحراء.

رغم أن جزيرة إلّيسمير منعزلة إلا أنها متميزة، فهي تتميز بالحقول الثلجية الضخمة والأنهار الجليدية والجبال التي يبلغ ارتفاعها ٨٥٠٠ قدم وجبال الجليد الهائلة الطافية.

ولا تقدم الجزيرة أدنى كرم أو ضيافة للآدميين أو الحياة الفطرية، إذ لا يعيش في هذه المساحة الهائلة سوى ٣٥٠ شخصًا، منهم عسكريون يقضون آمادًا قصيرة الأجل ويرحلون، وموظفون علميون، بالإضافة إلى قرية وحيدة للأسكيمو تقع في طرف الجزيرة الجنوبي.

تسعة شهور ثلج

يحط معظم زائري الجزيرة رحالهم في «إيوركا» أولاً، وهي واحدة من محطتين مهمتين للرصد الجوي في الجزيرة، وقد تم بناؤها أولاً على الساحل الغربي في عام ١٩٤٧ م بمساعدة الولايات المتحدة. وعندما تنخفض درجة الحرارة في شهر مارس إلى أقل من ٥٠ درجة فهرنهيت يقوم فنيو الإلكترونيات وعددهم تسعة بجمع البيانات وإرسالها إلى مصلحة البيئة المناخية في كندا.

وتُعين موارد الجزيرة الهزيلة أنواعًا قليلة من الثدييات الأرضية، ومع الخضرة النادرة التي يغطيها الثلج تسعة شهور في السنة تجد آكلة النباتات مثل الأرانب وثيران المسك والأيايل أن عليها بذل جهدٍ مضنٍ لإيجاد طعام كافٍ، وهذا يعني – أيضًا – عملاً «شاقًا» لكل من الذئاب والثعالب القطبية وسائر آكلات اللحوم مثل القاقوم (حيوان من فصيلة بنات عرس).

ولعل أكثر ما يسترعي الانتباه هنا هو الذئاب القطبية التي تمت مراقبتها لمدة ١٢ أسبوعًا في نفق مكشوف، وكانت نتيجة الملاحظة أشياء لا تُصدق. فعلى مبعدة ١٠٠ قدم من عرين للذئاب سبعة ذئاب بالغة وستة جراء صغيرة جميعها تغط في نوم عميق، وفجأة قفز أرنب قطبيّ فوق هضبة لا تبعد سوى ٣٠ قدمًا عن أقرب ذئب، وعندما اكتشف الأرنب أنه قريب من الذئاب تجمد في مكانه لحظة، ثم انطلق في خط مستقيم متجهًا إلى أعلى الهضبة، وفي هذه الأثناء استيقظ أحد الذئاب وبدأ في مطاردة فاترة للأرنب. ولكن في النهاية تمكن الأرنب من الفرار وعاد الذئب ليغط في نومه ثانية!



غابات متحجرة كانت فيما مضى موطنا للخضرة اليانعة والحيوانات الغريبة

السياحة في الصيف

يُعدّ فصل الصيف هو فصل السياحة في إلّسمير.

وفي كل عام يُحضِر «المتعهد» عددًا قليلاً من المسافرين من «ريسوليوت» في جزيرة «كورن واليس» إلى بحيرة هازين التي يبلغ طولها ٤٤ ميلاً، ويحيط بها ما يشبه أعواد الثقاب الخشبية. وتمثل منحدرات الجبل القريبة من البحيرة، والتي تواجه الجنوب «مُستقبِلات» عملاقة للطاقة الشمسية عبر البحيرة، في حين تتدفق الينابيع من قممه المغطاة بالثلوج صيفًا، وبالتالي تعكس مزيدًا من الحرارة وتخلف وراءها واحة حارة.

وفي عام ١٩٨٦ م وضعت متنزهات كندا تصميمًا لتخصيص ١٥,٢٥١ ميلا مربعًا من هضبة هازين ليكون متنزهًا وطنيًا في المستقبل. وكان القرار مثيرًا للجدل والخلاف، فقد دافع أنصار القرار عن مشروع المتنزه بقولهم: إن الحاجة ملحة للسيطرة على المناطق الهشة، حيث تدوم آثار الأقدام عشرات



قلعة كونجر وقد تحولت إلى ثلاثة منازل على يد بعثة بيري فيما بعد

الستين، وإن عدد الزائرين لن يزيد عن ٥٠ أو ٦٠ فردًا في العام. وكان رد المعارضين أن المتنزه سوف يجذب مزيدًا من الناس بما فيهم البيروقراطيون، وهذا يعني نهاية الطبيعة الفطرية الحقيقية للمنطقة.

ولكن هل يحوي الوجه المكسوّ بالصقيع للجزيرة أرض مستنقعات بدائية دافئة؟

لعل ما توصل إليه د. جاك ماكميلان من المسح الجيولوجي الكندي يوضح هذا الأمر، فحينما كان يبحث في واحدة من أربع غابات متحجرة تم اكتشافها تبين له أن بعض الأشجار الحمراء المتساقطة غير المتحجرة يمكن أن تعود إلى ٤٠ أو ٦٠ مليون سنة مضت.

كذلك كشف دليلاً آخر، أنه خلال عصر الأيوسين كانت السحالي الكبيرة والحيات العاصرة والسلاحف والتماسيح وحيوان التابير ـ الخنزير الأمريكي ـ والليمور الطائر ـ يوجد حاليًا في جنوب شرق آسيا فقط ـ كانت كلها تعيش في غابات إلّيسمير. ولكن يبقى سبب هذا التغيير العنيف في المناخ سرًا غامضًا لا يعلمه سوى الله عز وجل.

ثيران المسك

لا يدري أحد على وجه الدقة كم عدد حيوانات ثيران المسك، التي تعيش الآن في إلّيسمير. وفي عام ١٩٦٢ م قُدر عددهم بنحو ٤٠٠٠ ثور، وهذا يمثل نصف عدد الثيران التي تعيش في الجزر القطبية الشمالية تقريبًا.

وفي مطلع هذا القرن قتل مكتشفو الجزيرة نحو ١٠٠٠ ثور لتناول لحومها، وحاليًا تعيش الثيران بمعدل حيوان في مساحة ٣,٢٨ ميلا مربعا، ومن دراسة آثار هذا الحيوان

يمكن معرفة كيف يدبر احتياجاته اليومية من نبات البردي والمريمية، ففي الشتاء تتجه الثيران إلى السهول الفسيحة المنبسطة، وفي الصيف تتجه إلى المناطق الرطبة حيث تنبش الارض بأظلافها بحثًا عن جذور النباتات. يزن ذكر ثور المسك ٦٠٠ رطل والأنثى ٤٠٠ رطل والثور الوليد ١٠٠ رطل، وإذا كان هناك شيء بالنسبة لثيران المسك يجعلها تبدو أنها لا تنحدر من جنس واحد، فهذا يعود إلى أنها تنتسب إلى كل من الأغنام والماشية ولكنها لا تنتمي إلى أيهما، ولعل تصنيفها الخاص هو **Ovibos**، وأقرب قرين حي لها هو **Takin** وهو مخلوق يشبه الماعز ويعيش في جبال الهيملايا.

يحدث التزاوج في شهر أغسطس، وعندما تبدأ الثيران في القتال لامتلاك واحدة أو أكثر من الأبقار يمكن سماع أصوات تصادم رؤوسها من على بُعد نصف ميل.

وتولد الثيران الصغيرة عادة فيما بين منتصف أبريل إلى منتصف يونية وتصبح الأبقار قادرة بالفعل على الحمل، ويحدث الاستثناء الوحيد عندما يكون فصل الشتاء قاسيًا على غير العادة.

وتعيش الثيران في القطيع قريبة من بعضها في خط واحد أو في شبه دائرة أو حتى في دائرة كاملة لكي يسهل الدفاع عن أنفسها ضد العدو المهاجم. وفي صيد لا يُصدق قتل قطيع من الذئاب ثلاثة من صغار الثيران في غضون دقائق قليلة، ومع ذلك ظلت الثيران البالغة في مكانها دون أية مبادرة للدفاع.

قرية جريس فيورد

بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة تقع قرية جريس فيورد بعدد سكانها البالغ ١٠١ فرد. وفي هذه

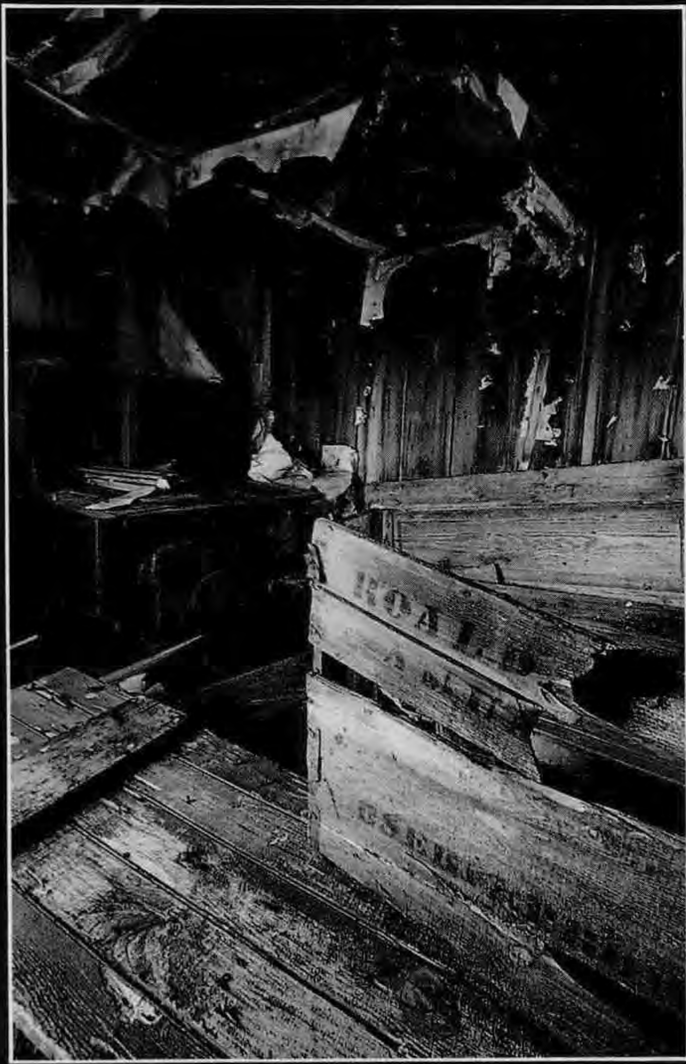


واحد من الإسكيمو الذين جُلبوا من خليج هدسون للسكن في القرية الوحيدة وقد عاصر بعثات علمية عديدة

القرية يبدو أن «إسكيمو إلّيسمير» نجحوا في تكامل عاداتهم مع مادية الرجل الأبيض. وفي القرية يستخدم معظم صيادي الأسماك زوارق، ويرحل صيادو الحيوانات في مركبات الثلج مستخدمين بنادقهم من أجل صيد ثيران المسك والفقمة التي يفردون جلودها في أفنية منازلهم ويبيعونها بأثمان مرتفعة. وعندما يقوم واحد من الإسكيمو بقيادة الزائرين لصيد الدببة القطبية خلال الربيع، يمكنه طلب فرق الكلاب بطريقة قانونية، وفي هذه الحالة يمكن أن يحصل المرشدون على مبلغ كبير من المال يصل إلى ١٠٠٠ دولار للصيد الناجح.

وكانت كندا قد قامت بإنشاء قرية جريس فيورد عام ١٩٥٣ م، وذلك بجلب عدد من عائلات الإسكيمو من خليج هدسون، ورغم أن هؤلاء كانوا بالفعل أول من سكن الجزيرة منذ ٢٥٠ سنة تقريبًا إلا أن الوثائق الأرثولوجية تبين أن شعوب القطب الشمالي كانت قد سكنت إلّيسمير لأكثر من ٤٠٠٠ سنة.

وفي بداية عام ٢٣٠٠ ق. م اقتفت إحدى الثقافات آثار الأسلاف السيبريين، وشقت طريقها في اتجاه



موقد وصندوق مغلق في حجرة بأحد المنازل من معدات حملة لم تتم

الشرق عبر الاسكا، ثم خلال المناطق القطبية الشمالية إلى شبه جزيرة بيتش في إلّيسمير، ولأن جرينلاند تقع على بُعد ٢٥ ميلاً من هذا المكان عبر المياه المفتوحة صيفًا أو بحر الثلج الصلد شتاءً، تمثل إلّيسمير بذلك نقطة عبور طبيعي بين كتلتي أرض كبيرتين. وفي نحو عام ١٠٠٠ بعد الميلاد اتجهت ثقافة بدائية في تدفق ثانٍ في اتجاه الشرق مؤلفة من القوم المعروفين باسم **Thule**.

وقد بينت المدونات أن «الفايكنج» زاروا إلّيسمير في بداية القرن ١٢، وكانت لهم علاقات تجارية مع قوم **Thule**، والدليل على هذا موجود في شفرات سكاكين ومسامير قوارب مبرشمة، مَزاريد ومصنوعات يدوية أخرى عُثر عليها قرب شبه جزيرة بيتش.

وفي حوالي عام ١٧٠٠ م وبعد فصول شتاء قاسية دامت ٥٠ عامًا هجر **Thule** الجزيرة متجهين إلى جرينلاند.

الأيايل تؤثر السلامة

تنتشر في الجزيرة حيوانات أيايل بيري، وقد نُسب نوعها إلى روبرت ـ اي ـ بيري الذي استخدم الجزيرة قاعدة لحملته عام ١٩٠٩ م إلى القطب الشمالي.

وبين عامي ١٩٠٥ و١٩٠٩ م أي على مدى أربع سنوات قتل رجال بيري نحو ١٠٠٠ أيّل من أجل اللحوم، ولا يزيد وزن الذكر من هذا النوع الفرعي عن ٤٠٠ رطل، وهو



ثيران المسك ذات الوبر الخشن متأهبة للدفاع عن أنفسها



زهور الخشخاش لها جاذبية خاصة عند الأرانب!

الأصغر في كل الأنواع التي تنتشر في جميع أنحاء أعالي المنطقة المتجمدة القطبية.

ولأن معدل توالد هذا الحيوان مرتفع جدًا يُعتبر حيوانًا خالدًا. وفي مسح أُجري عام ١٩٦١ م قُدر أن عدد أيايل بيري في الجزيرة يُقدر بحوالي ٢٠٠، ولذا اعتبرته كندا حيوانًا مهددًا بالانقراض. وتتغذى أيايل بيري على أنواع عديدة من النباتات مثل: الأشنة والطحالب والبردي والصفصاف. وتقوم الأيايل بالحفر في الثلج بواسطة قوائمها الأمامية لكي تصل إلى الحفرة الموجودة تحت الأرض، ولكنها تواجه أزمة شديدة خلال شهر يونية إذا تغذت فقمة الثلج على غذائها، وتواجه أزمة أكبر عندما تفد ثيران المسك إلى مناطقها بحثًا عن الطعام نفسه الذي تتغذى عليه، وفي هذه الحالة تؤثر الأيايل السلامة وتصعد إلى المرتفعات البعيدة بحثًا عن طعامها.

الأرانب والخشخاش

تلفت أزهار الخشخاش - التي يُستخرج منها الأفيون - أنظار الأرانب القطبية، لذا تقوم بمصها مثل حلمة زجاجة الإرضاع!

وتمثل الذئاب القطبية العدو الحقيقي للأرانب، ويبقى لون أرانب إلّيسمير أبيض على مدار السنة، وتعتني الأنثى بصغارها الذين يُطلق عليهم «الخِرانق»، ويشبه لون فرائها الرمادي القاتم عند الولادة لون معظم الأشياء الموجودة حولها، ولكن يكفي الذئب ذا النظر الحاد أن ينظر ثانية واحدة لكي يدرك أن «الكومة» التي تبدو مثل الأحجار هي وجبة جيدة للأكل، وعلى الفور يبدأ الهجوم؛ وعندئذ تبقى صغار الأرانب في مكانها متجمدة من الخوف، ويمكن أن تلقى حتفها على الفور إذا لم ينجح أحد الأرانب البالغة في لفت أنظار الذئب في اتجاه آخر.

وتفقد الأرانب الصغيرة «ذوات اللون الحجري» قدرتها على التمويه عندما يتحول لونها إلى الأبيض الناصع في الأسبوع الرابع من عمرها.

يبلغ وزن الأرنب في هذه الأصقاع حوالي ١٢ رطلا، ويعيش على أكل الصفصاف ـ ويستخرج ـ أحيانًا الأغصان من بين الثلج. وفي آخر شهر يونية تلد الأنثى خمسة أو ستة صغار يُولدون وأعينهم مفتوحة يغطيهم بعض الفراء، وفي الأسبوعين الأولين من أعمارها تكون بلا حول ولا قوة، لا تتحرك تقريبًا، وهذا يجعلها طعامًا سائغًا للذئاب.

إن عادة الأرنب في رفع ساقيه الخلفيتين تخدمه بشكل جيد جدًا في هذه الجزيرة، إذ إن هذه الحركة تمكنه من اكتشاف وجود ذئب على مسافة ميل أو أكثر، وفي هذه الحالة يقف على ساقيه الخلفيتين مثل الكانجارو، ثم يسقط على الأربع بين حين وآخر، وهذا يعطيه قدرة أكبر على المناورة، كما إنها فرصة جيدة لكي تظل عيناه على الذئب الذي يتعقبه.

قلعة كونجر

في الجزيرة توجد قلعة كونجر Conger Fort، وكانت بمنزلة قاعدة في الطريق إلى القطب استخدمها المكتشفون الرواد، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ خاصة في حياة روبرت ـ اي ـ بيري ومن تبعه أو سلك



جليد وصقيع وجبال جليدية طافية : في ملامح بارزة في الجزيرة

مسلكه . وفي عام ١٨٧٥ م أنشأ الكابتن جورج نيرس أول قاعدة في إلّيسمير، وبعدها بست سنوات قاد أ . و . جريبلي حملة علمية اتخذت مركزًا لها قريبًا من مكان كانت إحدى سفن نيرس قد جنحت فيه، وأطلق عليه جريبلي اسم «قلعة كونجر» . كان البرد في الجزيرة يتكفل بتقديم «براد طبيعي» لطعام الرجل الأكول، إذ كان الطعام في البداية متوافرًا بكميات هائلة حتى إن قائمة طعام أحد الأعياد كانت تشمل «حساء سلحفاة، سمك سالمون، لسان ثور متبل، سلاطة كابوريا، لحمًا بقريا مشويا، بطًا، لحم طائر الْغلمُوت مفرومًا ومحمَّرا (طائر بحري)، بطاطس، ذرة خضراء، فاصوليا خضراء، كعكة جيلي، حلوى جوز الهند، هليون، فطيرة خوخ بصلصة النبيذ، آيس كريم، كريز، عنبًا، أناناس، بلحًا، تينًا، ملبس شيكولاتة، شراب البيض (بيض مخفوق مع السكر والقشدة ومشروب قوي) وكان السيكار يُقدم فيما بعد» ولكن هذا الرخاء لم يدم طويلاً، خاصة عندما فشلت سفينتا إمدادات على التوالي في الوصول إلى موقع البعثة، وهنا واجه رجال البعثة الخمسون وقتًا عصيبًا فقد بقي جريبلي وستة رجال فقط على قيد الحياة، وكان ذلك عام ١٨٨٣ م .

وبسبب البرد القارص ظلت «قلعة كونجر» وكأنها لم تلمس، وعندما قام فريق أبحاث ـ مؤخرًا ـ بزيارتها، بعد ما حدث بنحو قرن من الزمن، وجد القلعة وكأنها هُجرت منذ وقت قصير . وعند التصوير من الجو تبدو حدود محطة جريبلي وقد تحولت إلى ثلاثة منازل صغيرة بواسطة حملة بيري في الفترة من ١٨٩٨ إلى ١٩٠٢ م، وكان بيري بدوره قد فقد عددًا من أصابع قدمه في هذا المكان حيث تجمدت بسبب البرد القارص . وكان أحد المنازل الثلاثة مازال يحتفظ بموقد قديم وبصندوق مغلق للشحن البحري يخص رولاد أموند سن النرويجي الذي أبحر أولاً في المدة من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٦ م في اتجاه الممر الشمالي الغربي، وكان الصندوق



أحد العاملين في محطة الأرصاد يرتدي هذه الملابس الغريبة بسبب البرد الشديد

جزءًا من مخبأ للمؤن والأدوات تركه أفراد من البحرية الدانماركية عام ١٩٢٠ م لحملة خطّط لها أموندسين ولكنها لم تتم أبدًا .

الشماليون والغرب

الشماليون أو الفايكنج **Norse** هم سكان إسكندنافيا (السويد والنرويج والدانمارك) في الفترة من القرن الثامن إلى العاشر الميلادي، وكانوا قد دأبوا على الإغارة على سواحل أوربا الشمالية والغربية والجزر القريبة منها وعلى روسيا بقصد النهب والسلب بادئ الأمر، ثم التجارة والاستقرار، بل إنهم اكتشفوا بقاعًا جديدة واستوطنوها كجزيرتي آيسلاند وجرينلاند . أما تسميتهم بالشماليين فهي منسوبة إلى الجهة التي قدموا منها وهي شمال أوربا، وقد عرفهم المسلمون في المغرب والمشرق بعد إغاراتهم على سواحل الأندلس وعلى أراضي المسلمين في أذربيجان وجنوب بحر الخزر (بحرقزوين) . وقد أطلقت المصادر العربية المشرقية على الشماليين القادمين من بلاد السويد عبر روسيا اسم الروس أو الروسية . وكان هؤلاء يزاولون التجارة منذ البداية عبر أنهار روسيا مع تجار المسلمين، وقد تم العثور خلال القرنين الماضيين على كميات هائلة من الدراهم العربية في خبيئات في أكثر من ألف موضع معظمها في جزر بحر البلطيق وشرق بلاد السويد وقرب ضفاف الأنهار في روسيا، وبالقرب من ساحل السويد الشرقي عُثر على ٥٠ ألف درهم عربي، فقد كان أهالي هذه البلاد يقدرون الفضة ويسعون جاهدين لاقتنائها، وكانوا يخبئونها أو يتزينون بها ويستعملونها في مبادلاتهم، وكان تجار المسلمين يشترون منهم بالدراهم الفراء والجلود والعنبر .

لونك المفضّل

ما علاقته بشخصيتك ؟

ــ ومن يفضل الألوان الغامقة المعتمة فهو الانطوائي الذي يشعر بالضيق .

ــ ومن يحب اللون الأحمر فهو يحب السيطرة والحدة والاستفزاز .

ــ اللون الأزرق هو لون التشوق للولاء والاستسلام ، لون الهمود والعاطفية .

ــ اللون البنفسجي يعبر عن الغموض والتردد وعدم الالتزام .

ــ اللون الأصفر يعبر عن الصفاء والانطلاق

ـ اللون الرمادي يعبر عن راحة النفس والثقة بالناس .

ـ اللون الأسود يعبر عن عدم التغيير والتعمق والثبات .

ــ الألوان الزاهية المشرقة تعبر عن التحرر والانفتاح وحب الانطلاق .

ويفضل الرجال عمومًا اللون الأحمر ، وهو لون النضال والرغبة ، وتحب النساء الأزرق ، وهو لون الحساسية والصبا .

الإيحاء اللوني

كما فتحت طريقة الاختبار النفسي بالألوان للأطباء النفسانيين بابًا كان موصدًا أمامهم ، أمكنهم من خلاله الاطلاع على ما يُخَبَّأ في النفس . فإنه ـ في المقابل ـ يمكن لهذه الألوان أن تؤثر في النفوس ، أو يعطي كل منها مدلولاً وإيحاءً خاصًا .

ـ فاللون الأحمر يوحي بالحرارة والحب والقوة ، وهو قد يحرّض النفس والشهوات ، وإذا طالت فترة التعرّض إليه طالت فترة تحريضه ، وقد يؤدي ذلك إلى تعب نفسي ، مع تسرع قلبي ، لذلك فإنه ينصح بعدم استعماله في غرف النوم ، أو المكاتب حيث يعمل الإنسان يوميًا ، وبالمقابل يُستحب التعرض له عند المكتئبين ، وفي حالات الانهيار العصبي والبرود الجنسي .

ـ اللون البرتقالي هو لون النصر والغنى ، لون النجاح ، وهو اللون المفضل لدى الفلاسفة والحكماء ، يريح الأعمال الفكرية ، ويساعد على التأمل والتخيل ، لذا ينصح باستعماله في قاعات الاجتماعات والصالونات والممرات .

ــ اللون الأخضر هو لون الهدوء والإحسان ، يريح المغضبين ، وَيُهدِئ من نبضات القلب ، لذا ينصح باستعماله لدى المحيطين بالمرضى المصابين بآفات قلبية .

ـ اللون البنفسجي لون الغضب والحزن ، يساعد على الحدس والتحليل الفكري ، يفيد استعماله عند الرغبة في إيصال فكرة ما للمجموع .

ـ اللون الأزرق هو لون اللانهاية والاسترخاء ، يحسّن الحالة النفسية ويريح الحالة العصبية ، ويخفف من الانفعال ، يُنصح باستعماله في غرف النوم لأنه يوحي بالراحة ويبعد الأرق .

ــ اللون الأصفر هو المتمم للون الأزرق ، استعماله يؤدي إلى التوازن النفسي والانسجام الروحي . يُنصح باستعماله في صالات الطعام ، حيث يوحي بسرعة الهضم ويبعد الإمساك . ويؤدي اللون الأصفر الغامق إلى الشعور بالكآبة ، ويوحي بالجمود ولذا يتوجب الابتعاد عنه لدى المتشائمين .

ــ اللون الأبيض يوحي بالوضوح والصفاء والنقاء ، يخلط غالبًا مع غيره ، وهو يهدئ من الانفعال والعوامل العصبية ، ويخفف ردود الفعل .

ـ اللون الأسود يوحي بالحزن والأسف ، لكنه يظهر جميع الألوان الحارة إذا ما ترافقت معه .

عمىٰ الألوان

هي الحالة التي تختلط فيها الألوان على العين ، فترى أحدها في مكان الآخر ، وذلك بسبب عيب مرضي في الخلايا المستقبلة للأصبغة في العين ، وهذا العيب قد يكون خلقيًا وراثيًا ، أو ناجمًا عن تناول بعض الأدوية ، أو التدخين .

وعمىٰ الألوان الخلقي هو عيب واسع الانتشار ، تنقله الأم إلى أبنائها دون أن تكون مصابة به ، وهو عيب يصيب الذكور دون الإناث ، ويرى فيه المصاب اللون الأحمر أخضرًا ، وهو لايستطيع تمييز اللون الأحمر ، ويُدعى هذا العيب مرض دالتون ويعاكسه مرض ناجيل ، وفيه يختلط الأحمر بالأخضر كذلك ، ولكن بصورة معاكسة ، إذ يرى المريض كل ما هو أخضر ، بلون أحمر .

أما عمىٰ الألوان المكتسب ، فهو الاضطراب في تحديد اللون ، والناجم عن مرض في العين أو في العصب البصري .

وإصابة العين بمرض الساد ـ كاتاراكتا ـ يحيل الألوان جميعها إلى الأصفر والبني ومشتقاتها ، وبعد استئصاله في العين يغلب على العين اللون الأزرق في كل ما تراه ، ولعل في لوحتي الفنان الفرنسي كلود مونيه اللتين رسمها في عام ١٩٢٢م واسمهما « بيت جيفرني تحت الأزهار "La Maison de Giverny sous les roses خير مثال على ذلك . فقد رسم هذا الفنان ــ بناء على طلب من طبيبه ـ اللوحة نفسها مرتين ، كانت الأولى بالعين اليمنى التي أجريت لها عملية استئصال الساد ، والثانية بالعين اليسرى التي كانت مصابة بمرض الساد ، وغلب اللون الأزرق على اللوحة الأولى بينما كان اللون الأصفر هو الغالب على اللوحة الثانية .

كذلك فقد انطبعت لوحات الفنان فان كوخ باللون الأصفر ، بسبب إفراطه في التدخين وتناول الكحول ، ومن المعروف أن هاتين المادتين تؤديان إلى سمِّيَّة على مستوى العصب البصري ، ومنها اضطراب الألوان ، وغلبة اللون الأصفر .

كما يحدث لدى المصابين بالداء السكري صعوبة في تمييز الألوان ، وخاصة اللونين الأصفر والأزرق ، ويستفاد من هذه الخاصية في الكشف المبكر عن الإصابات السكرية .

وهناك نوع من الإصابة يدعى عمى الألوان القشري ، وفيه تستقبل العين اللون بشكل سليم ، ولكن الدماغ يعجز عن تفسيره وتحليله .

وبعد ، فإن علم الألوان علم قديم منذ أيام الفيلسوف أفلاطون ، الذي كان يعرّف اللون بأنه عبارة عن شعلة تتوهج في الأجسام وتتجمع في العين ، فتعطي ذلك الشعور المسمّى لونًا ، أما أرسطو فكان يقول : إن الضوء هو لون النار . ويتابع حاليًا الفلاسفة وعلماء النفس دراساتهم لتحليل ماهية الألوان ، والكشف عن الروابط بين النفس ومشاعرها ، فكل لون يثير في النفس مشاعر خاصة ، والكيفية التي يتجاوب فيها الإنسان مع الألوان ، هي نسخة طبق الأصل لعالمه الداخلي .

لونك المفضّل ما علاقته بشخصيتك؟

د. سهى محمود غانم

اتفقت المشاعر على اعتبار اللون الأحمر رمزًا للحب، والأخضر رمزًا للأمل، والأسود للحزن، والأبيض للبراءة، والأزرق للأمانة والإخلاص، وذلك نتيجة لما يثيره كل من هذه الألوان من مشاعر خالصة في النفس، يعبر عن علاقة الأحداث النفسية بأحداث في مجال الرؤية بالعين.

ومما لا شك فيه أن العين معيار النفس، وإلا فلماذا تثير رؤية الألوان الكئيبة في نفس الإنسان الشعور بانعدام النشوة وبتعتم الحس؛ ولماذا على العكس تثير الألوان الساطعة مشاعر المرح والسعادة؛ وما السبب في أن مشاهدة بعض الألوان تبعث التفكير والتردد، وبعضها الآخر يبعث الشعور بالثقة ويفعم النفس بالمشروعات؟ لا شك أنه من الصعب الإجابة عن هذه الأسئلة، وأن الإجابة عنها تتطلب معرفة مسبقة للحالة النفسية والخصائص الذهنية، ولكن من الواضح جدًا أن الأسباب لكل ما ذكرنا تكمن في ناحية منعزلة في النفس لم تكتشف بعد ولم يحدد بالضبط مكانها.

ويعرف الرسامون البارعون أن كل لون يمكنه أن يثير بعض المشاعر الخاصة، لذا نراهم يضيفون إلى رسومهم، الألوان التي تستهدف إثارة ما يراد أن يبعث الرسم في النفس من مشاعر، بحيث يعبر الرسم بألوانه عما يعبر به بالكلمات عند الشعراء.

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا كله بكلمات بسيطة، نقول: إن مختلف الموجات الشعاعية التي تصل إلى العين تثير في النفس مختلف المشاعر، وكل موجة منها تبعث شعورًا خاصًا، كالأوتار في البيانو لكل وتر منها نغم خاص به.

ووجود مثل هذا الارتباط الوثيق بين الألوان والمشاعر النفسية، فتح لعلماء النفس المجال لاستعمال الألوان لفحص أحاسيس النفس، والاستنتاج منها لحقيقة الحالة النفسية عند الشخص. فالكيفية التي يتجاوب فيها الإنسان في كل مرة مع لون من الألوان، هي دائمًا نسخة طبق الأصل لعالمه الداخلي ومزاجه وميوله.

فسيولوجية رؤية الألوان

إننا - في الواقع - لا نرى بالعين بل بواسطة العين، وذلك لأن الأشعة الضوئية عندما تدخل العين تحدث فيها تحولات كهربائية، لتنتقل بشكل تيارات كهربائية وبواسطة العصب البصري إلى الدماغ، فالصور التي نراها لا تصل إلى الدماغ بشكل صور كما نراها، بل تصل بشكل مجموعة من التيارات الكهربائية، وفي الدماغ جهاز خاص لقياس طول الموجات، وإرسال كل منها إلى مكان معين في مجموعة الشعور، لتثيره وتحدث في النفس مختلف الأحاسيس.

وتؤدي التيارات الكهربائية المنبعثة من العين والتي تصل إلى الدماغ، إلى إثارة الغدة النخامية لإفراز أنواع مختلفة من الهرمونات، لكل منها مفعوله الخاص في مختلف الغدد الصماء، وهكذا يمكن أن تحرك أحداث الإبصار إلى الحواس الغريزية وأن تسرّع نبضات القلب أو تكبحها، وأن تنشط الدورة الدموية أو تضعفها، ومثل ذلك الكثير من الإمكانات التي يطول تعدادها.

وتُدعى الخلايا المسؤولة عن استقبال اللون في العين بالمخاريط، وتوجد على مستوى الشبكية، وبالتحديد في مركزها الذي يدعى «اللطخة الصفراء». ولا تستطيع العين تحديد اللون ما لم ترافقه درجة معينة من الإنارة، ويتعلق اللون بالضوء الذي يسقط عليه وبالعين التي تلحظه.

وتتألف جميع الألوان من امتزاج الألوان الثلاثة الرئيسة: الأحمر والأصفر والأزرق. ويتعلق اللون بدرجة الإضاءة ونوعها، فإن اللون نفسه قد يبدو مختلفًا حين يُرى في ضوء النهار أو في الإضاءة الصناعية. كذلك فإن اللون الأبيض يبدّد جميع الإشعاعات الضوئية أو الحرارية بينما يمتصها اللون الأسود، أما بقية الألوان فتطرد بعض الإشعاعات وتمتص بعضها الآخر. ويستفاد من هذه الخواص اللونية في المناطق الباردة أو الحارة، إذ تكون أماكن السكن بيضاء اللون لطرد الحرارة والبرودة، وكذلك يتعلق لون اللباس بحرارة الجو لطرد أشعة الشمس أو امتصاصها.

سيكولوجي الألوان

استفاد علماء النفس من العلاقة التي تربط اللون والمشاعر النفسية، بابتكار طريقة للوقوف على الحالة النفسية عند الشخص موضوع الفحص، ومعرفة مزاجه وميوله، ويتم ذلك بعرض ٧٣ لونًا من مختلف التدرجات والمجموعات، ويستطيع الطبيب رسم الصورة الواقعية عن شخصية مريضه، بحسب تجاوب هذا المريض مع الألوان المعروضة، ويختلف تفاعل الإنسان مع الألوان التي يراها باختلاف أدوار حياته. فاللون المفضّل أيام الصبا يصبح مرفوضًا عند الشيخوخة؛ ويمكن اتخاذ «التفضيل اللوني» مقياسًا للسن النفسي، فالذي تجتذبه الألوان الحمراء والصفراء، يكون أصغر سنًا نفسيًا من الذين تجتذبهم الألوان الرمادي والبنفسجي والأسود.

الجهاد في الفقه الإسلامي

د. شوكت محمد عليان

الجهاد لغةً مصدر جاهد جِهادا ومُجاهَدة، وجاهَد: على زِنة فاعَل، من جهد إذا بالغ في قتل عدوه، وغيره، ويقال جهده المرض وأجهده إذا بلغ به المشقة، وجهِدَت الفرس وأجهدته إذا استخرجت جهده.

والجَهد بالفتح المشقة، وبالضم الطاقة، وقيل: يقال بالضم وبالفتح في كل واحد منهما، فمادة (ج هـ د) حيث وجدت ففيها معنى المبالغة (١).

والجهاد شرعًا بذل الجهد في قتال الكفار خاصة (٢).

وللجهاد إطلاقات أخرى فمنها:

١ - **مجاهدة النفس**: ويتصور جهاد النفس في حملها على تعلم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها.

٢ - **مجاهدة الشيطان**: ويتصور جهاد الشيطان في دفع ما يأتي به من الشبهات، وما يزينه من الشهوات.

٣ - **مجاهدة الفُسّاق**: ويتصور جهاد الفساق في منعهم من فسقهم، وتأديبهم.

٤ - **مجاهدة الظَّلَمَة**: ويتصور جهاد الظلمة بمنعهم من الظلم، والعمل على ردّ الظُّلامات إلى أصحابها، والعمل على إقامة العدل بين الناس جميعا.

٦ - **مجاهدة الكفار**: ويتصور جهاد الكفار في دفعهم وصدهم باليد واللسان والقلب، وقد يكون بالمال كما في قوله تعالى: **﴿وجَاهِدوا بأموالِكم وأنفُسِكم في سبيلِ الله﴾** التوبة ٤١.

حكم الجهاد

الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ومحل ذلك فيما إذا قام به من يكفي، وإلا فلا يسقط عن سائر الناس الأقرب فالأقرب، ويأثم الجميع بتركه.

والدليل على أن الجِهاد فرض كفاية، ولا يأثم من تركه وهو قادر عليه قوله تعالى: **﴿لا يَستوي القاعِدون مِنَ المؤمنين غيرُ أُولي الضرر والمجاهِدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فَضَّل اللهُ المُجَاهِدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكُلاً وَعَدَ الله الحُسْنَى﴾** النساء ٩٥. وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين على جهاد غيرهم.

وقوله سبحانه: **﴿وَمَا كان المؤمنونَ لِيَنفِرُوا كافّةً، فلولا نَفَر من كل فرقةٍ منهم طائِفَةٌ لِيَتفَقَّهوا في الدين وَلِيُنذِروا قومهم إذا رَجَعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾** التوبة ١٢٢ ولأن الرسول ﷺ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه.

ويكون الجهاد متعيّنا على كل قادر عليه في ثلاثة مواضع:

الأول: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر القتال الانصراف، وتعين عليه القتال حينئذ لقوله تعالى: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فَاثْبُتُوا...﴾** الأنفال ٤٥، وقوله تعالى: **﴿يا أيُّها الّذين آمَنُوا إذا لَقِيتُمُ الذينَ كَفَروا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهم الأدبارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِم يومئذ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفًا لقتال أو مُتَحيِّزًا إلى فئة فقد بَاءَ بِغَضَبٍ من الله﴾** الأنفال ١٥ - ١٦.

الثاني: إذا هاجم الكفار بلدا مسلما تعين على أهل تلك البلدة قتالهم ودفعهم عنها، والكل في ذلك سواء: الغني والفقير، الذكر والأنثى، الصغير والكبير.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا في سبيل الله اثّاقَلْتُم إلى الأرض﴾** التوبة ٣٨.

حكمة مشروعية الجهاد

شرع الجهاد في الإسلام لأسباب أهمها:

١ - **دفع الظلم ونصرة المظلوم.**

٢ - **منع الفتنة في الدين.**

٣ - **منع الإخراج من الوطن بغير حق.**

٤ - **كفالة حرية العبادة للناس جميعا.**

تكليف الأمة بتحقيق العدل في الأرض يقتضي مكافحة الظلم والبغي والفساد

٥ ـ منع الإفساد في الأرض ـ الخروج عن الجماعة وشق عصا الطاعة .

٦ ـ صد العدوان على المسلمين والذود عن محارمهم .

٧ ـ حمل الناس على إقامة الحق والعدل والخير بتطبيق شرع الله .

وإذا كان ذلك فالجهاد إذًا لدفع الأذى والمكروه، فهو بهذا من سنن الكون الطبيعية، فالحيوانات تذود عن حوضها، وتدفع الشر عن نفسها، إذا اعتدى عليها غيرها من بني الإنسان أو جنس الحيوان، بما أودع الله فيها من آلات الدفاع، فكيف لا يذود الإنسان العاقل المفكر عن حوضه وحماه، ويصد المعتدي عليه وعلى دينه ووطنه ؟!

وفي ضوء هذا يكون الجهاد مشروعا في كل دين، فلولا الجهاد لأكل القوي الضعيف، ولذهبت الأرواح والأموال والأعراض، ولما استقام للناس أمر؛ لأن الظلم والعدوان إذا لم يصادمها مصادم خربت الدنيا، وتلاشى نوع بني الإنسان، كما أن العدل عليه إعمار البلاد وبه تسعد الحياة، قال الله تعالى :

﴿ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهم ببعض لَفَسدتِ الأرْضُ ولكنَّ اللهَ ذو فضلٍ على العَالَمِين﴾ البقرة ٢٥١ .

وكم في القرآن الكريم من آيات تشير إلى أن الرسول ﷺ لم يُرسَل لإثارة الحروب، وإنما ليدعوَ الناس إلى الطريق المستقيم وخيري الدنيا والآخرة، حيث أرسِل للناس ﴿ مبشرًا ونذيرًا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦ .

وما من غزوة من غزوات الرسول ﷺ إلا والسبب فيها اعتداء المشركين على المسلمين، كغزوة الخندق، وغزوة بني المصطلق، أو نقض في العهود كغزوة بدر الكبرى .

فالأمة الإسلامية مكلفة بتحقيق العدل في الأرض، وهذا التكليف يقتضي أن يكافح المسلمون الظلم والبغي وكل عوامل الفساد حيث كان . وأن يعملوا على إزالة أسبابه لا ليتملكوا الأرض ومنافعها، أو يستذلوا أهلها، أو يتحكموا في رقابهم، بل لتحقيق كلمة الله في الأرض خالصة من كل غرض، فكل قتال في سبيل الله هو جهاد في سبيل الله، وسبيل الله هو سبيل الحق .

وبالجملة فكل طريق للوصول إلى الحق أو حمايته أو الدفاع عنه هو في سبيل الله .

قال تعالى : **﴿الذين آمَنُوا يُقَاتِلون في سبيل الله، والذين كَفَرُوا يُقَاتِلونَ في سبيل الطاغوتِ فقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيطان﴾** النساء ٧٦ . والطغيان معناه مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان فهو طاغ، وكذلك إذا تجاوز الإنسان الحد وعلا في الأرض، وراح يفسد فيها ويستعبد الناس، ويسلبهم حقوقهم، ويحرمهم ثمرات الأرض وخيراتها، فذلك هو القتال في سبيل الطاغوت الذي ندد به الله وجعله شعار الكفار.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : **«مَنْ قَاتَلَ لِتكونَ كلمةُ الله هي العليا فَهو في سبيلِ الله»**[٣] فالمسلمون عامة منتدبون لتحقيق كلمة الله في الأرض، ورفع الظلم عن الأفراد والجماعات في أقطار الأرض كافة، بقطع النظر عن ألوانهم وهويتهم وأديانهم، وتحقيق النظام الصالح الذي يسعد البشرية .

دليل مشروعية الجهاد

دل على مشروعية الجهاد الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

أما الكتاب فآيات كثيرة منها :

﴿فَمَنِ اعتَدَى عَلَيكم فاعتَدُوا عليهِ بمثلِ ما اعتَدَى عليكم﴾ البقرة ١٩٤ ، **﴿وَقَاتِلُوا المُشرِكِين كافَّةً كما يُقَاتِلُونكُم كافَّةً﴾** التوبة ٣٦ ، **﴿كُتِبَ عَلَيكمُ القتالُ وهو كُرْهٌ لكم وَعَسَى أن تكرَهُوا شيئا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحِبُّوا شيئا وهو شَرٌّ لكم﴾** البقرة ٢١٦ ، **﴿وَجَزاءُ سَيِّئةٍ سيئةٌ مِثلُها﴾** الشورى ٤٠ ، **﴿يا أيُّها الّذين آمَنُوا قَاتِلُوا الّذينَ يَلُونكُم مِنَ الكفَّار﴾** التوبة ١٢٣ ، **﴿يَا أيُّها الذين آمَنُوا إذا لَقِيتم الذين كَفَرُوا زَحْفًا فلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ﴾** الأنفال ١٥ ، **﴿قَاتِلُوا الذين لا يُؤمِنُونَ باللهِ ولا باليومِ الآخِرِ ولا يُحَرِّمونَ ما حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ ولا يَدِينونَ دينَ الحَقِّ من الذين أوتُوا الكِتابَ حتى يُعطُوا الجِزيَةَ عن يَدٍ وهمْ صَاغِرُونَ﴾** التوبة ٢٩ ، **﴿ وَقَاتِلوهم حتى لا تَكونَ فتنةٌ ويكونَ الدِّين لله﴾** البقرة ١٩٣ ، **﴿أُذِنَ لِلَّذينَ يُقاتَلُون بِأَنَّهم ظُلِموا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهِم لقدير، الذين أُخرِجُوا من ديارهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا اللهُ﴾** الحج ٣٩ ـ ٤٠ .

وأما السنّة فأحاديث كثيرة أيضا، منها ما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» وقد حث عليه، ورغب الناس فيه، وشجعهم عليه، وما غزواته ﷺ إلا خير شاهد على مشروعية الجهاد .

واما الإجماع : فقد أجمعت الأمة منذ عهد الرسالة الإسلامية على مشروعية الجهاد، وقاموا به خير قيام، ولم يزل الجهاد قائما إلى يوم القيامة .

أنواع الكفار

الكفار أنواع ثلاثة :

١ ـ **أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى**، وهؤلاء تقبل منهم الجزية، ويُقَرُّون على دينهم إذا دفعوا الجزية لقوله تعالى : **﴿قَاتِلُوا الذين لا يُؤمنون بالله ولا باليوم الآخِرِ ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرّم اللهُ وَرَسولُه ولا يَدِينونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الّذينَ أُوتُوا الكتابَ حتى يُعْطُوا الجِزيَةَ عن يَدٍ وَهمْ صَاغِرونَ﴾** التوبة ٢٩ .

٢ ـ من لهم شبهة كتاب، وهم المجوس، وحكم هؤلاء حكم أهل الكتاب في قبول الجزيـــة منهم وإقرارهم بها؛ لقـول النبي ﷺ: «سنوا بهم سنـة أهل الكتاب». (٤)

٣ ـ مـن لا كتاب لهم ولا شبهـة كتاب، وهم من عدا مـا ذكرنـا من عبدة الأوثان، وهؤلاء لا تقبل منهم الجزية، ولا يقبل منهم سوى الإسلام لعموم قوله تعالى: ﴿وقاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُم كافَّةً﴾ سورة التوبة ٣٦.

أما أهل الكتاب فمخصوصـون بقوله جل وعلا ﴿مِنَ الَّذين أُوتُوا الكِتابَ حتى يُعطُوا الجِزيَةَ عن يَدٍ وهم صَاغِرُونَ﴾. والمجوس كذلك مخصوصون بقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتـاب» وما عدا ذينك الصنفين يبقى على مقتضى العموم.

فضل الجهاد

مـر بنا الحكمـة من شرعية الجهـاد وهي ولا شك حكمـة شريفة لا يعـدل فضلَهـا فضلٌ، ولا يـزن شرفهـا شرفٌ، وأي شيء أفضل، وأي عمل أجلّ من الـدفاع عن الـدين، ودفع الأذى عن المسلمين، والـذود عن النفس والعـرض والمال؟ وأي رجل أرفع قـدرا، وأطيب ذكـرا، وأعظم عند الله أجـرا، وأكبر في الناس فخرا، من رجل يجود بنفسه في سبيل الله؟

قال تعالى: ﴿ لا يَسْتوي القَاعِدونَ مِن المُؤْمنين غَيْرُ أُولِي الضَّرر والمجاهدون في سَبيلِ اللهِ بِأمـوالهم وأنفُسِهِمْ فَضَّل الله المجـاهِـدِينَ بـأمـوالهم وأنفسهم على القَاعِدِينَ دَرَجةً وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنى وَفَضّل اللهُ المجاهِدِينَ على القاعِدِينَ أجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء ٩٥.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَـرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِم أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وأولئك هُمُ الفَائِزُونَ﴾ التوبة ٢٠.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «لغدوة أو رَوْحَةٌ في سبيل الله خَيرٌ من الدنيا وما فيها» (٥) أي إن هـذا القـدر من الثواب خير من الثـواب الـذي يحصل لمن حصلت له الدنيا كلها فأنفقها في طاعة الله تعالى، يؤيد هذا ما رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشا فيه عبد الله بن رواحة فتأخر ليشهد الصلاة مع النبي ﷺ فقال لـه النبي ﷺ: «والّذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم». (٦)

وعلى كل فالمراد من ذلك تسهيل أمـر الدنيا وتعظيم أمـر الجهاد. وعن أبي عبس الحارثي قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: مـن اغبرّت قدماه في سبيل الله حرمـه الله على النار». (٧) وهذا أيضـا يدل على عِظَم فضل الجهـاد وعظم قدره، فإن مجرد مس الغبار للقدم كان من مـوجبات السلامة من النار، فكيف بمن سعى وبذل جهده واستفرغ وسعه؟

وروى أبو سعيد الخدري قال: قيل: يا رسول الله أيّ الناس أفضل؟ قال: «مؤمن مجاهـد في سبيل الله بنفسه ومـاله» (٨) ولأن الجهاد بـذل النفس والمال، ونفعـه يعم المسلمين كلهم، صغيرهم وكبيرهـم، قـويهم وضعيفهم، ذكـرهم وأنثاهم، فغيره لا يساويه في نفعه وخطره، فلا يساويه في فضله وأجره.

آداب الجهاد

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّـذينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئـةً فَاثْبُتُـوا واذكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعلَّكُم تُفْلِحـون. وَأَطِيعـوا اللهَ وَرَسولَـهُ ولا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَلُـوا وَتَـذْهَـبَ رِيحُكُمْ واصبِرُوا إن الله مع الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال ٤٥ ـ ٤٦.

ومما يستفاد من هاتين الآيتين ما يلي:

١ ـ الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة.

٢ ـ ذكر الله في الحرب لما له من تأثير فعال في النفس.

٣ ـ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولاة الأمر في القتال.

٤ ـ عدم التنازع؛ لأن النزاع في حال الحرب مدعاة للفشل والهزيمة.

٥ ـ الصبر على الشدة؛ لأن الصبر في الحرب من أعظم اسباب النصر.

وكـان رسول الله ﷺ إذا أمَّـرَ أميرا على جيش أو سريـة أوصـاه في خاصتـه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قـال: اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغـزوا ولا تغُلُّوا ولا تغدروا ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فَادْعُهُم إلى ثلاث خصال، فـأيتهن ما أجابوك فاقبل منه وكُفّ عنهم، ادعُهُم إلى الإسـلام، فإن أجابـوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعُهُم إلى التحـول من دارهم إلى دار المهـاجـرين، وأخبرهم أنهم إن فعلـوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهـاجرين، فإن أبَوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكـونــون كـأعـراب المسلمين يجري عليهم الــذي يجري على المسلمين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمـة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبَـوا فَسَلْهم الجزية، فإن أجابـوك فاقبل منهم وكـف عنهم، وإن أبَوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادرك أن تجعل لهم ذمة الله وذمـة نبيه، فـلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيـه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تَخْفِرُوا ذمتكم وذمـة أصحابكم أهونُ من أن تخفروا ذمة الله وذمـة رسوله. وإذا حـاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فـلا تنــزلهم على حكم الله، ولكن أنـزلهم على حكمك؛ فـإنك لا تـدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا. (٩)

وروى أبو داود عن أنس أن رسـول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلاً صغيرا ولا امرأة، ولا تَغُلُّوا، وضمـوا غنـائمكم، وأَصلِحــوا وأَحسِنـوا؛ إن الله يحب المحسنين». وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشـه قال: اخرجوا باسم الله تعالى تقـاتلون في سبيل الله من كفـر بـالله، ولا تغدروا ولا تغلّـوا ولا تمثّلوا ولا تقتلـوا الولدان ولا أصحاب الصوامع. (١٠)

وعن يحيى بن سعيـد أن أبا بكـر بعث جيوشـا إلى الشام فخـرج يمشي مع يزيـد بن أبي سفيان وكان يـزيد أمير ربع من تلك الأربـاع فقال: إني موصيك بعشر خلال: لا تقتل امـرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطع شجـرا مثمرا ولا تخرب عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة ولا تعقرن نخلا ولا تحرقه ولا تغلل ولا تجبن. (١١)

الجهاد في الفقه الإسلامي

المسلمون اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد

من جملة هذه الأحاديث نفهم أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان ومن في حكمهم، وإلى ذلك ذهب مالك والأوزاعي، حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم. وذهب الشافعي والكوفيون إلى الجمع بين الأحاديث، فقالوا: إذا قاتلت المرأة جاز قتلها، لما روي عن رياح بن ربيع، أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رياح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها - يعني وهم يتعجبون من خلقها - حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته، فأفرجوا عنها، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال ما كانت هذه لتقاتل، فقال لأحدهم، الحق خالد، فقل له، لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا.(١٢)

فهذا يقتضي أن المنع من قتل الصبيان والنساء؛ لأنهم لا يقاتلون، فأما إن قاتلوا فإنهم يُقْتَلون؛ لأن العلة التي منعت من قتلهم عدم القتال منهم، فإذا وجد القتال منهم وجدت علة إباحة قتلهم. وإذا خرج الجيش للحرب فلا يجوز لأحد أفراد الجيش أن يمارس أيّ عمل غير أعمال الجيش، ولا يخرج من المعسكر الذي يعسكر فيه إلا بإذن قائده لقوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾**.

ولأن القائد أعرف بأحوال الناس وحال عدوهم، فإذا خرج من المعسكر بغير إذنه ربما صادف كمينا للعدو، فيأخذونه أو يقتلونه، أو يضطر المسلمون لتغيير محل عسكرهم فجأة، فيعود الخارج فلا يجد رفقته فيهلك.

والخدعة في الحرب جائزة فليست منافية للآداب؛ لأن النبي ﷺ قال «الحرب خُدعة».(١٣)

خلاصة

ويمكننا أن نستنبط من جملة هذه الأحاديث أنه:

١ - لا يجوز المباغتة بالهجوم.

٢ - لا يجوز قتل المدنيين الذين لا يشتركون في القتال.

٣ - لا يجوز التمثيل بالأعداء.

٤ - لا يجوز الإتلاف والتخريب في الحيوان والنبات وسائر الأموال.

٥ - لا يجوز الغدر والخيانة.

٦ - يجب احترام العهود والمواثيق.

٧ - مشروعية إعطاء الأمان.

٨ - لا يجوز الغلول.

٩ - الغنيمة من حق المقاتلين.

١٠ - يجب احترام رجال الدين.

١١ - الضرورات تبيح المحظورات.

١٢ - يتعين حماية حقوق المستأمن.

١٣ - لا يعاقب أو يحاكم أحد جنود المسلمين أثناء الحرب، وليس معنى هذا نفي العقوبة أو المحاكمة بالكلية، وإنما المراد به تأجيل المحاكمة وتنفيذ العقوبة إلى ما بعد انتهاء الحرب.

١٤ - ينبغي لجند المسلمين إظهار التواضع والتقشف والصلابة وعدم التكبر والخيلاء لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ الناس﴾ الأنفال ٤٧.

١٥ - إذا صحب جيشُ المسلمين نساءً أو أطفالا، فلا ينبغي وضعهم في مقدمة الجيش أو في الحصون لئلا يقعوا في الأسر.

١٦ - إذا حضرت الصلاة اجتمع الجيش وصلوا صلاة الخوف وهي أفضل من صلاتهم متفرقين.

١٧ - على الجندي المسلم إخلاص النية في الجهاد، والتجرد لدعوة الله، وحب الشهادة في سبيله، والصبر والثبات برحابة صدر وسعة أفق.

١٨ - على الجندي المسلم طاعة قائده والوقوف عند توجيهاته، فهو أعرف منه بسير المعركة.

١٩ - على الجندي المسلم عدم الخوف من الموت، والحرص على الحياة، والإيمان بالقضاء والقدر.

٢٠ - على قائد الجيش أن لا يتخذ محل قيادته في مكان وعر، بحيث يشق على جند المسلمين الوصول إليه، وأن يشاور خيار جنده ويأخذ برأيهم إذا ما استحسنه.

الهوامش

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (مادة: جهد)، والمطلع على أبواب المقنع لأبي الفتح البعلي ص ٢٠٩.

(٢) در المنتقى شرح الملتقى ج ١ ص ٦٤٠، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر وسائر كتب الفقه.

(٣) رواه الجماعة. انظر صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٨ تحت باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وصحيح مسلم بشرح النووي في باب الإمارة، ونيل الأوطار ج ٨ ص ٣٣.

(٤) المغني لابن قدامة ج ٦ ص ٣٦٣ من حديث عبد الرحمن بن عوف.

(٥) نيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٢٦، وفتح الباري ج ٦ ص ١٣ رقم ٢٧٩٢.

(٦) نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٦، وفتح الباري ج ٦ ص ١٤.

(٧) نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٦.

(٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٦.

(٩) نيل الأوطار ج ٨ ص ٥٢، وصحيح مسلم ١٢/ ٣٧.

(١٠) نيل الأوطار ج ٨ ص ٧٢.

(١١) نيل الأوطار ج ٨ ص ٧٤.

(١٢) المنتقى للباجي ج ٣ ص ١٦٦، وما قبله ص ٧٢.

(١٣) نيل الأوطار ج ٨ ص ٥٧، وصحيح مسلم ج ١٢ ص ٤٥.

نظرية حازم القرطاجني

في دراســة الأجناس الأدبيــة

بقلم: د. علي لغـزيـوي

يـذهب عدد من الـدارسين المحـدثين إلى أن دراسة الأجنـاس الأدبيـة، والسعي إلى بناء نظـريـة في الأنواع الأدبيـة من اهتمامات الـدرس النقدي الحديث؛ لأن الوعي بطبيعة الأجنـاس، وبالفروق النوعية بينهـا لـم يتسع إلا مع الوعي المنهجي الحديث الذي سعى إلى تحديد ماهية الأدب، ووظيفته، وضوابطه ومواصفاته، والتمييز بين هذا الفن وذلك لإبراز مقوماته.

ومما يعزز بـه هؤلاء موقفَهم أن العصر الحـديث قد عرف نشوء مجموعـة من الأجناس الأدبية، بما يـرتبط بها من ضوابط وخصائص، مثل القصة والرواية والقصيدة الدرامية والمسرحية . . . وغير ذاك من الأجناس الجديدة.

ويذهب آخرون إلى أن الاهتمام بـالأجناس الأدبية ضارب في أعماق التاريخ، فهم يعـدون كتاب (فن الشعر) لأرسطو، ـ الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد باليونان ـ أول دراسة معروفـة في تاريخ الأدب، عنيت بوصف الأعمال الأدبية، وتمييز أجناسها وما بينها من خصائص مشتركة.

ولكن اللافت للانتباه، أن أحدًا لم يُعْنَ بتتبع **جهود النقاد العرب القدماء في هذا المجـال، اللهم إلا إشارات نادرة ومقتضبة، فقد ألفنـا أن نجد معظم الدراسات النقدية، بما فيها الدراسات الغربية والعربية، تنتقل في الغالب من أرسطـو إلى رواد النهضـة الأوربية الحـديثـة، ومن ذلك على سبيل المثـال لا الحصر، مـا ذهب إليه** لارسل ابركرومبيLascelles Abercrombie، حين قـرر أن أكبـر اسم في تاريخ النقـد بعـد **أرسطو هو** هـوراس، Horace، وأن الشخصيـة المهمة بعــد هوراس هـو دانتيDante ، الـذي كـان يـرى أن **أرسطـو** هو إمـام العـارفيـن (١).

وقد تبعه **في ذلك صاحبا (نظرية الأدب)، فقررا أيضا «أن مؤلفات أرسطو وهوراس مراجعنا الكلاسية لنظرية الأنواع»**(٢).

أما جهـود النقاد العـرب فلا تكاد تـذكر، حتى من قبل الـدارسين العرب المحدثين أنفسهـم، وهكذا يذهب دارس، مثـل **الأستاذ خلدون الشمعة** في تعليله ما يطبع الرؤية النقدية العـربية من تشويش في هذا المجال إلى غياب نظرية عربية، وفي ذلك يقول:

«وكـان لغياب نظـرية تصف هـذه الأجنـاس في الأدب العربي، وتحـدد ملامحهـا عن طريق اكتشاف نقـاط التشابـه والتمايز بين جملـة المبدَعـات الأدبية التي تشكل جنسا أدبيا معينا، أثـرُه البيّن في هذا التشويش في الرؤية، فكأن عـدم وجـود القصة القصيـرة بمعنـاهـا هـذا الحديث أمـر يضيـر الأدب العربي» (٣).

اضطراب المصطلح

وجوابا عن السؤال: ما الجنس الأدبي؟ يشير الأستاذ خلدون الشمعة أنه «ليس ثمة معادل لهذا المصطلح في النقـد الأدبي، وإن كانت كلمتا (نوع) و (شكل) تُستخدمان في مـوضع (جنس) أحيانا، وهذا يـؤكد أن المصطلح ما يزال مقلقلا، وغيـر مستقر حتى الآن، بل لعل هذا مما يشيـر إلى الاضطراب الذي يحيط بمسألـة تطور نظرية واضحة للأجناس الأدبية» (٤).

وبذلك لـم يعد الأمر يقتصر على غيـاب نظرية في الأجنـاس الأدبية في النقــد العـربـي، بل أضيف إلى ذلك مشكـل آخر هــو **فوضى المصطلح واضطرابه**، ولا يقف الأمـر عنــد هـذا الحـد، إذ يضـاف مشكل ثـالث إلى المشكليـن الســـابقين؛ ذلـك أن مصطلـح (جنس) أو (نـــوع) فـي العربية، و(Genre) أو(Genus) في الـلاتينيـة لا أصل له في العـربيـة، بل يذهبون إلى أن العربية قد أخذتـه عن اليونانية (٥).

وليس غرضنا أن نناقش هذه الآراء فنتصدى لها بالتأييد أو التفنيـد، وإنما نـرمي إلى التنبيه علـى جهد من جهـود نقـادنا القـدمـاء في دراسة الأجنـاس الأدبية، ولكن دون أن ندَّعي وجود نظرية محددة متكاملة، وإن كان ذلك لا يمنع من القول بوجود وعي بطبيعة كل جنس من الأجناس التي كانت معروفـة لديهم، بل إننا نذهب إلى ما هو أبعد فنؤكد قدرتهم على التمييز بين كل منها

نظرية حازم القرطاجني

في دراسة الأجناس الأدبية

في التصور والمصطلح، سواء أتعلق الأمر بمستوى الإبداع وشروط الإنتاج وصفاته، أم بمستوى التلقي وما يرتبط به من قوانين وضوابط في الفهم والتفسير.

وهكذا فإن النقاد العرب القدماء لم يكتفوا بإطلاق مصطلح (جنس) على كل فن أو نوع، مثل جنس الشعر، وميزوا فيه بين القصيد والرجز، وجنس النثر، وميزوا فيه بين الخطابة والرسالة والمقامة والمثل، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فاستعملوا مصطلح (الجنس) بالمفهوم الذي يعرفه النقد الحديث، وإنْ كان ذلك في نطاق ضيق، فقد قارن الآمدي بين العلم بأنواع الثياب، والجواهر، والخيل . . . وتمييز أجناسها، وبين العلم بأجناس الكلام، وعقب على هذه المقارنة بقوله :

«فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة، فكذلك المعرفة **بأجناس الكلام من الشعر والخطابة** صناعة، فإذا رجعت في المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضا في المعرفة بهذه إلى أهلها» (٦).

ولم يكتف الباقلاني بذلك، بل وازن بين الشعر والنثر بمختلف فنونهما من جهة، والقرآن من جهة أخرى، فقرر أن «نظم القرآن جنس متميز وأسلوب متخصص» (٧).

وعلى الرغم من هذه الإشارات التي اكتفينا ببعضها، فلا ينبغي أن نبالغ في الحماسة، فندَّعي لهذه الإرهاصات أكثر مما يمكن أن تكون عليه تصورًا ومنهجا ووعيا بالحدود والفوارق والقواسم المشتركة، ولكن دون أن يغيب عنا أيضا أن أي حكم لا يعتمد الاستقراء والاستقصاء سيظل ناقصًا، ولن يخلو من تعسف وشطط، وما دام لا يستحضر جميع الجهود، ولا يقدمها في منظومة بنيوية شاملة.

وفي هذا الصدد، أعتقد أنه لا يمكن إنكار جهد من الجهود التي تحقق فيها غير قليل من النضج في التصور والتفكير والمنهج، وهي أبرز العناصر التي تقوم عليها النظرية في الغالب. ويظهر جليا في هذا النموذج أن صاحبه قد تجاوز حدود التأثير بالثقافة اليونانية، وبالنقد الأرسطي خاصة، إلى مستوى التفاعل النقدي الخلاق كما يقول الأستاذ خلدون الشمعة بحق (٨)، وإن كان قد تركّز على جنس واحد بالدرجة الأولى من غيره، هو جنس الشعر، مما حال دون إحرازه صفة الشمول. ولكن ما يشفع له أنه **استطاع لأول مرة في تاريخ النقد العربي أن يقدم نظرية شعرية متكاملة.**

ذلكم هو **حازم القرطاجني** (ت ٦٨٤ هـ) صاحب كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وهو يمثل جوهرة ثمينة في مدرسة نقدية متميزة في الأدب العربي، تفتح أمامنا أكثر من باب، وتثير في أذهاننا جملة من التساؤلات الكبرى، من شأن البحث فيها أن يفيد نظرياتنا النقدية إلى أبعد الحدود.

ولكن، إذا كان **حازم** قد فعل ذلك منذ ما يزيد على سبعة قرون، واعتبر على سبيل المثال أن **(الإغراب) خصيصة إيجابية من الخصائص التي يتميز بها الشعر**، فكان بذلك يصدر عن فهم شامل لنظرية الأدب العربي واليوناني، كما يقول الأستاذ خلدون الشمعة، فإننا نتساءل مع الباحث نفسه، ونحن نعرض تجربة حازم بإيجاز، بما تثيره فينا من تساؤلات مستفزة، **لماذا كف الفكر العربي عن التساؤل ؟ لماذا استعذب الرضوخ للإيقاع الاستسلامي ليقين استخذائي زائف ؟ !** (٩).

بين الشعر والخطابة

غير أن استعمال الأجناس الأدبية بصيغة الجمع قد يوحي بأن حازمًا قد عني ـ بالفعل ـ بدراسة مجموعة من الأجناس؛ وقد يعزز ذلك الإيحاء ما يردده في منهاجه، من أنه يسعى إلى تقديم قوانين عامة لعلم البلاغة أو صناعة البلاغة، فإذا نظرنا إلى البلاغة باعتبارها علما أو صناعة وجدناها تشمل الشعر والخطابة معا. غير أن الحقيقة هي أنه يُعنى بالشعر دون غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، باستثناء إشاراتٍ متفرقة إلى الخطابة، باعتبار أن علم الشعر وعلم الخطابة أو صنعة الشعر وصنعة الخطابة فرعان من علم البلاغة، وبذلك تكون العلاقة بين الطرفين هي علاقة الكل بالجزء، أو العام بالخاص، فعلم البلاغة عام، وعلم الشعر خاص، وكذلك علم الخطابة وصنعتها.

تلك هي الحصيلة التي يخرج بها الباحث في قضية الأجناس الأدبية، ولكنه يلاحظ أيضا أن إشارات حازم إلى الخطابة بوصفها جنسا أدبيا مستقلا يختلف عن جنس الشعر لا تخلو من قيمة، بل إننا قد لا نظفر بمثلها في أي مصنف نقدي آخر غير **منهاج البلغاء**، وذلك ما يجعلها صالحة للبحث عن الخطوات المنهجية، والتصورات النظرية لدى حازم بشأن الخطابة، كما هي الحال بشأن الشعر موضوع الكتاب ومادته التي تشغله أكثر من أي جنس آخر، وكل حديث عن جنس آخر، إنما هو خدمة لجنس الشعر ورافد له.

ولعل الأدق والأكثر صوابا أن نقول مع الدكتور جابر عصفور: «**إن حازما يعالج علم البلاغة من زاوية الشعر على وجه التخصيص أو التحديد، فهو في كل ما تعرّض له في كتابه (منهاج البلغاء) أو على الأقل ما وصلنا من الكتاب، مهتم كل الاهتمام بالشعر، بل إنه عندما يتجاوز الشعر إلى الخطابة، فإنما يفعل ذلك لمزيد من تحديد ماهية الشعر ومهمته وأداته على السواء**» (١٠).

غير أنه قد لا يستبعد أن يكون حديثه المزدوج عن الشعر والخطابة معًا، ناتجًا عن سعيه إلى تحقيق المزاوجة بين آثار كتابي (الشعر) و(الخطابة) لأرسطو كذلك.

وانطلاقـا من هذه المـلاحظات، نقف وقفـة قصيرة عند منهـج حازم في دراسة الأجناس الأدبيـة، وفي مقدمتها جنس الشعر بالـدرجة الأولى، ثم يليه جنس الخطابة، اعتمادا على الإشارات المقتضبة عنها في منهاجه، في إطار علم عام هو علم البلاغـة بطبيعة الحال.

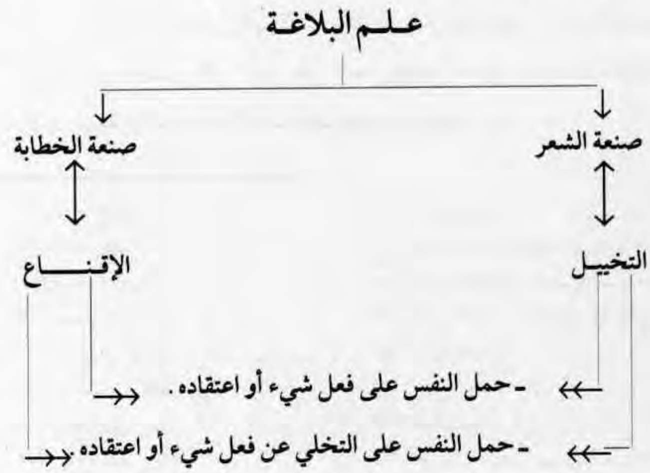
منهجـه وتصوره

لقد كـانت جهود حازم القـرطاجني في منهـاجه **محاولـة مخلصـة لوضع قانون أو فلسفة للبلاغة متمثلة في فـن العربية الأول: فن الشعر، باعتباره أهم الأجناس الأدبيـة**، وخـلال ذلك يُعنى بالخطـابـة، بوصفهـا جنسـا ثانيـا من الأجناس التي عرفها العرب، محاولا تحـديد أوجه الاتفاق، وأوجه الاختلاف بين هذين الجنسين الأدبيين، مشيرا إلى ما قـد يقع من تداخل بينهما وإمكان استعارة أحدهما من الآخر بعض مقوماته وخصائصه.

وهو ينطلق من نظريـة تقوم على اعتبار (**علم البلاغة**) أصلا مشتملا على صناعتـي الشعر والخطابـة باعتبـارهما فـرعين من ذلك الأصل [١١]. حسب التصّور الآتي:



وبنـاء على ذلك يسعى إلى تحـديد نقـاط التقـاطع والاختلاف، ونقـاط الاشتراك والاتّفاق، فالقاسم المشترك بين الشعر والخطابة هو مادة المعاني، كما يشتركـان في الوظيفة أو الأثر الذي يحـدثه كل منهما في نفس المتلقي، ولكنهما يختلفـان في الوسيلـة التي يتـوسل بها كل منهمـا: فالشعـر يعتمد على التخييل، والخطـابـة تعتمـد علـى الإقنـاع، أمـا الغـايـة فـواحـدة في الحالتين، ويمكن توضيح ذلك بواسطة المخطط التالي:



شعرية الخطابة وخطابية الشعر

ولكن ذلك لا يمنع من إمكـان اعتماد الشعـر شيئا من الإقنـاع؛ واعتماد الخطـابـة شيئـا من التخييل، دون أن يطغى أحـدهمـا على الأصل في ذلك الجنس، حتى لا يخرجـه عن حقيقته، إذ المعتبـر في حقيقة الشعر إنمـا هو التخييل والمحـاكـاة في أي معنى اتفق ذلك [١٢]، بل إنـه لا يفارق البـرهان والجـدل والخطابـة إلا بما فيـه من التخييل والمحاكـاة [١٣]، أما مـا تقوم بـه صنعة الخطابة فهو الإقناع بالدرجة الأولى [١٤].

وما أشار إليه **حازم**من إمكان اعتماد أحدهمـا على وسيلة الجنس الآخر، راجع إلى كـونـه أصيـلا أو دخيـلا، **فـالتخييل أصيل في الشعـر دخيل في الخطـابـة، والإقنـاع أصيل في الخطـابـة دخيل في الشعـر**، «فمـا كـان من الأقـاويل القياسيـة مبنيا على تخييل ومـوجـودة فيه المحـاكاة فهـو يُعدّ قـولا شعريا، سواء كانت مقدماته بـرهانية أو جدلية أو خطابية يقينية أو مشتهرة أو مظنونة، ومـا لـم يقع فيه من ذلك بمحاكاة، فلا يخلو من أن يكون مبنيا على الإقناع وغلبة الظن خاصة، أو يكون مبنيا على غير ذلك، **فإن كان مبنيا على الإقناع خاصة كان أصيلا في الخطابة، دخيـلا في الشعر سائغا فيه، وما كان مبنيا على غير الإقناع، مما ليس فيه محـاكاة، فإن وروده في الشعر والخطابة عبث وجهالـة...**» [١٥].

وهكـذا يتضح أن الشعـر والخطابـة وإن كـان كل منهمـا جنسا مستقـلا بذاته، فهما راجعان إلى أصل واحد هو (علـم البلاغة)، بالإضافة إلى إمكان استعارة أحدهما من الآخـر وسيلته، ومن ذلك أن الشعر يمكن أن يعتمد على الاستـدلال، وإن كان يـرى أن أكثر مـا يستـدل به في الشعـر يكون بـالتمثيل الخطابي، ويمثل لـه بقول أبي تمام: (بسيط)

أخـرجتمـوه بِكُـــرْهٍ من سجيتــه والنار قد تُنتضَى من ناضر السلم [١٦]

ففيه حكم على جزئيٍّ (الشطر الأول) بحكم موجود في جزئيٍّ آخر يماثله (الشطـر الثاني)، ويستنتج حـازم من ذلك أنّ الأقـاويل التي بهذه الصفـة خطـابية بمـا يكـون فيهـا من إقنـاع، شعريـة بكـونهـا متلبسـة بالمحاكـاة والخيـالات [١٧].

حـدود التداخـل

غير أن حازما يضع حـدودا مرسومة لتداخل الشعر والخطـابة، ينبه عليها حتى لا يتحول الشعر إلى خطابة، أو الخطـابة إلى شعر، وهو يعلل ذلك بما بين الشعر والخطابة من وحدة واتفاق في المقصد والغرض، فيقول:

«وإنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوّم به الأخرى؛ **لأن الغرض في الصناعتين واحد**، وهو إعمال الحيلـة في إلقـاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه، فكانت الصنـاعتان متآخيتين؛ لأجـل اتفاق المقصد والغرض فيهما. فلذلك **ساغ للشاعر أن يخطب، لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر، لكن في الأقل من كلامه**» [١٨].

ويضيف حازم معيـارا آخر لهـذا التداخل؛ فبالإضـافة إلى إلحـاحه على

القصد والاعتدال، يشترط أيضا معيار التبعية والتناسب، إذ ينبغي في نظره «أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل مخيّلة مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيّلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكّدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة» (١٩).

وكما يقدم حازم النموذج المثالي للتداخل بين جنسي الشعر والخطابة ويرسم حدوده، فإنه يقدم أيضا الصورة المرفوضة لذلك التداخل، وهي الصورة التي يخرج فيها الشاعر من حدود الشعرية، ويغرق في الخطابية، والعكس، «**فإن جاوز حدَّ التساوي في كلتيهما، فجعل عامة الأقاويل الشعرية خطابية، وعامة الأقاويل الخطابية شعرية، كان قد أخرج كلتا الصناعتين عن طريقتهما، وعدل بها عن سواء مذهبها، ووجب رد قوله** (. . . . . . .) (٢٠). ولنسبة كلامه إلى ما ذهب به من المذاهب المعنوية، لا إلى ما هيأه به من الهيئات اللفظية، وأن تعد الخطابة في ذلك شعرا، والشعر خطابة، فيكون ظاهر الكلام وباطنه متدافعين، وهو مذهب مذموم في الكلام»(٢١).

أما مجرد المساواة بين المخيلات والمقنعات في كلتا الصناعتين، فهو يدخل في إطار الإفراط وتجاوز الحد، ومع ذلك يمكن أن يظل مقبولا.

وأما السبب الذي من أجله يستسيغ حازم هذا التداخل بين الشعر والخطابة في إطار الحدود التي يرسمها، والمعايير التي يحددها، فراجع إلى عامل نفسي بالدرجة الأولى، وما له من دور في تجديد نشاط المتلقي والإعانة على تحقيق الغرض المقصود، لما يحس به من راحة، عن طريق النقلة من أسلوب لآخر، بل إن ذلك أيضا دليل على الافتنان في مذاهب الكلام من قِبَل المبدع، ولهذه الأسباب جميعها، ما تعلق منها بالمبدع، شاعرا كان أم خطيبًا، وما تعلق منها بالمتلقي، وجب «**أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه، وأن تكون الخطابة التي وقعت المراوحة بين معانيها أفضل من التي لا مراوحة فيها**، ولتواخي الصناعتين وتداخل أقاويل كلتيهما على الأخرى قال القائل: (طويل).

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف يجيء بحقٍّ أو يجيء بباطل» (٢٢)

ويعتبر **أبو الطيب المتنبي خير من يجيد أسلوب المراوحة بين معانيه في نظر حازم؛ لأنه يضع مقنعاتها من مخيلاتها أحسن موضع، ويتمم الفصول بها أحسن تتمة، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة**، ولذلك يدعو إلى الائتمام به واتّباعه في هذا المسلك (٢٣)، فبعد أن يذكر مذاهب الشعراء والخطباء في المراوحة بين التخييل والإقناع، واختلافهم بين مقتصد ومفرط، يقول عن المتنبي ومنهجه في ذلك، داعيا إلى اعتماده والاقتداء به.

«وقد كان **أبو الطيب** . . . يحسن وضع البيت الإقناعي من الأبيات المخيلة؛ لأنه كان يُصدِّر الفصول بالأبيات المخيلة، ثم يختمها ببيت إقناعي يعضد به ما قدم من التخييل، ويجم النفوس لاستقبال الأبيات المخيلة في الفصل التالي، فكان لكلامه أحسن موقع من النفوس بذلك، ويجب أن يُعتمد مذهب أبي الطيب في ذلك فإنه حسن» (٢٤).

وإذا كان حازم قد ميز بين الشعر والخطابة هذا التمييز من أجل بيان حدود كل منهما ومقوماته، وما يمكن أن يستعيره أحدهما من الآخر، فإنه يحق لنا أن نتساءل: كيف يجوز للدكتور مصطفى الجوزو أن يقول: إن حازمًا القرطاجني يميل إلى عدم التمييز بين الشعر والنثر؟! (٢٥)، بينما ينوه بعض الدارسين، وفي مقدمتهم الدكتور إحسان عباس، بجهود حازم ومنهجه في الحديث عن كل من الشعر والخطابة والتمييز بينهما، فيقرر أنه «**مما يزيد حد الشعر وضوحا إقامة التفرقة بينه وبين الخطابة**» (٢٦).

وقد كان حازم على وعي كبير بهذه التفرقة وضرورتها، حتى لا يتحول أحد هذين الجنسين إلى الآخر على يد من يجهل أصول الصناعة البلاغية، ولا يدرك مقومات البلاغة الكلية والفروق بين فروعها.

الهوامش

(١) قواعد النقد الأدبي: ١٤٩، ١٥٠. ترجمة محمد عوض محمد، الطبعة، الثانية، بغداد، ١٩٨٢م.

(٢) نظرية الأدب: أوستن وارين - رينيه ويليك: ٢٩٧ ترجمة محيي الدين صبحي، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.، سورية.

(٣) النقد والحرية: ١٢٩ ــ ١٣٠. دمشق، ١٩٧٧م.

(٤) نفسه: ١٣٠.

(٥) نفسه: ١٣٠ هامش ١.

(٦) الموازنة: ١/ ٤١٧ تحقيق السيّد أحمد صقر.

(٧) إعجاز القرآن: ١٥٩ تحقيق السيّد أحمد صقر.

(٨) النقد والحرية: ١٣٣ - ١٣٤ هامش ٢.

(٩) نفسه: ١٥٠.

(١٠) **مفهوم الشعر: ٢٠٥، الطبعة الأولى** ١٩٧٨م دار الثقافة لقاهرة.

(١١) منهاج البلغاء: ١٩ ــ ٢٠. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة الطبعة الثانية: ١٩٨١م - دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(١٢) منهاج البلغاء، ٢.

(١٣) المصدر نفسه: ٧١.

(١٤) نفسه: ٧٠.

(١٥) نفسه: ٦٧.

(١٦) ديوان أبي تمام: ٣/ ١٨٩، تحقيق د. عزام، دار المعارف، القاهرة.

(١٧) منهاج البلغاء: ٦٧.

(١٨) منهاج البلغاء: ٣٦١.

(١٩) نفسه: ٣٦٢.

(٢٠) يشير المحقق إلى وجود بياض في الأصل بمقدار كلمتين والمعنى يتضح من السياق.

(٢١) منهاج البلغاء: ٣٦٢.

(٢٢) منهاج البلغاء: ٣٦١، والبيت من فرائد المنهاج ـ حسب المحقق ـ وهو غير منسوب عنده، وقد وجدته في الشعر والشعراء منسوبا للأحوص، أنشده أمام عمر بن عبد العزيز، : الشعر والشعراء، ٥١٣.

(٢٣) منهاج البلغاء، ٣٦٣.

(٢٤) منهاج البلغاء: ٢٩٣.

(٢٥) نظريات الشعر عند العرب: ٢٢٧ ط الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨١م - دار الطليعة - بيروت.

(٢٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٥٤٥. الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١هـ ــ ١٩٧١م، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة.


المازني

دلالة الرمز في "إبراهيم الكاتب"

د. عبد البديع عبدالله

«إبراهيم الكاتب» عمل من أعمال الريادة في الرواية، كتبها المازني ونشر بعض فصولها فيها بين عامي ١٩٢٥م و ١٩٢٦م بروز اليوسف قبل أن ينشرها كاملة في كتاب عام ١٩٣١م. لذا نرى فيها مزايا الريادة وبعض عيوبها. فيها من مزايا الريادة فطرة الفن، التي تكسبه طابع الصدق من غير تكلف أو تصنع في مسائل الصنعة الفنية، وفيها سعة ثقافة كاتبها، تتجلى في عبارات يلقيها على ألسنة شخصياته، فترفع بعضها فوق حدود قدراتهم، وتدهشك أن ترد مثل هذه العبارات على ألسنة تلك الشخصيات. وفيها من عيوب الريادة عدم تصور المازني لحدود دور المؤلف في العملية الروائية، فيتدخل بصفته «الراوية» تدخلا مباشرا دائما خشنا أحيانا إلى حد إلغاء الإيهام بالفن.

يقول في مقدمة الفصل الرابع: «قبل أن نتقدم خطوة أخرى في هذا التاريخ أو هذه الفترة من حياة صاحبنا إبراهيم، نكر راجعين بالقارئ بضعة أسابيع لنجلو ما عساه يكون شكلا مما أسلفنا قصّه في الفصل السابق»، ويقول: «والقارئ لا بد أن يعلم أن الرجل إذا وقعت من نفسه امرأة، فهو يحضرها إلى ذهنه في صورة هي أحب إليه مما عداها؛ لأن هذه الصورة تكون أعلق بذاكرته وتكون هي المظهر الذي تبدو فيه لخياله حين يتمثلها...».

ويقول: «وننصف ليلى، فنقول إنها طردت هذا الخاطر وهي تمضي إلى غرفتها بالرسائل، وآلت ألّا تقرأ منها إلا بقدر ما تتطلب الضرورة». فالمتكلم هنا ليس راوية الأحداث ولكنه المازني نفسه. ولا أريد أن أعيد إلى الأذهان تلك المعارك التي خاضها الروائي الأمريكي «هنري جيمس» والناقد «بزانت» حول دور الراوي في العمل الأدبي، فقد استقرت الرواية في مصر والبلاد العربية، وتجاوزت هذه المراحل وأصبحت فنا رفيعا بمقاييس الفن العالمية، ولكن أحببت أن أوضح أن ثقافة المازني وغزارة قراءاته واطلاعه على أعمال أدباء عصره، كان من الممكن أن يقفز بفنه من دور الرائد إلى مجددٍ في الرواية، وهو ما فعله «لويس عوض» في روايته «العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح» التي كتبت بعد رواية المازني ببضع سنين.

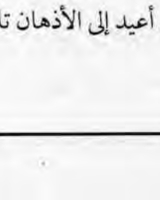
عمل رائد متميز

«**إبراهيم الكاتب**» أثر فني مهم، بشرط أن نعيد النظر في الرواية وننزع عن أنفسنا خدعة التصور الأول المباشر لمعطيات الحدث والشخصيات، ونحاول أن ننزل درجة في العمق ونرى دلالة هذه الشخصيات، فإن فَعَلْنا ضربنا صفحا عما وقف عنده النقد القديم للرواية، ذلك النقد الذي وقف عند حدود القيمة الظاهرية للحدث الروائي، ولم ير فيها إلا محاولة مفككة في طريق الرواية. لا، ليست «إبراهيم الكاتب» محاولة ابتدائية على طريق الرواية العربية، ولا يجب أن ينظر إليها كمحاولة لإسقاط عُقد مؤلفها ومتاعبه النفسية على شخصيات روايته؛ بل هي عمل رائد متميز بشرط أن ندخل عالم «**إبراهيم الكاتب**» - ولا أقول عالم «**المازني**» - من المدخل الذي أراد لنا أن ندخل منه مختارين، فلم يلح علينا في الدعوة، إن شئنا دخلنا، وإن شئنا درنا حول هرمه معجبين أو ناقدين.

رموز ودلالات

أما الدخول إلى عالم «إبراهيم الكاتب» فله باب واحد هو معرفة دلالات

من كتاب العدد



●د. عبد البديع عبد الله إبراهيم

- دكتوراه في الأدب الحديث: الرواية.
- عضو هيئة التدريس في كلية التربية في بورسعيد، جامعة قناة السويس
- من رواياته: بيت صغير في المدينة، العودة إلى الحب، الحريق.
- من دراساته الأدبية: الرواية الآن: دراسة في التأثير الأجنبي في الرواية العربية، طريق التجدد: دراسة في تأصيل التجدد في الرواية، المعاني: نظرة إلى علاقة البلاغة بالنقد.
- نشر مقالات وقصصا قصيرة في مجلات: الفكر المعاصر، إبداع، الحرس الوطني، الفيصل، وصحف يومية عدة.



دلالة الرمز في «إبراهيم الكاتب»

الأشياء، التي ألقى بها في تظاهر بالإهمال ولعله اللامبالاة. والرواية مبنية على مجموعة من الرموز الضاغطة على مؤلفها من طفولته، وقد عبر عنها ببعض التصورات الفنية. حمل رموز طفولته ومحنتها معه حتى كبر وأفرغها في هذا العمل. فإذا تجولنا في مخزن ذكرياته وقفنا عند البيت الذي وُلد فيه، والحارة التي كان يمشي فيها. وقد يكون لهذا التجوال أثره في صاحبنا بعد أن يكون قد كبر وصار إلى ما صار إليه من وعي ورجولة. يصف المازني بيت طفولته وصفًا أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، فيه مبالغة الفنان وحدة شعوره، فيقول :

«ويظهر أن هذا البيت كان لرجل دائم الوجل، يتوقع العدوان ويحذره، فقد كانت بوابته الكبيرة كبوابة المتولي، وكان له رتاج غليظ. أما المدخل فطريق ملتو وفيه مخابئ ومكامن، والمرء لا يستطيع أن يبصر كفه من شدة الظلمة. وكنا نضع مصباحا، ولكنه لم يكن يضيء».

ونلاحظ في هذه الفقرة الإشارة إلى : «الطريق الملتوي. والمكامن والمخابئ، والظلمة الشديدة على الرغم من وجود مصباح».

وفي «**إبراهيم الكاتب**» يحكي الراوي، عند محاولته الخروج من غرفة نومه، بعد أن أيقظه خوار البقرة وأزعجه، وكان يريد أن يدركها ويثأر منها، فيقول : «غير أن الاهتداء إلى باب السلم المؤدي إلى الحديقة استغرق من الوقت وكلفه من المتاعب ما لم يكن يخطر ببال». وسبب متاعبه أن الغرف كانت أبوابها موحدة والمكان مظلم، وعلق على ذلك بقوله : «وقف برهة يفكر في مخرج من هذا التيه فبدا له أن الإشكال يحل بأن يلتمس الحائط ويسير على محاذاته».

فالعناصر المؤثرة الضاغطة ذكرياته في بيت طفولته وهي الطريق الملتوي، والمكامن والمخابئ، والظلمة الشديدة. وهذا في تصوري ليس تصويرا للمكان، وإنما لإحساسه بالمكان أو أثر المكان فيه. وقد ظل أثر هذا البيت ضاغطا على مشاعره حتى عبر عنه في روايته الأولى «**إبراهيم الكاتب**». حينما حاول أن يخرج من غرفته إلى حيث تقف البقرة المزعجة ليثأر منها، فوقع في حالة ضياع، عبر عنها بأنها كلفته من المتاعب ما لم يكن يخطر له ببال، مما أدى به إلى التفكير في مخرج من هذا التيه. تيه !! مع أنه يقف بباب غرفته أو قريبا منه في بيت أقاربه !!

وبدا له المخرج أن يلتمس الحائط ويسير على محاذاته. والوقوف بجوار الحائط دلالة على الاستسلام. هذا الوصف لا يمكن أن يفهم على أنه تصوير مادي للأشياء كما هي، ولكنه تصوير لأشياء تعتمل في نفسه وتحيره، وينعكس أثرها في أكثر رؤاه بساطة، ألا وهي حركته في المكان المحدود «صالة منزل أقاربه»، وهذا أمر جميل أن يحدث للرواية في بواكير ظهورها في أدبنا، ويعني أن الرواية أخذت من فكر كاتبها وجهده الشيء الكثير، الذي يتعين علينا أن نبحث عنه في ثنايا أحاديثه الساحرة، وعرضه السلس لثلاث قصص عاشها بطله مع ثلاث نساء، يبدو فيها ـ ظاهريا ـ عيوب وضعف، وربما تفكك. أقصد أننا يجب أن نحاول تفسير الدلالات التي ألقى بها في سياق الحدث الروائي دون أن يعيرها أهمية أو تركيزا، وهو نوع من الخداع الفني يبعد به عن مظنة التصنع.

المعطيات وعناصر التأثير

أمامنا في «إبراهيم الكاتب» المعطيات الآتية :

١ ـ بيت طفولته وبيت أقاربه الريفي.

٢ ـ الحارة التي عاش فيها طفولته، والريف المحيط ببيت أقاربه.

٣ ـ الجنيّة التي صادفته في طفولته، والزنجية التي تخدم في بيت أقاربه.

٤ ـ الخفير الذي يفترض أنه يحرس الحارة، ولا يحرس شيئا في الحقيقة.

٥ ـ مجموعة من العناصر المساعدة أو اللوازم التي تكشف عن أحوال البطل من الداخل وهي :

أ ـ البقرة ذات الخوار.

ب ـ القوارير التي اصطدم بها في طريقه إلى الحديقة.

ج ـ الدلو التي اصطدم بها فحملها معه وهو متجه لضرب البقرة.

وهذا بالإضافة إلى مجموعة من الشخصيات المؤثرة فيه مثل «نجية» قريبته وهي بمثابة الكاهنة، وتابعتها «سميحة» الشقيقة الكبرى لشوشو. وطرفا القصة ليلى بسموّ مشاعرها، وشوشو بصدقها الفطري. وأخيرا «ماري» التي تتناقض مع ليلى في طبيعتها، فهي امرأة تعيش حيوانية الإنسان، وليست قادرة بحكم طبيعتها على الارتقاء بذاتها وكبح رغباتها.

في بيت طفولته غموض أثار خوفه قديما فقال عنه : «وذات يوم خرجت مع الخارجين في رمضان ثم تركتهم، فلما عدت كان الليل قد انتصف، ولمحت رجلا أو خفيرا مقبلاً وفي يمناه نبوت فسألني : أنت مين ؟ فقلت : أنا. قال الخفير : طيب روح ولا تبجاش تتلكع في السكك بالليل. وأدار عني وجهه».

ويعلق المازني على نصيحة الخفير قائلا : «كأنما كان كل بغيتي أن يجود عليّ بنصيحة».

فالبيت الغامض في الحارة القديمة يحرسها خفير عاجز عن فهم وظيفته وطبيعة دوره، ولا ندري مع كاتبنا ماذا يحرس، «الأشياء أم البشر» ؟. وهو ما دعا الطفل إلى التعليق بقوله : «كأنما كان كل بغيتي أن يجود عليّ بنصيحة». فحاجته كانت أكثر من المساعدة بالنصيحة إلى الفعل، ولكن الحارس لا يفهم

واجبه. وحاول الفتى أن يتصرف ليخرج من الظلام إلى البيت، فقرأ الفاتحة وآية الكرسي، وإذا بذراعين بضتين تلتفان حوله، فلما رفع عينيه أبصر بريقا كالذهب لامرأة ضخمة. كانت المرأة «جنِّية» حاول أن يدفعها فإذا ذراعه تمتد في الهواء فيقع على وجهه، وينهض بأنف وارم وعظام مرضوضة. ويعلق على هذا بقوله: «فهي حارة لعينة كما ترى».

فالخفير صادفه وهو حائر ضائع، وكان من الطبيعي أن يساعده للوصول إلى بيته، بعد أن محا الظلام معالم الطريق، وأشعره بالخوف من المجهول، لكن الخفير كان عاجزًا عن أداء دوره. ولما حاول الصبيّ أن يتصرف ويفعل شيئا يخرجه من مأزقه مستعينا بقراءة بعض السور القرآنية لتثبيت جنانه، كان الخوف المسيطر عليه قد قهره فتمثلت له «الجنيّة» بشكلها المخيف، وسدت في وجهه الطريق. وانتهى أمره بأن وقع على الأرض؛ لأنه كان يدفع «اللاشيء»، فالجنيّة لا وجود لها وإنما هي تهيّؤات تجسدت أمامه، وتحولت إلى ألغاز بعد أن أسدل الظلام ستائر غموضه. وهنا تتبدى دلالة الخفير والجنية. فالخفير الحارس يحرس التقاليد، لكنه لا يعرف كيف يدافع عنها؛ لأنه يفهم الحراسة فهما ظاهريا، يتمثل في حمل النبوت، «وهو أداة مادية عتيقة»، وكثرة التجوال في المنطقة، مجرد تجول يدل على وجوده. لكنه يعجز عن المعرفة التي تؤدي إلى نجاح عمله حارسًا. لذا لا يلتفت إلى الطفل الخائف في ظلام الحارة إلا ليؤكد وجوده هو. أما المساعدة فليست في استطاعته. ولأنه عجز عن الحراسة ظهر الخطر «الجنيّة»، ووقف الطفل أمامها عاجزا.

”

الطريق الملتوي، الظلمة، المخابئ، إسقاطات لذكريات طفولة المازني

“

وكان من الطبيعي أن تظهر «الجنية» للطفل لا للخفير، فالطفل هو الذي تحدى التقاليد وضرب بها عرض الحائط، وخرج من منزله إلى ما بعد منتصف الليل، أو إلى الوقت الذي لا يسمح فيه باليقظة. كان يجب أن يكون في فراشه نائما في حضن أمه، لكنه كان مشاغبا، فكان لا بد أن تؤدبه «الجنيّة» التي هي ـ التقاليد ـ هذه الإصابة المادية التي تذكره بفعلته ما بقي أثر الإصابة. وسنجد نظائر هذه الصور في بيت أقارب «إبراهيم الكاتب» الريفي عند شخصيات مثل «أحمد الميت» «ونجيّة» والجارية الزنجية. والشابة المتعطشة للزواج «سميحة».

فإذا كان **المازني** مشغولا بتبديد ظلام الجهل بنور المعرفة، فبطل قصته مشغول كذلك بالكشف، والكشف في أبسط معانيه إزالة غموض، وتبديد إيهام مجهول بتعرفه عليه. وما يسعى إبراهيم الكاتب ليعرفه أبسط من كل الأشياء، وأعقد منها في آن واحد. يقول الراوي عنه: «وكان دأبه أن يدور بعينيه في نفسه ليطلع على كل ما فيها، وأن يجيلها فيما هو خارج عنها ليحيط بكل ما وراءها، ولكنه قلما رأى شيئا خارجها إلا من خلالها».

أليس هذا هو معنى الكشف. الطريق إلى المعرفة أن يعرف الإنسان نفسه، ويعرف العالم الخارجي من خلال نفسه، وهنا يأتي تفسير «الطريق الملتوي ذي المخابئ والمخابئ والمكامن» في وصف بيت طفولة المازني. إنه البحث عن الأصل بالاكتشاف ومعرفة أكثر الأشياء غموضا في نفسه، أو الظلمة الشديدة على الرغم من وجود مصباح.

فالإضاءة المطلوبة ليست خارجية، ولكنها يجب أن تكون داخل النفس، وهو ما عبر عنه بقوله: «ولكنه قلما رأى شيئا خارجا إلا من خلالها».

ولأنه يريد أن يعرف، كان لا بد أن يصطدم بالتقاليد في أبشع أشكالها تخلفًا وقبحًا فكانت تلك الزنجية التي فاجأته متلصصة: «أين كنت يا سيدي؟»، إنه لم يرتح لهيئتها ولم يرتح لسؤالها وانفجر أمامها غاضبا محتجا.

ونلاحظ حدوث أمر استفز «إبراهيم الكاتب»، وحرك كوامن نفسه، وهو أمر جميل في ظاهره، لكنه مخيف؛ لأنه يسلبه سيادته على نفسه. ذلك هو الحب، فقد وقع في حب «شوشو». ونلاحظ كذلك أن صوت البقرة وما أدى إليه من تداعيات جاء مباشرة بعد أن تمكنت «شوشو» من قلبه، وإن أنكر وكابر دفاعا عن حريته. وقد عبر «إبراهيم الكاتب» عن خشيته من الوقوع في حب «شوشو» على مستويين: المستوى الواقعي ومستوى الحلم. في حديثه عن الفتاة شوشو وصفها بأنها كانت: «لآخر عهده بها قبل عام طفلة». وهي محاولة للتهوين من أثرها فيه فهي في عينيه طفلة. لكن التحول الذي وصلت إليه فرض شخصيتها الجديدة عليه فهي. . «عينها نار، ولحظها حب، وصوتها تغريد. رقيقة كأنها النسيم، جليلة كأنها ملكة، ذائبة حينا، متدللة متجبرة أحيانا، ساخرة طورا وطورا ساذجة غريرة. جميلة في كل حال».

هو لم يقل إن عينيها جميلتان، أو شكلها كذا، بل إنها «نار» ـ أي تخلبه لا بحرقتها، بل بالحب ـ فقال: «ولحظها حب»، وهو رؤيته الخاصة للتوهج في عينيها، وأسره فاجتمعت النار والحب لتترجم إحساسه الخاص.

وفي عينيها تجتمع القوة والضعف، والصلابة واللين، فهي رقيقة كالنسيم، ذائبة حينا متدللة أحيانا جليلة كملكة. هذا ما يراه في الفتاة «شوشو» الناضجة المكتملة الأنوثة التي ذهبت صورتها الجديدة بصورة الطفلة التي تحصَّن وراءها، فلجأ إلى طريق آخر ليحمي نفسه من تأثيرها. . ويقاوم اندفاع مشاعره نحوها، فحاول استصغار النساء جميعا لتدخل بنوعها «الأنثى» فيما عجز عن مقاومته فيها بشخصها فقال:

«إن المرأة عاجزة عن الإحساس بالآلام العامة، عمياء لا تستطيع أن تراها».

ثم يقرن المرأة بالدنيا فيقول:

«هذه هي الدنيا، نصف عمياء، نصف مستوحشة، تصرخ شرقا وغربا وقد أجنها الألم والخطيئة أيضا».



دلالة الرمز في «إبراهيم الكاتب»

فعجز المرأة عنده جزء من العجز العام عند الإدراك. هو الدنيا أو هي الدنيا، ترى نصف الحقيقة؛ لأنها نصف عمياء أو نصف مبصرة. تحمل الشر والخير. الخطيئة والألم، وتصرخ باحثة عن خلاص.

وفشلت محاولة استصغار شوشو، سواء باستعادة صورتها طفلة أمام صورتها شابَّةً، أو بالاستهانة بنوعها وتحقيره. وكان الحلم الترجمة لضعفه وخوفه، وهو المستوى الثاني للتعبير عن عجزه عن مقاومتها:

«ركب جوادا بلا لجام، جمح به في طريق وعر ينحدر على أحد جانبيه نهر جائش، وتعترضه في بعض المواضع قنوات مختلفة ضيقًا وسعة. عليها ألواح من الخشب. وقف الجواد الخبيث فجأة فوق واحدة منها، وأهوى برأسه وقادِمَتَيْهِ إلى الماء ليشرب!».

فإذا كان الجواد الجامح هو الغريزة الفطرية باندفاعها، والطريق الوعر هو الحدود التي تفرضها قنوات التقاليد والأعراف، والنهر الجائش هو تيار الحياة الذي كان من الطبيعي أن يرفد القنوات، لكنها بدلا من أن تنهل من النهر تعترضه وتقف ضد اندفاعه رغم اختلافها ضيقا وسعة، فهي مواقف الناس في المجتمع من دين وعرف، أو إنها موانع طبقية تعترض اندفاع الفطرة بتلقائيتها. ولا يسلم منها الإنسان إلا إذا سار على الجسور التي شرعها المجتمع. والغريب أن الجواد الخثيث وقف فوق واحدة منها وأهوى برأسه وقادمتيه إلى الماء ليشرب. وتركَنَا إبراهيم نفكر في مصيره.. هل سقط من فوق الجواد أو تماسك حتى انتهى جواده من الشرب؟ إن كلمته «أهوى» لا تسمح للظنون بغير افتراض وحيد هو أنه سقط. وهذا ما حدث، أو هو حاله، اندفاع قوي نحو حب «شوشو» التي هي الفطرة، أو الصورة البدائية التي يحن الإنسان إليها، وتوقف مفاجئ يؤدي إلى خلل توازنه واختلاله.

في تصويره لخوار البقرة المزعج يذكر عنصرين من عناصر الطبيعة هما «السماء» وكانت صافية، و«القمر» وكان مضيئا. وصفاء السماء مع القمر المضيء دلالة على صفاء لنفس العاشقة وشفافيتها، فإذا اجتمع معها خوار البقرة كان النداء الجنسي واضحا. وعندما أطل «إبراهيم» من النافذة رأى البقرة إلى جانب الباب، وقد: «مطت عنقها ورفعت عينها إلى السماء». فهو ليس مجرد نداء بل «دعاء» «رفعت عينيها إلى السماء».

ولشوشو دور في الأمر، فقد ارتفع خوار البقرة بعد أن استقر حبها في قلبه، وحاول أن يحمي نفسه من تأثيرها مرة بالسخرية من النساء بشكل عام، ومرة بالاستهانة بها؛ لأنها كانت إلى عهد قريب طفلة. ومن المؤكد أنه فشل في حماية نفسه من اندفاعها فقد تصاعد الخوار، وهو إحساس داخلي بالرغبة إلى حد أنه ذهب ليخرسه فضاع في التيه.

«كنت أريد أن أخرس هذه البقرة التي أزعجتني كما لم تزعجني سيارات القاهرة وأبواقها وترامها وصيحات البائعين فيها».

وهذا أمر طبيعي ـ أن يزعجه خوار البقرة أكثر من أي ضجيج آخر ـ فلم يكن الضجيج صوتا خارجيا بل كان نابعا من داخل نفسه وهو ما عبر عنه ـ الخوار ـ ودلت عليه مجموعة من المفارقات التي صادفته في الليل. ففي الخطوات التي تلت قلقه، وبحثه عن باب الخروج إلى الحديقة ليسكت البقرة، فوجئ بظلمة المكان، واصطدم بدلو، وتعثر بها حسبه غابة من القوارير حتى لم يجد مفرا من أن ينأى عن الحائط مرغما:

«وسار بضع خطوات فإذا به يلتقي بقوارير توهمها غير الأولى، وقال لنفسه: لعل أرض المكان قد فرشت بالقوارير! ثم صادف بعد ذلك برميلا وتعجب وتساءل: هل قررت شوشو أن تقلب الصالة حانة خمار؟

ثم قال: «أترك الصالة وأرمي بنفسي في جوف الصالة، وأدفع أول باب أبلغه». ويعلق: «ألم يقل بشار: وفاز بالطيِّبات الفاتِك اللهِجُ؟». وانتهت محاولاته بأنه بدلا من أن يصل إلى الحديقة وصل إلى سلم خلفي يفضي إلى فناء الحريم، فيعلق قائلا: «وبذلك، صار الجناح الذي ينزل فيه بينه وبين البقرة».

ففي سعيه ليصل إلى البقرة ويسكتها وصل إلى فناء الحريم. ثم يربط بينه وبين البقرة بتلك العبارة الساخرة عن الجناح الذي ينزل فيه. وفي طريقه لإسكات البقرة تعثر بالقوارير وبرميل. فماذا تكون القوارير إلا فكرة المرأة المطلقة. أما البرميل فهو التقاليد العتيقة أو «المعتقة» التي أثارت في نفسه السخرية فكان قوله:

«هل قررت «شوشو» أن تقلب الصالة إلى حانة خمار؟» تعبيرا عن هذا الإحساس. لكن ما تثيره العبارة الساخرة شيء آخر غير السخرية، هو أنه يذكر «شوشو» وهي ليست سيدة البيت المسؤولة عن إدارته. المسؤول عن البيت هو «نجية» سيدته، أما «شوشو»، و«سميحة» فهما أختاها اللتان تعيشان في رعايتها ورعاية زوجها. كان المنطقي أن يوجه نقده لنجية، ولكن الذي سيطر على مشاعره وأثار عواطفه شخصية واحدة جاء اسمها عفوا وفي غير موضعه «هل قررت شوشو... إلخ».

رقابة خارجية

وبعد تعثره يختار البعد عن الحائط ويرمي بنفسه في جوف الصالة ويدفع أول باب يبلغه. فهو يريد أن يخوض التجربة ولذلك اختار عبارة: «أرمي بنفسي في جوف الصالة». مع أن الصالة في أي منزل لا تحتمل مثل هذه المغامرة التي ينوي أن يلقي بها بنفسه فيها. وأما تعليقه على الموقف بالاستشهاد ببيت «بشار» فتأكيد لمشاعره الداخلية «وفاز باللذات الفاتِكُ اللهِجُ» أو وفاز بالطيبات، فقد أراد أن يخرس النداء المتصاعد في قلبه، فعجز، فقرر أن يخوض

> المرأة - عند المازني - مثل الدنيا ترى نصف الحقيقة فقط

التجربة، أو يرخي العنان لنفسه، ويتمرد على سيادة عقله، ولكن الأمر لم يكن بيده وحدها، فهناك رقابة أخرى خارجية يتعين عليه أن يواجهها إذا شاء تحقيق ذاته، هي الرقابة الحارسة للتقاليد، وتتمثل في :

١ - الكلاب التي استدعتها «شوشو» لتكون بقربها في البهو أثناء جلوسها مع إبراهيم. ثم تتركه معها وحيدا مستأذنة لبعض شؤونها هي كلاب حراسة تألف صاحبتها وتنفر من الغريب، ولكنها لا تقترب منه ما دام ملتزما حدود اللياقة، فإذا بدا منه ما يريب تنبّهتْ حواسّها وزامت مهددة. وبقي إبراهيم جامدا في مكانه، حتى كثر لذع البعوض في وجهه ويديه وهو يحاول أن يتجلد، حتى نفد صبره، فسخط وقال : «أبعدوا عني هذه الكلاب وإلا قمت وتركتها تمزقني»، فتظهر «شوشو» من نافذة مطلة على البهو مستغرقة في الضحك. فهل من واجبات الضيافة أن يضع المضيف ضيفه بين لذع البعوض وتحفز الكلاب في زنزانة تسمى البهو، وتتركه متشاغلة عنه حتى يفقد صبره وتتهدده الكلاب . . أم للقصة وجه آخر؟ .

أما أن شوشو تركته وانصرفت لبعض شأنها فأمر غريب، وأما أنه مشغول بها إلى حد نفاد صبره وتهديده بالثورة على حراسه، وهو ما يعني الانتحار فأمر معقول. وقد دل على شغفه تلك اللذعات في وجهه ويديه ورجليه مما أفقده السيطرة على نفسه فهدد بالانتحار، وهنا تتبدى طبيعة الأنثى العابثة بظهورها من النافذة مستغرقة في الضحك، وكأنها كانت على ثقة أنه لن يصمد أمام إغرائها طويلا .

٢ - وكما وضعت أمامه الكلاب لتتأكد أنه لن يسيطر على نفسه أمام إغرائها، حملت جاريتها الزنجية «فاطمة» على التجسس عليه وهو نائم لترى إن كان نائمًا حقا أو أقلقه حبه كما أقلقها. وفي مغامرة نسائية ليلية تصل السيدة وتابعتها إلى حيث ينام إبراهيم الذي كان يقظا يدخن بكثرة، معترفا أن حبه لشوشو تحول «من حب أخويّ إلى جنسيّ، فهل له أن يأمل أن يفوز بها؟». ويكاد في قلقه أن يضرب الخادمة ظنا منه أنها لص، لولا أن استنقذتها شوشو من غضبته، فيفهم كل منهما ما يعانيه الآخر من قلق .

٣ - نجية الأخت الكبرى لكل من سميحة وشوشو تستنكر كل جديد وتعده بدعة وتؤمن بوجود العفاريت، وتخيف بذكرها أهل البيت إلا إبراهيم الذي قال : «إن أساطير العفاريت لا تزعجه»، فذكرت له المارد الذي يظهر لأحمد الميت، وأفزع الحمار الذي كان يركبه، فلم يهتز. وبدا الأمر غريبا، فإبراهيم يستهين بسطوة نجية ومعتقدها الذي سيطرت به على الأسرة. وكان لا بد أن يثبت أحدهما خطأ الآخر. كانت الذراع اليمنى لنجية أختها الوسطى سميحة، فهي أكبر سنا من شوشو، وأحوج منها إلى استخدام قدرتها الخفية عند أختها لامتلاك رجل، فلما أحست نجية بميل إبراهيم إلى شوشو حاولت أن تحول تيار إعجابه إلى سميحة، وتوسلت لتحقيق رغبتها بالسحرة والمشعوذين، كما استعانت بالحيلة والدهاء. ولأن إبراهيم ذكيّ فهم اللعبة وأفسدها وظلت نجية «الكاهنة» يغيظها فشلها. وأدرك إبراهيم إدراكا مبهما أن شوشو لن تكون له. وبدأ النداء من داخله يمهد لفشل هذه العلاقة، وبهذا تكون نجية قد انتصرت نصف انتصار بمنع إبراهيم من شوشو، وإن هزمها إبراهيم برفض الزواج من سميحة، بما تحمله وترمز إليه من تخلف عقلي بمسايرة حماقة أختها الكبرى وتبعيتها لها .

٤ - كانت هناك عناصر في شخصية إبراهيم تمنعه من الانجراف مع تيار عواطفه إلى حد فَقْدِهِ السيطرة على ذاته، بأن كان يقاوم هذا التيار في داخله، وإن لذَّ له في بعض الأحيان أن يستمتع بأوقات السعادة مع شوشو، فهو دائم التفكير في نفسه وفي الآخرين، أو هو كما وصف نفسه ينظر إلى الخارج من داخل ذاته. وهذا نوع من الرجال يميزه عمق النظرة التي تحول دون استمتاعه بلذائذ الحياة وطيباتها ؟ لأنه ينشد الكمال في الإنسان، وهو أمر مستحيل. ومع أنه مرّ في حياته بثلاث نساء لم يجد في واحدة منهن من تصلح رفيقة لحياته، فخرج من كل تجربة ينوء بجراحه ويلعقها .

كانت «ماري» الممرضة مَثَلاً للمرأة الدنيوية البسيطة التفكير والطموح وإثارة الخيال، أو ما عبر عنه قائلا : «إنها استراحة خالية مجعولة للنزهة. ولكن تعبت ومللت أن أحمل حقيبتي الملأى بمؤونتي. سئمت أكل الأطعمة المحفوظة واللحوم الباردة». كان يرى أنه أرفع من أن يضيع ما بقي من عمر معها فتركها. أما شوشو فكانت الفطرة والجمال والبراءة، لذا اندفع إليها بكل حنينه إلى النقاء والطهارة، لكنه استكثرها على نفسه أو استكثر أن يُلقي بها في أتونه الملتهب وقال عنها :

«إن دهرها لم يرعها ولم يشبع أنفاسها إلا استواء ولم تعرف جفونها ألم الدمع الذي يأبى أن ينحدر. فليس جميلا منك أن تثقل صدحاتك بالدمع لعين لم تذق البكاء، وأن تحملها عبء عمرك وهي الغريرة الرقيقة التي تشكو الأنداء، وأن تزعج ألحان حسنها بكلام تغصه بالضوضاء. بل ليس من العدل أن تحيط جمالها بأنقاض حياتك. إنك زلزال يا صاحبي فاحذر». إنها - إذا ما نظر إليها بأحماله التي ينوء بها - طفلة يريد ألا يضيع براءتها مع تعبه ومشقة حياته التي عبر عنها بأنها أنقاض حياة تارة وزلزال تارة أخرى. وكانت ليلى الصورة الأخيرة المناسبة شكلا وعقلا وعاطفة، لكن شيئا في داخله كان يتحفز ليفصل بينه وبين الاندماج المحتمل، فينصهر في التجربة، ويتألم ولا يمتزج بعناصرها. كان يتعذب لأنه عاجز عن التوحد مع الآخرين لأنه كا ن مسخرًا لما خلق له أن يكون نورا يضيء لا وقودا يحترق، وهذا ما وصف إبراهيم الكاتب به نفسه قائلا إنه «يدور بعينيه في داخل نفسه ليطلع على كل ما فيها، ويجيلها فيما هو خارج عنها ليحيط بكل ما وراءها، ولكنه قلما رأى شيئا خارجها إلا من خلالها» .

○ ○



حوار مع: د. حسن وجيه

التفاوض السياسي والتفاوض الاجتماعي بينهما علاقة وثيقة أسعى لإثباتها

أجراه: مصطفى عبدالله

التفاوض وسيلة للتفاهم والتواصل، عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ، وتكتسب هذه الوسيلة أهميتها من كونها أرقى الأساليب في حل المنازعات - سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأمم - لاعتمادها على الحجة والمنطق دون العنف والقوة. وتزايدت أهمية هذه الوسيلة في عالم اليوم تخصصا علميا وفنا معتمدا له أصوله وقواعده ومناهجه الواضحة. وإذا ما علمنا أن الحرب بكل ما تحمله من معاني الخراب والدمار - في ظل التطور المذهل في وسائلهَا على مستوى الآلة والتخطيط والاستراتيجية - هي البديل الأوحد لهذه الوسيلة؛ فإن علينا أن ندرك مبررات الاهتمام بها، والبحث عن سبل ترقيتها بجعلها علما قائما بذاته تقوم بتدريسه أعرق الجامعات في العالم.

ولأن المنطقة العربية من أكثر مناطق العالم اشتعالاً بالصراعات، وأكثرها استهدافا من أعداء منظورين وغير منظورين، فإننا في حاجة إلى فهم أصول هذا العلم وقواعده ومناهجه، لنقف على أرضية صلبة ونحن نصارع العدو بالحجة والمنطق والإقناع المؤسس إذا ما ركن إلى التفاوض باعتباره وسيلة حل الخلاف.

في هذا الحوار نلتقي باحثا عربيا من السبّاقينَ إلى خوض غمار هذا العلم، ليطلعنا على بعض دروبه ومسالكه. وهذا الباحث هو الدكتور حسن وجيه المدرس في قسم اللغات والترجمة بجامعة الأزهر والمحاضر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

سألناه في البداية:

● **كيف بدأ اهتمامك بدراسة «لغة الحوار» على هذا النحو العلمي؟**

■ قبل أن أجيبك، أود أن أقول إن القيام بأي بحث علمي لا يتطلب أن يكون «مهتما» بموضوع البحث فقط، ولكن إذا أردت أن تسهم إسهاما يُعترف به على المستوى العلمي اعترافا جيدا، فعليك أن تكون متفاعلا ومندمجا في هذا الموضوع إلى أبعد الحدود. ومن منطلق تجاربي العديدة في الدخول في حوارات شخصية واجتماعية وعلمية وجدت أن هناك حالات حادة جدا من الخلاف تصل إلى درجة فقدان العلاقة الإنسانية برمتها. وعندما كنت أتأمل هذه الحالات كنت أجد أن لها أسباباً علمية بحتة مفتقدة في أصول التحاور، وأنها لو اتبعت لما فُقدت العلاقة الإنسانية.

وربما البداية الحقيقية هي مقالة كتبتها عام ١٩٨٤ م في مجلة «صوت الدارسين المصريين» بالولايات المتحدة وكندا (عدد أكتوبر رقم ١٤)، بعنوان «الإدراك اللغوي وقضية التنمية»، وكنت أحاول فيها تحليل أسباب خلاف قد نشأ عقب اجتماع لاتحاد الدارسين المصريين الذي يتكون من ثلاثة آلاف طالب دراسات عليا وكان هذا التحليل جديدًا على القارئ فهو منظور علم اللغويات الاجتماعية. وعقب نشر هذه المقالة وجدت تشجيعا كبيرا للغاية من جميع الدارسين، الأمر الذي حفز من همتي أكثر للاستمرار في التعمق في هذا الموضوع.

● **تخصصت في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية بجانب تخصصك في مجال علم اللغويات. ما الدافع إلى ذلك؟**

■ بعد حصولي على درجة الماجستير من جامعة تكساس، عدت إلى القاهرة، وكان موضوع الدكتوراه الذي سجلته في كلية اللغات وتحت إشراف الدكتور محسن أبو سعدة بعنوان «التحليل الثقافي واللغوي لخطابات الرئيس كارتر والرئيس السادات في فترة عملية السلام». ولكن عندما أتيحت لي الفرصة للسفر إلى الولايات المتحدة وتعرفت على مدارس علم اللغويات الحديثة قررت أن تكون الدراسة لمادة أكثر ديناميكية مثل التحاور في المناظرات والمقابلات، حيث أن هذه المادة تختلف عن «الخطابات» ولم تحظ بالتحليل الكافي، ووجدت نفسي أقرأ وأتعامل مع موضوع «المفاوضات». وهنا وجدت أن علم اللغويات لم يتعامل بعد مع هذا الأمر، فقررت دراسة «المفاوضات» وأدبيات القدرة في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية. وهنا أود أن أتوجه بالشكر إلى جامعتي الأم «جامعة الأزهر» وكلية اللغات والترجمة التي تبنّت وساندت عملية تخصصي في هذا المجال من أجل إثراء دراستي التي أتت بثمارها والحمد لله من خلال أطروحتي للدكتوراه التي قدمت فيها أول محاولة لربط هذه العلوم الثلاثة من خلال نموذج لتحليل المفاوضات

السياسية الدولية، والتي وجدت استحسانا كبيرا من أساتذتي في جامعة جورج تاون.

● هل كانت هناك ثمة مشكلات واجهتك أثناء هذا البحث الجديد؟

■ من الأفضل أن نقول: إنه كان من المتعين عليّ بذل مجهود مضاعف لتوضيح وجهات النظر العلمية التي تضمنها نموذج التحليل الذي قدمته في عِلْمَي اللغويات والعلوم السياسية. فلجنة الأساتذة تضمنت عددا من خبراء العالم المعروفين في تخصصاتهم، ففي مجال اللغويات تشرفت أن أتتلمذ على يد الأساتذة الدكتور روجر شاي رئيس قسم اللغويات بجامعة جورج تاون، والأستاذ الدكتور المعروف مايكل هدسون أستاذ العلوم السياسية ومدير مركز الدراسات العربية المعاصرة في الجامعة نفسها. وكان علينا أن نجتمع لعدة مرات في شكل يشبه حلقة البحث (السمينار)، ولقد كان في هذا قدر كبير من تشجيع الجهد الذي كنت أبذله.

وكانت هناك بالطبع بعض الاختلافات التي تم حسمها في مناقشة الرسالة (وكان ذلك في يوم ٦ يونيو ١٩٨٩ م)، ولا تتخيل مدى سعادتي بما سمعته وبما كتب من تقارير عنها بعد ذلك من قبل هؤلاء الأساتذة الكبار.

● بمجرد عودتك إلى الوطن كيف رأيت أن يكون إسهامك؟

■ كان أول ما يهمني هو أن أثبت تلك العلاقة الوثيقة بين ما يحدث في عمليات التفاوض السياسي وبين عمليات التفاوض الاجتماعي. وفي الأخيرة وجدت أن أشير إلى سلبيات عمليات التفاوض الاجتماعي في عالمنا، وكتبت العديد من المقالات الصحفية في هذا المجال. وجاءت أزمة الخليج لتفجر الأمور بصورة عنيفة، مما ضاعف من أهمية ما كنت أنادي به. وطلب مني مركز الدراسات السياسية بالأهرام إعداد ندوة عن هذا الموضوع في يناير ١٩٩١ م أثناء فترة الأزمة، وأعقبتها بنشاطات أخرى متعددة، وكان أهمها كتاب بعنوان «لغة الحوار السياسي في الوطن العربي».

● هل نستعرض معًا أهم ما احتواه هذا الكتاب الذي دفعت به إلى المطبعة ليصدر قريبا؟ (ربما صدر بالفعل مع نشر هذا الحوار).

■ ينقسم كتابي إلى خمسة فصول، يقدم الفصل الأول مدخلا عاما لأطر تحليل النص ولغة الحوار، ويقدم الفصل الثاني ما أسميه «منظور لغويات التفاوض»، وهذا المنظور يستمد أطر تحليلاته من علم اللغويات الاجتماعية والعلاقات الدولية والعلوم السياسية. وتتم من خلال «منظور لغويات التفاوض» الإجابة عن بعض الأسئلة المنهجية التي توضح مدى الحاجة إلى هذا المنظور وعلاقته بطرق تحليل المضمون. كذلك يتم توضيح عناصر «قدرات ومهارات الحوار التفاوضي» التي يمثل عدم الإلمام بها قصورا يعد في حقيقة الأمر السبب الرئيسي في هيمنة ما أسميناه «خطاب الفاولات». ويحدد الفصل الثالث المنظور الشمولي لخريطة تفاعلات الأزمة، كذلك يتعرض هذا الفصل لموضوع خصوصية أزمة الخليج في إطار أدبيات الأزمات الدولية السابقة وديناميكيات التفاعل الخاصة بها.

أما الفصل الرابع فيتعرض بالتحليل لطبيعة إشكاليات التفاوض العربية الدولية والعربية العربية. وأحاول من خلال هذا الفصل أن أقدم صورة شمولية لتلك الأنماط الحوارية السلبية التي تسبب رسوخها في تفاعلاتنا اليومية، والتي تجسدت بصورة لم يسبق لها مثيل في تفاعلات أزمة الخليج إلى مزيد من تأزم الموقف إلى الحد الذي أدى إلى فشل عمليات التفاوض العربية، التي كان الهدف الأساسي منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت. كما يهتم هذا الفصل بإلقاء الضوء على نوعيات الدراسات السابقة التي عنيت بتحليل إشكاليات الواقع الثقافي العربي.

ويستعرض هذا أيضا مجموعتين من الإشكاليات. المجموعة الأولى توضح ديناميكيات التفاوض العربية الدولية في سياق هذه الأزمة كأزمة دولية، وصراع الشخصيات والأنظمة المتفاوضة في إطارها، مع توضيح تشابك هذه الديناميكيات مع مجموعة الإشكالية الثانية التي تتمثل في تلك الأنماط السلبية الرئيسة للتفاعل، وهي تشكل جوهر ما أسميناه «خطاب الفاولات» في عالمنا العربي. كذلك يقدم هذا الفصل مدخلا آخر يهدف إلى المزيد من توضيح المقصود بهذه الأنماط.

أما الفصل الخامس فيقدم تحليلا علميا لعناصر إقامة الحجج وتفنيدها من منظور لغويات التفاوض، ثم يتم استعراض العديد من الأنماط السلبية الأخرى التي توضح بصورة مباشرة الخلل في عملية إقامة الحجج من خلال عرض نماذج من تفاعلات أزمة الخليج، وكذلك الأزمة الاجتماعية الثقافية المزمنة.

---

* راجع ملف الحوار المنشور في عدد «الفيصل» رقم ١٨٨ لشهر صفر ١٤١٢ هـ/ آب (أغسطس) ١٩٩٢ م.

[illegible]

عبد العزيز جاويش
كاتبًا صحفيًا ومعلمًا ومفكرًا

مصطفى غراب

الشيخ «عبد العزيـز جاويش» من الشخصيات التي اضطلعت بدور مهم في تـاريخ الحركة الوطنية المصـرية في الربع الأول من هذا القـرن العشرين؛ لما أسهمت به من نصيب وافـر في الحياة الصحفية والسياسيـة والاجتماعية والفكريـة، وما أدتـه من دور في قيـادة الرأي العام ودفع الحركة الـوطنية وتقويتها، ومع ذلك أصـابها الإهمال والإجحاف أكثـر مما أصاب غيرها في تاريخ مصر الحديث.

ولد «عبد العـزيز جاويش» بالإسكنـدرية عام ١٨٧٢م لأسرة مغربية من أصل تونسي، كانت متـوطنة ببنغازي في «ليبيا». وكـان والده الحاج «خليل حسن جاويش» قد جاء من «بنغازي» إلى الإسكندرية في النصف الثاني من القرن التـاسع عشر الميلادي، ضمن من كـان يفد عليها من تجار المغـاربة فاستوطنها واتخذ له متجرًا «بسوق المغاربة» يزوال فيه تجارته التي تعتمد على الواردات المغربية من الأصواف والمـواشي، وعلى ما يصدر إلى المغرب من المنسوجات والسلع المصرية.

في معهد الشيخ إبراهيم بالإسكندرية تلقى «عبد العزيز جاويش» دروسه الأولية، **فحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وأصولها، وشرب من الثقافة الإسلامية ماروى عقله وفكره، ثم بعـث به والده إلى القاهرة عام ١٨٨٩م، أو ١٨٩١م ليـدرس في الأزهـر**، فأخـذ يتلقى على شيوخـه دروسه، ويجـد في تحصيل مـا يتاح له مـن العلوم النقلية والعقليـة والأدبية «وقـد سمع في تلك الفترة أن مدرسة «دار العلوم» **تجري امتحانًا لطلبة العلم الراغبين في الالتحاق بها. ولمـا كانت «دار العلوم» التي أنشأها «علي مبارك» سنة ١٨٧١م تفسح لمن يتمون العلم فيها فـرصًا أوسع للعمل، وتهيئ لتلاميذها أسلـوبًا للدرس والبحث**، أدنى إلى ذوق العصر، وأقل اضطرابًا من منهج الدراسة في الأزهر.

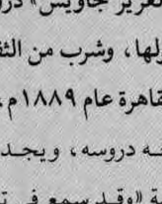
فقـد عقـد الفتى العزم على دخول هـذا الامتحـان [١]» الذي كتب الشـاعر «محمد عبـد المطلب» ـ يرحمه الله ــ عن طبيعته واصفًا الشيخ «عبد العـزيز جاويش»، وذلك في مقـالة له نشـرتها جريـدة «العلم» في ١٣ آذار (مارس) ١٩٢٩م قـال فيهـا: «في سنـة ١٨٩٣م تقـدم إلى المـدرسـة على شـريطـة امتحـانها يـومئذ ومـا كان أصعبـه وأقساه، فقـد كان الامتحـان بها تحريريًّـا وشفهيًّا بين يدي لجنـة تتألف غالبًا من عشرة أعضـاء في كل علم من العلوم الـدينيـة والعربيـة: الفقـه، والتفسيـر، والحديث، والتـوحيـد، والمنطق، والنحـو، والصـرف، والمعانـي والبيان والبـديع، وربمـا تبع ذلك العـروض والإنشـاء والتاريخ ــ عدد من الطـلاب نجح منهم سبعة عشر طالبًـا، منهم الأستـاذ الجليل الشيخ «حسن منصور» وشـاب بهيّ الطلعة وضيء المحيـا، ساطع الـوقار، جيـاش الأدب، غزيـر المادة على حـداثة سنـه، هو الشيخ «عبد العزيز جـاويش» ولم يمض نحو شهر على هذا الفتى حتى أصبح روح إخـوانه وريحـانهم قرة كل عيـن، وأنس كل نفس، وقرارة كل فضيلـة وخلق كريم، ويـزيده عظمـة في أنفسهم أنه كان جـامعًا لكثير من الكفاءات التي تعدهـا كالصفـات المتقابلة، فبينمـا هو معـدود بيننا من النـابغين في العلوم الكونية، كالطبيعـة والفلك ـ مـثلاً ـ إذ ـنراه من خيرة الأكفـاء في علوم الدين كلها، ومع هذه الكفاءات الكثيرة كان كوكـب إخوانه في الناحية الأدبية، فهو شاعـر الفرقة المطبـوع، وكاتبها الضليـع، ومن عادة المدرسـة أن يكون لكل فـرقة زعيم في الأدب، لـه الصدارة عنهـا في مواقف القـول ومحافل البيـان، فكان الأستاذ زعيم إخوانه في هذا الميدان».

وظائف ومؤلفات

بـرز «جـاويش» في «دار العلوم» أرقى معـاهـد العلم إذ ذاك، **بطـابعهـا الحديث، وأحرز إجازتها في عام ١٨٩٧م بدرجة عالية من التقدير، أهلته لأن يكون أحد أفراد بعثة وزارة المعارف إلى انجلترا لدراسة الآداب والتربية بجامعة برورود الإنجليزية، حيث قضى أربع سنوات من ١٨٩٧م ـ ١٩٠١م.**

وبعـد عـودتـه من إنجلتـرا عـام ١٩٠١م عين مفتشـا بـوزارة المعـارف العمومية، ولم يكن همه إحصاء الأغلاط على المدرسين وتدوينها في تقاريره فحسب، كما هـو الشأن عنـد بعض المفتشين، بل كـان همه الأول أن يصلح

من كتاب العدد



● مصطفى عبد الحميد غراب
ـ ليسانس لغة عربية، شعبة الصحافة والنشر، ١٩٨٢م، ماجستير في الصحافة ١٩٩٠م.
ـ يعمل محاضرًا بعمادة المركز الجامعي لخدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

من حرفة التعليم، التي كانت في وقته تسير على طريق التلقين وتحفيظ الدروس واستظهارها، وكان حصاد تجربته في هذا الميدان أول مؤلفاته للمدرسين المسمى «غنية المؤدبين»(٢).

كما ألف في تلك الفترة كتابًا آخر في اتجاه آخر هو «مرشد المترجم» لخريجي مدرستي المعلمين العليا والوسطى، وهم الذين يقصر عليهم تعليم الترجمة. ويعد تأليفه لهذين الكتابين عقب عودته من لندن «دليلاً على شعوره العميق بما تحتاج إليه البلاد ورغبته في الأخذ بيدها بلا إهمال ولا إبطاء(٣)».

بعد فترة من عمله مفتشًا عين مدرسًا في مدرسة المعلمين الناصرية، لكن أمر هذا التعيين لم يطل؛ إذ اختاره الأستاذ «مرجليوث» المستشرق الشهير ومبعوث جامعة اكسفورد «ليقرئ العربية طلاب الوظائف المصرية أو السودانية من الإنجليز»(٤).

تركت الفترة التي قضاها «عبد العزيز جاويش» في إنجلترا من عام ١٩٠٣م-١٩٠٦م حيث عين أستاذا للعربية في أكبر الجامعات الإنجليزية وهي جامعة «اكسفورد» بصمات كبيرة على شخصيته، وهي ما تتضح من قوله: «ذهبت إلى تلك الديار فوجدت الناس متمسكين بدينهم، فزادوني تمسكًا بديني، رأيتهم شديدي الحرص على لغتهم، فزادوني حرصًا على لغتي، أبصرتهم يتفانون في الدفاع عن بلادهم ويحرمون على الأجانب الاستيلاء على بعض شؤونهم أو التصرف في أموالهم ورقابهم، فأخذت أحاكيهم في هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال وأشياعه، رأيتهم يحبون الصراحة ولا يخشون معتبة، ولا يتهيبون متعبة مادام الحق لهم، فأخذت أحاكيهم في تلك الفضائل التي نصح بها إلى عمادهم بنظارة المعارف العمومية، أبصرتهم يحبون العمل ويكرهون الكسل ويحضون على الفضيلة، فعدت إلى بلادي ثم صرت أشتغل بهمة لا تعرف الملل ولا الانقطاع»(٥).

وقد ألف الشيخ «جاويش» وهو باكسفورد بحثه الذي أسماه **«الإسلام دين الفطرة والحرية»**(*) والذي اشتق تسميته من رد أحد الطلبة الإنجليز للشيخ «جاويش» عن الدين الإسلامي حيث وصفه بأنه دين الفطرة، وكان تلاميذ الشيخ وهو باكسفورد يزورونه في مقامه، يتجاذبون معه الأحاديث في مختلف الشؤون، وكان من نتائج هذه الصلة بينه وبين تلاميذه الإنجليز أن ألف كتابه هذا في بلادهم.

في عام ١٩٠٦م عاد الشيخ «عبد العزيز جاويش» من إنجلترا فعين مفتشًا أول بوزارة المعارف العمومية إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٨م، **ليرأس تحرير صحف الحزب الوطني «اللواء» ثم «العلم» و«الشعب» أكبر وأقوى صحف ذلك العهد والتي انعكست على صفحاتها قصة كفاح الشعب المصري في تلك الفترة.**

ترك الشيخ وظيفته الكبرى في وزارة المعارف ـ يوم كانت الوظيفة الحكومية للشباب غاية الغايات ـ ليتولى رئاسة تحرير جريدة «اللواء»، ويشغل الكرسي الذي خلا بوفاة زعيم الوطنية المصرية «مصطفى كامل»، ويذكر «الرافعي» في هذا الشأن أن «محمد فريد» لما رأى أن «اللواء» في حاجة إلى رئيس تحرير كُفْءٍ لهذه المهمة عرضها على الشيخ «جاويش»، وكان وقتئذ مفتشًا بوزارة المعارف، فقبلها وبدأ يكتب في «اللواء» يوم ٣ أيار (مايو) ١٩٠٨م»(٦).

عمله في أكسفورد زاده تمسكًا بدينه ولغته وحبه لبلاده



محمد فريد

كتابات سياسية

كتب «جاويش» في لواء ٣ أيار (مايو) ١٩٠٨م مقالته السياسية الأولى التي استفتح بها كفاحه الطويل الشاق، والتي كانت فقراتها ـ كما يقول الأستاذ فتحي رضوان يرحمه الله ـ أشبه شيء بقرع الطبول الذي يسبق المعركة، قال: «بعونك اللهم قد استدبرت حياةً زادُها الجبن وخَورُ العزيمة، ومطيَّتُها الدهان والتلبيس، في أسواقها تشترى نفيسات النفوس بزيوف الفلوس، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤوس، وبيمينك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة، حياة الصراحة في القول، حياة الجهر بالرأي، وحياة الإرشاد العام، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة، بعد أن قضيت في سابقتها ثماني حجج، بلغت بها ذلك المنصب الذي كنت فيه ما بين محسود عليه ومرجو فيه، أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر منبريًا في ميدانها فإما إلى الصدر، وإما إلى القبر، موقنا بما أعده الله لعباده العاملين المخلصين من الظفر والفتح المبين عارفًا أن الحيّ لا يموت إلا مرة، وأنّ الموت أحلى من حياة مرّة...».

ومنذ الأسبوع الأول لتوليه رئاسة تحرير «اللواء» أخذ يكتب عن وزارة المعارف، وعن سياسة «دنلوب» المستشار الإنجليزي فيها، وواصل حملة «مصطفى كامل» على «سعد زغلول» وزير المعارف آنذاك، موضحًا أن الغرض من حملته على «سعد»: «إنما هو محاربة الإنجليز في أشخاص من يتخذونهم من أبناء الأمة دروعًا سابغة يتقون بها سهام الانتقاد»(٧).

في الوقت نفسه خاض أولى معاركه مع الاحتلال والحكومة المصرية، وكانت معركة مدوية، إذ كتب في الخامس من أيار (مايو) عن المذبحة التي جاءت أخبارها من السودان في تلك الأثناء، والتي أقامها الإنجليز في منطقة

«الكاملين» ضد المدعو «عبد القادر ودحبوبة» زعيم ناحية «الكاملين» التابعة لمركز المسلمية، وسمى القضاء على الثورة هناك «دنشواي أخرى» [٨].

اتهامات

كان من نتيجة كتاباته حول هذه القضية أن أقامت النيابةُ الدعوى العموميةَ عليه بتهمة :

١ ـ نشر أخبار كاذبة مع سوء القصد، وترتب عليها تكدير السلم العمومي في مقالته «دنشواي أخرى في السودان».

٢ ـ إهانة نظارة الحربية في مقالته «الحكم على أتباع الزعيم عبد القادر» بأن نسب إليها إخفاء نتيجة الحكم الصادر في قضية «الكاملين» لغاية في نفسه، بتكذيبه الخبر الصادر منها عن الحكم.

نظرت القضية في ٨ تموز (يوليو) ١٩٠٨م واستمرت المحاكمة إلى ٤ آب (أغطس) ١٩٠٨م، حيث أصدرت محكمة عابدين حكمها ببراءة الشيخ من تهمة نشر الخبر الكاذب، ومعاقبته بغرامة قدرها ٢٠ جنيها لإهانته نظارة الحربية، وأستأنفت النيابة الحكم وأستأنفه الشيخ فقضت محكمة الجنح المستأنفة ببراءته من التهمتين» [٩].

كان دفاع الشيخ جاويش عن مصر قائمًا على محاربة الإنجليز، والحملة عليهم حملة عنيفة لا هوادة فيها ممتدة مستمرة لا توقف لها، وهو في كل مرة يذكر الإنجليز بأحداثهم المتتالية، ويعدد مواقفهم المتتابعة، ما بين تبديد أموال البلاد، وسلب مقدرات الأمة، وإلجام الألسن عن الانتقاد، وتقييد الأقلام.

ويطالب الإنجليز بالجلاء قائلاً : نقول لنسمع أمم الأرض وفي مقدمتهم الإنجليز، من أكبر ذات إلى أصغر ذات فيها، نقول بملء صوتنا : إننا لا ننفك مطالبين بالجلاء ولو أجروا إزاء النيل نيلاً يفيض الذهب، وحولوا كل ميل من أميال هذا الوادي جنة تغير الجنان» [١٠].

ويعدّ الشيخ «جاويش» من أكثر من تعرضوا لأذى الحاكم ولسطوة القانون، إذ بسبب كتاباته أعادت الحكومة المصرية العمل بقانون المطبوعات الذي صدر في ظروف استثنائية أثناء الثورة العرابية، واستحدثت القوانين للتضييق على أصحاب الأقلام، والحيلولة بينهم وبين إبداء آرائهم واتجاهاتهم، فهو أول من طبق عليه قانون المطبوعات في قضية «ذكرى دنشواي» عام ١٩٠٩م، حيث حكم عليه في ٢٤ آب (أغطس) بالحبس لمدة ثلاثة أشهر، واستُقْبِل هذا الحكم أسوأ استقبال من الرأي العام.

وكان اليوم الذي وقع فيه حادث «دنشواي» من الأيام الخالدة التي يحتفل بها الوطنيون، ويستعيدون الحديث عنها، وقد درج «عبد العزيز جاويش» على انتهاز هذه المناسبة الوطنية، كغيرها من المناسبات، لإيقاظ الوعي بين أبناء «مصر» والتنديد بالإنجليز.

وفي عام ١٩٠٩م كان **بطرس غالي باشا** على رأس النظارة المصرية، والذي كان إبان حادثة «دنشواي» ناظرًا للحقانية ورئيسًا للمحكمة المخصوصة التي عقدت بشأن هذه القضية وأصدرت أحكامها، وكان **«فتحي زغلول»** عضو محكمة «دنشواي» إبان هذه الذكرى قد رقي وكيلاً لنظارة الحقانية، **وكان لا بد لجاويش أن يكتب في هذه الذكرى كعادته، ولم يتردد في أن يوجه لبطرس غالي ولفتحي زغلول أقسى عبارات اللوم والتقريع والاتهام، ووجدها فرصة للتنديد بأعوان الاحتلال، فكتب في ٢٨ حزيران (يونية) ١٩٠٩م مقالة تحت عنوان «ذكرى دنشواي» جاء فيها :**

« . . . سلام على تلك الأرواح البريئة التي انتزعها «بطرس غالي» رئيس المحكمة المخصوصة بقضائه من مكامنها في أجسامهم، كما تنتزع سلوك الحرير من خلال الشوك، قبضها بيده فقدمها قربانًا إلى ذلك الجبار الظالم الغاصب القاهر، القائم في بلادنا بنفاقنا وضعة مقاصدنا، المستبد بالأمر فينا بسبب تفرقنا وضعف عزائمنا، المسيطر علينا بنفر منا يخشون الإنجليز أكثر مما يخشون الله، ويرغبون في المال والرقي، ولو شقيت في سبيل ذلك بلادهم واستبيحت حرماتهم. . . » [١١].

ظل الشيخ جاويش على هذا المنوال في جرائد الحزب الوطني **اللواء ـ ثم ـ العلم والشعب والعدل والاعتدال**، حتى هاجر إلى تركيا في كانون الثاني (يناير) ١٩١٣م؛ ليواصل حلقات جهاده ضد الإنجليز من هناك، فأعاد إصدار مجلة **«الهداية»**، التي كان قد أصدرها في مصر في شباط (فبراير) ١٩١٠م، وأصدر جريدة **«الهلال العثماني»** في ٦ ربيع الأول ١٣٣٠هـ آذار (مارس) ١٩١٢م، ثم **«الحق يعلو»** في آذار (مارس) ١٩١٣م. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى أصدر مجلة **«العالم الإسلامي»** باللغة العربية من الآستانة في ٦ أيار (مايو) ١٩١٦م، ثم شقيقتها باللغة الألمانية من برلين في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ليتفهم الناطقون باللغة الألمانية حقيقة الدين الإسلامي، ولخدمة القضية المصرية وإظهار الاحتلال الإنجليزي لمصر على حقيقته أمام الرأي العام الألماني.

كما دافع عن القضية المصرية في المؤتمرات والمحافل الدولية، وفي كانون الأول ديسمبر ١٩٢٢م عينه «مصطفى كمال أتاتورك» رئيسًا لهيئة التدقيقات والتأليفات الإسلامية في «أنقرة»، فلما ظهر لجاويش عزم «مصطفى كمال» إلغاء الخلافة الإسلامية عارضه معارضة شديدة، مبينًا له مدى النفوذ العظيم الذي تفقده «تركيا» إن هو أقدم على ذلك، وموضحًا أن إلغاءها سيكون بمثابة زلزالٍ يصيب صرح العالم الإسلامي ببعض الصدع،

فكـان أن وقع الجفـاء بين «مصطفى كمـال» ورجـالـه في تـركيـا وبين الشيخ «جـاويش»، مما دفع الشيخ إلى الإسـراع بـالعودة إلى مصـر في أواخر عـام ١٩٢٣م. وفي أيار (مـايو) ١٩٢٤م شـارك جاويش «أحمـد وفيق المحامي» رئاسة تحرير «**اللواء المصري**» بعد أن أعيـد إصدارها. ثم عيـن مديرًا عـامًّا للتعليم الأولي عام ١٩٢٥م ـ وحيث رأت وزارة المعارف الانتفاع بخبـرته في هـذا المجال، ولم تعـد صحتـه تتحمل مشاق العمل السيـاسي والصحفي ـ وظل يواصل جهوده في هذا الميدان إلى أن انتقل إلى جوار ربه في ٢٥ كانون الثاني (يناير)١٩٢٩م.

من مواقفه

من المـواقف التـي أظهـرت شخصيـة الشيخ «عبـد العـزيـز جـاويش» واستـرعـت انتبـاه بعض الـوطنيين، وعلى رأسهم «مصطفى كـامل» **موقف «جـاويش» أثناء مـؤتمر المستشـرقين الـذي عقد في أوائل عـام ١٩٠٥م في مدينة الجزائر**، حيث كان قد استـدعي من إنجلترا للانضمام إلى الـوفد الذي يمثل مصر في هذا المؤتمر.

وقد بـدت في هذا المؤتمر مـواهب الشيخ «جاويش»، الذهنية والبيـانية باهرة، مما أثار تقدير «**محمد فريد**» الذي كان من حضـور المؤتمر، والذي أعجبـه بصفة خـاصـة من الشيخ «**جاويش**» الرد الـذي أفحم بـه المستشرق الألماني «**فولرس**»، الذي قـدم بحثًا إلى المؤتمـر ذهب فيه إلى أن القـرآن هو أول كتـاب في العربيـة كتب بـاللغة العـاميـة، وينقل الزعيم الـوطني «**محمد فريد**» تفاصيل ما جرى في المؤتمـر حول هذا الموضوع ويقول: «**إن فولرس**» ألقى خطابـًا طويلاً عن العربيـة الفصحى واللهجات العامية في الجـاهلية، وأتى على بعض ألفاظ ظهر فيما بعد أنها لـم توجد في لغة العرب مطلقا، ثم تطرق من هذا الموضوع اللغوي إلى الاستنتاج بأن القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليس بفصيح، بل إنه أول كتاب كتب باللغة العامية، فكـان لخطابه هذا وقع سيئ على جميـع الحضور، وأراد المسلمون الحاضـرون بالجلسة الخـروج لولا تأثيـر البعض ونصحه لهم بالبقـاء، ووعد الشيخ «عبد العزيز جاويش» بأنه سيرد عليه في جلسة أخرى.

وفي الجلسـة التـالية رد الشيـخ على المستشرق الألمـاني، فأخـذ يفنـد المقدمات التي بنى عليها كلامه وأبان فسادها بالمرة من الناحية اللغوية، ثم تكلم عن تاريخ جمع القـرآن وتوزيع نسخه على البلاد الإسـلامية، وتحدث عن بلاغته وأنه هو المعجزة التي لولا فصاحته لما آمن به العرب، وما ذلك إلا لاعترافهم بعجـزهم عن أن يأتوا بسورة مـن مثله: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولـو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ الإسـراء ٨٨، مع أنهم كانوا أعلـم بلغتهم من المسيو «فولـرس» ولو رأوا فيه شيئا مخالفا لقواعـد لغتهم لما تأخروا عن إظهاره والتشهير به حتى لا يؤمن بـه أحد، وأطال حضرة الخطيب كثيـرًا في هذا الموضوع مع بـلاغة في العبارة، وجزاله في المعنى، فصفق له الحضـور مرارًا وشهدوا له بقوة الحجة ومتانة البرهان. **ولما انتهى من الكلام قام المسيو «فولرس»، والخزي بادٍ على وجهـه، وتقدم إلى الـرئيس، وطلب منه بصـوت خافت مـرتجف أن يسحب موضوعه، لكي لا ينشر ضمن أعمال المـؤتمر، ويرجو كذلك ألا ينشر تفنيد الشيخ عبد العزيز جاويش.** (١٢)

أسلوب الجاويش

كتب الشيخ جـاويش، **في صحـف الحـزب الـوطني حيث كـان رئيسًـا لتحريرها، ثم كتب فـي صحفه: «الهلال العثماني» و«الحق يعلو» و«العالم الإسلامي»** من حمـلات لا تنقطع على الاحتـلال وحكـومـات الاحتـلال من المصريين، كمـا كتب في مجلته «**الهداية**» من تفسيـر كتاب الله على طـريقة الإمام «**محمد عبده**»، حيث يربط القـرآن بالأحداث والإسلام بـالعصر، ولرد الشبه والأكاذيب عن الإسـلام ولإنعاش اللغة العربية من عثارهـا، بما ضمنه مجلته من تحقيقـات لغوية منـوعة ومن ثقـافات عامـة. وبذلك **كان الشيخ «مصدرًا من مصـادر الثقافـات على اختلاف أنـواعها، وكـان المتعلمون من الشعب يقبلون عليهـا إقبالاً أكبـر، وبذلك تخرج على الشيـخ خلق كثير في السياسة والأدب، وفي تفسير كتاب الله، وفي كل أنواع المعرفة»** (١٣).



فتحي رضوان

أفحم المستشرق فولرس وَرَدَّ مقولته بأن القرآن عاميّ اللغة

«ويحسب الكثيـرون ـ كمـا يقول الأستـاذ **فتحي رضوان** يرحمـه الله ـ أن الحملات التي قام بها «اللواء» لعهد «مصطفى كـامل» ثم لعهد «عبد العزيز جاويش» كانت صراخًا عنيفًا في الهواء، وكانت حماسة كلامية مسرفة، وأنها لم تجد شيئًا، وأن أسلوب التعقل والتبصر الذي التزمه خصوم «اللواء» والذي مـال بهم إلى صداقـة الاحتلال وممثليـه، وخطب ودهم وتبادل الـرأي معهم والأخذ بنصيحتهم هو الطريق السويّ السليم، وما ذهب إليه هؤلاء هو الخطأ بعينـه، فإن هذه الحمـلات ـ وإن اتسمت بـالعنف والشـدة أحيانـا ـ كـانت كـالقـوارع التي تخـرج الناس من جمـودهم، وتبث الشجـاعـة والحـرارة في قلوبهم وأعصابهم، وكانت وحدهـا السبب في كل ما شمل البلاد من الرغبة في الإصـلاح، وكـراهية النظـام القـديم والميل إلى تجـديد التفكيـر الـديني والاجتماعي» (١٤).

وهـذه جـريدة «**البـلاغ المصـري**» تقـول: « **أصبح الشيخ «عبد العـزيـز جاويش» لا يتحرك إلا ليحرك القلوب الجامدة، ولا يكتب إلا ليثير في النفس**

كامن الأشجان، ويشعل في القلوب نار الحمية واليقين، ولا يحرر إلا لتنبعث من ألفاظه للناس عظات بالغة»[١٥].

لصراحته وجرأته كثرت محاكماته وسجنه


أنور الجندي

ويقول الأستاذ «**أنور الجندي**» عن الفرق بين أسلوب «مصطفى كامل» وأسلوب «عبد العزيز جاويش» : «إن الشيخ - جاويش - لما خلف مصطفى بعد وفاته، وبدأ يكتب المقالة الصحفية في اللواء، والتي يسمونها الافتتاحية، كان الوطنيون ينتظرون كلمته، ويرددونها فربما جاوزت بلاغته وحماسته بلاغة «مصطفى كامل» وحماسته، وإن كان لأسلوبه طابعه الخاص»[١٦].

وكان الشيخ صريحًا غاية الصراحة في كل آرائه الوطنية، لم يكن يعرف لغة اللف والدوران والمواربة، ولكن الذي يكنه فؤاده هو الذي يكتبه صريحًا بقلمه أو يلقيه بلسانه[١٧]. جرى الشيخ جاويش في كل حياته السياسية على هذا المنوال، ولذلك كثرت محاكماته، وكثرت سكناه السجون، لا يأسره مال أو جاه.

واجب الصحافة في نظره

كان الشيخ «عبد العزيز جاويش» يرى أن وظيفة الصحافة الحرة أن تقف بالمرصاد لكل عامل فتجزي المحسن على إحسانه، وتنقد المسيء على إساءته. كما ذهب إلى أن من الخيانة أن يطمع الصحافي إلى دراهم معدودة، فيوقف جريدته على ترويج الأباطيل ونشر الأكاذيب، واقتناص القروش من أيدي الأشحة، بما يستفز نفوسهم ويهيج صدورهم من صنوف الإفك المبين.

وأكد أن الصحافي الذي يحترم نفسه وقراءه لا يملك أن يذهب كل آن مذهبًا جديدًا، ولا أن يكتب بتوقيع واحد رأيين متناقضين في موضوع واحد، بل إنه ليستحيي أن يكون الظل على أرض أثبت منه على رأيه.

وكان مفهومه للصحافة أنها جامعة الجامعات التي يتربى فيها أفراد الأمة، وقد قال في تفسير قول الله تعالى ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْنَ عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ : إن هذه الأمة هي طائفة الصحافيين، يجب أن تكون وظيفتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا صاروا شرًّا ووبالاً على البلاد التي يعيشون فيها.

وأكد أن الرجل الذي يتصدى للأعمال العمومية كالصحافي مثلاً يجب أن يكون حائزًا مزايا كثيرة، أهمها الثبات والصبر والأمل واحتمال الأذى والشدائد بصدر رحب وأن يكون قادرًا قبل كل شيء على إدارة شؤونه الشخصية.

وكان يرى أن واجب الصحافة - إجمالاً - مراقبة أعمال الحكومة وتنوير الرأي العام، بإيقافه على حقائق الأحوال، حتى يتمكن بذلك من الإشراف على أعمال أولئك الرجال الذين وكلت إليهم الأمة إدارة شؤونها.

الهوامش

(١) فتحي رضوان : مشهورون منسيون : سلسلة كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٢٧ ص ٧٢.

(٢) غنية المؤدبين في الطرق الحديثة للتربية والتعليم، مطبعة الشعب، ١٩٠٣م.

(٣) فتحي رضوان : «دور ذوي العمائم في تاريخ مصر الحديث»، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ص ١١٦.

(٤) اللواء كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨م، من مقال لجاويش بعنوان «مدرسو اللغة العربية المصريون في بلاد الإنجليز».

(٥) فتحي رضوان : «مشهورون منسيون»، مرجع سابق ص ٣٠.

(*) عن سبب تأليف هذا الكتاب ولمعرفة أقسامه انظر «عبد العزيز جاويش» : الإسلام دين الفطرة والحرية، طبعة دار الهلال، ١٩٨٢م.

(٦) عبد الرحمن الرافعي : «محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية»، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٦٧.

(٧) اللواء العدد ٢٦٤٢ في أيار (مايو) ١٩٠٨م عن سالم عبد النبي قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الأدب العربي المعاصر «عبد العزيز جاويش» منشورات مكتبة الأندلس البركة، بنغازي الطبعة الأولى بيروت ١٩٦٨م ص ١٤٩.

(٨) حول هذا الموضوع انظر أعداد «اللواء» في ٥، ١١، ٢٦، ٢٨، ٣١ أيار (مايو) ١٩٠٨م.

(٩) مجلة الشباب عدد ٦ الصادر في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٣٦م تحت عنوان «أسانيد قضية الكاملين» عام ١٩٠٨م.

(١٠) المرجع نفسه ص ٤.

(١١) اللواء العدد ٢٩٩٦ في ٢٨ حزيران (يونية) ١٩٠٩م، ص ٤.

(١٢) محمد علي رفاعي : رجال ومواقف، الطبعة الأولى، دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٧٤م ص ٢٣٨.

(١٣) حسن الشيخة : عبد العزيز جاويش، سلسلة الألف كتاب ٣٥٧٩، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦١م، ص ٥٧.

(١٤) فتحي رضوان : مشهورون منسيون مرجع سابق ص ٤٥.

(١٥) البلاغ المصري، العدد ٢٤ الصادر في أول آب أغسطس ١٩١٠م.

(١٦) أ.ج «عبد العزيز جاويش»، مرجع سابق، ص ٦٩.

(١٧) حسن الشيخة، مرجع سابق، ص ١٣.

الهجمة على الإسلام



د. محمد بن سعد
الشويعر

حكمة أرادها الله: أن يتصارع الخير والشر، وأن يظهر دعاة كل نوع حتى يعرفوا، والشر وأعوانه بدأت هجمتهم الشرسة على الإسلام وأهله منذ أشرقت أنوار الإسلام في بطاح مكة، فقد استعرت نار الحقد في قلوب المشركين على رسول الله ﷺ، مع أنهم كانوا يسمونه الأمين قبل أن يبعث فلما بعث حسدوه وأرادوا التنفير من دعوته، وصدّ الناس عنها. لكن الهجمة الشرسة في العصر الحاضر أخذت طرقًا أخرى كاختلاق الأوصاف وتجسيم النعوت المنفّرة للمنتمين للإسلام، وللحريصين على التمسك بشعائره، مهولين للهفوات التي تقع، ولأغلاط قليلي الفهم والإدراك، على أنها وقائع ثابتة تمثل الإسلام ومنهجه في الدعوة.

ذلك أن يقظة المسلمين، وعودتهم لصفاء تعاليم دينهم النقية الطاهرة عن الشوائب، والحرص على الرجوع لكتاب الله، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ في كل أمر، لإبعاد ما أدخل على الإسلام في عصور الجهل والتقليد، والاهتمام بترسم منهج السلف الصالح من هذه الأمة؛ هذه الأمور تقضّ مضاجع أعداء الله، وأعداء دينه في كل مكان، وفي مقدمتهم إمامهم وزعيمهم إبليس اللعين الذي أخذ على نفسه عهدًا بصدّ عباد الله عن الطريق المستقيم، بعدما أعطاه الله الوعد بالإنظار إلى يوم الدين، فقال جل وعلا، على لسان عدو الله، وعدو عباده: ﴿قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ص ٨٢ ــ ٨٣. ويسهل مهمة أعوانه من شياطين الإنس والجن الذين ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾ الأنعام ١١٢.

إذ يلمس المتابع فيما يقدم من آراء وأفكار، تنال من الإسلام وشرائعه، أن خلفها اختلاقًا وترويجًا ومتابعة وتشويهًا، مصدرها اليهود، منذ بعث الله نبيه محمدًا ﷺ وحتى اليوم. ومن ذلك يدرك المرء أن الشيطان يفتح لأوليائه طرقًا في الهجوم على الإسلام، بأساليب متنوّعة ذات ملمس ليّن، ومخبر سيء. قصد بذلك مخاطبة عقول متباينة، حيث يعطي كل عقل، ما يتلاءم معه، إدراكًا وتفكيرًا، ويوجه ذلك دراسات نفسية واجتماعية للفئة الموجهة إليها هذه الأمور والمقصودة هدفًا. حيث يفتح للبضاعة الوافدة مغاليق الرغبات والنزعات، ليُرْضي أثرة في نفوس أولئك الأشخاص، ويحبب إليهم العلوّ والتسلط: محبة لهم أو ولاء معهم. ولذا نهى الله جل وعلا رسوله الكريم ﷺ عن سبّ آلهة الذين كفروا؛ لأن هذا يدفعهم إلى التعصّب الأعمى. فيسبّون الله عدوًا بغير علم.

ومن تنزيه الله تبارك وتعالى عن سفههم المقيت، جاء الأمر الرّباني بتوجيه أكرم خلق الله والمؤمنين المتّبعين له، بأن يكونوا قدوة صالحة، ونموذجًا فريدًا، حتى يحتذي الآخرون بهم في ذلك المنهج، فقال جل وعلا: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم كذلك زيّنا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ الأنعام ١٠٨.

ولن تتوقف تلك الهجمات ما دام في الدنيا خير وشر، إلا أن المسلمين يستطيعون التصدّي لذلك بفهم دينهم، حيث تتسع المدارك، وتنمو الحجة القاطعة بالبرهان والدليل القويّ.

وفي هذا الموقف فإن على الشباب دورًا مهمًا في تقوية الملكة، تعلمًا وتدريبًا وسؤالاً ومتابعة، وأخذ منهج القرآن الكريم طريقة في المسيرة التعليمية والتوجيه، مع طريقة النقاش الهادئ الذي وجه إليه هذا الكتاب الكريم نبراسًا ومشعل هداية؛ لأن في تعليماته خير مدرسة وفي نقله صورة ما حصل من المشركين واليهود من حوار وشبهات، وإجابة عن ذلك خير معين، يشد العزائم، ويقوي النفوس، فيما تريد المسيرة نحوه، حيث طرحوا أقوى ما لديهم من شبهة، دحضت بالحجة الدامغة، والدليل المقنع.

يدرك هذا كل من لديه عقل سليم، وفهم عميق للقرآن الكريم وحججه مع خصوم الرسالة التي أرادها الله منقذة للبشرية من وهدة الضلال، وغياهب الشرك. ولذا فإنّ دور المدركين من علماء الإسلام ومفكريه رعاية الشباب عقليًا وعلميًا، بإخراج أبدال من منهج دينهم حول التربية، والقضايا الاجتماعية، لتكون بديلاً لنظريات أصحاب هذين العلمين المبنية على دعائم تتنافى مع منهج الإسلام في التوجيه والرعاية. لأن الأسلم لكل ردّ توضيح البديل النافع المقرون بما يدعمه.

رحلة شابّة بريطانية من الكنيسة إلى المسجد

كانت الخامسة من ستة أطفال في عائلتها الصغيرة، ولم يكن في بيت العائلة جو ديني بالمعنى الصحيح، وإن لم يمنع ذلك من حرص والديها على إضفاء طابع ديني شكلي فيما حولهم، مثل الدعاء بعد وجبات الطعام، والتردد بالأطفال على الكنيسة أيام الآحاد.

وحين بلغت **ماري ويلدز** - وهذا هو اسمها - سن المدرسة أُرسلت - جريا على تقاليد أسرتها - إلى مدرسة في دير كاثوليكي تديره الراهبات، وكانت - آنذاك - في الثامنة من عمرها. وفي تلك المدرسة - الدير - أقضت تسع سنوات، **وبدلاً أن تزيدها حياة الدير تمسكًا بالنصرانية زادتها نفوراً من تلك الديانة**، التي لم تحس يومًا بالانتماء إليها رغم مشاركتها بحماسة في الطقوس والتراتيل الدينية كلها.

احتجاج سلبي

تركت ماري المدرسة ــ الدير ــ في الستينيات الميلادية من هذا القرن، وكانت بلادها - بريطانيا - تموج كسائر بلدان أوربا ببواكير تمرد الشباب على مجتمعهم؛ لما لمسوه من تناقض بين ما يرفع من شعارات وما هو واقع فعلاً، إضافة إلى الخواء الروحي الذي يعانون منه في مجتمع يبيح كل ما مؤهل لهدم الروحانيات في النفوس، فانغمس شبابه في الموسيقا والحانات وصالات الرقص؛ معبرين عن احتجاج سلبي لتفادي أي تحدٍ حقيقي للنظام.

تساؤلات مؤرقة

عاشت ماري ويلدز فترة الستينيات والسبعينيات **ذلك التيار الجارف الذي قتل ملكات العديد من شباب بريطانيا**، لكنها ــ في أعماقها - كانت واعية لما تفعل، كانت تبحث عن إجابات للخواء الروحي الذي تعانيه، ولما لم تجد ما تبحث عنه في الأماكن التي يرتادها الشباب من أترابها، اشتغلت في أعمال متنوعة، وقامت برحلات إلى أقطار عديدة؛ بحثًا عن إجابات لما يعتمل في صدرها من تساؤلات تؤرق مضجعها.

جرّبت المعيشة مع نماذج مختلفة من البشر في لندن، **عرفت البوذيين والصوفيين وأعضاء عديدين من مختلف الفئات الدينية والسياسية**، وسّعت جهدها للاشتراك معهم فيما يقومون به من نشاطات، لكن بلا جدوى، فعقلها رافض ما ينادون به من عقائد وأفكار، فعاشت صراعًا رهيبًا مع الذات، وبدت كل الأشياء في عينيها تافهة لا

> ”رسائل النور“ للنورسي علمتها لغة جديدة هي لغة القرآن

معنى لها، وزاد الأمر صعوبة أنها لم تجد حولها في الجامعة أو العمل أو المنزل ممن يتفهم ما يدور في رأسها الصغير، فبقيت وحيدة رغم كثرة المحيطين بها. ولم يكن أمامها إلا أن تلف نفسها ببرقع النسيان، هروبًا مما تعانيه من تمزق وحيرة.

قراءة « رسائل النور »

رغم أن ماري قرأت في الجامعة كتبًا عن الإسلام وسمعت محاضرات عنه، إلا أن ذلك لم يؤثر فيها، لأن مَنْ وصفوا تلك الكتب وألقوا المحاضرات كانوا من المستشرقين الذي لم ينقلوا الصورة الحقيقية الصحيحة عن هذا الدين القيم.

لذا تأخر فهمها للإسلام حتى قرأت ترجمة إنجليزية لكتاب «**رسائل النور**» لمؤلفه داعيه الإسلام التركي **بديع الزمان سعيد النورسي** - يرحمه الله - ولم تستطع في البداية فهمها مباشرة لكون كاتبها قد استوحى مضمونها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وهي لم تطلع عليهما في حقيقتها، لذا استعانت ببعض المسلمين من زملائها في الجامعة الذي لم يقصروا في شرح ما يغمض عن فهمها، واستمرت معهم لثلاث سنوات تعقد مناقشات منظمة لرسائل النور حتى استوعبتها تمامًا، ثم أسلمت.

تأثير النورسي

عن تأثير رسائل **النورسي** فيها قالت ماري في كتابها «**رحلتي من الكنيسة إلى المسجد : لماذا؟**» ما

نصه : «بدأت تتفتح أمامي دنيا تبدو ذات معنى ومغزى وانسجام وتناغم مع جمال زاهر، فلقد تعلمنا لغة جديدة للتفاهم مع الدنيا والكون هي لغة القرآن الكريم، تعلمناها من بديع الزمان سعيد النورسي، الذي أفهمنا الإيمان الخالص في رسائل النور : ما الكون ؟ وما الطبيعة ؟ ومَنْ نحن ؟ ولماذا هذه الأعداد من المخلوقات ؟ وما وظائفها ؟ ولماذا وجدوا وإلى أين المصير ؟ وكيف أن الإسلام دين كامل متكامل، وكيف أنه يخاطب عقل الإنسان ومداركه وكل لطائفه ومشاعره، وكيف يجب أن ننظر إلى الكون من حولنا، نرتفع بأعيننا من الإحساس بالمادة إلى الإحساس بالمعنى، ومن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وننظر من خلال الخلق إلى أسماء الخالق العظيم والرحمن الحكيم».



العثور على الذات

لقد وجدت تلك البريطانية الشابة في «رسائل النور» ما يجيب عن تساؤلات سخت في وجدانها سفرات طويلة، **أدركت حضارة نصرانية حقيقية لم تقم قط، وأن الحضارة الغربية القائمة التي تعرف بأنها حضارة نصرانية إنما هي في الواقع تطور للحضارة الإغريقية الرومانية القديمة،** كذلك استخلصت نقطتين مهمتين :

«أولاهـا : أن الكنيسة اعتبرت ممثلة عن النصرانية رغم أن معتقداتها تتعارض مع الوحدانية التي علّمها المسيح عليه السلام، وقد فرضت تعاليمها على أسس النظام الاجتماعي والسياسي الروماني القائم.

ثانيتها : أن التركيب الداخلي للكنيسة بطبقاتها من جهة، وعامة النصرانيين من جهة أخرى كان تحت ضغوط الكنيسة، إذ لم تكن تسمح بممارسة الفكر وتطوير العلم والمعرفة.

وتوقفت عند الأسس الفاسدة التي قامت عليها حضارة الغرب كما أوضحها **النورسي** في قوله : **«إن هذه الحضارة تأسست على خمسة أسس سلبية : منقطعة استنادها هي : القدرة، وهذه شأنها : التجاوز، وهدفها : المنفعة، وهذه شأنها : التزاحم، ودستورها في الحياة : الجدال والصراع، وهذا شأنه : التنازع. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي : العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها : التصادم كما نراه، وخدمتها للبشرية خدمة جذابة هي : تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمّارة بالسوء، وتلبية رغباتها وتسهيل مطالبها، وشأن الهوى : مسخ الإنسان معنويًا».**

لماذا يرفضون الإسلام ؟

أدركت المهتدية الشابة حين قرأت تلك الكلمات لماذا يقف الغرب بشدة ضد الإسلام عقيدة ومنهاج حياة، فالحضارة الغربية التي بنيت على القوة المادية والمنفعة الحسية تريد أن تتعامل مع غيرها من الحضارات من هذين المنطلقين، وهما أمران يرفضهما الإسلام رفضًا تامًا، باعتبار الشريعة الإسلامية دعوة إلى العدالة لا تفرق بين جنس وآخر، وتدعو إلى نصرة الضعفاء لينالوا حقوقهم، فالقوة في الحضارة الغربية يقابلها الحق في الشريعة الإسلامية، وكذلك المنفعة يقابلها في المنظور الإسلامي الفضيلة، والعنصرية تقابلها الدعوة الخالدة : لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

تصحيح الصورة المغلوطة

من هنا سعت ماري في إطار محيطها إلى تفنيد وإبطال ما روجت له الدولة والكنيسة لدى العامة من الزعم بأن الإسلام «دين السيف» وإظهاره بمظهر المعادي للحضارة الحديثة، الرافض لكل تقدم.

وتشير إلى أن وسائل الإعلام التي يسيطر عليها المتعصبون تستغل ـ بذكاء ـ صورة الوافدين المسلمين إلى الغرب الذين يسيئون بتصرفاتهم إلى الإسلام، مما يمنح المفرضين الفرصة لتشويه هذا الدين.

وتقترح أن يغير الدعاة في دعوتهم إلى الإسلام في أوربا من أسلوب عملهم التقليدي، وأن يقدموا الإسلام إلى القرب على أنه التفسير المنطقي للكون ومَنْ فيه، وإيضاح ما بيّنه القرآن الكريم من أن الله ـ عز وجل ـ لم يخلق الإنسان والكون عبثًا، كما يجب توضيح حقيقة تكريم الإسلام للمرأة : أمًا، وأختًا، وابنة، وزوجة، بالتركيز على ما تتعرض له البيوت من تفكك أسري ناجم عن هجر المرأة لدورها الطبيعي الذي جبلت عليه، وقرره لها الخالق الذي يعرف ما يناسبها، جريًا وراء المفهوم الخاطئ للمساواة الذي صار هدفًا لا وسيلة، فلم يزد المرأة إلا رقًا بعد أن نجح المفرضون في تحويلها إلى آلة يلهون بها كما يشاؤون باسم الحرية، بينما الحرية تكمن في الخضوع والطاعة لرب العالمين.

إمامة المصلي منفردًا

■ **إذا دخل رجل فصلى الفريضة منفردًا، ثم دخل معه آخر، ثم دخل ثالث فهل تصح إمامة الأول؟**

وهل يُدفع الإمام إلى الأمام، أم يُسحب الذي بجواره إلى الخلف؟

عبد الغفور بن عبد القيوم علاوي

الأزهر ـ مصر

□ لا أرى بأسًا في جواز إمامة المصلي منفردًا، إذا دخل معه آخر يصلي معه، سواء كان يقضي فريضته التي فاتته، أو أنه أراد التصدق على هذا الذي فاتته الفريضة، لصحة حديث «**من يتصدق على هذا؟**» حينما دخل رجل في عهد النبي ﷺ فاتته الفريضة فقال «**من يتصدق على هذا؟**»، وهذا دال على عظم صلاة الجماعة ووجوبها.

أما دفع الإمام إلى الأمام ليصف الاثنان خلفه؛ فلست أرى هذا لمخالفته أصل الائتمام بالإمام. لكن يُسحب من بجواره فيؤخر في الصف الثاني. والله أعلم.

العطس أثناء الصلاة

■ **إذا عطس المصلي في الصلاة فهل يحمد الله لفظًا؟ وهل يرد عليه من يسمعه من المصلين للأمر الوارد في هذا؟**

ع.ع.ل

محكمة مكة الكبرى ـ مكة المكرمة

□ نعم، يحمد الله، لكن بنفسه دون التلفظ؛ لأن تلفظه بالحمد عبادة أخرى خارجة عن أقوال الصلاة، فلا يصح الزيادة على ما ورد.

وكذا الحال، فلا يجوز تشميت العاطس أثناء الصلاة؛ لأن التشميت هو الآخر دعاء ليس من جنس أقوال أدعية الصلاة. وقد ورد النهي صريحًا في هذا من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه «حينما عطس...» الحديث. وقد ورد النهي عن الكلام بما يصلح إلا للصلاة.

الكذب في البيع

■ **رجل يريد السفر، لكنه قبل ذلك باع أرضًا، كذب في بيعها، حيث زعم أنها صالحة للزراعة، لكنها ليست كذلك فهل يسافر؟**

س.ج.م.م.

ج.م.ع ـ أسيوط

□ **كان يحسن أن يكون السؤال عن صحة البيع هل هو صحيح؟ وسؤالك عن السفر من عدمه،** هذا سؤال دال على توجه طيب نحو الرزق الحلال. وأبين لك هنا أن البيع فيه كذب، من أجل البيع، فالبيع باطل أصلاً، ما دامت لا تؤدي الغرض الأصلي منها؛ لأن المشتري اشتراها على أنها زراعية، فلا بد من إخبار المشتري بهذا، فإن أمضى البيع وإلا فترد إليه ماله وتأخذ الأرض وإلا فيأخذ هو أرش النقص ويقبل الأرض.

وقد ورد في الحديث الصحيح. (من غشنا فليس منا). وورد كذلك (أيما جسد نبت على سحت فالنار أولى به). وقد تواترت النصوص على هذا فتنبه لهذا.

أما السفر فلم تبين قصدك منه، لكن في الجملة، إن كانت مؤنة السفر من قيمة الأرض فهذا باطل، «لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً». والله أعلم.

الفرق بين القرينة والدليل

■ **هل يكون الكلب البوليسي دليلاً ماديًا على الجريمة؟**

ع.ع.أ.

حائل

□ الكلب البوليسي حيوان ذو فطرة من ناحية الشم وقابل للتعليم في الشيء الذي يراد منه إياه.

لكن ليس هذا ـ الحيوان ـ ضربة لازب، إنما هو قرينة فقط وليس دليلاً؛ لأن الدليل هو الذي لا يقوم غيره معه سوى الإقرار من البالغ العاقل من غير تهديد أو تخويف في أصح الأقوال.

إلا أن هناك فرقاً بين الدليل والقرينة؛ لأن هذا الحيوان بإمكانه تحديد مكان المتفجرات أو سواها، لكنه لا يستطيع تحديد صاحبها فيكون الاكتشاف دليلاً على وجود الشيء وقرينة على صاحب الشيء.

ومثله: الرائحة. والدم، وإقرار غير البالغ، ومثله البصمات، وتسجيل الصوت، وكذا الصور.

فكل هذه قرائن فقط تحدد صاحبها الذي قد يكون هو أو غيره، لكن ليست دليلاً يؤاخذ به، وبهذا يظهر الفرق بين القرينة والدليل، وبه يظهر الجواب المراد.

ردود خاصة

● **الأخ: د. محمود سليم ناهص: ج.م.ع.**

مريض السكر الخطر جداً عليه الفطر في رمضان ويطعم عن كل يوم مسكيناً ولا بأس في دوام هذا معه ما دام كذلك.

● **الأخت: نورة م.ل. جدة:**

لم يقع الطلاق، ولا بد من التأني والوالد قد أخطأ.

● **الأخ م.ل. مصطفى ـ الفيوم ـ مصر:**

تحليل الدم في رمضان لا يفطر به الصائم والله أعلم.

○ ○

من تجاربهم



تجربتي مع النقد

د. علي شلش

«النقد ليس سلطة فوق غيره من الأجناس الأدبية»

لا أذكر ـ على وجه التحديد ـ تاريخ تفكيري في ممارسة النقد. ولكني أذكر أن النقد هبط عليّ ولم أسع إليه. وإذا كان النقد نتاج التأمل وتغليب العقل على العاطفة فلابد أن ميلي إليه يرجع إلى عهد الطفولة. وفي ذلك العهد كنت أجالس الكبار أكثر مما أجالس الصغار. وكان مجلس أبي اليومي مع أصدقائه في شرفة دارنا بديل الملعب، وأصدقاؤه بديل رفقاء سني. ولم يكن أبي يسمح لي بالذهاب إلى ملعب، ولا باللعب مع أطفال آخرين في القرية. ولهذا كان البديل إجباريًّا.

وفي ذلك المجلس الوقور في معظم الأحيان، الذي يقلِّب الكون وقضاياه كل مساء، كان نصيبي الصمت والتأمل. ومن هذين الندَّين المتلازمين نشأ ميلي إلى الكتابة. ومن الكتابة والتأمل نشأ ميلي إلى النقد، ثم كمُن سنوات وسنوات قبل أن يقوى ويُطلَّ على الوجود في شبابي، ولأن الكتابة ذاتها نوع من النقد ـــ العاطفي أو العقلي ـ فقد كانت نشأة النقد عندي إذًا طبيعية.

أذكر أنني في أول هجرتي إلى القاهرة كنت أعرض قصصي ولوحاتي القلمية على الصحف والمجلات، فلا أحظى بالترحيب الذي يحالفني حين أعرض مقالاتي وتعقيباتي على الكتب. وأذكر أيضا أن المشرفين على الأقسام الثقافية بالصحف والمجلات كانوا أحرص مني على المقالات والتعقيبات، ولأنني بدأت حياتي الصحفية من باب القطعة، أي أنني لم أكن موظفًا ولا أتقاضى راتبًا ثابتًا، فقد كان عليّ الاختيار بين الاكتفاء بكتابة النصوص الإبداعية والامتثال لمقتضيات العيش بكتابة المقالات والتعقيبات. ولم يستغرق اختيار الامتثال وقتًا طويلاً على أية حال. وهكذا تراجعت الرغبة في كتابة النصوص الإبداعية، وكمنت وراء الرغبة في الحياة، ولم تعد تظهر كثيرا.

عرض الكتب ليس نقدا

غير أن عملية التعقيب على الكتب، أو عرض محتوياتها مع شيء من التعليق، ليست نقدا بالمعنى المفهوم، ولا هي في صميم النقد، وإنما هي خطوة أولية على طريق النقد، مثلها مثل الانطباع الذي يتركه النص في قارئه فور انتهاء القراءة. فالذي يعرض كتابا إنما يقدم له ملخصا أيا كان مقداره، ثم يضيف إلى الملخص تعقيبًا أو تعليقًا، وكثيرا ما يكون هذا التعقيب أو ذاك التعليق عموميا من قبيل: وهكذا أجاد المؤلف ـــ أو أخفق ـ في تصوير فكرته!

وحين يعلل المعقب أو المعلق هـــذا الحكم الأخير، ويبنيه على شواهد ومقدمات، يكون قد دخل العملية النقدية من أوسع الأبواب، ويكون التعليل خطوة أو نقطة على الطريق النقدية، ولا ينقصه إلا التحليل والمقارنة لكي تكتمل العملية النقدية أو يصل النقد إلى خطوته ونقطته الأخيرة.

ومع ذلك، لم يعد الحكم على النص المنقود شرطًا أساسيًا من شروط النقد في السنوات الأخيرة، بعد ظهور مدارس قراءة النص مع الاكتفاء بتحليله أو تفكيك بنيته.

كيف توصلت إلى هذا كله؟ أيها السابق وأيهما اللاحق: هذا الوعي النظري بالنقد أم تلك الممارسة التي تقوم على المحاولة والخطأ؟

لا يولد الناقد كاملاً ولا ناضجا، فشأنه شأن الأديب. كلاهما يولد رضيعا بغير اسم ولا ملبس، ثم يكبر مع مرور الزمن. ولكن الاثنين يشتركان في شرط مهم من شروط حرفة الأدب، هو القراءة. فلابد أن يقرأ الاثنان أعمالا ونصوصا أدبية. وهما يقرآن هذه النصوص بقوة الاندفاع الذاتي إليها، ويتأملانها، ويناقشانها سرا أو علانية، ولكن أحدهما يطيل التأمل والمناقشة. وهذا هو الناقد.

وقد بدأت تجربتي مع النقد بشيء من هذا وذاك.

قرأت كثيرا من النصوص الإبداعية، شعرا ونثرا. ولما ازددت نضجا أدركت أنني لابد أن أضع حدا للعشوائية في القراءة، حتى لا يتغلب الكمُّ

من تجاربهم



على الكيف، فصرت انتقائيا، ومع مرور الزمن تكوّن لديّ حسٌّ بما يستحق أو لا يستحق. ومن معاشرة النصوص الجيدة، التي يدلنا عليها كبار الأدباء والنقاد عادة، اطلعت على الكثير من أسرار الإبداع وخباياه، واختبرت صحة أحكام الآخرين، وازددت تعلقا بالنقد.

كان من نصيبي أن أعتمد على نفسي منذ البداية. فأنا لم أدرس الأدب ولا النقد في مدرسة أو جامعة، وإنما درست في هاتين المؤسستين فنونا وعلوما أخرى متصلة بالأدب. ولأنني مارست الأدب، قراءة وإبداعا، قبل الدراسة المنتظمة بالمدارس والجامعات، فقد أسهم ذلك في تطوير نظرتي إلى الأدب والنقد. وصرت أعرف عن الأدب والنقد ما يزيد على حاجة الشخص العادي. وبهذا كله دخلت الميدان مسلحا ببعض العتاد الثقيل على الأقل. واختلط الوعي النظري بالنقد مع الممارسة القائمة على المحاولة والخطأ، واختلط الاثنان بالاحتكاك الشخصي.

ومن هذا الباب الأخير عرفت في شبابي أنور المعداوي وعبد القادر القط ومحمد مندور وعلي الراعي ومحمود العالم. وأعتقد أن هؤلاء الخمسة ـ بترتيبهم السابق ـ كان لهم تأثير ما عليّ من الناحية النقدية. ومن خلال احتكاكي الشخصي بهم وبأفكارهم تبلورت في ذهني أفكار، وماتت أفكار وظهرت بوادر أفكار. أما السابقون عليهم، مثل العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة، فلم أدرسهم باعتبارهم نقادا إلا في سن الكهولة، بعد الأربعين. وأما غير العرب فقد عرفتهم في سن النضج أيضا. وكانت معرفتي الأولى بهم جزئية.

أذكر مرة أخرى أن وعيي المبكر بالنقد دلّني على معنى بسيط خلاصته أن النقد معايشة ومناقشة: معايشة لنص قد تتوقف بعد القراءة الأولى وقد تمتد، ومناقشة للنص من جميع جوانبه المتاحة وبجميع الوسائل المتاحة ـ أيضا ـ للناقد. ولكن الناقد نفسه يتطور، ويمر بمراحل، ويتوقف في نهاية كل مرحلة بهدف تأملها واستخلاص دروسها ومعرفة إيجابياتها وسلبياتها. فماذا كانت مراحل تطوري إن كان ثمة تطور؟ ماذا تبين لي من أمري عبر السنين؟

لم أجد ما يطعن في المعنى البسيط للنقد الذي أشرت إليه. بل وجدت ما يؤكد صحته على الدوام. ولكني وجدت أيضا أن خلافا كبيرا نشب حول الهدف من هذا النوع من النشاط العقلي، وامتد عبر عشرات القرون الماضية. وهذا الخلاف الذي نشب حول وظيفة النقد ـ بمعنى آخر ـ يهم النقاد في الحقيقة، أو يجب أن يهمهم ولا سيما الفلاسفة منهم. ولن أدخل في تفاصيل الخلاف، ولكني أقول: إن المعايشة والمناقشة وظيفتان، مهما كان موقفنا من تيارات ذلك الخلاف أو أصحابه.



محمد مندور



محمود العالم

وإذا كانت التيارات الأخيرة في أوربا ـ البنيوية والتفكيكية والسيميائية ـ تكتفي بالمعايشة والمناقشة فإني أقول مرة أخرى: هذا اتفاق مصادفة بيني وبينها. ولكن المناقشة عندي لا تعني رفض الحكم على النص المنقود كما يفعل أصحاب تلك التيارات. فالناقد الذي يلملم بنية النص ويحدد مكوناتها، أو يفكك هذه البنية، أو يتتبع علاماتها الظاهرة والمستترة، إنما يحكم على النص دون أن يدري. فالتحليل والمقارنة يحملان صورة من صور الحكم المتعلق بالقيمة. فلماذا يوهمنا ذلك الناقد بأنه غير متحيز؟ أليس اختياره نصا ما نوعا من أنواع الحكم القيمي؟ لماذا يخشى على النص من الأحكام وهو متاح ـ بطبيعته ـ لأي حكم من أي قارئ؟ لماذا يفترض أن جميع القراء ـ بعده ـ سيحذون حذوه؟ بل لماذا يحذرنا من أن يكون النقد سلطة حين يصدر حكما؟

وعند هذا الحد تظهر الوظيفة الاجتماعية للنقد من حيث هو عامل من عوامل التغيير الثقافي والجمالي، عن طريق مؤسسات التعليم والإعلام والقراءة. ولن أدخل في تفاصيل هنا أيضا، ولكن حسبي الإشارة.

الأدب نبات اجتماعي

هل أقول: إن أولى مراحل الناقد تبدأ في العادة بتصور معين للمنقود، أي الأدب؟

كان تصوري في مطلع حياتي أن الأدب ـ والنقد أيضا ـ نبات اجتماعي، مهما أوهمنا صاحبه بأنه من أصحاب الأبراج العاجية. اسكن بأي برج من هذه يأتك المجتمع دون أن تدري، لأنك أنت نفسك ذو ماض اجتماعي. وإذا اتفقنا على هذا يكون للنص الأدبي ظاهر وباطن. وما على الناقد إلا النفاذ من الظاهر إلى الباطن بتحليل الاثنين والتعرف على خباياهما، ومقارنتهما بنظائرهما، وبيان الحسن والقبح فيهما ـ من وجهة نظره بالطبع، وهي وجهة شخصية ونسبية على كل حال، لا تصادر وجهة أخرى قادمة ولا تحجر على وجهة نائمة أو قائمة. وما دام الأمر كذلك فالأدب والنقد وجهان لعملة واحدة، هي حاجة الإنسان إلى الزاد الروحي أو العقلي أو الثقافي، سمه ما شئت. ولا غنى لأحدهما عن الآخر، مهما بدت العلاقة بينهما كالتي بين القط والفأر!

وحين جمعت بعض مقالاتي النقدية للنشر في كتاب بعنوان «قضايا ومسائل في الأدب والفن» (١٩٧٥) كتبت لها مقدمة أشرت فيها إلى قضيتين شغلتاني على امتداد السنين السابقة:

١ ـ قضية القرابة بين الفنون الإبداعية.

٢ ـ قضية الإبداع في النقد.

أما القضية الأولى فخلاصتها أن فنون الإبداع تربطها قرابة المنبع والهدف، سواء أكانت كلمة أو نغمًا أو خطًّا أو حركة. وبسبب هذه القرابة الناتجة

عن النشأة المشتركة يكون على الناقد أن يحافظ على أواصر القربى بين مختلف الفنون، ويشجعها، وينتفع بها في عمله لخير الجميع.

وأما القضية الأخرى فخلاصتها أيضا أن النقد فن من فنون الإبداع وأن الأدب والفن ليسا على طرفي نقيض مع النقد. فالجميع يخدمون غاية واحدة هي حاجة الإنسان إلى الزاد العقلي أو الروحي أو الوجداني كما سبق أن أشرت، ولكن وسائل الخدمة تختلف من فن إلى آخر.

بل أشرت في تلك المقدمة إلى أن حالة الامتزاج الكائن اليوم بين الفنون المختلفة، في الغرب بصفة خاصة، يدعمها التقدم التقني الهائل في وسائل الاتصال الجماهيري. ودون الوعي بهذا الوضع يخسر الناقد المعاصر كثيرا.

وعلى امتداد السنين التالية لم يتغير شيء من هذا عندي. بل - على العكس - قوي وتبلور، ثم أضيف إليه - بحكم اغترابي في أوربا - اهتمام عميق بالعلوم الإنسانية، ولا سيما السياسة والتاريخ. وقبل اغترابي في أواخر السبعينيات كان اهتمامي بهذه العلوم متوسطا، باستثناء علوم الاتصال التي تخصصت فيها بحكم الدراسة الجامعية العليا. ولكن الغربة تزيد تغلغل المرء في ماضيه وتاريخه، وتقربه من فهم سياسة المكان والزمان. وهذا ما حدث لي.

في المهجر الأوربي بدأت عندي مرحلة جديدة، ولكنها ليست منقطعة عن سابقتها. فقد ظلت القضيتان المذكورتان تلحان على تفكيري النقدي، داخل إطار العلوم الإنسانية.

وحين جمعت بعض مقالات نقدية أخرى للنشر في كتاب بعنوان «من مقعد الناقد» (١٩٨٥م) كتبت لها مقدمة أشرت فيها إلى أن النقد لا يكون عملا من أعمال الفضول أو التطفل، لأنه في أساسه عمل خلاق كأي عمل أدبي آخر. وضرورته تأتي كضرورة أي عمل أدبي خلاق آخر. وقلت أيضا إن النقد هو الوجه الآخر للأعمال الإبداعية الخلاقة الأخرى إذا وجدت، أي إذا كان النقد تعليقا عليها أو تفسيرا لها. أما إذا لم توجد هذه الأعمال نفسها فالنقد يقوم بمهمات الدعوة والتبشير واستكشاف المجهول فيما يتعلق بعملية الإبداع. وفي كلتا الحالتين ــ التعليق واستكشاف المجهول ــ يكون النقد عملاً أدبيا خلاقا كأي عمل أدبي آخر.

هل أتجاسر فاقتبس المزيد؟ سيكون الاقتباس أطول إذًا، لما سيترتب عليه. قلت أيضا في تلك المقدمة:

«يترتب على هذا المعنى أن النقد عمل اختياري من جانب الناقد، أي لا تدفعه إليه سوى عوامل تتعلق بثقافته وتصوره لما يجب أن يكون. ويترتب على هذا أيضا أن النقد ليس سلطة فوق غيره من الأشكال والأجناس الأدبية. وأبسط دليل على ذلك يأتي عند قيام النقد بمهمة التعليق أو التفسير. فهذه المهمة تتعلق عادة بأعمال أدبية تم إنجازها أو نشرها أو إذاعتها على الناس. وعندئذ لا يستطيع النقد أن يوقف إنجازها أو نشرها أو إذاعتها مهما كان تعليقه عليها أو تفسيره لها. وحتى لو وجه النقد انتباه القائمين على النشر والإذاعة إلى حجب هذه الأعمال لتهافتها أو ضررها فلا يستطيع أن يميتها؛ لأنها خرجت إلى دائرة الإنجاز، ولأنه ليس سلطة قمع.

«ولكن سوء فهم الكثيرين للنقد ينبع ــ في الحقيقة ــ من هذه النقطة الأخيرة، أي من ذلك التصور الخاطئ بأن النقد سلطة عليا. والسبب في ذلك بالطبع ما ظهر ويظهر كثيرا من عداء النقاد لأعمال أدبية بعينها، وتصورهم تهافتها أو ضررها. فعندئذ يظن الناقدون والمنقودون معا أن ثمة ضررا في وجود أعمال أدبية بعينها، وثمة مصلحة في قتلها.

«النقد ليس سلطة عليا بأي معنى من المعاني، ولكنه سلطة تتساوى في جميع مظاهرها وعناصرها مع سلطة الرواية أو الشعر أو المسرحية أو أي جنس أدبي آخر تتعرض له. والفارق الوحيد بين سلطته وسلطات الغير هو عنصر التشريع الذي يعد خاصية بارزة من خواصه. فالناقد يبدو - على عكس الروائي والشاعر والمسرحي وغيرهم - صاحب رأي خاص فيما يتعلق بالرواية والقصيدة والمسرحية وغيرها. وهذا الرأي الخاص هو مصدر التشريع في عمل الناقد. ولا يمكن حل الخلاف بين النقد وغيره من الأشكال والأجناس الأدبية إلّا إذا صفّى أصحاب هذه الأجناس سوء الظن بالنقد والناقد.

«ومع ذلك فسيظل النقد عملاً أدبيًا وجنسًا متميزا عن غيره من أجناس الأدب يمكن أن تجد فيه المتعة التي تجدها في الرواية أو المسرحية أو القصيدة. ويمكن - أيضا - أن تجد فيه التهافت والضرر اللذين قد تجدهما في هذه الأجناس أو غيرها. وهذا هو ما يفرق بين ناقد وناقد، كما يفرق بين روائي وآخر أو بين شاعر وآخر. فما يخرج من مقعد الناقد هو نفسه ما يمكن أن يخرج من مقعد الروائي والشاعر والمسرحي وغيرهم، سموًّا أو هبوطا، سمينا أو غثا. وما الفرق عندئذ إلا في الرؤية وطريقة التناول، وهما أمران مستمدان ــ كما نعرف - من الموهبة والخبرة بالحياة والكتابة. وليس لناقد على روائي أو شاعر فضل إلا بما يحمل نقده من معنى وما يحقق من أثر. والعكس صحيح».

النص الموازي

ألم أقل: إنني سأطيل الاقتباس؟

ولكني أطلت بقصد. والقصد هو أن هذا الكلام تطور مع التجربة والتأمل، وصار يعني أن النقد نص مواز.

أعلنت ذلك في ندوة عن «المبدع والناقد» بمدينة الرياض (فبراير ١٩٩٣). وقلت إن كلمة «النقد» توشك أن تكون مبتذلة إن لم تكن ابتذلت بالفعل، ولابد من البحث عن بديل لها. فإذا سئلت عن البديل فسأقترح عبارة «النص الموازي»، بل إني لا أقترح هذه التسمية نتيجة ابتذال الكلمة الأصلية المتعارف عليها، وإنما لأنني أجد في التسمية الجديدة معنى معبرًا ينبغي أن ينشده النقد. وليس النص الموازي منافسا للنص الأصلي، وإنما

> آليات الحركة داخل النص تحددها ثقافة الناقد وجودة النص ذاته



هو نص مبني عليه، لأنه يتعرض له بالتعليق أو التفسير أو التحليل أو المقارنة أو التقويم، إلى غير ذلك من مهمات النص النقدي. وما دام النص النقدي مبنيا على نص آخر فهو نص مواز، وليس مشاركا ولا منافسا. وكونه نصا لا يمنع كونه إبداعيا. وإذا أتيح لصاحبه أن يجعل منه بنية ذات رؤية فنية خاصة، وأسلوب خاص في العرض والأداء، وأن يجعله في الوقت ذاته تعبيرا عن تلك الرؤية الشعورية، فماذا يمنع من أن يكون نصا فنيا موازيا للنص الأصلي؟

وأقول «موازيا» فلا أعني أن ينقد الناقد القصيدة - مثلا - بقصيدة أخرى، ولا القصة بقصة أخرى، وهكذا، وإنما أعني أن يبذل في نصه جهدا إبداعيا يوازي الجهد المبذول في النص المنقود.

وعندئذ ـ سنواجه مشكلة الناقد المحروم من قوة الخيال وحساسية البصيرة وإيحائية التعبير. ولكن من قال إن هذا ناقد جيد أو مؤثر أو مفيد؟!

نحن ننشد الناقد الجيد والمؤثر والمفيد. وإليه نتوجه بكلامنا هذا. ونحن أيضا نخاطب القلة ونؤيدها من أجل خير الكثرة. والكثرة هي المبدعون والقراء معا. وإذا كنا في مقاييسنا الأدبية نستقي من خبرة الأدباء، ونقتبس من أعمالهم المتميزة، فلماذا لا نفعل هذا مع خبرة النقاد وأعمالهم المتميزة؟ هناك عنصر مهم في الأدب هو المتعة التي يتيحها لنا واللذة التي يبعثها فنيا، فلماذا لا يكون النقد ممتعا وباعثا على اللذة الشعورية والعقلية؟ ولماذا لا نطلب المتعة واللذة في النقد كما نطلبها في الأدب؟ بل لماذا نحكم على النقد بالتجهم والخشونة والجفاف وهو يعالج أشياء وظواهر غير محكوم عليها أصلاً بهذه الأحكام؟

هل هو حلم؟!

لم لا؟ ليكن حلما حتى يتحقق وينتشر على نطاق واسع. ولكن، ألا ينطبق هذا الحلم على ما نسميه النقد التطبيقي وحده؟ أليس النقد النظري بعيدا عن التشكل الإبداعي بكل ما فيه من صور وإيقاعات وإيحاءات وأحاسيس؟ نعم، ولكن هذا لن يضير النقد التطبيقي المبني على نصوص مفردة، ولن يعيبه أن يكون صاحبه النظري عقلانيا إلى أبعد الحدود. ومع ذلك لعلنا نعرف أن عددًا من أشهر النصوص النظرية في تاريخ النقد الأوربي جاء في صورة أشكال أدبية غير شكل المقال المألوف اليوم في بحث نظرية الأدب. فكلام أفلاطون عن الشعر والواقع والمثال ودور الشاعر في الحياة جاء في شكل محاورة. وكلام هوراس الروماني عن الشعر وجمالياته جاء في شكل قصيدة موزونة. وكأنما فتح هوراس باب الشعر أمام النقد النظري فدخل منه بعدها الشاعر الفرنسي بوالو والشاعر الإنجليزي ألكساندر بوب وغيرهما ممن كتبوا في نظرية الأدب والشعر شعرا موزونا مقفى. بل إن المسرحي الإغريقي أريستوفانيس سبق هؤلاء جميعا عندما جعل النقد النظري في صورة حوار بمسرحيته «الضفادع» في القرن الخامس ق. م.

ثمة مُسَوِّغ تاريخي إذًا، وسوابق غير عادية أيضا، تجعل الأمل في تحقق الحلم ممكنا.

الود ضحية النقد

يقودني الكلام عن الحلم والأمل إلى ذكر بعض معوقات تجربتي في النقد. ولن أتحدث هنا عن انحسار اهتمام صحفنا بالنقد في الربع الأخير من القرن، ولا عن هروب النقد إلى داخل الجامعات، ولا عن ازدياد استغراق النقاد فيما لا ينفع النقد، ولا عن ضعف البرامج التعليمية التي تصنع نقاد المستقبل. ولكني سأتوقف قليلا عند مرض اجتماعي يمكن أن نسميه «الخوف من النقد».

وقد أصاب هذا المرض أدباءنا فجعل أكثرهم يقبل النقد على أنه إطراء ومدح، ويعادي النقاد إذا مسُّوه بملاحظة سلبية. وأعترف أنني خسرت على امتداد تجربتي عدداً غير قليل من الأدباء ـ والنقاد أيضا ـ الذين صادقتهم قبل أن أنقدهم. فلما نقدتهم خاصموني، وذهب الود ضحية النقد. وليس السبب في ذهاب الود أن هؤلاء المنقودين لا يقبلون النقد المصحوب بذكر النواقص والعيوب، وإنما يكمن السبب الأعمق في أن بيئاتنا مازالت تربط النقد بالعيب، وتربط العيب بشخص المعيب، ولا تشجع الحوار والنقاش الهادئ.

سبق أن تناولت هذه القضية بالتفصيل - على أية حال - في كتابي «علامات استفهام»، وأنهيت الكلام فيها بأننا إذا صدقنا أن الأدب والنقد وجهان لعملة واحدة فعلينا أن نستمر في إبداع الأدب، وعلينا أن نستمر في نقده، لأنه لا مفر من النقد. فالكتابة لا يمكن إيقافها بقرار أو إجراء، والنقد نوع من الكتابة، أما الود الذي يفسده النقد فهو بعض الثمن الذي يدفعه الأديب والناقد معا مقابل تلبية تلك الحاجة الإنسانية الفطرية إلى الغذاء الروحي أو الوجداني أو العقلي.

آليات الحركة

يبقى بعد هذا كله أن أتساءل مرة أخرى:

إذا كان لأية تجربة نقدية ظاهرها وباطنها، أفليس ما مر بنا هنا يتعلق بظاهر التجربة؟ ماذا عن باطنها، أي ماذا عن آليات الحركة داخل النص؟ ما الذي يحكم هذه الحركة ويوجهها؟ هل هو الناقد؟ هل هو النص؟ هل هي الظروف الخارجية المحيطة بنشأة النص؟

هذه، وغيرها، أسئلة تحتاج إلى المزيد من التأمل واستنطاق التجربة الشخصية. ولكني أبسِّط الأمر فأقول: إن آليات الحركة داخل النص تحددها ثقافة الناقد وجودة النص ذاته. فالناقد الخبير البصير ليس كالمبتدئ أو الناشئ، والنص الجيد ليس كالنص الضعيف. وحين يتحد مدى ثقافة الناقد (أي خبرته وبصيرته ومعرفته) بمدى جودة النص ينتج النقد تطبيقيا أو نظريا. وقد علمتني الخبرة الشخصية الصبر على النص. فالحركة داخل النص الجيد تحتاج إلى رياضة خاصة، مثل رياضة صيد السمك في صبرها وتفاؤلها. كما علمتني هذه الخبرة أن أنقد ما أحب من النصوص وأتغاضى عما لا أحب، لأنني - أصلاً ـ لا أحب الظهور بمظهر الكاره العائب،

فضلا عن استحالة نقد جميع النصوص، حتى التي تظهر في عصر الناقد وحياته. وليس الناقد مثل مذيع مباريات كرة القدم في الراديو، عليه أن يصف كل حركة على أرض الملعب حتى يضع المستمع في الصورة. ومع ذلك فقد أقرأ النص الواحد أكثر من مرة، وقد لا أكمل قراءته، وفي الحالتين لا أحب الشعور بأنني مكلف بقراءته.

وقراءة النص القديم أسهل عندي من قراءة النص المعاصر؛ لأن معرفتي بالعصر وصاحب النص (سواء أكانت المعرفة سماعية أو فعلية) تضطرني في كثير من الأحيان إلى العناء في طرح الأسئلة على النص واستبعاد المؤثرات الشخصية في استجابتي له. ولا أستطيع الزعم بأنني أدخل النص وأتحرك داخله وقد تطهرت تماما من هذه المؤثرات. وإذا كان السكوت عن النص، أي عدم التعرض له بالنقد، يحمل رأي الناقد فيه، فلك أن تحسب كم من النصوص نقرؤها ونسكت عنها.

عند التخلي عن أكبر قدر ممكن من المؤثرات الشخصية المتعلقة بالنص والناص تبدأ حركتي داخله، أي قراءتي له. ومع استمرار القراءة يزداد تفكيري في النص وحواري معه، ويزداد تدويني للملاحظات على ورقة أو ورقات. حتى إذا انتهت القراءة والتدوين بدأت عملية أخرى شاقة، هي البحث عن نافذة أو باب أو زاوية للدخول إلى عالم القارئ محملاً بتجربتي مع النص. فإذا عثرت على النافذة أو الزاوية المناسبة بدأت عملية الكتابة، التي نسميها النقد، بحيث تكون تعبيرا عن التجربة كلها.

والشرط الوحيد لإتمام هذه التجربة هو أن أنفعل بالنص، وهي مسألة ترجع أولا وأخيرا إلى تلك الطاقة الغامضة التي نسميها «قوة النص». أما إذا لم أنفعل بالنص فأمره إلى ناقد غيري، وعليّ أن أبدأ تجربة أخرى مع نص آخر.

أعود فأقول إن تجربتي مع النقد دلتني على أنه الوجه الآخر للإبداع، وأنه قراءة إبداعية حرة لصاحبه، أو هكذا يجب أن يكون.

○ ○

"يا وجهها"

شعر: رفعت عبد الوهاب محمد "المرصفي"

وجهٌ توشَّحَ بالحياءِ فنَضَّره
فبَدَتْ عليه طيوف حُسنٍ مُبهرهْ
سكَبَ الحياءَ على نواظر حُسْنه
فبدا العفاف على العيون النّاظِرَهْ
وجهٌ توضَّأ بالحياءِ ودفئه
فأشاعَ دفئَها في القلوب العَابِرهْ
ومضى يعبّقُ بالعفافِ ونُورِهِ
من شاء نبعا من جمالٍ ... فَلْيَرَهْ
غاص الفؤادُ بنهره متطهّرًا
فالطهر ينبع من قلوبٍ طاهرهِ
إنّ الحياء له أريج في المدى
كالزّهر إن نَفَثَ الأريجَ وَصدَّرهْ
زرعتْ خُطاه على الطريق حدائقا
فمشى الفؤاد على خُطاهُ الآسِرَهْ
سلَبَ الفؤاد فعاشَ يعشقُ لحْظة
سُبحان من خلق الجمال وصوّره
يا وجهها ... أنت الربيعُ مبشّرًا
فَدَعِ العبيرَ على القلوب المُقفِرَه

من المكتبة السعودية





د. عبدالعزيزالخويطر

● الكتاب: قراءة في ديوان الشاعر محمد ابن عبد الله بن عثيمين.

● المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله الخويطر.

● الناشر: د. ن. ــ الرياض، ط٣، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م، ٤١٩ ص.

نجد ترجمة وتقويماً لحياة الشاعر (محمد بن عبد الله بن عثيمين) وشاعريته بقلم (سعد بن عبد العزيز بن رويشد) الذي جمع وحقق وشرح ألفاظ ديوان الشاعر، وأطلق عليه (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين) فقد ولد شاعر نجد الكبير عام ١٢٧٠ هـ) في بلدة (السلمية) جنوب (الرياض)، وموطن آبائه هو (حوطة بني تميم) جنوب الرياض أيضا. وبعد مرحلة الطفولة رافق شيخه (عبد الله بن محمد الخرجي) إلى سواحل الخليج العربي وبخاصة (قطر). واتصل بملوك العرب (آل ثاني، وآل خليفة، وآل سعود). توفي عام (١٣٦٣ هـ) ومن صفاته الخَلْقية أنه ربعة، أسمر اللون، خفيف اللحية، يتزيا بزي أهل قطر وعمان، كثير الصمت. ويمتاز شعره بالجزالة والفحولة، وقوة السبك، وحسن الديباجة، وتخير الألفاظ، وابتكار المعاني، وجودة التصوير، وخصوبة الخيال. وهو امتداد لمدرسة زهير بن أبي سلمى من الجاهلية، وكعب بن زهير من المخضرمين، وحسان بن ثابت من الإسلاميين، وجرير والفرزدق من الأمويين، وأبي تمام من العباسيين، والبارودي والرصافي من المحدثين. وكثيراً ما كان يسلك مسلك المتقدمين في مقدماتهم الغزلية والطللية.

وللشاعر قراء ومعجبون، اقتنوا ديوانه بطبعاته الثلاث، التي طبعت على نفقة وزير المالية السعودي السابق (عبد الله السليمان الحمدان)، ثم من بعده على نفقة ابنه عبد العزيز وإخوانه. وقد وزعوا آلاف النسخ مجانا على أولئك المحبين من القراء. وكان الخويطر أحدهم، الذي قرأه في طباعته الأولى، ثم كانت القراءة متأنية في طباعته الثانية، تمخض عنها أنه ملأ الحواشي بأفكاره وتعليقاته، ثم وجد أن ثم روابط بين عناصرها، فجمعها لتكون هذا الكتاب الذي أطلق عليه:

«قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين».

وجاءت قراءة الخويطر تركز على الجانب اللغوي أكثر من جوانبه الأدبية والإنسانية. وأصبح القارئ، في كثير من الأحيان، حيال كتاب تراثي في فقه اللغة.. للثعالبي أو ابن سيده، أو كتاب الفروق لأبي هلال العسكري، أو أبواب الفروق من كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة. حيث تستحيل قراءة الخويطر إلى دراسة للكلمة المفردة، ومدلولها، وقراءتها من ذلك المدلول، ووصفها وصفاتها، في مدلولها العام ثم الخاص.. وقراءتها من خلال ذلك الوصف والصفات، ثم الأسماء الأخرى لتلك الكلمة المفردة واختلاف دقائق أوصافها ومعانيها. وقد ينتزع المعاني الخاصة للكلمة المفردة من معانيها العامة.

على أن تحليله ووقوفه أمام تلك المفردات يظل مرتبطاً بالبيئة. فيرى أن البيئة الصحراوية التي عاشها ابن عثيمين تنعكس على فكره، ومن ثمّ على معجمه اللغوي والشعري وكأن الخويطر يود أن يقول: إن دقة المفردات وتسميتها وتخصصها لمعانٍ بذاتها دليل على دقة تفكير أصحابها، واتصافهم بالوضوح وتحديد المقصود.

ولهذا كانت مجهودات الخويطر تنصب على الكلمة المفردة في النص، وإن كان لا يغفل أحياناً وقعها وموقعها من النص. ولكنه يبحث عن قراءة لها في الديوان ثم عند الشعراء الآخرين القدامى والمعاصرين وعلى رأسهم (ابن المقرب). وقد تجمع له حشد كبير من المفردات حاول أن يدرجها تحت عناوين عامة لم تستقم له دائماً. ومن تلك العناوين أو المفردات حسب تسلسلها: (السيف، الرمح، الإبل، الخيل، الأسود والسباع، الصحراء: «الجبال، الغبار، النبات، الماء، البحر، حيوان الصحراء: «الذئب، السبع، الثعالب، الظباء، الغنم..»، الطير، الأفلاك، العوامل الطبيعية). وحتى في العناوين الأخرى التي كان لها أن تتجه اتجاهاً أدبياً اندرج تحتها مثل تلك المفردات الصحراوية. فنجد في عنوان (بناء القصيدة) مثل تلك المفردات الخاصة بـ«الربوع، الآرام، السحاب، الرياح، الغزلان، ريح الصَّبا، البرق..».

وهكذا لم يسترع اهتمام الخويطر غير الجانب الحسي والمادي عند ابن عثيمين في وصفه للمرئيات، للطبيعة بفرعيها الجامد والحي. وهو الجانب الذي لم يفارقه، وبخاصة وهو يستطرد من مفهوم الكلمة المفردة في إطارها العام إلى دوائرها المنداحة في إطارها الخاص. نجده مثلا أمام المفردة «الصحراء» في إطارها العام، ينقلنا إلى جزئيات أخرى خاصة كـ(الدو، والمهمه، والفلا، والسبسب، والنَّفانِف، والتنائف والصفاصف، والبيداء). ومع النبات يستدرجنا إلى معانيه الخاصة، (الأيك، والأكم، والضالة، والشبح، والسعدان، والورد، والنسرين، والبهمى). ومع الأفلاك نجد مثلاً: (الشمس، البدر، النجم، الفرقد، السماك، الشهب، النسر، المرزم، القطب، زحل، الثريا، المشتري، الجدي، سهيل، النعايم، الكواكب). وهكذا.

ويبدو لنا أن شعر ابن عثيمين، من خلال

قراءة الخويطر، قد خلا من جوانبه العاطفية والوجدانية والإنسانية والدينية . . وغيرها من الجوانب المعنوية؛ مع أنها كثيرة نلحظها خلال قراءة الديوان كاملاً، ولا سيما في مدائحه للكبراء، ورثائه للعلماء، وحتى في بعض استشهادات الخويطر نرى ذلك وبخاصة في شعر الحكمة.

وكأن الخويطر توقع ردود قراءته لشعر العثيمين في نفوس قارئيه بهذه الصورة التي أشرنا إليها، لذلك فقد استبق النتائج في مقدمته، وكأنه يريد أن يبرر مدى اهتمامه بالجانب الحسي المرئي وإغفاله الجانب الوجداني والإنساني، حيث قال: «تجمعت أمامي معلومات عن السيف مثلاً وعن الرمح وعن الإبل وعن الخيل، وكانت معلومات إحصائية طريفة، شجعت على المضي في هذا المنهج لتظهر ملامح من أفكار ابن عثيمين» كما أنه يرى في مكان آخر، أن تلك الأمور التي استأثرت باهتمامه واستوقفته مثل غيرها «جديرة بأن أتوقف عندها، وأن أبرزها في ضوء ما عنَّ لي من فكر وأنا أقرؤها أو أقارنها مع غيرها مما يماثلها.

ولكنه، فيما يبدو أخيراً، ينوّه بما يمكن أن يتوقعه من قارئه الذي قد لا يشاطره الرأي والموقف والمنهج، فيقول: «وقد لا يجد القارئ فيها ما وجدته من أهمية، أو قد لا يرى أنها تستحق الوقفة أو الإبراز أو التمعن، أو أنها ليست بدعاً في شعر ابن عثيمين».

إن تلك التي لا تستحق الوقفة والإبراز ليست بأهمية الجوانب الأخرى في شعر ابن عثيمين مما لم يتعمق بها الخويطر، كالجوانب الإنسانية والشعورية. ولكن فيما يبدو فإن الخويطر، كما وصف كتاباته أحدهم ممن سطّر عنها عشرات الصفحات، «لم يعر أهمية كبرى للإنسان وأعماقه في أخلاقه وسلوكه مع: أسرته، وحيّه، وجيرانه، ومتجره، ووظيفته. . .».

وإن في شعر ابن عثيمين جوانب كثيرة غير جوانبها الحسية والمادية لمرئيات الطبيعة الجامدة والحية، والتي ربما وقف عندها دارسوه أمثال: «أحمد أبو الفضل عوض الله» في كتابه: (محمد ابن عثيمين شاعر الملك عبد العزيز)، و «عبد العزيز إبراهيم الفريح» في رسالته العلمية: (ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد)؛ مما لم يشر إليها الخويطر في كتابه.

وكنا نتمنى لو أنه أطال في وقفاته حول حكمة ابن عثيمين وثقافته وأثرها على شعره كوقوفه حيال المرئيات الحسية من سيف ورمح. . مما لا يتحملها كتاب، بل مقال بحلقة لا حلقتين في مجلة «الحرس الوطني».

على أن كتاب الخويطر فيه إضافة جديدة لمفهوم «فقه اللغة» ودلالات الكلمات والمفردات عند الشعراء، وهي الخصيصة التي ظهرت في معظم صفحاته، وقد نوّه بذلك في مواضع متفرقة من كتابه كقوله: «وإدراك الشاعر لدقة المعاني، وتقيّده بمدلولها يدل عليه اختياره لها، وفي تعدد استعماله للمترادفات بعناية دون خلط بين استعمال لفظ وآخر «ويلعب اختيار الكلمة في أسلوبه دوراً في دقة المعاني وقوتها». ولكن تطبيق تلك الخصيصة تستحيل في كثير من الأحيان إلى مطاردة واقتناص للمفردة الواحدة وتعقبها في النصوص الشعرية، بتعليق طفيف، وهي التي عبر عنها في مقدمته بأنها «كانت معلومات إحصائية طريفة».

مع أن قارئ شعر ابن عثيمين يجد فيه الكثير من الروائع المتألقة من أول قصيدة في الديوان حتى آخر ثلاثة أبيات يمتدح بها أحد أساتذته العلماء والتي يقول فيها:

هذي العلوم التي كنا نحدثها
عن الأوائل إجمالاً وتفصيلا
سيقت إليك موشاة مهذبة
فيها المعارف معقولاً ومنقولا
فاقطف ثمار المعاني من حدائقها
واشرب نميراً من التحقيق معسولا



● الكتاب: التعليم الأهلي في المدينة المنورة.
● المؤلف: دخيل الله عبد الله الحيدري.
● الناشر: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ٤٣٥ ص.

تجربة التعليم في المملكة العربية السعودية نالت اهتمام الباحثين والمفكرين والمسؤولين، وأُلِّفت فيها دراسات وبحوث تناولت مختلف جوانبها وأبعادها، بأشكال مختلفة، وغايات متماثلة، تصبّ في مصبّ واحد، لأنها تنهل من موارد ومناهل واحدة. . فتجري في قنوات أساسها الرؤية التاريخية، ومنهجها الاستقصاء والوصف والتحليل لتلك التجربة التعليمية.

وباحثنا «دخيل الله عبد الله الحيدري» تناول قطاعاً مميزاً ومحدّداً من تجربة التعليم في المملكة، هو «التعليم الأهلي في المدينة المنورة» خلال فترة زمنية امتدت ما بين عام ١٣٤٤هـ حتى عام ١٤٠٨هـ؛ أي خلال العهد السعودي.

ولأن التعليم الأهلي تقوم به مؤسسات غير حكومية أو أفراد رغبة في أداء نوع من التعليم أو التثقيف، أو الإعداد لمهنة ما. . فإن هذا البحث قام على ركنين أساسيين هما: الكتاتيب «التي كان يحفظ فيها الطلاب القرآن الكريم ويتعلمون القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب». والمدارس الأهلية «التي أسسها بعض الأفراد رغبة في الثواب من الله، أو رغبة في الربح المادي، أو كليهما».

ولئن استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي في تحليل ذينك الركنين، فإنه لم يغفل الاتجاه العملي أو المنهج الميداني، فقد استقرأ الكثير من المعلومات بالمقابلة الشخصية مع سبعة عشر شخصاً في المدينة وخارجها ممن كان لهم الدور البارز في تجربة التعليم الأهلي سواء كانوا طلاباً ومدرسين، أو مديرين ومؤسسين.

كما اطلع على تجارب غيره من الباحثين في الموضوع نفسه، وفي الموضوعات الأخرى من التعليم في المملكة. ولهذا لم نجده يتطرق لركنيه الأساسيين ــ الكتاتيب والمدارس الأهلية ــ في المدن السعودية الأخرى، لأنهما أشبعا في بعض تلك التجارب من غيره ولا سيما دراستي كل من «فيصل عبد الله مقادمي»، عن التعليم الأهلي للبنين في مكة المكرمة، و«عبد اللطيف بن دهيش» عن الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما.

ولكن باحثنا، في دراسته، يحاول أن يسهم مع غيره من الدارسين، بغية الأجر من الله في خدمة مدينة رسول الله ﷺ، وخدمة للباحثين وطلاب العلم كما يقول.

وإذا كان باحثنا قد حدد فترته ببداية العهد السعودي، فإن النظرة التاريخية قد حتّمت عليه أن يطوف ببحثه فيما قبل ذلك، ولا سيما حين يقف عند بدايات الكتاتيب في الجزيرة العربية: في الجاهلية وصدر الإسلام، ليذهب بعد ذلك ويقف عند الكتاتيب في المسجد النبوي وخارجه، وليصل بعدها إلى العهد السعودي، ويظهر نظام الكتاتيب آنذاك، ثم تلاشيها وقد حل محلها الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة. وقد أوضح أهم مدارسها وحلقاتها وأوقات الدراسة فيها، وأموراً أخر تتناول موظفيها وطرق تمويلها ومشاريعها المستقبلية.

ثم ينتقل الباحث إلى ركنه الثاني، المدارس الأهلية، وبخاصة تلك التي تحولت إلى جهات حكومية وتمثلت في خمس مدارس هي: مدرسة دار الحديث، ومدرسة التهذيب الخيرية، ومدرسة دار الأيتام، والمدرسة الرحمانية الخيرية، ومدرسة النجاح الأهلية.

ووقف طويلاً عند مؤسسيها، ومناهجها، وامتحاناتها، وطرق تمويلها، ومدرسيها، وإدارييها، وأشهر خريجيها. ليقودنا بعد ذلك إلى المدارس الأهلية التي تشرف عليها وزارة المعارف. سواء التي مازالت موجودة حتى الآن كمدرسة العلوم الشرعية ومعهد دار الهجرة، ومدارس منارات المدينة للبنين، أو ما أصبحت في طي النسيان، وأغلقت كالمدرسة الخيرية، ومدرسة دار العلوم السلفية الأهلية.

ورغم الأنظمة واللوائح والمقررات والمناهج التي كانت في المدارس الأهلية، وتماثلها قرائنها في المدارس الحكومية فإن ثمة إشارات وإرهاصات وتوجهات في حقول التربية والتعليم كانت بذورها وغراساتها بيد أصحاب المدارس الأهلية والعاملين فيها، وبخاصة في المدينة المنورة.

ومن هنا فقد سعى الباحث الحيدري سعياً موفقاً في استشراف مجالات ومواقف رائدة للمدارس الأهلية في العملية التربوية والتعليمية، كان لها كبير الأثر والانعكاسات الطيبة عن شؤون التعليم الحكومي في المملكة العربية السعودية؛ مثلاً: كانت مدرسة دار الأيتام تدرس مادتي التربية البدنية، والتربية الفنية قبل مدارس الحكومة، وتحقق في بعض المدارس الأهلية، في المدينة مقولة «المدرسة مركز إشعاع في البيئة»، حيث كانت تقام بعض الندوات في مدرسة دار الأيتام، يحضرها الأدباء وجمهور من الأهالي. كما أن بعض تلك المدارس أضافت مقررات جديدة عن المقررات الرسمية، كاللغات الأجنبية، بدءاً من روضة الأطفال، ودورات الكمبيوتر. وكان لمعهد دار الهجرة السبق إلى تأسيس دورات تدريس الآلة الكاتبة وعلم المحاسبة، وتدريس اللغة الإنجليزية من المرحلة الابتدائية، ومعها في ذلك مدارس منارات المدينة، وهاتان المدرستان سبقتا مدارس وزارة المعارف في تأسيس معامل للصوتيات ودراسة الكمبيوتر للمراحل الثلاث. كما أن تلك المدارس الأهلية لم تأخذ بنظام وزارة المعارف الجديد في المرحلة الثانوية، وهو ما يسمى «الثانوية المطورة»، وكأنها تدرك سلبيات ذلك النظام الذي تراجعت عنه مؤخراً وزارة المعارف.

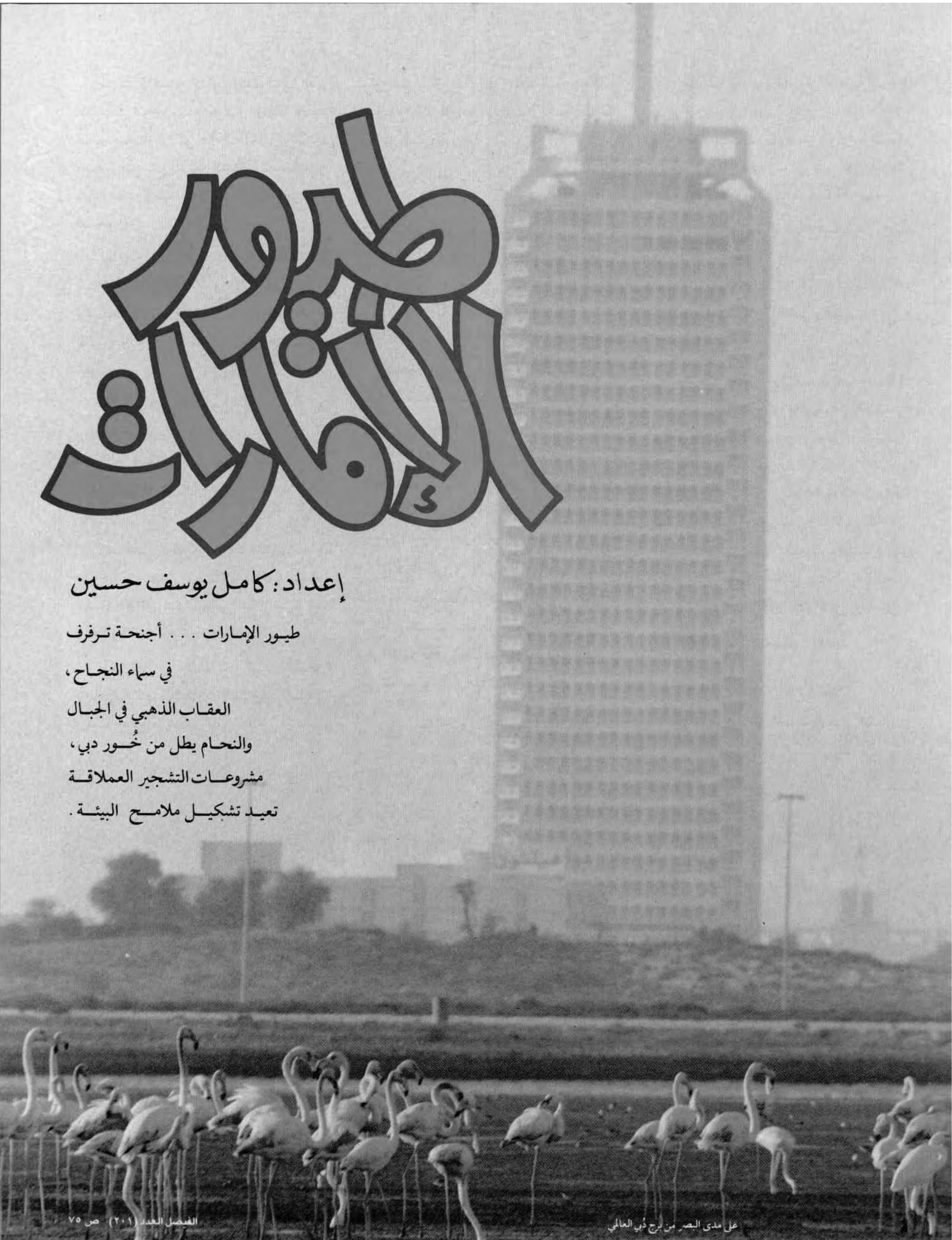
وإن هذا السبق الذي فطن إليه الباحث، ووقف عنده، كان مدعاته إلى اقتراح أو توصية قدمها للمسؤولين، من جملة اقتراحات وتوصيات بلغت الثلاثة عشر، وبنصه التالي:

«الاستفادة من بعض الأفكار التربوية الموجودة في بعض المدارس الأهلية كمدارس المنارات ومعهد دار الهجرة، وخاصة معامل الصوتيات في تدريس اللغات واستخدام الكمبيوتر وتأسيس النوادي المدرسية الرياضية، وحسن استخدامها لخدمة الطلاب والمجتمع المدرسي المحيط».

كما ينص اقتراح آخر ويوصي وزارة المعارف ويدعوها لدراسة تجربة مدرسة العلوم الشرعية ومدرسة دار الأيتام بالمدينة للاستفادة منهما في الجمع بين التعليم النظري والعملي، مع الاهتمام بتدريب الطلاب على المهارات العملية والحرفية، وإعدادهم للمجتمع الصناعي المعاصر الذي تحتل الآلة فيه مكاناً بارزاً في حياة كل فرد.

ولقد كان المعلم أو المدرس موضع اهتمام الباحث في عرضه وتناوله واقتراحاته وتوصياته، ونجاحه فيما يتعلق برواتبه وبعض همومه ومؤهلاته. فقد وجد أن «معظم مدرسي المدارس الأهلية مؤهلون تأهيلاً تربوياً، وكلهم متعاقدون، أما السعوديون فلا يعملون في هذه المدارس لقلة الرواتب عن المدارس الحكومية». لذلك رأى، مقترحاً وداعياً وزارة المعارف إلى تزويد المدارس الأهلية بالمدرسين السعوديين، ويأمل أن تشترط الوزارة راتباً شهرياً لهم مماثلاً لمدرسي المدارس الحكومية. وإن فكرة الراتب وزيادته أمر مهم في عملية التعليم والعطاء. ولهذا أوصى بتحسين رواتب مدرسي المدارس الأهلية من قبل مؤسسيها، كما أوصى بعدم إرهاقهم في التدريس صباحاً ومساء، فذلك يؤدي إلى التعب والإرهاق، ومن ثم الإهمال والكسل الذي ينعكس أثره على الطلاب. ولكن الباحث نسي أن الزيادة في الرواتب كثيراً ما تمتص من المدرس كل أتعابه وهمومه، كما هو كائن الآن في «مدارس الملك فيصل» في الرياض.

ورغم اعتراف الباحث بوجود نقص في بحثه الذي قام على الوصف التاريخي، ورغم اعترافه بثغرات كان يمكن لمزيد من الموضوعات أن تسدها.. فإن ذلك لا يبرر نقصه. فالمقارنة بين التعليمين (الأهلي والحكومي) أمر مهم وضروري، وكذلك دراسة مشكلات التعليم الخاص ومن ثم العام، وفي رأسها مشكلات المعلم إذ كان عليه أن يركز عليها، ويقف عندها طويلاً وما أكثرها، والمعلمون أنفسهم يعرفونها أكثر من غيرهم. وهؤلاء (الغير) أبعد الناس عن تفهمها أو محاولة حلها.



طيور الإمارات

إعداد: كامل يوسف حسين

طيور الإمارات . . . أجنحة ترفرف
في سماء النجاح،
العقاب الذهبي في الجبال
والنحام يطل من خُور دبي،
مشروعات التشجير العملاقة
تعيد تشكيل ملامح البيئة .

على مدى البصر من برج دُبي العالمي

مع مشرق شمس كل يوم تـزداد كثافـة الطيور المقيمـة في شبه الجزيـرة العربيـة، وتنطلق نحوهـا طيـور جديـدة من كل آفاق الـدنيا، في انعكـاس مبـاشر لنجـاح بـرامج التشجير العمـلاقـة، ومشروعـات التعـامل الإيجابي مع مفـردات البيئـة الصحراوية.

فالوضع في دولة الإمارات العربية المتحدة ليس استثناء من هذه القاعدة، وإنما هو عنصر فعال في تأكيـدها على نحو استقطب اهتمام عشّاق مـراقبة الطيور، والداعين للحفـاظ عليها في مختلف أرجاء العالم.

والذيـن تعتبر هذه الحقيقـة أمرًا مفـاجئًا لهم، يبـادرون إلى التساؤل عن كيفيـة ازدهـار مكونـات الحياة الطبيعيـة بعامـة والطيور بصفـة خاصـة، في الوقت الذي تشكـل فيه الصحراء الجزء الأكبر من أرض الإمارات.

وهذا التساؤل قد يكون انعكاسًا لنظرة سطحية على خـارطـة تضـاريس المنطقـة، لكنـه يتجـاهل سلسلة الحقائق المدهشة، التي تشكل نسيج الحياة اليومية في الإمارات في الوقت الراهن.

ولكي نطل على جـانب من هــذه الحقـائق، وندرك عـلاقتها بـالتطورات البيئـية في الإمـارات، وبصفة خاصة ما يتعلق بالطيور، ينبغي أن نتلمس - عن قرب - طبيعة الأرض في الإمارات، وانعكاس النجـاح الهائل للبرامج الإنمائيــة والتشجيريـة على ازدهـار البيئة ومكوناتها.

يمكن القـول إن هنـاك أربعة تقسيمات رئيسـة لأرض الإمارات، من حيث تضاريسها ومعالم الحياة الطبيعية فيها، هي بحسب تـدرجها من الصعوبة إلى اليسر، من حيث إمكان ازدهـار الحياة الطبيعية فيها، كالتالي:

المناطق الصحراوية

النظرة الأولى على خارطة الإمارات تشير إلى أن المنـاطق الصحـراويـة المتسعة فيهـا تعـد من أكثـر الصحـاري جفـافًا وقسـوة في العـالم، حيث تصل درجة الحرارة في معظم أيام الصيف إلى خمسين درجة مئوية، الأمر الذي يضاعف من أهمية الظل، الذي بـدونـه لا يمكن للكـائنـات ذات الـدم الـدافئ، كالطيور، تنظيم درجة حرارة أجسامها.

ولكن التدقيق في الأمـر يشير إلى عناصر إيجابية عديدة، حتى وسط هـذا الملمح السلبي، فالمناطق الساحليـة ليست بعيدة عن صحراء الإمـارات، مما يوفر النسيم الذي يخفف ضراوة الحرارة عن الطيور، التي تستفيد يوميا من هذا التبريد.

ومن ناحية أخـرى فكثيرًا ما توجد الميـاه العذبة على عمق محـدود، وهــذا يتيح الفـرصـة لـوجـود الواحات ونمو الأشجـار. وتؤدي الأمطار المحدودة التي تسقط شتــاء، إلى نمــو شجيرات صغيرة، وتتعدد أشجار الغاف والسمر، التي تحفل بأعشاش الطيور القادرة على التكيف مع هذه الظروف.

وقد شقـت قلبَ الصحراء شبكـةٌ مـن الطرق التي تم تشجير جوانبها جزئيًا أو كليًا، مما أوجـد أوضـاعًـا إيجابيـة، فضــلاً عن زحف مشروعـات التشجير واستـــزراع النخيل وإنشـــاء المزارع التجريبية.

وفي هذه البيئـة، ورغـم صعوباتها العـديدة، تحلق طيور الصرد الرمادي الكبير، وهازجة الصحراء والـوروار الأخضر الصغير، والشقـراق الهنــدي، والقبَّرة المتوجـة، والهازجـة الرشيقـة، والشرثـارة العربية، والتمير الآسيـوي، والحمام المطوق والحمام الـدبسي، والـدراج الـرمـادي والبراكيت الأخضر، والبلبل الأبيـض الخد، كما سجلت مشـــاهــدة الهدهـد، والجشنـة الصفـراء، وجشنـة الشجـر، والذعرة الصفراء، والأبلق الكستنائي، والحمراء، وأبلق البادية، وسمنة الصخور، وغيرها.

مناطق الجبال والأودية

قـد تبـدو المنـاطق الجبليـة في شرقي الإمـارات



وشماليها بقسوتها وطبيعتها الحجرية القاسية بيئة طاردة للطيور. ولكن الحقيقة أنها مناسبة لأنواع بعينها من الطيور، منها طيور الأبلق الأسود ذات الظهور البيضاء، حيث يساعد هذان اللونان على تمويهه واختفائه عن أعدائه، وهناك البومة الصغيرة، وقبَّرة الصحراء، وخطاف الصخور الشاحب، إضافة إلى أنواع من الطيور المهاجرة مثل الأبلق الأحمر الذيل، وهازجة الأودية وهازجة الصحراء الصغيرة، وهازجة الورق غير الملونة، كما سجلت مشاهدات لطيور الرخمة، وطيور العوسق.

المناطق الساحلية والمسطحات الطينية

تتميز الإمارات بسواحلها الطويلة الممتدة على الخليج العربي من ناحية، وعلى خليج عمان من ناحية أخرى. حقًا إن هذه الامتدادات الساحلية لا تتعامد عليها أنهار، لكنها - بالمقابل - تحفل بالأخوار والألسنة البحرية الممتدة في البر وبالمسطحات الطينية الناجمة عن انخفاض الخليج العربي. وفي مقدمة هذه الأخوار خور دبي، وخور الظبية، وخور الجزيرة، وخور البيضا، وخور عجمان، وخور النهان.

وتحفل هذه المناطق الغنية بالغذاء الطبيعي للطيور بأسراب بكاملها في زقزاق الرمل الصغير، والطيطوي الصغير، وكروان الماء، والبقويقة الموشومة الذيل، والكروان، ويأتي بعض الطيور إلى



في حديقة حيوان دُبي



النحام الكبير في خور دُبي

هذه المناطق من روسيا واسكندنافيا وآسيا، وتلفت النظر طيور النحام الكبير الموجودة معظم العام قرب المستنقعات، وتشاهد بكثرة في خور دبي. أما البحيرة الشرقية في «أبو ظبي» التي أعلن عن جعلها محمية طبيعية، فتوجد بها أشجار القرم التي تعشش بها الطيور المقيمة، مثل طيور الواق الأخضر الصغير، وبلشون الصخور، والهازجة الصاخبة.

وتنتشر كذلك في هذه المناطق طيور مثل مالك الحزين، والبلشون الأبيض الكبير، والغاق الكبير، والنورس والخرشنة.

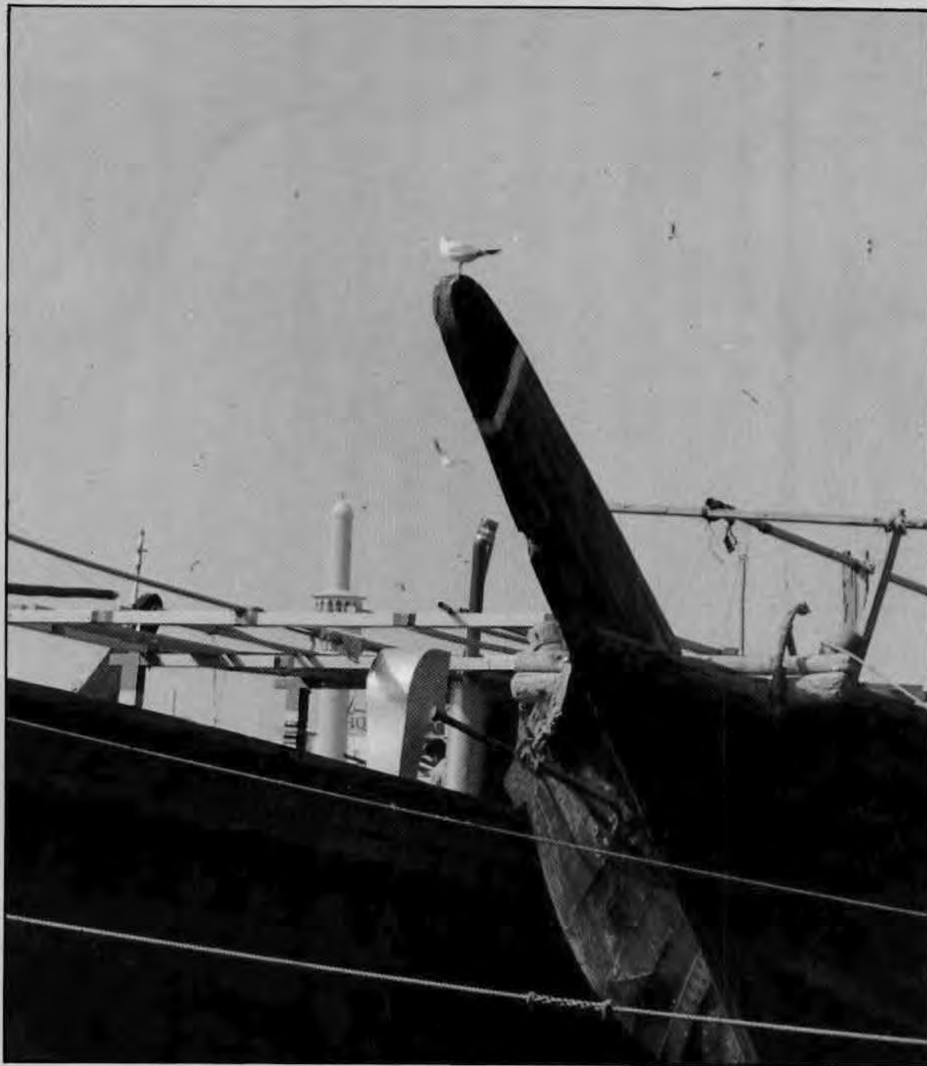
مناطق المتنزهات والحدائق

تشهد الإمارات تنفيذ خطط ومشروعات للتشجير، يمكن أن توصف دون مبالغة بأنها الأكثر جرأة وطموحًا في العالم العربي، حيث تَتَعَدَّد المتنزهات والحدائق والأحزمة الخضراء والنطاقات المحيطة بالطرق وعلى امتداد شوارع المدن. وتجتذب الإمارات الشمالية بصفة خاصة عددًا كبيرًا من أنواع الطيور، فقد سجل في نطاق ثلاثين كيلومترا من مركز مدينة دبي وجود حوالي ثلاثمائة نوع من أنواع الطيور بشكل منتظم في المتنزهات والحدائق. وخلال ست سنوات فقط من عمر حديقة الصفا، التي تبعد ١٢ كيلو مترًا عن مركز دبي، تم تسجيل ٢٣٠ نوعًا من الطيور.

ومن الطيور التي تكثر في هذه المناطق الحمام الدبسي، والبراكيت المخضر، والبلبل الأبيض الخد، والهازجة الرشيقة، والتمير الآسيوي، والعصفور الدوري، وغيرها كثير.

ولكن هل كانت مشروعات التشجير وحدها وراء هذه الثروة من الطيور المقيمة والمهاجرة التي تشهدها سماء الإمارات؟

الإجابة هي: النفي، على وجه الدقة، فمشروعات التشجير مهمة، لكنها ـ وحدها ـ ليست كافية لإحداث مثل هذا التطور الكبير، وإنما هناك عناصر عديدة أخرى، منها إنشاء المسطحات المائية الكبيرة، وتوفير المياه على نطاق هائل، كما هو حادث في مشروع محطة تحلية المياه العملاقة في جبل علي، ومحطة زعبيل لمعالجة المياه (مزرعة الأسماك)، وتوافر مصادر الأطعمة في المدن، والسياسات التي دأبت البلديات على اتباعها،



«البوم» محطة في سفر طويل

ومنها الحرص على الحفاظ على مناطق أعشاش الطيور، وتخصيص مناطق بكاملها لتكون محميات طبيعية، وغير ذلك من الإجراءات الفاعلة، المندرجة في إطار خطط متكاملة.

ولكن إلى جوار ما أوردنا من أنواع الطيور في الإمارات، ما النوعيات التي يمكن أن تستقطب اهتمام هواة مراقبة الطيور تحت آفاق الإمارات؟

يعتبر العقاب الذهبي من أشهر الطيور في العالم وأندرها، وقد يسعد هواة مراقبة الطيور والمهتمون بالحفاظ عليها أن يعلموا أنه رغم عدم الارتياح التام علميًا لحالة انتشار هذا الطائر في الإمارات، إلا أن التقارير أفادت بوجود أفراخه في مدينة العين، ويمكن أن يشاهد هذا الطير من سبتمبر إلى أبريل بأعداد قليلة جدًا، بعيدًا عن الجبال.

أما العقاب المنقط فيشاهد بأعداد صغيرة من أواخر أكتوبر إلى أبريل، وبمضي الشتاء في المواقع الساحلية المنعزلة، بما في ذلك أشجار القرم والسنجات والجزر الداخلية والأضوار، كما يمكن مشاهدته في المناطق الداخلية من الإمارات أثناء هجرته.

ومن الطيور التي تستقطب أنظار عشاق مراقبة الطير في الإمارات؛ النحام الكبير الذي يعرف محليا باسم «فنتير»، وكثيرًا ما يُرى قرب الأهوار والسبخات على امتداد ساحل الخليج، وهو شديد الحساسية للإزعاج وسريع التنقل، ورغم أن مواقع أعشاشه محدودة في العالم بأسره إلا أنها شائعة على خور دُبي بفضل حماية حكومة دُبي له بعد إنشاء جزيرة لأعشاشه وسط الخور.

ومن الطيور المقيمة في الإمارات طائر الواق الأخضر الصغير، الذي تأقلم في بيئات من صنع الإنسان، حيث يصيد السمك من الأماكن



أجنحة ملء الأفق

الصخرية، أو من جدران الموانيء وكاسرات الأمواج. وغالبًا ما ترصد أعشاشه في الفترة من مارس إلى يوليو في أشجار القرم والتجويفات الصخرية.

وعشاق شعر الطرديات لابد لهم من أن يذكروا طائر القطا، وهو من الطيور المقيمة في الإمارات، فالقطا المخطط منتشر في التلال والأودية الصخرية والمسطحات الحصوية، وعادة ما تشرب أعداد كبيرة منه صيفًا من برك المياه الأثيرة عنده، وتشاهد أعشاشه من أبريل إلى سبتمبر.

أما القطا المتوج فتسجل مشاهدته بصورة أكبر في الشتاء، ويتم رصده على التلال الصخرية والمسطحات الحصوية والأودية.

أما عشاق القنص بالصقور فلا بد أنهم سيطرحون السؤال المنتظر حول مدى توافر طائر الحبارى في الإمارات. وبداية لا بد من الإشارة إلى أننا عندما نتحدث عن الحبارى فنحن نتحدث عن اثنين وعشرين نوعًا، تدخل ضمن ثمانية أجناس، ورغم أن بعض قوائم التصنيف تضعه في قائمة واحدة مع الكركي، فإن خبراء الطيور يرون أنه أقرب إلى النعامة.

وقد كانت المناطق القاحلة في شبه الجزيرة العربية، ومن بينها بعض المناطق في صحراء الإمارات مرتعًا للحبارى في أوقات سابقة، جنبًا إلى جنب في مناطق انتشاره التقليدية في شمال أفريقيا، من موريتانيا إلى أثيوبيا وجيبوتي والسودان، ثم عبر البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية فالكتلة الممتدة عبر باكستان ومناطق بالهند وبنجلاديش، ولكن أعداده تقلصت إلى حد كبير.

وفي الوقت الحالي يمكن الإشارة إلى نقطتين؛ أولاهما: أن الحبارى موجودة بأعداد قليلة للغاية في المناطق الوعرة من الإمارات، وخاصة في رأس الخيمة. والثانية: أنه أمكن في دُبي تفقيس الحبارى في حضانات اصطناعية لأول مرة في الشرق الأوسط، وذلك منذ عدة أعوام، وقد تناقلت وكالات الأنباء النبأ في حينه نظرًا لاستحالة تفقيس هذا الطائر في الأسر.

وما زال الأفق على اتساعه أمام المشروعات الطموحة التي تنفذها الإمارات في إطار خطط التنمية والتحديث، وخاصة في مجالات التشجير وزراعة الصحراء وتطوير المحميّات الطبيعية. ويُجمع الخبراء على أن ذلك سينعكس بالإيجاب على معالم البيئة ومفرداتها ومكوناتها، وفي مقدمتها الطيور.

المراجع

١ ـ ريتشاردسون، كولن: طيور الإمارات. أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٩٩٢م.

2 - Robinson, Dave. Birds of Southern Arabia. Dubai - Mativate 1992.

(٣) ـ أوسبورن، باتريك وآخرون، الحبارى. دُبي، ندوة الثقافة والعلوم، د. ت.

متاحف للأطفال شعارها:

اقترب والمس!

رجب سعد السيد



الصغار يعيشون داخل بيت حقيقي عـاش فيه أجدادهم الأمريكيون منذ مائتي عام

قد يكون بعضنـا لا يزال محتفظا بفكرة ثابتـة عن المتاحف، فلا يراهـا أكثر من مجرد قاعـات فسيحة تعرض نماذج وعينـات من آثار متربة، أو كـائنات محنطـة، يقوم على شـؤونها أفراد يتحـركون بـلا حماسة، وكـأنهم ـ من طـول معاشرتهم للمعـروضات ـ قـد انتقلت إليهم عدوى السكون!

لقـد تغيرت تلك الصورة تمامـا، وأصبح المتحف الحديث مؤسسـة متكاملة تُعنى بالحاضر، وعيونها على المستقبل. إنها تجمع مقتنيـاتها من الطبيعـة، وتسجل وتحتفظ بنماذج من المنجزات الحضارية في مختلف مجالات النشاط البشري، وتعيد صياغتها بلغة متحفية جديدة، ترمي إلى توسيع أفق الإنسان ومداركه.

وقد تختلـف المتاحف بـاختلاف اختصاصاتها، إلا أنها تكاد تتشابه في أنظمة العمل، كما تتحـد في الغاية، وهي تقديم خـدمات تثقيفية جـديرة بمن يعيشون في عصر المعلومات.

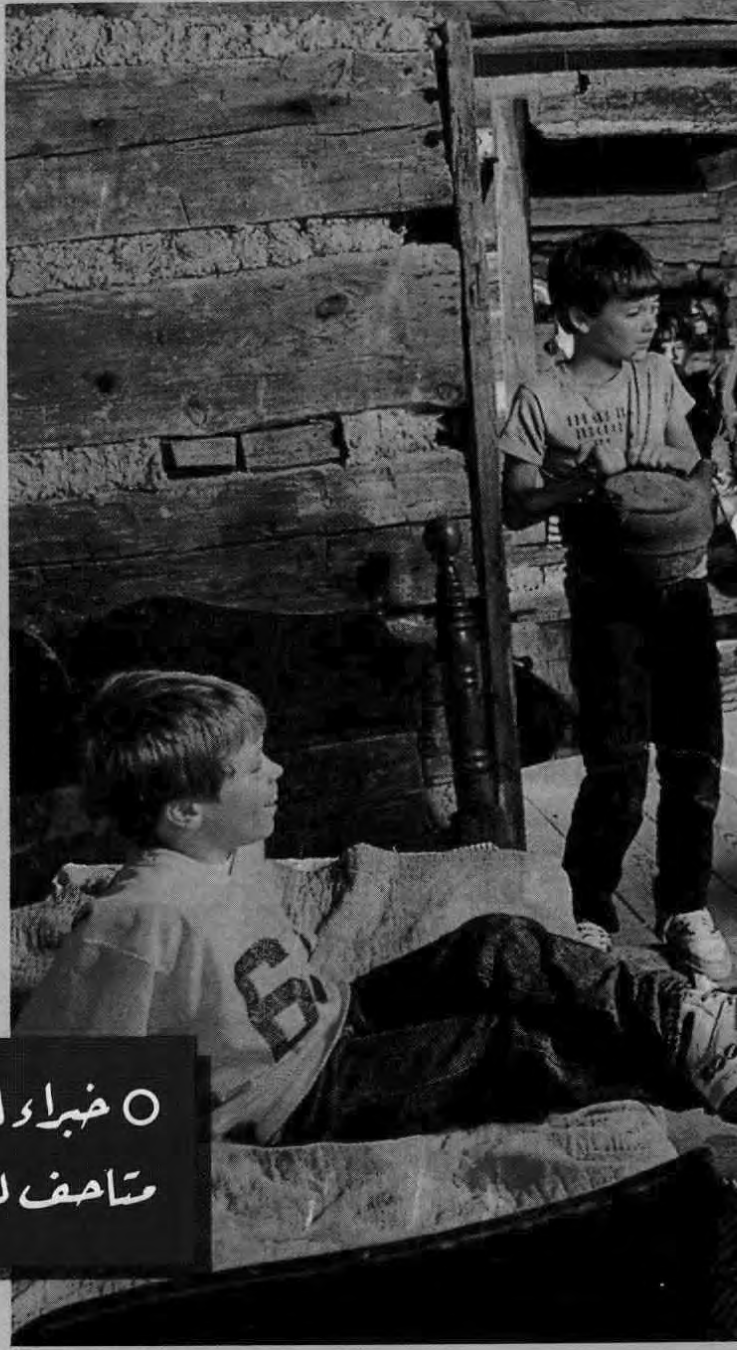
لقـد تأثـرت المتـاحف الحديثة بالمعطيـات التقنية المتـلاحقة في مجالَيْ الاتصالات والمعلـومات، وهـي ـ أي المتاحف ـ بـدورها، تسعى أن تكون استجابتها لهذا التأثـر إيجابية، وذلك بنقل البشر إلى بـؤرة الأحـداث العلميـة. ويمكن القـول إن تخديم التقنيـة في مختلف مجالات العمـل المتحفي قـد أحـدث ثـورة متحفيـة، بحيث أصبح على كل مـن يملكـون متاحف تقليـدية أن يعيـدوا النظر في مختلف شـؤون هـذه المتـاحف التي أصبحت هـي نفسهـا تستحق أن توضع في متحف!

ويهمنا هنا أن نلقي أضواء مركزة على نوع من المتاحف الحديثة، يتوجه بكـاملـه إلى فلـذات أكبـادنـا: الأطفال.

وأعتقد أن منا من صحب أطفاله في زيارة لمتحف أو أكثر. يسير الطفل بجـانبك، تتـابع عيناه معـروضـات المتحف، يبحـث عن أشيـاء تمس



الأطفال في متحف برمنجهام يلتفون حول «مستر بون» (السيد عظام) يساعدونه في ارتقاء وتسيير دراجته!



○ خبراء التربية والمتاحف فطنوا إلى أهمية وجود متاحف للأطفال لا تتعامل بكلمة «ممنوع»!

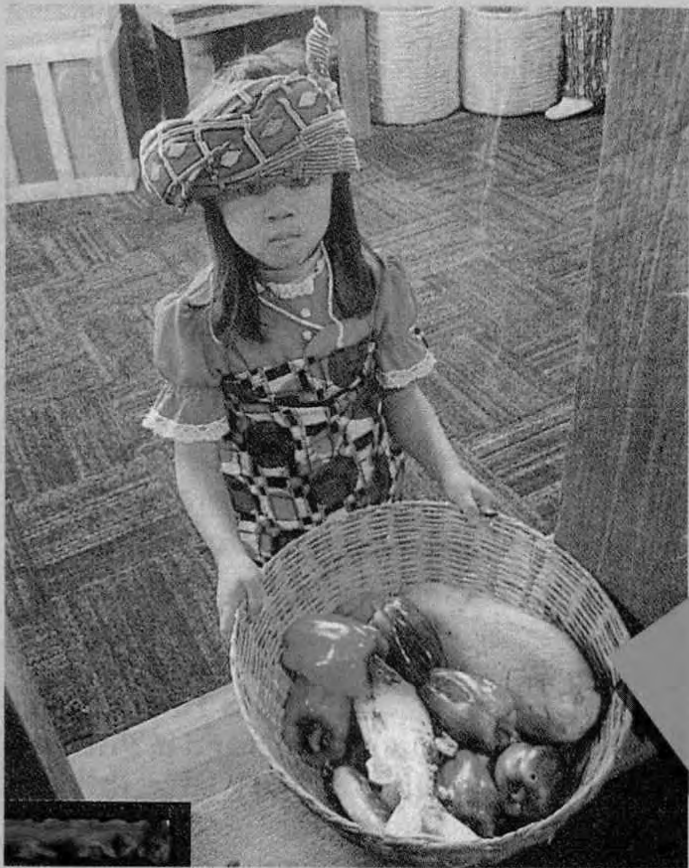
صميم اهتماماته الطفولية وتتعامل بلغتها الخاصة، فلا يجد إلا معروضات أعدت للكبار. وإذا حدث ووجد ركنا يهتم به باعتباره طفلا، فإنه لا يزيد عن مساحة ضيقة في المتحف (الكبير)، لا تنقصه الجهامة، ويخلو من متعة حقيقية، ولا يخلو من التنبيهات والتحذيرات، معلقة على الجدران، أو تنطق بها أفواه المشرفين والمصاحبين في حزم: لا ترفع صوتك! لا تقترب! ابتعد! لا تلمس شيئاً! ضع يديك في جيبي سترتك!.

لقد تغيرت الحال اليوم، وفطن خبراء التربية والمتاحف إلى أهمية وجود متاحف للأطفال، تُلغى فيها كلمة (ممنوع). وقد ارتفع عدد هذه المتاحف، في السنوات العشر الأخيرة، ليصل - في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها - إلى ثلاثمائة متحف، لا تغلق أبوابها يوما واحدًا طول الأسبوع، وتلقى إقبالاً شديدا من الأطفال الأمريكيين. وقد كتبت طفلة في الثامنة من عمرها في سجل أحد هذه المتاحف، تقول: «لم يكن يشبعني أن أتجول وأسمع فقط في المتاحف القديمة. أما هنا، فللمس الأشياء متعة مختلفة!».

وفي متاحف الأطفال الحديثة تختلط متعة المشاهدة بمتعة ممارسة المهارة اليدوية، بلذة اكتشاف الأشياء والحقائق، بالدهشة. وهل نطلب لأطفالنا أكثر من ذلك؟!

في أحد المتاحف، يمرح الأطفال بالمرور بين ثلاث مرايا تتصل ببعضها بزوايا مقدار كل منها ٦٠ درجة. ومع انبهارهم بالعدد غير المحدود من صورهم المنعكسة في تداخل شديد بين المرايا الثلاث، يمكنهم أن يتلقوا من المشرف المتخصص بعض الحقائق

كيف ابتكر متحف برمجهام طريقة تُعرِّف بالتشريح الطبي دون إخافة الأطفال؟!



فتاة صغيرة داخل كوخ إفريقي

العلميـــة البسيطـــة عــن الضـــوء وانعكاسه .

وتعد هذه المتاحف أطفال اليوم للتـآلف مع (آلات ذكية)، يتوقع لها أن تنتشر وتتـدخل بشكل أوسع في حياة البشر خلال القرن القادم . إنها «الروبوتات» . ففي متحف مدينة بيتسبرج يقضي الأطفال وقتًا طويلاً مع «جيمني»، التي تمت برمجتها لتتحرك وتعابث الأطفال، وتحادثهم، وقد تغني لهم أيضًا إذا طلبوا منها ذلك! . فخلال العشرين سنة القادمة، سيكون على هؤلاء الأطفال أن يتعاملوا مع جيمني، ويطوروها، ومن الأفضل أن يتعرفوا عليها من الآن، ليسلس لهم قيادها، فلا تصير مشكلة تعقد لهم الحياة .

معاينة الحياة

وتتيح بعض متاحف الأطفال الحديثة أن يعين الصغار أدوارًا، ليزداد اقترابهم من بعض الأنشطة التي يمارسها الكبار في المجتمع . فهذا متحف في مدينة إنديانا بوليس، يقدم للأطفال ملابس رجال الإطفاء كاملة، فيرتدونها، ويسرعون إلى تشكيل هيكلي يشبه عربة المطافىء، فيجلس أحدهم إلى عجلة القيادة، بينما يحتل الآخرون مواقعهم في العربة التي تتأهب للانطلاق إلى موقع الحريق!

ولا نعتقد - بعد هذه الزيارة - أن تظل عربة الإطفاء عند انطلاقها في الشوارع بأصواتها المرتفعة وأنوارها الحمراء المبهرة، مصدر إزعاج وخوف لهؤلاء الصغار.

ويهتم متحف الأطفال في هيوستون بعرض مكونات البيئات الإنسانية المختلفة . والتي من خلالها



يتعرف الأطفال على كيفية الحياة في قارب عائم، كما يعيش بعض الشعوب في آسيا



○ هذه المتاحف تُعدّ أطفال اليوم للتآلف مع "آلات ذكية".

متحف مدينة إنديانا بوليس للأطفال يوفر لهم متعة اكتشاف مهارات رجال الإطفاء، بأنفسهم. ها هم يرتدون ملابسهم، ويركبون عربتهم!



يأخذ الصغار معلومات عن الثقافات السائدة في تلك البيئات، ومن بينها بيئة الغابة الأفريقية، والحياة في الصين، وفي المكسيك وبعض الولايات الأمريكية ذات الطابع الخاص. ويمكن للأطفال في هذا المتحف أن يرتدوا الأزياء التقليدية الخاصة بهذه البيئات، ويعيشوا بعض ملامح الحياة اليومية، كما يفعل السكان الأصليون في تلك البلاد. وهكذا يحصل الطفل على درس في الجغرافيا البشرية!

هيكل عظمي يقود دراجة!

ويعترف كاتب هذه السطور بأنه (هرب) من دراسة الطب، لأنه لم يكن يتصور أن يقف في المشرحة ليعبث بجثة بشرية أو يتفحص قطعًا من هيكل عظمي لإنسان. لذلك، أعجبتني كثيرًا فكرة «السيد عظام» التي يقدمها متحف للأطفال في مدينة برمنجام. لقد فكر المسؤولون عن المتحف في طريقة يقدمون بها درسًا في التشريح، لأطباء المستقبل من الأطفال المترددين على المتحف، بحيث يزيلون تمامًا أي احتمال للخوف من مشاهدة الهيكل العظمي الآدمي أو ملامسته وهو وإن كان مصنوعًا من اللدائن إلا أنه هيكل آدمي أولاً وأخيرًا. فماذا يفعلون؟

أولاً: أعطوه اسمًا هو «مستر بونز». وثانيا: أركبوه دراجة! نعم. وعلى الأطفال ـ في عمر التاسعة ـ الذين يقتربون مبتسمين، أن يساعدوا «المستر بونز» على ارتقاء دراجته والاحتفاظ بتوازنه عليها، وأن يحرك ساقيه وذراعيه لإدارتها والسير بها قدمًا!

وهكذا، يتوصل الصغار بأنفسهم إلى كيفية عمل عظام البشر، وتكوينها، وطرق تمفصلها. فإذا وصلوا إلى عتبات كلية الطب، لم يفروا منها خوفًا، كما فعلت!

أتمنى أن تصل هذه المتعة إلى أطفالنا.

التعلم باستمتاع

وإذا كنا لم نبدأ بعد، فإننا لم نتأخر كثيرا. لنبدأ. لاتزال الفرصة متاحة لنقل تقنية هذه المتاحف، واختيار الأفكار المناسبة لأطفالنا، فهم يستحقون أن يتعلموا باستمتاع، وأن يألفوا الأشياء والحقائق ويلمسوها، وأن يقتربوا من القرن القادم ويطلوا عليه دون أن يشعروا بأنهم غرباء عنه، بل أصلاء فيه، وجديرون به!

أطلالة مشرقية على المملكة المغربية

إعداد: ناصر الجيلاني

أخيراً تحقق الحلم الـذي ظل يـراودني منـذ الصغر، عندما كنت أقرأ أخبار العرب ودخولهم أفريقيا، حيث الجبال القاسية والسكان البربر الأقوياء وكاهنتهم الزناتية. كان كل ذلك يجعلني أحلق في الخيال راسماً الصور السحرية تغطيها الألوان الضبابية. وكنت أتناول كل خبر عن لوحة أو قطعة فنية تمت بصلة إلى ذلك المغرب الساحر بكل الشوق والاهتمام. وهبطت الطائرة عند الفجر في الدار البيضاء. الهواء به برودة خفيفة وسحر جميل، وجدران المطار تزينها الفسيفساء بزخارف إسلامية، وكان عليَّ قبل كل شيء أن أتعرف على الدار البيضاء التي كانت تسمى قديماً «آنفا» حين كانت عاصمة لمملكة «بورغواطة» البربرية قبل دخول الموحّدين إليها، حيث لم يطلق عليها اسمها الجديد حتى أعاد السلطان محمد بن عبد الله بناءها سنة ١٧٧٠ م حيث أطلق عليها الإسبان «كازابلانكا» وها هي ذي اليوم مدينة حديثة قد اغتصبتها المدنية من سحرها القديم ووصل سكانها إلى ثلاثة ملايين. وتركتها سريعاً وانطلقت إلى الرباط العاصمة التي لا تزال تحافظ على أسوارها وأبوابها القديمة، وهناك أحسست بالمغرب الساحر، الأسواق الشعبية وبائعي الماء ومتحف الأودية وشاطىء المحيط والأحياء الراقية، ثم انطلقت إلى «فاس» العاصمة الروحية والعلمية للمغرب، والتي أقام بها يحيى بن إدريس واحدة من أولى الجامعات في العالم «جامعة القرويين» التي وحدها بشطريها بعد ذلك يوسف بن تاشفين. ثم كانت زيارتي للمدن التاريخية أصيلة وأزمور والجديدة وأسفى والصويرة وحتى وادي زم.



مسجد تنمل

من بقايا الآثار المُوَحِّدِيَة المهمة مسجد تنمل الواقع على مرتفعات الأطلس الكبير جنوب مراكش (قرب وادي النفيس)، وهو من المواقع التي شهدت ميلاد الدولة الموحدية التي كان لها شأن كبير بالمغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وقد بُني هذا المسجد بإذنٍ من الأمير الموحدي عبد المؤمن سنة ١١٥٦م ودُفن فيه المهدي بن تومرت زعيم الدعوة الموحدية.

فن العمارة

ولعل أول ما يلفت النظر عند زيارة المغرب هو العمارة حيث تبدو الأصول العربية المشرقية والطابع المغربي الوطني والأفريقي في تمازج رائع مع فنون البحر المتوسط عبر تعاقب الدول والحضارات. تتميز العمارة المغربية بالأبواب، وهي أنواع عديدة، منها أبواب المدن التي هي عمل عسكري قبل كل شيء، بعضها من الحجارة كما في باب أغنانو بمراكش، أو من الزجر وهو التراب المدكوك كما في باب الجيزة بفاس، وكثيراً ما تزيَّن الأبواب بالحجارة المنحوتة كما في باب سغمه بفاس، ويغلق الباب بواسطة مصراعين ضخمين من الخشب المغطَّى بالمعدن المسمَّر، وهناك أبواب الأحياء، وأبواب الدور، وأبواب الصروح الدينية كالمساجد والمدارس في الزوايا التي غالبا ما تكون



مسجد القرويين

شيد المسجد في عهد الدولة الإدريسية في غرة رمضان عام ٢٥٤ هـ ٨٥٧ م بأموال السيدة فاطمة الفهرية، ووُسِّع في عهد الدولة اللاحقة.

ليس هذا الصرح الديني للعبادة فقط بل يُشتهر بكونه من أكبر الجامعات في العالم وأعرقها (جامعة القرويين) التي خرجت علماءَ أفذاذًا في الفقه والنحو والفلك وعلوم أخرى كثيرة، وهي مفخرة حضارية وإنسانية تستحق كل اعتبار وإجلال.



موقع وليلي الأثري

قوس النصر

يُعرَف باب النصر بوليلي اسم قوس كراكالا الذي شيد سنة ٢١٧م إبان العهد الروماني بالمغرب، وقد بني هذا الأثر بالحجارة المنجدة الصلبة ذات الحجوم الكبيرة، ويتكون من قوس مركزي عرضه ٥,٨٧ مترا وأكثر من ٨ أمتار ارتفاعا، على جنبات الباب يلاحظ وجود شبه نوافذ مثلثة الرؤوس وقواعد ساريتين مرتفعتين كانتا موجودتين بجهتي الباب.

أما الجانب العلوي للباب فيقوم على صف من الحجارة مسنن. كما نجد كتابات منقوشة على طول الواجهتين تشيد بقوة ومكانة الإمبراطور كراكالا.

مشغولة بدقة، والمصنوعة من الخشب القويّ الملبس بصفائح من البرونز والمغطى بزخارف ناتئة.

ويؤدي الخشب في فنون المغرب بشكل عام دورًا بارزًا من حيث صناعة الأثاث، حيث يعتمد الفنانون على خشب أرز الأطلس في صناعة الصناديق والرفوف، وخشب العفص والمشمش والحامض والليمون والأخشاب الواردة من الخارج كالأكاجو والأبنوس، ويحافظ المغاربة على تغليف الأثاث بالجلد، واستعمال الخشب في بناء الصروح التاريخية والتذكارية، وتحمل الأبواب هنا عناصر من الخشب المحفور المستعملة كدعامة أو كسند أو للزينة كإفريز الباب أو الأعمدة، وتستكمل هذه الفنون جمالها بالمصنوعات المنفذة من البرونز والنحاس، حيث تُظهر أبوابُ جامعة القرويين وثريا جامع القرويين درجة الإتقان التي وصلت إليها صناعة البرونز عندهم. وتحتوي مجموعة النحاسيات على الأقداح الوقائية التي تحمل سورًا قرآنية في جوانبها الداخلية وأبراجا ملكية في جوانبها الخارجية. بالإضافة إلى آلات الرصد الفلكية والإسطرلاب المزخرف بالخط الكوفي الرصدي، وقطع الأثاث النحاسية كالأباريق والشمعدانات والقناديل والأواني والمرشدات والمباخر.

ونستطيع أن نلاحظ دور الأسلحة المغربية في فنونهم وتراثهم، حيث ما يزال العديد من الرجال يحملون أسلحتهم للزينة، ومن المعروف أن أسلحة المغرب كانت كلها مستوردة من البندقية حتى القرن الثاني عشر، ثم بدأت المشاغل المغربية في إنتاج المدافع المتطورة في القرن السادس عشر. ولعل فاس هي أهم مصادر السلاح هناك حيث تشتهر بالدروع والتروس والخناجر والسيوف، حتى شيد بها السلطان حسن الأول معملاً يسمى الماكينة في قصره وذلك في القرن التاسع عشر، حيث صنعت البنادق ذات الأخمص الخشبية الغليظة المرصعة بالصدف، والسيوف ذات الحد المعقوف.

ويبقى أن نلاحظ اهتمام المغاربة بالخزف، وترجع صناعتهم له إلى القرن الثاني عشر، وكان اهتمامهم الأول بالرسوم النباتية والأشكال الهندسية. وقد تأثرت نقوشهم بفن التزيين عند المرينيين، خاصة في استخدام النقوش شبه الكوفية والأقواس المقلوبة بالإضافة إلى بعض الأشكال المرسومة بالريشة. وتعتبر فاس وآسفي أهم مراكز الإنتاج.

مدن حصينة وقيم جمالية

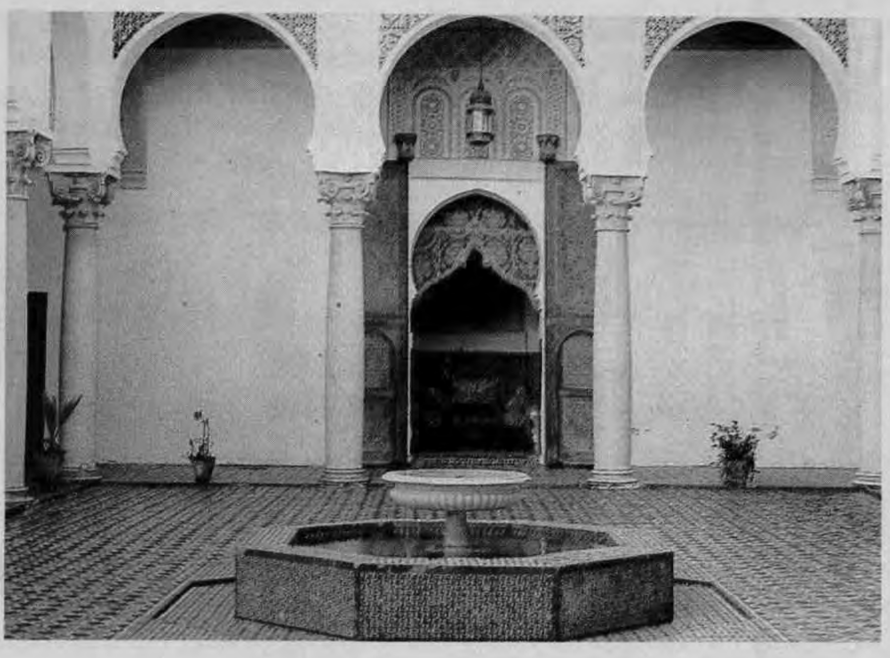
وتنفرد المدن الحصينة في المغرب بقيم جمالية رائعة باعتبارها آثارًا بالغة الأهمية تحدثنا بعزة وأنفة عن تاريخ الأجداد وصراعهم الطويل مع الغزاة الأجانب. فهناك أصيلة التي تقع في أقصى الشمال الغربي للمغرب في منتصف الطريق الرابط بين طنجة والعرائش، ويؤكد العديد من المؤرخين أن أصيلة المدعوة قديما «زيليس» يفوق تاريخها ثلاثة

إطلالة مشرقية على المملكة المغربية

آلاف وستمائة سنة حين كانت إحدى كبريات المدن بموريتانيا الطنجية، وقد تعاقب على احتلالها كل من الفينيقيين والقرطاجيين والبيزنطيين والرومان والبرتغاليين والإسبان حيث سميت بأصيلة بعد دخول الإسلام إليها. ولم يقتصر تاريخها على الحروب والمعارك بل كان كذلك تاريخ ثقافة وفنون، وهناك تلحظ العين باب القصبة وباب إيجوم وساحة برج القمرة. أما أزمور التي يطلق عليها أيضا اسم «مولاي بوشعيب» وهو اسم رجل صالح مدفون فيها، فتعد مركزًا خلابا ورائعًا وهي على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع قبيل مصبه بكيلومترين فقط، وتتميز أبواب المدينة بأسلوبها الفني الذي يحمل آثارًا من الفن المعماري البرتغالي. وعلى بعد مسافة قليلة منها توجد مضايق مهيوله المعروفة باسم «مضايق البرتقال».

غير أن الجديدة هي أهم هذه المدن حيث تتميز بأجمل وأعظم المباني التاريخية النادرة ذات الشكل القوسي القوطي، وقد كانت في البداية حوضًا مرفئيًا يسمى «معقل الملاك» أعده رجال فاسكودي جاما ضِمْنَ العديد من المراسي والمخافر التي أقاموها على السواحل لحماية طريقهم إلى رأس الرجاء الصالح، وأسماها البرتغاليون «مازاكو»، إلى أن حررها السلطان العلوي محمد بن عبد الله. وتزخر الجديدة بالعديد من الآثار الجميلة مثل منارة إسماعيل إمغار.

وهناك مدينة آسفي الحصينة ألتي بناها «شكير» الزعيم العسكري والروحي للجنود الذين تركهم عقبة بن نافع بعد عودته من فتح المغرب.



متحف القصبة (طنجة)

شيدت بناية متحف (القصبة) بطنجة سنة ١٩٢٠م على أنقاض قلعة قديمة هدمت على يد الإنجليز سنة ١٦٨٤م وأعيد بناؤها على يد الباشا سي علي بن عبد الله الريفي (١٨٨٥م)، وهي نموذج للدور الحضرية التقليدية. وقد حولت البناية إلى متحف مُكَوَّن من :

ـ مجمع أثري يضم نماذج عن مغرب ما قبل الإسلام خاصة الحقبة الرومانية.

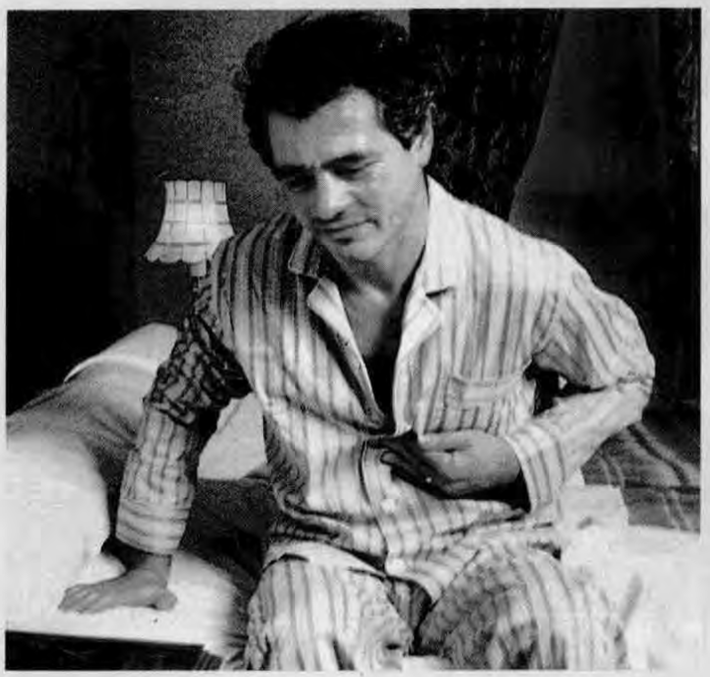
ـ مجمع إثنوجرافي يبين للزائر بعض المعالم الفنية للتقاليد المغربية المتمثلة في عدة منتجات (فخار، نسيج، خشب).

وهناك يمكنك رؤية القلعة ذات الأبراج المسننة، ومن باب شعبة تستطيع دخول المدينة القديمة. وفي الأعلى ربوة الخزَّافين. ولعل أهم معالم المدينة الجامع الأعظم بمنارته الضخمة، والكنيسة البرتغالية ذات التراث القوطي والفريدة من نوعها في المنطقة.

بقي أن أذكر الصويرة تلك المدينة البيضاء الواقفة على شبه جزيرة صخرية تطفو على وجه الماء، ويعتقد أن اسمها الإسباني «موجادور» مشتق من كلمة آمغدول البربرية وتعني الحصينة. وتعتمد الصويرة الآن على الصيد في أعالي البحار، وبها أماكن رائعة للصيد حيث في استطاعتك أن تصطاد هناك الأرانب والسمان ودجاج الأرض والحجل والحمام البري وغيرها.

وقبل عودتي كان عليَّ أن أتوجه لزيارة طنجة حيث متحف الفن المعاصر، وهناك كانت المفاجأة الحقيقية، فقد كنت أعتقد أن هذا التراث العظيم ما يزال بكرًا لا يجد من يستطيع استيعابه، لكن هؤلاء الذين تزيّن لوحاتهم جدران المتحف ليسوا غير فنانين كبار، استطاعوا استيعاب تراثهم وفهم مجريات الحركات الفنية التشكيلية حولهم، وأنتجوا أعمالا حديثة تعبّر عن مضامين حضارية، ساعد في تكوينها تلك الأساطير السائدة التي كانت تحيط بالمدينة عوضا عن حضور العديد من الفنانين الأوربيين حاملين معهم الرؤى الحضارية الأخرى. ومما يلفت النظر في هذا المتحف آثار محمد الحميدي ومحمد المليحي وعزيز السيد والمكي مغاره.

القرحة
بين الحقائق والأساطير



الجو حار، وأنت مثقل بوطأة الإجهاد، وتحس بالجوع، وليس لديك الوقت للذهاب إلى المنزل، فتزدرد طعامًا تافهًا دسمًا على عجل. فلا عجب أن تشعر بألم حرقة في صدرك فتقطب ما بين حاجبيك، وتجزم لنفسك بأنك مصاب لا محالة بالقرحة.

لقد أخطأت! ذلك أن القرحة لا علاقة لها البتة بما يوجد في رأسك أو طبق طعامك.

على من تلقي التبعة إذن؟

عندما يتكلم الأطباء عن القرحة المحرّضة بوطأة الإجهاد، فإنهم يعنون إجهاد الجسم الذي يسببه مرض خطيرٌ وأذى (كحروق شديدة مثلاً).

يقول الدكتور مارتن دوركين DURKIN من كلية الطب في جامعة لويولا LOYOLA في شيكاغو:

ـ «إن مجيء حماتك للبقاء في منزلك لا يعد نوعًا من الإجهاد الذي يسبب القرحة».

إن السبب المباشر للقرحة هو الإنتاج المفرط لحمض المعدة. هذا الحمض الذي يأكل بطانة المعدة مثيرًا الالتهاب، ويمزق في الحالات الخطيرة الأوعية الدموية. وتكون النتيجة قرحة دامية. وهذا سبب يخفي في طياته تهديد الحياة.

إن المثيرات المحتملة موجودة بصورة نظامية في المعدة، إنها جراثيم HELICOBACTER PYLORI

ويقول الدكتور دوركين:

ـ لن نستطيع على وجه الجزم ـ القول بأن هذه الجراثيم تسبب القرحة، ولكن إذا ما عالجنا إنتاج الحمض وحده، فإن القرحة ستعود على تواتر أكبر مما لو كافحنا الجراثيم. والإصابة بهذا النوع من القرحة في ازدياد وخاصة عند النساء.

ويقول الدكتور ديفيد ألبرسALPERS من كلية الطب في جامعة سانت لويس في واشنطن:

ـ «قد يسبب الأسبرين والإيبويروفين IBUPROFIN قرحة المعدة، ذلك أن النساء أكثر تجرعًا لهذين الدواءين من الرجال، ويمكن أن يتعرضن لخطر هذ النمط من القرحة».

كما أن لفافات الدخان (السجائر) شديدة القسوة على البطن. ويضيف الدكتور ألبرس:

ـ إن هذا النمط من القرحة أصعب شفاء عند المدخنين.

والآن، إذا ما شعرت مصادفة بألم بعد وجبة طعام دسمة فلا تقلق، ذلك أن الأكل ينحو إلى إنقاص ألم القرحة، وليس إلى زيادته. ولكن إذا ذهب الألم بعد الأكل ثم عاد بعد نصف ساعة أردأ مما كان عليه فعليك بالطبيب.

يقول الدكتور دوركين:

ـ «إن ألم القرحة متقطع عمومًا، ويتمركز في الخط الأوسط من جسمك بين عظم القص والسرة، فإن ظهر دم في البراز، سواء أكان أحمر اللون فاتحه أم أسود، فعليك بالطبيب».

(إن ذلك هو أحد أعراض أي من الأمراض الـمَعِدِيَّة المعوية بما في ذلك القرحة).

كان الأطباء فيما مضى يلجؤون إلى الأشعة السينية لفحص القرحة؛ أما اليوم فإنهم يولجون أنبوبًا رفيعًا وطويلاً ـ يدعى المنظار الداخلي 'ENDOSCOPE' من الحلق إلى المعدة. ويستطيع الطبيب رؤية المعدة من الداخل ورؤية بداية الأمعاء وذلك بآلة تصوير فيديو دقيقة جدًا. فإن كان لديك قرحة دامية فإن نبيطة مماثلة يستعملها الأطباء تتيح لهم إصلاح الأوعية الدموية النازفة.

فإذا ما تأكدت من أنك مصاب بقرحة، فتشجع ولا تبتئس. ذلك أن أدوية جديدة أقامت ثورة في العقد الماضي في العلاج. ولم يعد الأطباء يلجؤون مطلقًا تقريبًا إلى الجراحة الكبرى باستئصال الجزء المصاب من المعدة. ولا تجبر نفسك على تغيير مجرى حياتك أو أن تقوم بنظام حمية شديد، بل عليك بدلاً من ذلك بالأدوية التي تقمع إنتاج الحمض المفرط، وذلك بقمع الخلايا التي تنتج الحمض في جدار المعدة.

لقد طور الباحثون دواء جديدًا يفترض أنه ينقص تحرير شوارد (إيونات) الهيدروجين. وشوارد الهيدروجين هي بالفعل ما يجعل الحمض حمضيًا. وكلما نقصت هذه الشوارد نقص الحمض ونقص الأذى الذي يلحق ببطانة المعدة.

تقدم العمر

١٠ الزواج وأربع نصائح أخرى تجعلك أكثر شبابًا

د. صلاح يحياوي

كان في السابعة من عمره عندما استوقفته نظرةٌ ثبتها على وجه جدته، ثم أخذ يتتبع بنظره التجاعيد وارتخاء الجلد وتدليه، ومر بإصبعه على وجهه يتحسسه، فلم يتبين أي وهدة أو هضبة. فسأل أمه عن السبب فقالت له:

ـ «عندما يتقدم العمر بالمرء فإنه يشيخ ويصبح عجوزاً، ويرتخي جلده، فتظهر عليه هذه التجاعيد».

لقد أخذت كلمة **«عجوز»** مكاناً خاصا في ذهنه وكمنت فيه، لكنها تداعت إلى ذاكرته عندما غدا في السنة الخامسة من التعليم الابتدائي، وذلك عندما قرأ العبارة: «عجز عن بلوغ غايته»! وفكر في الصلة بين الكلمتين «عجز» و«عجوز»! وقال في نفسه: «إن العجوز لا يستطيع الوصول إلى غايته...». وردد قائلاً: «أنا لا أريد أن أغدو عجوزاً!».

الطفل يغدو صبيا، ثم يشب عن الطوق، فيصبح يافعا، فشابا في ربيع العمر ثم رجلاً كاملاً يسير نحو الشيخوخة، وهي السن من خمسين إلى ثمانين على الغالب.

لقد بينت آخر الأبحاث في تقدم العمر أن بالإمكان تأخير هذا التقدم، وإعاقته، والحيلولة دونه، وحتى قلب التغيرات المواكبة له تقريباً.

تقول الفتاة الجميلة في دعايةٍ تجارية لرهيم (كريم) للجلد:

ـ «لا تنتظر مني أن أشيخ... إنني أخطط لمحاربة ذلك في كل خطوة في طريق الحياة».

وتزداد مكافحة تقدم العمر سهولةً يوما بعد يوم، فالعلميون يعرفون الآن الكثير عن سبب تقدمنا في العمر، وعن كيفية إبطاء سير الزمن؛ وهم يميطون اللثام عن أسرار الجينات (المُوَرِّثات) التي تتحكم في تقدم العمر؛ وقد يتوصلون يوماً ما إلى اكتشاف الطريقة التي تطيل العمر لعقود، لا بل لقرون!

ولكن ليس عليك أن تبقى تحت رحمة الطبيعة الأم حتى يتعلم خبراء الوراثة والجينات كيف يعيدون برمجة ميقاتية الجسم البشري. ذلك أن **هناك أشياء يمكنك أن تقوم بها الآن لإبطاء إجراء تقدم العمر.**

يقول المدير المساعد لمركز البحث في التغذية البشرية في قسم الزراعة في بوسطن في الولايات المتحدة.

ـ «إنك تبدو أكثر شباباً عندما تكون أوفر صحةً».

إن العديدين من الناس يقفون فريسة للأمراض المواكبة لتقدم العمر وذلك قبل أن تفنى أجسامهم بوقت طويل.

لقد دلت الإحصائية على أننا إذا ما حذفنا اليوم جميع السرطانات، فإن الناس سيعيشون مدة أطول بثلاث سنوات وسطياً؛ وإذا ما تخلّصنا من مرض

القلب فإن متوسط العمر المتوقع قد يزيد ست سنوات.

كُل كما ينبغي

فلكي تعيش مدةً أطول عليك أن تأكل كما ينبغي.

يقول العلميون الباحثون في التغذية وتقدم العمر: إن بعض التغيرات البسيطة في نظام التغذية يمكن أن تساعدك على أن تبدو أكثر شباباً، وأن تحس بذلك، ولإنجاز ذلك فإنهم يوصون بما يلي:

١ ـ عليك بتخفيض ما تتناوله من دسم:

يقول مدير «مراكز برتيكين» لإطالة العمر:

ـ «إن إنقاص كمية الدسم التي يأكلها المرء يخفض مدخول الكولسترول لديه. فأغلب الناس يحصلون عادة على ٣٠ إلى ٤٠٪ من حريراتهم من الدسم؛ فتخفيض النسبة بمقدار ١٠٪ يمكن أن يخفض الكولسترول تخفيضاً ملحوظاً، وبالتالي يخفض مرض القلب.

٢ ـ عليك بتناول المزيد من الفيتامين جـ (C):

إن الفيتامين (جـ) هو واحد من المجموعة (جـ، هـ، بتا الكاروتين) المعروفة بمضادات المؤكسدات (العوامل المؤكسدة). أو بعبارة أخرى إن مُضادات المؤكسدات تحفظ خلاياك من التعرض للصدأ وذلك بمنع مثيرات المتاعب المدعوة «الجذور الحرة» من مهاجمة الخلايا. والجذور الحرة هي جزيئات تتشكل في الجسم عندما يستعمل الجسم الأكسجين، أو عندما يتعرض إلى الهواء الملوث أو دخان السجائر.

يعتقد الخبراء أن الجذور الحرة تلعب دوراً مهماً في تقدم عمر الخلايا، وفي نمو السرطان ومرض القلب؛ وبأكل الكثير من الفواكه والخضار الغنية بمضادات المؤكسدات يمكن تخفيض التعرض لخطر المرضين المذكورين، وإطالة العمر سنوات.

وقد دلت دراسة في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس على أن النساء اللاتي يتناولن ٥٠٠ مغ من الفيتامين (جـ) يومياً كن أقل تعرضاً للموت بمرض القلب أو السكتة القلبية بنسبة ٢٥٪ أما الرجال فكانوا أقل تعرضاً بنسبة ٤٢٪. وهذا يعني إطالة سنة واحدة في عمر النساء، وإطالة خمس سنوات في عمر الرجال.

وللحصول على ٥٠٠ مغ من الفيتامين (جـ) في اليوم عليك أن تأكل برتقالتين، أو تتناول مزيداً من مستحضراته.



٥ فقد الذاكرة عند تقدّم العمر نتيجة لعدم استعمال المخ

هرمون الشباب والجمال!

٣ ـ عليك بالزواج فإنه يطيل العمر عدة سنوات:

لقد دلت الدراسة على أن المتزوجات أكثر إنتاجاً للأستروجين والأستروجين هو في الحقيقة هرمون الشباب والنضارة والجمال. فالنساء اللائي يتناولن الأستروجين للبقاء بعيداً عن التوهجات الحارة وجفاف المهبل التي ترافق الإياس يحصلن على فعل جانبي غير متوقع وعجيب. إن جلدهن يبقى ندياً ومنسجماً، فالنساء اللائي يستعملن الأستروجين يتأخر الإياس لديهن لمدة تزيد على سبع سنوات، وهُنَّ يعشن ثلاث سنوات أكثر من اللائي لا يستعملنه؛ وقد يكون ذلك لأن الأستروجين يحول دون مرض القلب والسكتة وتخلخل العظام (مرض ترقق العظام) أيضاً.

٤ ـ عليك أن تكون منسجم الجسم:

تقول شيخة عمرها ٦٧ سنة، وهي جدة لصبيين، عمر الأول سبع سنوات، وعمر الثاني سنة واحدة:

ـ «إن الركض واللعب مع الأطفال يبقيني شابة، إنني أشعر بالنشاط والطاقة بعد التمرين».

تقدم العمر



ففي الوقت الذي تحصل فيه الجدة على التسلية والشعور بالحالة الجيدة فإنها تبطئ إجراء تقدم العمر. وفي الحقيقة فإن التمرين المنتظم يمكن أن يكون الجرعة الأكثر فعالية في الحيلولة دون تقدم العمر.

ومن فوائد التمرين المنتظم العديدة أنه :

أ ــ يبقي كولسترولك الخيِّر الذي يزيل الكولسترول الرديء من جدران الشرايين ؛ وهكذا لا تنسد شرايينك بسرعة .

ب ـ يخفض خَطَرَ ارتفاع ضغط الدم لديك ، هذا الارتفاع الذي يجعلك عرضةً لمرض القلب .

حـ ــ ينقص حاجتك إلى الأنسولين ، وهذا يجعلك أقل عرضة للإصابة بالداء السكري .

د ـ يبطئ فقد العظام ، وهكذا لن تغدو شيخاً محني الظهر .

هـ ــ يبقيك نحيفاً ، وهذا يقيك من مرض القلب وداء السكري .



٥ ـ أعمل دماغك بفعالية :

أبق ذاكرتك في حالة الانسجام ، ذلك أن فقد الذاكرة عند تقدم العمر هو نتيجة لعدم استعمال الدماغ .

وقد قاس باحث في كلية الطب في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس طول الاستطالات العصبية ، أي الامتدادات الطويلة للخلايا العصبية فوجد أن طول الامتداد يتناسب طرداً مع قدرة الدماغ .

كما وجد أن الاستطالات عند الراشدين الذين يُعملون ذهنهم هي أطول بشكل ملحوظ منها عند الناس الأقل تفكيراً .

وهكذا إن كنت ترغب في الحفاظ على ذاكرتك فعليك بتحدي نفسك بأن تدرس وتقرأ وتشارك بحيوية في المحادثات .

الشمس مسؤولة عن تقدم العمر!

نعم إن الزمن يسير ، ولكن بإمكانك أن تبطئ آثاره المرئية . إن عاداتك الصحية هي التي تُشَيِّخُ في الواقع جلدك أكثر مما يفعل الزمن وتفعل جيناتك . لا تتعرض للشمس ، ولا تدخن ، وقم بالتمارين الرياضية بانتظام ، وكُلْ وفق نظام غذائي منخفض الدسم وغني بالفواكه .

فالشمس هي المسؤولة عن ٨٠٪ مما ندعوه تقدم العمر، ولحسن الحظ إن للجلد مقدرةً ملحوظة على إعادة الشباب إلى نفسه ، لذلك عليك أن تصنع نظارات شمسية ، وأن تتقي أشعة الشمس . ولله در العربي في الصحراء ، إنه يقي رأسه ووجهه بالكوفية .

احذر التدخين!

والتدخين يضيق الأوعية الدموية ، ويجعل جلدك يشعر بجوع مميت إلى الأكسجين ، ويسلب من جسدك الفيتامين جـ . وبعد خمس سنوات من تركك التدخين ــ حسب تقرير جمعية السرطان الأمريكية ـ يغدو خطر تعرضك لنوبة قلبية معادلاً للخطر الذي يتعرض له إنسان لم يدخن مطلقاً في حياته . ولا يغدو التعرض لسرطان الرئة طبيعياً إلا بعد ١٥ سنة من تركك التدخين . وقد قالت الأعراب :

«في الاعتبار غنى عن الاختبار»

و«خير الأمور أحمدها مَغَبَّةً» .

آفاق اجتماعية

الطفولة ومؤسسات التربية قبل المدرسة

بقي الاهتمام بالأطفال خلال بواكير طفولتهم محدوداً إلى وقت قريب في مجتمعنا العربي. فالأسرة وحدها كانت هي المسؤولة عن تنشئة الطفل وتربيته في تلك المرحلة، فهي التي تزوده بالعادات والمهارات والقيم المرتبطة بآداب الطعام واللباس والسلوك والتخاطب والتعامل مع الآخرين.

ولم تأخذ هذه التنشئة المبكرة التي اضطلعت بها الأسرة شكل التعليم المنهجي أو طابعه الذي يهتم بتلقين الطفل بعض العلوم والمعلومات، ولكنها كانت تعمل على تهيئة الطفل عقلياً وجسمياً واجتماعياً لتلقي مثل تلك العلوم. غير أن التطورات التي حدثت في مجتمعنا، أسهمت في انتزاع هذه الوظيفة من الأسرة، وأسندتها إلى مؤسسات ترعى الأطفال قبل سن السادسة. وساعد على ذلك ازدهار علم النفس؛ وبالذات علم نفس الطفولة، حيث صار الاهتمام واضحاً بمرحلة الطفولة المبكرة، مما فجر أنشطة متنوعة تتناول حياة الطفل ومتطلباتها قبل أن يدخل المدرسة الابتدائية.

إلا أن الحماسة المبالغ فيها للاهتمام بالطفل في تلك المرحلة وتهيئته للمرحلة المقبلة، دفع الكثير من القائمين على أمور التربية، ومن أولياء الأمور، إلى القيام بأعمال تضر بالأطفال في هذا العمر، وهي أفعال مصدرها: إما الفهم غير الناضج لنفسية طفل ما قبل السادسة، أو الانصياع لرغبات بعض أولياء الأمور الذين يتلهفون لرؤية صغارهم وهم يقرؤون ويكتبون؛ الأمر الذي يتنافى مع المبادئ النفسية وأمور التربية، لما في ذلك من خطورة وتبعات غير مستحبة تنعكس سلباً على الطفل، ومن ثم تتحول رياض الأطفال إلى مؤسسات، يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة والحساب واللغة الأجنبية، ويقضون في منازلهم وقتاً غير قصير للاهتمام بالواجبات المدرسية، مما يطيح بالأهداف الحقيقية لرياض الأطفال ويطمس معالم الحياة فيها. هذا وسنتناول هاتين النقطتين بشئ من التفصيل الموجز:

أ ـ الفهم غير الناضج لنفسية الطفل قبل سن السادسة:

في أغلب البلدان العربية لا تعد التربية قبل المدرسية واجباً له الأهمية والأولوية اللتان تمنحان عادة للتعليم الابتدائي. فمعظم المربيات في رياض الأطفال لم يعددن إعداداً خاصاً يؤهلهن للعمل في تلك المؤسسات، فهن إما تخرجن من التعليم الثانوي أو أنهن لم يكملن هذه المرحلة، إذ غالباً ما ينظر لرياض الأطفال على أنها مؤسسات لإيواء الصغار في حال غياب أمهاتهن، لذا يهمل دورها التربوي وينسى أن العاملات فيها والقائمات عليها مدعوات لمواكبة نمو الطفل في فترة من أخطر فترات حياته. وهذا أمر يتطلب منهن المعرفة العميقة بشؤون الطفل النفسية والصحية والتربوية والاجتماعية، ويستوجب قدراً مهماً من الاختصاص العلمي، ومعرفة جيدة بأصول علم نفس الطفل، وبطرق التربية وأساليبها التي تتناسب وهذه المرحلة من العمر. ولا يتوقع أن تتحقق الأهداف التربوية لرياض الأطفال مهما توافرت لهذه المؤسسات من إمكانات مادية ووسائل تعليمية في غياب المربيات. أما من حيث المناهج والوسائل، وإن كانت بعض البلدان العربية كالسعودية مثلاً بدأت بتنفيذ مناهج خاصة برياض الأطفال متطورة جداً ومتوافقة تماماً مع الأهداف التربوية لهذه المؤسسات؛ إلا أن الغالبية العظمى من البلدان العربية مازالت بعيدة عن ذلك.

ب ـ رغبات أولياء الأمور:

ترتفع الأمية ارتفاعاً كبيراً في معظم الأقطار العربية ـ بين الكبار الذين يشكلون فئة الآباء والأمهات؛ هؤلاء الكبار الذين تناط بهم مسؤولية الإشراف والتنشئة الاجتماعية والتربوية لأطفال ما قبل سن السادسة. وعدم تمكن الأبوين من الحصول على حد أدنى من التعليم، يجعلهما غير واعيين لاحتياجات أطفالهما في تلك المرحلة وغير قادرين على الاستجابة، استجابة كافية لنصائح خبراء التربية والتعليم، ومن ثم فهما حريصان أشد الحرص على تعويض أبنائهما ما فقداه، ويصران على تعليم أبنائهما القراءة والكتابة والحساب منذ تلك المرحلة. ومع الأسف تستجيب معظم رياض الأطفال لرغبات الوالدين، ـ كون أغلبها مسيراً من قبل القطاع الخاص ـ وتنقلب رياض الأطفال إلى مؤسسات تعليمية تهتم بتلقين الطفل بعض المعلومات وتجبره على الاهتمام بالواجبات المدرسية، الأمر الذي يتنافى وأهداف التربية التي تلح على التنمية الشاملة لحواس الطفل وقدراته ومهاراته وميوله واتجاهاته في تلك المرحلة، كي ينمو لنا راشداً متكاملاً.



د. تماضر حسون

البحر والسفن في الشعر الجاهلي

مصطفى سليمان



تناول النقاد، ومؤرخو الأدب الجاهلي كثيرًا من أغراضه الفنية الوصفية، فلم يبق ـ تقريبًا ـ غرض من أغراضه الوصفية الأساسية لم يبحثوا فيه، حتى يمكننا أن نقول اليوم، كما قال عنترة بالأمس:

«هل غادر (النقّاد، من متردّم»

عندما عبّر عن أزمة في ابتكار المعاني بقوله: هل غادر الشعراء من متردم؟ إلا أننا ـ في حدود اطلاعنا ـ لم نجد النقاد تناولوا بالبحث والاستقصاء غرضا آخر يبدو للوهلة الأولى غريبًا، وغير منسجم مع طبيعة الشعر الجاهلي، خاصة عندما نتخيل جزيرة العرب مجرد صحراء قاحلة، مترامية الأطراف، ونتصور الحياة فيها رملاً محرقًا، وخيمة منصوبة، وناقة وحصانًا، وغزوًا وحربًا.

هذا الغرض هو البحر والسفن في الشعر الجاهلي!

وقد يتساءل قارئ: وأنّى لبدوِ الصحراء أن يصفوا البحر، وهم في بحر من الرمال، أمواجه الكثبان والسراب؟

وأنّى لشاعر بدويّ أن يصف السفينة، وهو لا سفينة في حياته سوى الناقة «سفينة الصحراء»؟

ولكننا سندهش حين نتعرف بعضَ الشواهد البحرية الملاحية في الشعر الجاهلي، ونستنتج أنه ما أُوتينا من العلم بهذا الشعر العظيم إلا قليلاً! وأن كثيرا من أحكامنا عليه ناقصة الاستقراء.

البحر في اللغة العربية

جاء (في لسان العرب):

البحر: الماء الكثير ملحًا كان أو عذبًا. **وماء بحر**: مِلْح، قلّ أو كثر.

قال نصيب:

وقد عاد ماء الأرض بحرًا فزادني ... إلى مرضي أن أبحَرَ المشربُ العذبُ

وشاهد العذب **قول ابن مقبل:**

ونحن منعنا البحر أن يشربوا به ... وقد كان منكم ماؤه بمكان

وقال عدي بن زيد

وتذكّر ربَّ الخورنق إذْ ... أشرف يومًا، وللهدى تذكيرُ

سرّه مالُه وكثرة ما يَمْـ ... ـلك والبحر معرِضًا والسدير

أراد بالبحر ههنا الفرات؛ لأن رب الخورنق كان يشرف على الفرات.

قال ابن سيده: كل نهر عظيم بحر.

والزجّاج: كل نهر لا ينقطع ماؤه فهو بحر. وكذلك **قال الأزهري**. وأما البحر الكبير الذي هو مفيض هذه الأنهار فلا يكون ماؤه إلا ملحًا أجاجًا. وهكذا تكون كل الأنهار بحرًا، ولا تكون كل البحار أنهارًا.

وقد ورد اسم البحر في القرآن الكريم عامًّا البحرَ والنهرَ معًا:

﴿وما يستوي البحران: هذا عذبٌ فرات سائغٌ شرابُه، وهذا مِلحٌ أُجاجٌ، ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حِلْيَةً تلبسونها وترى الفُلكَ فيه مَوَاخِرَ لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ فاطر ١٢.

وسمي البحر بحرًا لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته، وقالوا: استبحر فلان في العلم. وسمي ابن عباس «بحرًا» لسعة علمه. ويقال سمي بحرًا

لأنـه شقَّ في الأرض شقًّـا، وجعل ذلك الشـق لمائه قـرارًا. والبحر في كـلام العرب: الشَّـق. وفي حديث عبـد المطلب وحفر زمـزَم ثم بحرهـا بَحْرًا، أي شقَّهـا شقًّا، ووسعهـا حتى لا تنزَف. ومنـه قيل للناقـة التي كـانوا يشقـون في أذنها شقًّا: بحيرة.

ويعلل الإمام ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» ملوحـة البحر قائلاً:

«وقد جعل الله البحـر ملحًا أجاجًا مـرًّا، لتمام مصالح من هـو على وجه الأرض من الآدميين والبهـائم، فإنـه دائم راكد، كثيـر الحيـوان، ويموت فيـه الكثير ولا يقبر. فلـو كان حلوا لأنتن من إقـامته، وموت حيوانـه فيه وأجاف، وكـان الهواء المحيط بالعالـم يكتسب منه ذلك، وينتن، ويُجيف، فيفسـد العالم، فاقتضت حكمـة الرب سبحانه وتعالى أن جعلـه كالمـلاّحة، التي لو ألقي فيها جيف العالم كلها وأنتانُه وأمواتُـه لم تغيره شيئًا، ولا يتغير على مكثه من حين خلق. فهذا هو السبب الغائي الموجب لملوحته»(١).



الجزيرة العربية والملاحة قبل الإسلام

الجزيرة العـربية في الواقع، شبه جـزيرة تحدها ثلاثـة أبحـر: الأحمـر، وبحر العرب، والخليج العربي.

وليس في خريطة الأرض شبه جزيرة تضـاهيها حجمًا. فهي أكبر من شبه جزيرة الهنـد، ومساحتها ثمانيـة أضعاف الجزر البريطانيـة. وهي تعادل ربع أوربـا، أو ثلث الولايـات المتحدة الأمريكية مساحـة.

وكـان اليـونـان القدمـاء يسمـون جنـوبي جـزيـرة العـرب، بين الخليج العربي، والبحر الأحمـر مع الحبشة واليمن «إثيوبيـا آسيـا».

ثم أطلق اليـونـان في عهـد البطالســة على الجـزيـرة كلهـا اسم «بـلاد العرب». وقسموها ثلاثة أقسـام: البادية Arabia Deserta، والحجريـة Arabia Batra، والسعيـدة Arabia Felix.

وقد كـانت بلاد العـرب في عصر جيولوجي مبكـر متصلة في جنـوبها عند اليمن بإفريقيـة عدا اتصـالها في شمـالها، فكان البحـر الأحمر آنـذاك بحيرة داخلية، وكان بـذلك نهر النيل الحد الغربـي لبلاد العرب(٢). يقول د. أنـور عبد العليم في كتابه (الملاحة وعلوم البحار عند العرب):

لقـد ازدهرت المـلاحـة في المنطقة العـربيـة بعد الفتح المقـدوني لتلك الأماكن، ووقـوعها تحت سيطرة البطالسـة بعد اليونان لمـدة طويلـة، إلا أن عرب الجنوب كانوا المسيطرين على التجارة البحرية مع الهند طوال الوقت.

ويصف المؤرخ اليونـاني أجاثـا كيدس عرب سبـأ بأنهم مـلاحون مهرة، ومحاربون أشداء، يبحرون في سفن كبيـرة للبلاد التي تنتج العطـور، وكانت لهـم فيها مستعمرات، يستوردون منها نوعًا من العطر لا يوجد في جهة أخرى. وجدير بالذكر أيضا أن عرب الجنوب من حضارمـة وحميريين وعُمـانيين لـم يقتصـروا في تجـارتهم البحـرية على الهنـد، بل أيضـا مع القـرن الإفـريقي وساحل أفريقيـا الشرقي، وجزر الملايـو.

وأمـا عن الخليج العـربي فقد ازدهـرت المـلاحـة في عصـر البطالسـة والرومان، فنشطت في ذلك الوقـت موانـئ الأحساء والبحريـن، من أمـثال جرهـا Gerrha وامتدت تجارتها إلى الهند والبحر المتوسط.

ومع هذا ينكر المستشـرقون ومنهم هارتمـان Hartmann على العرب أن يكون لهـم دراية بالبحر وركـوبه قبل الإسلام. ولئن كان أهل الحجـاز ونجد قليلي الخبرة بـالبحر، فقـد رأينا عـرب الجنوب أصحـاب علم ودراية بـالبحر ومسالكـه، ومن ورائهم ألف سنة من الخبـرة البحرية قبـل الإسلام. بل إنهم عرفـوا سر الرياح الموسمية، وعنهم أخذها اليونان. حتى إن المراكب العربية كشفت مجـاهل المحيط الهنـدي إلى الصين. وقـد زار الصيني (**فـاهيـان**) سيلانَ سنة ٤١٤م (أي قبل الإسلام بأكثر مـن قرنين)، ورأى ديار تجار عرب سبـأ هناك في سيلان مزينة بأبهى الزينـات.

ويرجح بعضهم أن المراكب العربية وصلت إلى الصين في النصف الأول من القـرن الخامس الميـلادي، ويرى آخـرون أن ذلك تـم في القرن السـابع الميلادي.

ويرى **فرينكل** Fraenkel أن العرب القـدامى كانـوا يقدرون أن بـلادهم تحيط بها الأبحر من ثلاث جهات، فلا مناص لهم من ركـوب البحر للتجارة البحرية(٣).

وفي القرن الأول الميلادي، أي قبل الإسلام بستة قرون، كتب بليني Pliny المـؤرخ الرومـاني الشهير يقـول: «وتنتظم الرحـلات بين مصر وشبـه جزيـرة العرب على مدار العام»(٤).

وليس لدينـا أوثق من القرآن الكريم في الحـديث عن معرفة العـرب البحرَ والسفن والصيد والملاحة قبل الإسلام. ففيه ثمانٍ وعشرون آيـة كريمة في سور مختلفـة تتعلق بالبحر والسفن (الفُلك) والملاحة، والصيد، واستخراج اللؤلؤ والمرجـان... كمـا في قوله تعالى: ﴿وهـو الذي سخّر البحرَ لِتأكلـوا منه

البحر والسفن في الشعر الجاهلي

لحمًا طريًّا وتستخرجوا منه حِليةً تلبسونها وترى الفُلكَ مَوَاخِرَ فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ النحل ١٤ وقوله تعالى : **﴿وهو الذي جعل النُّجوم لتهتدوا بها في ظُلماتِ البَرِّ والبحر قد فَصَّلنا الآيات لقوم يعلمون﴾** الأنعام ٩٧ ، وقوله تعالى في سورة الرحمن : **﴿مَرَجَ البحرين يلتقيان ، بينهما برزخٌ لا يبغيان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾** الآيات : ١٩ ـ ٢٤ . وغير ذلك من الآيات الكريمة .

البحر في الشعر الجاهلي ـ رأي طه حسين

وبما أن العرب في شبه جزيرتهم عربٌ بوادٍ ، وعربُ جبال ، وعرب بحار أو سواحل ، فما مكانة البحر في أشعارهم ، والشعر ديوان العرب ؟

يقول د . طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي) :

«هذا الشعر لا يُعنى إلا بحياة الصحراء والبادية ، وهو لا يُعنى بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلا تاما ، فإذا عرض لحياة المدر فهو يمسّها مسًا رقيقًا ، ولا يتغلغل في أعماقها ، وما هكذا نعرف شعر الإسلام . ومن عجيب الأمر أننا لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه ، فإذا ذكر فذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا أقل . فهل كان العرب في الجاهلية يجهلون البحر حقًّا ، ولا يصطنعونه في مرافقهم ؟ أما القرآن فيمنّ على العرب بأنه سخر لهم البحر ، بأن لهم في هذا البحر منافع كثيرة مختلفة ، أذكر منها الملاحة فالقرآن يذكر الجواري المنشآت في البحر كالأعلام ، وأذكر منها الصيد ، ففي القرآن منٌّ على العرب بأنهم كانوا يستخرجون من البحر لحمًا طريًّا ، وأذكر منها استخراج اللؤلؤ والمرجان ، ففي القرآن ذكر صريح لهذا . ولست أذهب في الغلو أن قد كانت للعرب أساطيل وسفن للتجارة والحرب ، ولا إلى أن أزعم أنهم كانوا يتخذون من الصيد واستخراج اللؤلؤ والمرجان مصدرًا من مصادر الثروة الضخمة . ولكني ألاحظ أن ذكر القرآن لهذا كله ، وامتنانه على العرب بهذا كله دليل قاطع على أن العرب لم يكونوا يجهلون هذا كله ، بل كانوا يعرفونه حق المعرفة ، وكانت حياتهم تتأثر به تأثرًا قويًّا ، وإلا فما عرض القرآن له ، وما أقام الحجة به عليهم . فأين تجد هذا ، أو شيئًا من هذا في الشعر الجاهلي ؟ .

أرأيت أن التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من التماسها في هذا الأدب العقيم (!) الذي يسمونه الأدب الجاهلي» (٥) .

وهكذا ينكر طه حسين على الشعر الجاهلي (العقيم) أنه ذكر البحر ، أو أشار إليه ، وإن ورد البحر فيه فهو ورود جهل به لا أكثر ولا أقل . وكأن طه حسين حين يذكر الشعر الجاهلي لا يذكره إلا وفي ذهنه شعر نجد والبادية ، وينسى شعر الجاهلية «الساحلي» في اليمن واليمامة والبحرين ، وكلها من تخوم الجزيرة العربية . فهل ما يقرره طه حسين صحيح ؟ وما الشواهد الشعرية الجاهلية «البحرية» التي تبطل زعمه ؟

ونحن عندما نستشهد ببعض الشواهد الشعرية الجاهلية الموثّقة الرواية ، كما في (المفضليات) و (الأصمعيات) ، وبعض الدواوين الأخرى ، يجب أن نتذكر أن ما وصلنا من الشعر الجاهلي قد ضاع أكثره ، وما وصلنا منه إلا القليل ، ولو وصل كاملاً لوصل منه علم غزير ، كما قال أبو عمرو بن العلاء وهو من أعظم رواة الشعر الجاهلي .

في الشعر الجاهلي أسماء كثيرة للسفن مثل الغسانية ، والعدولية والخلية ، والقرواء ، والبوصي ، وغير ذلك سواء في حديث مباشر عنها ، أو في معرض تشبيه الجمل وهو (سفينة الصحراء) بـ (سفينة البحر) ، أو في أغراض مختلفة . وهل تذكر السفن إلا مع البحر ؟

يقول طرفة بن العبد في معلقته (والمعروف أنه كان على صلة وثيقة بالبحرين والحيرة) ، وهو يصف المراكب الكبيرة وتمايلها في البحر مع الموج :

كأن حدوج المالكية غدوة   خلايا سفين بالنواصف من دَدِ
عَدَوْلية أو من سفين ابن يامنٍ   يجور بها الملاح طورًا ويهتدي

والنواصف : الأماكن الرحبة الواسعة . و (دد) اسم موضع ، **وابن يامن** كان ملاحاً عربيًّا من سكان البحرين ، مهرَ في صناعة السفن قبل الإسلام . **والعدولية** سفينة منسوبة إلى شخص اسمه عَدَوْلي ، أو هي قرية في البحرين ، كما ورد في معجم البلدان لياقوت .

ثم يصف طرفة مقدم السفينة (حيزومها) وهو يشق البحر بسهولة ويسر ، كما يقسم اللاعبون الصغار التراب قسمين ؛ بحثا عن خبيئة دسّوها في التراب ، ويقول اللاعب منهم (ويسمى المفايل ، واللعبة المفايلة) : في أي القسمين خبأت .

يقول طرفة :

يشق عُبَابَ الماء حيزومُها بها   كما قسمَ التربَ المفايلُ باليدِ

ومن المأثور الشائع أن الجمل سفينة الصحراء . لهذا نجد الشاعر الجاهلي يوحّد في وصفه الفنّي بين سفينته الصحراوية (الناقة) وسفينة البحر ، فهذه تشق الرمل في سيرها (والسفينة من سَفَنَ : قشر ونحت ولينَ) ، وتلك تشق البحر في جريها . وهناك علاقة عضوية وثيقة في الجذر اللغوي بين فعل سفَنَ وبَحَر ، وما بين استعمال البر والبحر للناقة والسفينة ، لذلك يكثر تشبيه الناقة بالسفينة .

ونتعرف خلال تلك التشبيهات والأوصاف بتسميات كثيرة لأجزاء السفينة (البحرية) ، مما يدل على شيوع صناعة السفن والملاحة في العصر الجاهلي ، عند التخوم الساحلية لشبه الجزيرة العربية .

يقول بشامة بن عمرو، في وصف ناقته مشبهًا إياها بسفينة مشحونة تغذ في الإبحار فهي تنجفل، أي تسرع، ويذكر القلع، أي الأشرعة :

وإن أدبرتْ قلت مشحونة ... أطاع لها الريح قلعًا جَفولا (٦)

ويشبه المسيَّب بن عَلَس عنق ناقته بما استدق من الجبل (رباوة مخرم)، وبصاري السفينة (الشراع) عندما تمد (جديلها) أي زمامها، بعنق طويلة :

وكأن غاربها رباوة مَخْرمٍ ... وتمدّ ثِنيَ جديلها بشراعِ

ويقول المثقب العبدي (من شعراء المفضليات) في وصف ناقته :

كأن الكور والأنساع منها ... على قَرْواء ماهرةٍ دهين
يشق الماء جؤجؤها ويعلو ... غواربَ كل ذي حَدَبٍ بطينِ

فهي مثل **قرواء** (سفينة طويلة) **دهين** (مدهونة) ماهرة (سابحة في جريها) ويشق صدرها (جؤجؤها) الموج المرتفع الآتي من الأعماق (غوارب كل ذي حدب بطين). وهكذا تشق ناقته أمواج الرمال، أو بحر الرمال في الصحراء.

ثم يصف رحيل الظعن برحيل السفن :

وهنَّ كذاك حين قطعن فلجًا ... كأن حمولهنّ على سفين
يُشَبَّهن السفينَ وهن بُخْتٌ ... عَراضات الأباهر والشؤون



اللؤلؤ ذكره الشعراء الجاهليون
على عكس رأي د. طه حسين

ويجب أن نتحلى بالصبر وتفهم معاني تلك الكلمات الغريبة، حتى نصل إلى المعاني والأخيلة، ثم نحكم دون أن نصدّ عن هذا الشعر لغرابة الألفاظ، فعندما قطعت الظعن الوادي (الفلج) تخيل الهوادج (الحمول) كالسفن الطويلة (البُخت : الجمال الطويلة العنق) المفرطة العرض واتساع الظهور (عراضات الأباهر).

أما ضابئ بن حارث البرجمي وهو من شعراء الأصمعيات، فيفيدنا بمصطلح آخر لأسماء السفن في العصر الجاهلي، وذلك حين يصف تدافع ناقته في مشيها بأنه :

تدافُعَ غسّانية وسْط لُجةٍ ... إذا هي همّتْ يوم ريح لترسلا

والمعروف أن الغساسنة من عرب الجنوب نزحوا إلى الشمال بعد خراب سد مأرب. والغسّانية سفينة منسوبة إلى غسّان، صانع سفن مثل ابن يامن.

ونجد عند شاعر آخر من شعراء الأصمعيات، وهو **سلامة بن جندل،** اسمًا جديدًا آخر وهو (البوصي)، حين يفخر بعزة قومه التي لا حدود لها، فهي ليست ضيقة كالشعب (الممر الضيق بين جبلين)، لكنها (بحْر بمنزلة (الفَيهق) أي الصحراء الواسعة. وكما يغرق السباح الماهر أحيانًا في لجة البحر، كذلك ينهزم من يجرؤ على النّيل من عزة قومه :

فعزّتنا ليست بشِعْبٍ بحَرّةٍ ... ولكنها بحْر بصحراء فَيْهقِ
يُقَمص بالبوصيّ فيه غواربٌ ... متى ما يخضْها ماهرُ اللج يغرق

(وقَمّص البحر بالسفينة : حركها بالموج. والغوارب : أعالي الموج).

ونجد أيضًا الخلية، والجمع خلايا، وهي السفينة الكبيرة، عند الأعشى في قوله : (٧)

وما مُزْبدٌ من خليج الفرات ... جوْن غواربُه تلتطمْ
يكُبّ الخليةَ ذات القلاع ... قد كاد جؤجؤها ينحطم
تكأكأ ملاّحها وسْطَها ... من الخوف كوثلَها يلتزمْ

فأمواج الفرات بيضاء مزبدة (الجون من الأضداد للأبيض والأسود) تتلاطم، وتكاد تقلب السفينة المجهزة بالأشرعة والصواري، بل يكاد صدرها يتحطم من تلاطم الموج، وقد انزوى الملاح خائفًا وهو رابض في مؤخرة السفينة (الكوثل).

ونتعرف في قصيدة أخرى له (٨) النوتيّ (الملاح) والزِّيار (حبال الأشرعة):

وما رائح روّحته الجنوب ... يُرَوّي الزروعَ ويعلو الديار
يكُبّ السفينَ لأذقانه ... ويصرع بالعِبر أثْلاً وزارا
إذا رَهِبَ الموجَ نوتيُّه ... يحط القلاعَ ويُرخي الزِّيارا

فالنهر (وهو يتحدث عن الملاحة النهرية) جياش ملتطم الأمواج، قد هيجته الرياح فتدفق ماؤه يروي الزرع ويعلو الديار، وتتحطم على شاطئيه (العِبْر) الأشجار (من الأثل والزار)، وتكاد السفن تنقلب فيه على وجهها وقد رهبَ ملاحها أمواجَ النهر وأنواءَه فحط قلاعه وأرخى حباله (الزيار).

وقد وجدنا في ديوان الشاعر الجاهلي بِشر بن أبي خازم الأسدي (٩) قصيدة رائعة يصف فيها رحلة بحرية له في سفينة، ويصف السفينة بدقة، ومشاعر الخوف التي انتابته ويصف حمولتها. ومرة أخرى علينا أن نصبر على قراءة هذا الشعر وتفهم معاني ألفاظه، فلا تجعلنا غرابة اللفظ نصد عن متابعة القراءة. **يقول :**

مُعبّدةِ السقائفِ ذاتِ دُسْرٍ ... مَضبّرةٍ جوانبُها، رداحِ
إذا ركبتْ بصاحبها خليجًا ... تذكّر ما لديه من جُناحِ
يمر الموجُ تحت مُشجّراتٍ ... يلين الماءَ بالخُشُبِ الصّحاحِ

البحر والسفن في الشعر الجاهلي

ونحن على جوانبها قعودٌ　　نغضُّ الطرفَ كالإبل القِماحِ
فقد أوقِرْنَ من قُسْطٍ ورنْدٍ　　ومن مسكٍ أحمَّ ومن سلاحِ
فطابت ريحهن وهنّ جونٌ　　جآجئُهن في لجج مِلاحِ

فالسفينة (مضبّرة الجوانب) أي ألواحها مجتمعة لا فروج فيها.

وهي مطلية الألواح بالقير (معبدة السقائف)، محكمة الدسار (ذات دُسُر) وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة مع المسامير. والراكب فيها يتذكر ما عليه من إثم وذنوب وهو في هذه المحنة، وتجري هذه السفن (المشجرات) فوق الموج بأخشابها القوية الصحيحة، والركاب قعود على جوانبها لا يجرؤون على النظر إلى الموج خوفًا من غوائله، مثل الإبل تغض أبصارها عند الحوض وترفع رأسها ولا تشرب من خوف أو علة أخرى (الإبل القِماح). والسفينة محملة بالقسط وهو عود هندي يجعل في البخور والدواء. (ترى هل السفينة آتية من الهند؟) وهناك أيضا المسك الأسود (الأحمر) والسلاح (لعله أيضًا السيوف الهندية: المهند سيف هندي).

اللؤلؤ وسمك القرش!

ود. طه حسين ينكر ورود الحديث عن صيد اللؤلؤ في الشعر الجاهلي، ويستغرب منه قوله: إن الشعر الجاهلي العقيم لم ترد فيه إشارة إلى البحر وإن وردت فعلى جهل.

وقد عثرنا على أبيات في قصيدة للمخبّل السعدي في المفضليات تتحدث عن صياد اللؤلؤ، وعن سمك القرش!.

فعندما يصف صفاء وجه حبيبته يشبهه باللؤلؤ، الذي استخرجه غواص ماهر ذو قوام (شخت العظام) أي دقيقها، كأنه سهم من سرعته في الغوص، وقد دهن صدره بالزيت ليسهل انزلاقه في ماء البحر المالح الجاف، معرضًا حياته لخطر التعرض لسمك اللخْم (وهو سمك القرش). **يقول عن اللؤلؤة والغواص والقرش:**

أغلى بها ثمنًا وجاء بها　　شَخْتُ العظام كأنه سهمُ
بلَبانِهِ زيتٌ وأخرجها　　من ذي غوارب وسْطَه اللخْمُ

إن في هذين البيتين معلومات كثيرة من مهنة الغواصين وعاداتهم وأوصاف أجسامهم، وعن وجود سمك القرش، ولنا أن نتخيل ما وراء هذين البيتين من أوضاع بحرية تتعلق بصيد اللؤلؤ ومحترفي صيده. ومع هذا يقول عميد الأدب العربي إنه لم يرد ذكر للبحر ولا للصيد في الشعر الجاهلي. علماً بأن ما نستشهد به من شعر جاهلي متفق على صحته بين أوثق الرواة وعلماء الشعر العربي القديم.

الشعر الجاهلي ورُهَاب البحر

في علم النفس مرض نفسي عصابي اسمه (Phobia) أي رهاب، وهو خوف من الماء، أو الأماكن المكشوفة، أو المرتفعة [١٠]، **وكان الشاعر العباسي ابن الرومي مصابًا برهاب الماء، يظهر ذلك من قوله:**

لا أركب البحر أخشى　　عليّ منه المعاطبْ
طين أنا وهو ماء　　والطين في الماء ذائبْ

وقوله:

فأيسر إشفاقي من الماء أنني　　أمرّ به في الكوز مرّ المُجَانبِ
وأخشى الردى منه على كل شاربِ　　فكيف بأمنيةٍ على نفس راكب
ولِمْ لا ولو أُلقيتُ فيه وصخرةً　　لوافيتُ منه القعرَ أولَ راسبِ

وقد مر معنا **قول الأعشى:**

إذا رهبَ الموجَ نوتيُّه　　يحط القلاع ويرخي الزيارا

ومن المصادفة العجيبة ورود فعل (رهب) في هذا الموقف النفسي، وتوافقه مع مصطلح علم النفس (فوبيا = رهاب).

وكذلك قول بشر بن أبي خازم الأسدي:

إذا ركبتْ بصاحبها خليجًا　　تذكّر ما لديه من جُناحِ

وتمدنا اللغة العربية بدلالات نفسية مهمة عن رُهاب البحر عند الجاهليين، ففعل بَحَرَ الرجل يعني رأى البحر ففرِق (خاف) حتى دهش.

والباحرُ: الأحمق الذي إذا كُلم بحرَ وبقي كالمبهوت، **وبحِرَ**: تحير وبهت من الفزع.

ويقولون: يا هادي الليل جُرْتَ إنما هو البحر أو الفجر. وفسّره (ثعلب) فقال: إنما هو الهلاك أو ترى الفجر. شبه الليل بالبحر. (ولنا وقفة عند تشبيه امرئ القيس الليل بموج البحر).

وقد ورد في حديث أبي بكر رضي الله عنه: إنما هو الفجر أو البحر. ومعناه إن انتظرت حتى يضيئ الفجر أبصرت الطريق، وإن خبطت الظلماء أفضت بك إلى المكروه. [١١]

ونحن لو دققنا في تشبيه امرئ القيس الليلَ ـ وهو رمز لحزنه ـ بموج البحر لوصلنا إلى تلك الحالة النفسية الرهيبة (رُهاب البحر) التي يشعر بها الصحراوي أمام جبروت البحر وطغيانه.

فلم يجد امرؤ القيس أبلغ في التصوير النفسي لحالة اختناقه من الحزن في الليل من صورة الاختناق تحت موج البحر. لذلك فهو يقفز فوق عناصر بيئته الحسية المادية في التشبيه من عالم البادية ومعالمها، إلى عالم يكاد يكون خرافيًّا أسطوريًّا مرعبًا: البحر. فهو يحس كأن الليل أو الهم المطبق فوق صدره مثل طغيان موج البحر فوق غريق يتجاذبه الأمل واليأس بين

الموت والحياة. إنه يستغل (رهاب البحر) في ذلك التشبيه الرائع، فهو يريد أن يصور لنا دقة إحساسه بالحزن، وينقل للسامع مدى الشعور بالاختناق الذي يعانيه فلا يجد أروع تأثيرًا من ذلك المارد المخيف الرابض على تخوم صحراء العرب: البحر.

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُولَه ... عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

ويحدثنا محمد كردعلي في كتابه الشهير «**خطط الشام**»[12] أن الوليد بن يزيد استعمل الأسود بن بلال المحاربي على بحر الشام. فقدم عليه أعرابي من قومه ففرض له وأغزاه البحر. فلما أصابت البدوي تلك الأهوال **قال شعرًا** منه:

فللّه رأيٍ قادني لسفينةٍ ... وأخضر موّار السرار يمورُ
ترى متنَه سهلاً إذا الريح أقلعتْ ... وإن عصفت فالسهل منه وعورُ
فيابْنَ بلالٍ للضلال دعوتني ... وما كان مثلي للضلال يسيرُ

«امرؤ القيس صوّر رُهاب البحر في وصفه الليل بالموج»

ويصور مالك بن نويرة (في المفضليات) مباغتةَ أعداءِ قبيلته صباحًا وقد فاجأهم قومه وهم في خيامهم، فقال:

فما فتئوا حتى رأونا كأننا ... مع الصبح آذيٌّ من البحر مُزْبِدُ
(والآذي = الموج)

فهو لم يجد أعظم تشبيهًا في وصف حالة الرعب عند المباغتة من صورة طوفان أمواج البحر المزبدة في هدأة الصباح والأعداء رقود في خيامهم. إنه تشبيه قد يبدو ظاهريًا غير موافقٍ البيئةَ البدوية أو الصحراوية، لكنه موافق أتم الموافقة (البيئة النفسية) التي يرهبها البحر في الصحراء.

وهناك الكثير من شواهدِ البحر والسفن والملاحة والصيد في شعرنا الجاهلي العظيم لا «العقيم» كما يقول «عميد الأدب العربي» سامحه الله.

ونحن لا ندري لِمَ غابت عن طه حسين هذه الأشعار الغزيرة؟ هل بسبب التعميم في الأحكام والنقص في الاستقراء، أم بسبب عدم توافر المصادر الجاهلية المطبوعة المحققة الموثقة بين يديه في ذلك الوقت، أم بسبب حب استحداث ضجة في أجواء الأدب العربي الراكدة في زمنه؟

يقول محمد أحمد الغمراوي في كتابه (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي):

«ولقد كنا نظن أن الحكم على أدب عصر برمته كالعصر الجاهلي أهو صحيح أو موضوع؟ ـ لا يمكن أن يبنى على جزئيات صغرى كاحتوائه على وصف للبحر أو لغير البحر؛ لأن العام لا يمكن الاستدلال عليه بالخاص المحدود. لقد كنا نظن حتى جاءنا الأستاذ الدكتور يرى البحر ضروريًّا ذكره ووصفه في الأدب الجاهلي إن كان هذا الأدب صحيحًا، لأن العرب كانوا يصطنعون البحر في مرافقهم. وهو لا يكتفي على ما يظهر بذكر امرئ القيس «وليل كموج البحر» وبذكرٍ كذكر عمرو بن كلثوم:

ملأنا البحر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤه سفينا

هو لا يقنع بهذا. كأنه لا يقنعه منهم إلا أن يذكروه كما ذكره (كوبر) و(كامبل)، وأن يصفوه كما وصفه (بيرون)، وإن عاش عرب الجاهلية في الصحراء كما يعيش الإنجليز على الماء[13].

وظاهر أن الغمراوي ـ أيضًا ـ لم يطلع على الكثير من قصائد البحر أو أبياته المتناثرة هنا وهناك في دواوين ومجموعات الشعر العربي القديم، لذلك لا يذكر سوى بيتين لامرئ القيس وعمرو بن كلثوم.

إن وصف البحر والسفن والصيدفي الشعر الجاهلي غرض مستقل بذاته من أغراض هذا الشعر العظيم. ونحن نعكف على استقصائه وتبويبه ودراسته في كتاب مستقل عن البحر في الشعر العربي.

الهوامش

(١) نقلاً عن مقاله: «البحر في القرآن الكريم، د. أحمد الشرباحي، مجلة الهلال، القاهرة، أغسطس ـ آب، ١٩٧٢.

(٢) De Lacy O'Leary, Arabia Before Mohamed, 1927, P. 11

(٣) د. أنور عبد العليم: «الملاحة وعلوم البحار عند العرب» عالم المعرفة، الكويت، رقم ١٣، ١٩٧٩، الفصل الأول، ص ١٥ ـ ٢٢.

(٤) R. H. Sanger: The Arabian Peninsula, New York, 1954, P. 172.

(٥) طه حسين: «في الأدب الجاهلي» دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٦) نستمد شواهدنا من مجموعتي (المفضليات) طبعة دار المعارف، القاهرة (١٩٥٢)، و(الأصمعيات) لنفس الدار، (١٩٥٥).

وكلتاهما بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

(٧) ديوان الأعشى الكبير قيس بن ميمون، تحقيق الدكتور محمد محمد حسين، دار الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٩٨٣. القصيدة رقم ٤.

(٨) القصيدة رقم ٥ في الديوان المذكور أعلاه.

(٩) تحقيق د. عزة حسن. دمشق. وزارة الثقافة، ١٩٦٠.

(١٠) انظر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي للدكتور عبد المنعم الحفني ـ انجليزي، عربي مكتبة مدبولي القاهرة، ودار العودة بيروت، ج ٢، ص ١١٤.

(١١) راجع مادة (بحر) في لسان العرب لابن منظور.

(١٢) انظر الجزء الخامس ص ٣٥. ط ٣. دمشق. دار النوري ١٩٨٣.

(١٣) انظر كتابه ص ١٦٤/ طبعة دار الحكمة، ١٩٧٠.

مخاطر تحيط بالأمة وكيف يمكن التغلّب عليها؟

د. محمد عبد العليم مرسي

إن المخاطر والظروف المدبَّرة التي تحيط بأمتنا الإسلامية كثيرة جدا، وهي في جماعها التي جعلت أمتنا تصنف ضمن الأمم المتخلفة في عالم اليوم، وسوف نكتفي هنا بالحديث عن ثلاثة من تلك المخاطر، موضحين أبعادها، وكيفية التغلبة عليها.

١ ـ الفرقة والاختلاف

ويعتبر هذا الجانب من أخطر العوامل في تدمير حياة الأمة، بل إنه مهدد لوجودها ذاته، دون مبالغة، إننا في عصر التكتلات الكبرى، تلك التكتلات التي آمن أصحابها بأن الدولة الواحدة ـ مهما عظمت وقويت ـ لا يمكنها أن تقف وحدها أمام منافسيها، ولقد تبدى هذا المظهر واضحا جليا بعد الحرب العالمية الثانية بعد وقف الغرب في تكتل ضخم عرف باسم «حلف شمال الأطلسي»، ودخل الشرق في حلف مماثل، عرف باسم «حلف وارسو». وإذا كان هذا المظهر قد غلبت عليه الناحية العسكرية إلا أن الجانب الاقتصادي كانت له مكانه حيث ظهرت «السوق الأوربية المشتركة» لدول غرب أوربا، وظهرت أمامها على الجانب الآخر «سوق الكوميكون» لشرق أوربا.

وتعيش الآن مرحلة المخاض فيما يختص بظهور أوربا الموحدة لتقف عملاقا اقتصاديا كبيرا أمام الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن انهار ـ سريعا ومفاجئا ـ الاتحاد السوفييتي، ولا تسكت أمريكا فتتلفت فيما حولها على أرض القارة الأمريكية ونقرأ عن تكتل قد يضم معها كندا والمكسيك، وهناك في أقصى الشرق ينظر العملاق الاقتصادي الياباني حوله مفتشا عن رفقاء قد يشاركون تكتلا كبيرا يضم بعض دول شرق وجنوب شرقي آسيا مثل كوريا الجنوبية وماليزيا وسنغافورة وغيرها.

ونعود لعالمنا الإسلامي فنجد أن دوله موزعة متفرقة على خريطة العالم لا تكاد تعرف لها طريقا وسط الكبار، وأنها في تعاملها الاقتصادي معهم تتعامل منفردة مما يضعفها كثيرا عند التفاوض وعند عقد الصفقات، في بيع وفي شراء، وخاصة أن كثيرا منها يعتمد على سلعة واحدة أو سلعتين اقتصاديتين. لهذا فليس عجيبا أن يميل ميزان المدفوعات في حالات كثيرة منها لصالح الدول الأجنبية، والنتيجة المحزنة ـ على الرغم من منطقيتها ـ هي استدانة كثير من دولنا ورزوحها تحت ديون تبلغ بلايين الدولارات، والأرباح عليها تنوء بحملها مجموعة مسكينة من دولنا وهي لا تعرف للخلاص منها طريقا.

وإذا تحدثنا عن كيفية التخلص من هذه المعضلة فليس هناك سوى إخلاص النوايا من جانب السياسيين في بلداننا، واندفاعهم نحو العمل الجاد على نبذ الفرقة والاختلاف، وعلى تنفيذ بعض مشروعات الوحدة الاقتصادية التي كثر الحديث عنها ذات يوم، ولن يحدث ذلك إلا إذا قصرت المسافة بين أقوالهم والأفعال.

٢ ـ عدم العناية بتربية الإنسان المسلم

إذا كنا نتحدث عن أمة يكاد تعدادها يتعدى المليار من البشر، أي نحو سدس سكان العالم، فإننا ضمنا نتحدث عن مئات الملايين من الشباب الذين هم في سن التعليم، وفي سن العمل، وإذا كانت الشعوب المنتجة والمتقدمة تولي العناية الكبرى لتربية أبنائها ولتدريبهم بحيث يرتبط ما يقدم لهم في مدارسهم والجامعات بحاجات مجتمعاتهم وبتطورها، فإنه ينبغي أن نواجه أنفسنا بصدق، ونعترف بأن هناك سياجا من العزلة بين ما نقدم لشبابنا في المدارس والجامعات، وواقع الحياة التي تحياها مجتمعاتنا، وخبراء المناهج وأساتذة التربية يقولون هذا ويرددونه كثيرا في ندواتهم والمؤتمرات ويطالبون بمواجهته في كثير من توصياتهم.

وتمر بأمتنا الإسلامية الكارثة، ، تلو الكارثة، وننظر في مناهجنا ومقرراتنا فإذا هي في وادٍ وما جرى للأمة في وادٍ آخر، وكأنها تقدم لشبابٍ غير شبابنا، ولمجتمعاتٍ غير المجتمعات التي نعيش فيها. إن هناك حروبا نشبت بين دول إسلامية لم تجد لها في تربيتنا نصيبا، ، ولو كان متواضعا، كي نعلم الأجيال من أبنائنا مخاطر اصطراع المسلمين فيما بينهم، وكيف أن ذلك مؤدٍّ لهلكتهم، ويكفي أن نشير في لمحة خاطفة للحرب الكارثة التي دامت قرابة عشر سنوات بين شعبين مسلمين، هما شعبا إيران والعراق، وللحرب المزلزلة التي جرت منذ أكثر من عامين على أرض الكويت نتيجة للغزو العراقي لها. ونسأل أنفسنا: هل اهتممنا بتضمين مناهجنا ذلك، حتى نمنع تكراره في المستقبل من خلال إعادة تربية الإنسان المسلم، بحيث لا تنحرف به عقيدة فاسدة إلى دعوة ملحدة، فتدفع به إلى هاوية قتل أخيه المسلم ونهبه وسلبه، واغتصاب أخته أو ابنته أو زوجته؟

وهناك الكثير الكثير مما يمكن أن يقال في مجال تربية الإنسان المسلم العامل، المنتج للعلم، والباني للحضارة، والمنتج لكل أنواع الإنتاج الزراعي والاقتصادي والتقني، بحيث يصبح عنصر بناء لأمته ولنهضتها، ودققوا في «التربية اليابانية»، «والتربية الألمانية»، «والتربية الأمريكية»، واربطوا بينها وبين قوة المجتمع هناك، بل وعودوا «لتربية الإسلام» التي نشَّأ عليها الرسول،

ﷺ أصحابه، منذ أربعة عشر قرنا، وكيف خرَّجت للعالم بشرا بنوا حضارة من أعظم حضارات العالم في فترة قياسية لم تحدث في التاريخ من قبل، ولن يكون هناك نجاح لمدارسنا وجامعاتنا في تربيتها لشبابنا إلا أن تعود إلى سيرة المصطفى ﷺ في تربية أصحابه، حتى يكون لدينا خريجون على طريق السلف الصالح الذي نتحدث عنه وعلى شاكلتهم.

٣ ـ عدم الاهتمام بعنصر الوقت

ولا نحتاج لتكرار ما نقوله دوما من أن الوقت هو الحياة، وأن ما يذهب منه لا يعود، وأن رسولنا ﷺ قد نبهنا إليه كثيرا في أحاديثه وأفعاله، وأن الإنسان المسلم مسؤول مسؤولية خطيرة عن عمره وعن شبابه. ونعود لدول العالم المتقدم اليوم فنجدها تحرص على عنصر الوقت هذا حرصًا يبدو غريبا على كثيرين منا، فليست لديهم إجازات الصيف الطويلة ـ التي تمتد نحو أربعة أشهر في بعض مجتمعاتنا ـ بحيث يضيع وقت الملايين من شبابنا هدرًا، بينما نظراؤهم في دول العالم المتقدم يقرؤون ويتعلمون ويعملون، ويضيفون لمنعة أممهم وشعوبهم كل يوم. ويكفي أن نعلم أن مديري الجامعات الأمريكية اجتمعوا صبيحة ضرب اليابان للأسطول الأمريكي في «بيرل هاربر» في المحيط الهادي عام ١٩٤١م، وقرروا إلغاء الإجازات الصيفية؛ لأن الأمة لم يعد لديها وقت تضيِّعه. وفي «بيرل هاربر» هذه قتل ١٣٠٠ ضابط أمريكي فقط. ترى ألم تمرَّ أمتنا بمثل «بيرل هاربر»؟ ألم يقتل من شبابنا مئات الألوف في حروبها الكثيرة بحيث نكثف عمل الباقين من أبنائنا؟

لننظر إلى ساعات العمل التي يجلسها موظفونا إلى المكاتب، ولنبحث بأمانة في نسبة العمل في الخالص الذي يؤدونه لمجتمعاتهم، وهل يخلو ذلك العمل من قراءة للصحف والمجلات، ومن الأحاديث الجانبية، بعيدا عن العمل، هذا إذا التزم الجميع بمواعيد الحضور والانصراف، ثم لماذا نعمل ساعات أقل من غيرنا من المجتمعات الأخرى؟! لماذا ننصرف عند الثانية ظهرا بينما هم ينصرفون عند الخامسة مساءً؟ ولماذا نقلدهم في الإجازات فنعطي أنفسنا ـ في بعض بلادنا ـ يومين إجازة في الأسبوع مثلهم، بينما نحن لم نقلدهم في العمل من السابعة أو الثامنة وحتى الخامسة؟!

كذلك فلنقارن أيام العام الدراسي عندنا وفي بعض البلدان المتقدمة، مثل اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وهاتان أمتان تتنافسان على زعامة العالم اقتصاديا، ويكفي أن الأمريكيين يبحثون بجد في التربية اليابانية ليروْا عناصر التفوق فيها، تلك العناصر التي جعلت منتجات المجتمع الياباني والتقنية تغزو المجتمع الأمريكي العملاق، على الرغم من أن مساحة اليابان لا تزيد على ٤٪ فقط من مساحة أمريكا بكل ما فيها من مصادر خيرات لا تحصى. ولا نحتاج الى المقارنة إلا أن نعيد النظر في تربيتنا، لنرى أين نقف بين دول العالم؛ لأن التربية هي العنصر الفارق الذي يوضح ما بين المجتمعات من أسباب التقدم والتخلف، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تأمُّلات

شعر: عبد الفتاح الطاهر علي الخطيب

يا إلهي أنت يا سرّ وجودي وبقائي
يا إلهي أنتَ يا نور حياتي وهنائي
يا إلهي يا ملاذي يا معيني يا رجائي
حينما أدعوك أحيا في بحور من ضياء

○ ○ ○

يا إلهي أصبح الصبح فعم الكونَ نورُك
أذّن البلبل شدوًا خلفه صلت طيورك
هامت الأرواح لما فاض في الدنيا عبيرك
فإذا الإيمان يسري في فؤادي جل نورك

○ ○ ○

يا إلهي آية الآيات في هذا المساء
كيف تغفو الشمس في واد سحيق في انزواء ؟ !
كيف يأتي الليل جبارًا عَتيّ الكبرياء
فإذا بالكون ساجٍ في خشوع وولاء ؟ !

○ ○ ○

يا إلهي يا وهّاب يا جمّ العطاء
اشرح اللهم صدري هبْه فيضًا من ضياء
املأ اللّهُمَّ قلبي بالمحبة والصفاء
واغفر الذنب إلهي يا مجيبا للدعاء

قصة قصيرة

عائش في الوقت الضائع

إحسان كمال

راح د. خالد يجري بعض الاختبارات السريعة على الجهاز قبل أن يبدأ تشغيله على المريض، فجأة سمع أصوات هرج ومرج، قبل أن تقتحم القاعة مجموعة من الضباط والجنود بأسلحتهم!، قال له أكبر الضباط رتبة وهو يوجه إليه نظرات متحدّية:

— بعد إذنك.. سننقل هذا الجهاز..

بهت الطبيب: تنقلونه؟!.. كيف؟!.. لماذا؟!.. إلى أين؟!..

قال الضابط بصلف: ولو أن هذا ليس من شأنك إلا أني سأقول لك إلى أين، ربما يسعدك معرفة البلد،.. إنها العاصمة..

— لكن نحن الآن في العاصمة، الكويت!

لكزه الضابط محنقا في كتفه بمسدسه:

— لا أقصد عاصمة المحافظة التاسعة عشرة، وإنما عاصمة الدولة كلها.. بغداد العظيمة الأبية، انظر إليها كيف هي صامدة طوال عشرات الأيام وآلاف الطلعات للمعتدين من كل هاته الدول؟.. ألا ترى ذلك أمرا يدعو للفخر؟

- وإذا كنتم تؤمنون حقا بأنكم لن تخرجوا قط من الكويت، وأنها أصبحت للأبد المحافظة التاسعة عشرة.. فلماذا تجردونها من كل المعدات والمرافق المهمة؟، أليس من حق كل محافظة أن تكون بها مستلزماتها؟

بدأ الجنود يتحركون ليلتفوا حول الطبيب في شكل مستفز، في حين احتد الضابط:

— كثيرون دفعوا حياتهم بسبب كلمات أقل تهجما من كلماتك هذه، فلتحمد الله أنني واسع الصدر هذا الصباح!

طبعا تحت خيمة الاحتلال الغاشم كل شيء مباح، لذلك اضطر الطبيب أن يغير لهجته من التحدي إلى الرجاء:

— إنني أحدثك باسم الإنسانية



التي نحن أخوان فيها، إنني طبيب ولا شأن لي بإجراءاتكم السياسية، لكن هناك معلومة ربما كنت تجهلها، وربما لو عرفتها لغيرت من موقفك وأقلعت عن عزمك، لقد سبق أن نقلوا إلى بغداد جميع أجهزة غسيل الكلى التي كانت متوافرة بالكويت، حتى لم يعد بها سوى هذا الجهاز، وبالتالي فإن على وجوده تتوقف حياة العشرات من المصابين بالفشل الكلوي هنا.

لكنه كان كمن يستجدي الآمال وسط حضيض اليأس. قال الضابط فارغَ الصبر:

— يا سيدي أنا لا أقرر ولا أتخذ مواقف، إنها أوامر جاءت لي من رياستي وليس أمامي إلا أن أنفذها، وهذا آخر إنذار لك بتركنا نقوم بمهمتنا، إلا إذا كنت ترغب أن تقوم بدور البطل الشجاع في تراجيديا ركيكة، فتصمم على أننا لن نأخذ الجهاز إلا على جثتك. في هذه الحالة نحن نرحب جدا بتمكينك من القيام بهذا الدور!..

تمتم د. خالد باستسلام: حسنا، الجهاز والمستشفى كلها طبعا، تحت أمركم. فقط أستسمحكم أن نقوم بعملية الغسيل لهذا المريض، الشيخ مندور، حيث كنا على وشك أن نبدأ، عموما العملية لن تستغرق أكثر من ساعة.

صفعه الضابط برده الرافض:

- مستحيل، ثم ما الفائدة، إنه لن يغسل بعد ذلك ما دمت تقول إنه لا توجد وحدات أخرى هنا، كم يستطيع أن يعيش بدون غسيل للكلى؟

- نحو أسبوع، أو أكثر قليلا.

صمت الضابط قليلا ثم راح يضحك ويضحك في شبه هستريا. أخيرا قال بخيلاء وعيناه تقتحمان المريض في قحة:

— الحقيقة أنه يستهويني كثيرا الشعور بأنني أمتلك القدرة، من حيث استطاعتي أن أمنح مريضك ذاك أسبوعين من الحياة، لذلك سنذهب لنقل أجهزة أخرى ثم نعود إليك بعد ساعة، فقط على هذا الشيخ أن يتذكر طوال ذلك الأسبوع، كلما أكل، كلما شرب، كلما ضاجع زوجته، كلما نام وصحا، بل حتى كلما تنفس، أنني أنا الذي وهبت له الحياة جميع تلك الأيام!

انخرط باقي الضباط والجنود في الضحكات العالية نفسها، مما فتح شهية القائد لمزيد من التظرف:

ـ أو كما يزيد الحكم المباراة بضع دقائق من الوقت الضائع عندما ينتهي وقتها الأصلي، وإن كنت أنا أضيف بضعة أيام، ومن يدري يا شيخ، ربما تسجل هدفا، أعني طفلا، في هذا الوقت الضائع!

عادت قهقهات الضباط أكثر صخبا ومجونا وهم يغادرون القاعة. في صمت التفت الطبيب إلى مريضه يدعوه إلى الجهاز، لكن الأخير أبى أن يتقدم خطوة، كانت تجتاحه سيول الغضب التي تكتسح أمامها آخر حصون العقل، هتف وهو ينتفض من قمة رأسه حتى أخمص قدميه:

ـ لن أغسل اليوم.. أبدا، وإذا كانت حياتي ستصبح منحة من هذا الرجل فإنني أرفضها.

صاح الطبيب: معقول أن ترفض العلاج من أجل هذا الشخص؟!، إنه مجنون بالتأكيد، لا يقول ما قاله إلا إنسان مجنون، الله وحده ـ ولا أحد سواه قط ـ هو واهب الحياة، سبحانه وتعالى عن كل لغو أثيم.

ـ وحتى إذا نحّيت كلام هذا المجنون جانبا، فما فائدة الغسل اليوم، وتكون آخر مرة؟ تعلم جيدا أن حالتي الصحية لا تسمح لي بالسفر إلى السعودية أو مصر أو إلى أي بلد آخر أواصل فيه علاجي، فما قيمة أيام أعيشها وأنا أتوقع الموت بعدها؟ ألم تسمع قول ذلك المأفون أنني خلال هذا الأسبوع سأكون عائشا في الوقت الضائع؟

بحزم وتأكيد قال د. خالد:

لتفهم أن رفضك العلاج لن يكون خطأ في حق نفسك فقط، ولكنه في حق الله عز وجل، إذ كأنك تتجاهل قدرته، من يدرينا ماذا سيحدث خلال هذا الأسبوع؟ واجبنا أن نأخذ بالأسباب التي في أيدينا، ثم نترك الآتي يدبره الله بمشيئته، ألم تقرأ أنه إذا قامت القيامة وفي يد أحدٍ منا فسيلة فعليه أن يزرعها؟!

بدأت الأفكار تتصادم في رأس الشيخ، أخيرا حزم أمره، تمتم وهو يتوجه إلى الجهاز:

ـ صدق الله العظيم، فقط أدعو الله ـ وهذه دعوتي الأخيرة ـ أن يتأخر قدوم هذا المخلوق إلى ما بعد انتهاء غسيلي وانصرافي، حتى لا يسمعني المزيد من كلامه السخيف، وأيضا حتى لا أراهم وهم ينهبون ممتلكاتنا أمام أعيننا.

وقد تحققت لهذا المواطن البسيط دعوته، فانصرف هو وطبيبه المعالج قبل عودة الجنود والضباط الشجعان، الذين نزعوا الجهاز الثمين ونقلوه ـ أو نهبوه ـ مع غيره من الأجهزة الشديدة الأهمية إلى سيارة نقل كانت تنتظر في الفناء، أشار القائد المغوار لسائق السيارة ملوحا:

ـ بلغ المسؤولين تحياتي وقل لهم «البقية تأتي!».

غمغم د. خالد من مكانه أمام النافذة وهو يصرف بأسنانه:

ـ لا تكن واثقا هكذا.. فمن يدري؟!

انتظمت الشاحنات في طابور طويل، يحوي كل ما استطاعوا نقله من معدات المستشفيات والمدارس والمنشآت والمصانع والمكاتب الهندسية ودور الحكومة... إلخ، وراحت تنهب الطريق صوب الحدود العراقية. عندما وقع الزلزال الذي هز الدنيا، بدأت الحرب البرية، لتنشق الأرض عن جحافل القوات العربية تدخل أرض الكويت معلنة تحريرها، الغريب أن شراذم الجيش العراقي ـ الذي لم يكن مؤمنا قط بأي هدف يحارب من أجله ـ هذه الشراذم تسابقت في رفع الرايات البيضاء وتسليم أنفسها، وكان في مقدمة هؤلاء ـ طبعا ـ سائقو سيارات النقل التي تحمل المعدات المنهوبة، من ثم استدارت السيارات خلفا دُرْ، لتعود من حيث جاءت.



د. خالد ملتزم بحب عمله الإنساني ويتفانى فيه حقا، عندما علم بعودة الغنائم المسروقة سعى لدى المسؤولين لتكون للمستشفى الأولوية في إعادة تركيب أجهزته السليبة، وقد اكتمل له ذلك فعلا بعد أسبوع واحد بالضبط من ذلك النهار الكئيب الذي تم فيه خلعها، وفي ذلك اليوم دق جرس الهاتف في منزل الشيخ مندور، كان المتحدث هو الدكتور خالد نفسه:

ـ ننتظر حضورك اليوم بعد العصر لنقوم بعملية غسيل الكلى لك، هل صدقتني الآن يا شيخ مندور عندما قلت لك إن الله وحده ـ ولا أحد سواه قط ـ هو واهب الحياة ومدبّر أسبابها وتصاريفها؟.. سبحانه وتعالى عن كل لغو أثيم.

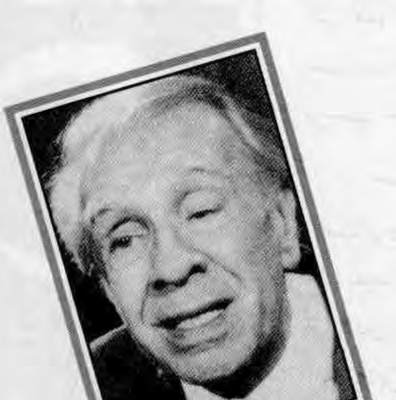
منظور الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية

بقلم: د. عبدالفتاح عوض

الجزء الثاني والأخير

تناول الكاتب في الجزء الأول من هذه المقالة بدايات الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية، ومدى تأثرها بالتيارات الأوربية في مجال الرواية، وحدود تميزها منها. وقد ذكر أهم تيارات الرواية في أمريكا اللاتينية، وقدم نماذج لكل منها، وحرص على أن تكون من دول مختلفة.

ويواصل الموضوع في هذا الجزء ـ الثاني والأخير ـ بتناول أبرز الروائيين ونماذج لأعمالهم.



خورخي بورخيس

كاتب أرجنتيني

خورخي لويس بورخيس (١٨٨٩ ـ ١٩٨٦م) الكاتب الأرجنتيني الذي اتسمت حياته بالغرابة، أو ربما بالاعوجاج. **وكان واحدا من الأعضاء البارزين والنشطين في حركة رواد الطليعة في العشرينيات، شاعرا ومؤلفا لكتب أشعار «حماسة بيونس أيرس»** (١٩٢٣م) **و«دفتر سان مارتين»** (١٩٢٤م) **و «القمر المواجه»**(١٩٢٥م)، كما شارك في تأسيس المجلات الأدبية التي أشرنا إليها من قبل، فضلا عن أنه كان ممثلا لتيار «الماورائية» في بيونس أيرس، وهي حركة أدبية لم تكن فرعا بسيطا من الماورائية الأسبانية التي كانت تعتمد أساسا على التقاليع الأدبية، بل كانت الماورائية في بيونس أيرس ـ حسب مفهوم بورخيس ـ هي التطور الطبيعي للتراث الأدبي الأسباني. وفي هذا السياق لن نشير إلى دوره شاعرًا، بل سنتطرق إلى أعماله الروائية، حيث عالج موضوعات كانت تشغل فكره تتعلق بطبيعة الأنا والزمن. **ومن خلال كتابات بورخيس نجد أنه يميل إلى المثالية أكثر من الواقعية، حيث** إن المثالية ـ كما يرى ـ بها إمكانات خيالية أكبر. إنه يعتقد أن الكون لا يمكن إدراكه بالنسبة للعقل البشري في عديد من الجوانب المهمة، ومن ثم فإن المثالية بالنسبة له تبدو أكثر خصوبة في حالات التأمل الإبداعية. ففي روايته **«تلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس»** يؤكد أنه ليس من المجدي الاستنتاج أن الحقيقة منظمة، ربما تكون هناك، ولكن وفقا للقوانين الإلهية والقوانين التي لا تصدر عن الإنسان لا ندركها على الإطلاق «إن العمل الفني يعطي الإنسان إمكان إبداع «علم أكثر إنسانية». ولكن انقضى بعض الوقت قبل أن يقرر **بورخيس** اختيار طريق الفن بوضوح. بعد مجموعة مقالاته بعنوان **«محاكم التفتيش»** نشر «مناقشة» (١٩٢٣م) و**«تاريخ الخلود»** (١٩٣٢م) بالإضافة إلى عدة مقالات أخرى قبل أن يتجه نهائيا إلى الرواية. وعندما نشرت روايته الأولى في مجلد **«التاريخ العالمي للعار»** (١٩٣٥م) كانت هذه الروايات تقوم على شخصيات تاريخية، على الرغم من أسطوريتها مثل بيلي الطفل. ومن ثم فقد وصل بورخيس إلى فن الرواية عن طريق كتابة المقالة، من خلال اهتماماته بالمثالية والمشكلات الميتافيزيقية وفكرته عن الفن من حيث هو حدسي بديهي وانشغاله بالسينما وقرض الشعر. وفي عامي ١٩٣٥ و١٩٣٦م كتب رواياته الأولى، وإن كان حتى عام ١٩٤١ لم ينشر روايته **«حديقة الطرق التي تتشعب»** وإدراجها في مجلد بعنوان **«تخيلات»** (١٩٤٤م) ثم نشر بعد ذلك روايته المشهورة **«الآلف»** (١٩٤٩م) ورواية **«الخالق»** (١٩٦٠م).

وتعتبر كل رواية من هذه الروايات تحفة أدبية مصغرة، حيث تضع القارئ دائما في تساؤلات، فضلا عن أن رواياته مشبعة دائما بالمصادر والإشارات الأدبية، مما يقربها دائما من لغة المقالة التي تقوم على فكرة الإصلاح.

كاتب من كوبا

وننتقل إلى كاتب روائي آخر من كوبا من الجيل الثاني هو **«اليخو**

كاربينتيير» (١٩٠٤م ـ   ) تجري في عروقه دماء فرنسية وروسية، احترف العزف على الآلات الموسيقية وشغل نفسه دائما بـالتأليف الموسيقي، وكتب عن تاريخ الموسيقى الكوبيـة، وانعكس هذا الاهتمام في العديـد من رواياته وأقـاصيصه. **شارك مع مجموعة من المثقفين الكوبيين التي شاركت بنشـاط كبير في مجريات السياسة في العشرينيات**، ومن جراء هـذه المشاركـة سجن لفترة قصيرة في عام ١٩٢٨م. وخلال هذه الفترة أجرى اتصالات مع **الحركة الأفروكوبية** حيث كتب عدة قصـائد أفروكوبية ومسرحيـة عن المسيح مُثِّلت في باريس، ورواية وثـائقية عن تيار الأفـروكوبية نشرت مع صـور فوتوغرافيـة في عام ١٩٣٣م. **وبعد فترة عـاود الكتابـة، فكتب روايـات كانـت حول أدب الـرحـلات، وكانت بنيتهـا الأساسيـة تقوم على مبـدأ البحث والاستقصاء**. وكان أول هذه الـروايات رواية **«رحلة إلى البذرة»**، التي تدور حـول التسلسل التاريخي والبيوجـرافي المألوف، وهي تقص ـ بطريقة الفلاش باك ـ حياة مواطن كوبي صاحب مزرعة كبيرة منذ وفاته حتى ميـلاده. ويواصل تراجع الأحداث حتـى يصل إلى الجذور السابقة على الوجود الإنسـاني. وهي رواية مسلية مثل النادرة الطـويلة، وإن كان يبين فيهـا هوايتـه نحو التعدديـة وعرض التفـاصيل الـدقيقة، والتي تعتبر إحـدى الملامح المميـزة للكـاتب. وفي عام ١٩٤٣م قـام اليخـو كـاربينتيير بزيـارة إلى هايتي، حيث أبدى اهتماما بتاريخ ثـورات العبيد في أواخر القرن الثامن عشر، واهتماما بـالملك الأسود هنـري كريستوف. وفي عـام ١٩٤٩ نشر روايته **«مملكة هذا العالم»** التي تـدور أحداثهـا في الفترة السـابقة والـلاحقـة على قيام الثـورة الفرنسية.

وفي روايات اليخو كاربينتيير لا نجد تحليلا نفسيـا لأن نظرته واسعة تشمل تفاصيل الحياة الإنسانية. إنه يحدثنا لا عن الأفراد وحسب، وإنما عن النماذج: المحـرر والطـاغيـة والضحيــة، ولا يتحـدث عن الحيــاة، بل عن كل الفترة والأحقاب التاريخية. والأسلوب نفسه الـذي يصف به روايته يقدم إشارة إلى ما يتعلق أساسا بـالمفهوم العالمي، إذ إنه يعيد دائما تنظيم العالم إلى درجـات توجد تحتها الأسماء المتعـددة للأشياء. ويهدف كـاربينتيير في رواياتـه إلى تغيير النظرة المستقبليـة للقارئ بأن يخرج من وحـدتـه في حياتـه الوحيـدة ليـدخله في نظـرة شموليـة، وذلك من خلال فترة زمنيـة أطول. ومع كـاربينتيير نعيش في الزمن الكوني، وهذا يـؤدي من ثم إلى أن المأساة الفردية هي جـزء بسيط داخل مجموع واسع ومحبط للغاية.

الجواتيمالي الحائز على جائزة نوبل

وننتقل إلى روائي جـواتمـيلا العـالمي **ميجيل انخيل استـورياس** (١٨٩٩ ـ ١٩٧٤م) الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٧م. **تدور أعماله الروائية حول الأسطـورة الهنديـة الكولـومبية وليس الأسطـورة الغـربية**. روايتـه **«السيد الرئيس»** التي صدرت عام ١٩٦٤م هي تحفته الأدبية بلا منازع. تدخلنا الرواية في عـالم كاريكـاتـوري لإحدى المدن المغلـوبـة على أمرهـا. كـانت العلاقـات الطبيعية مشوهة، والعائلات منقسمة فيما بينها وكذلك كل المؤسسات ما عدا تلك التي تـربط المواطنين بالـديكتاتور. لقـد اختنقت السعادة في ذلـك العالم الطبيعي القديم، الذي كانت تتطور فيه الحياة الإنسانية وتنمو؛ لتفسح المجال



ميجيل استورياس

أمام المدينـة التي يسيطـر عليها الطاغيـة تماما. وهكـذا تعكس الـرواية التغيير الذي يعتبره ميجيل أنخيل استورياس وخيما بلا شك، قد حول جماعة متمسكة بالتراث إلى جماعة حديثة متمدنة بعيدة كل البعد عن أصالتها (١٠).

روائي من أوروجواي

وتتسم أعمال كاتب أوروجواي **خوان كارلوس أونيتي** (١٩٠٩م ـ   ) (١١) الحائز على جائزة سرفانتيس في الآداب الأسبانية عن روايته **«لنتكلم مع الرياح»** بأنها ذات طبيعة جغرافية أخلاقية. تدور رواياته في ميناء سانتا ماريا وهو أحد الموانئ النهرية البعيدة، مكان تبخر فيـه الأمل وأصبح الناس يكرسون حياتهم للحيل والدهـاء والمكر والخداع، ويرى أن الحلم هو الإنقـاذ ربما لفترة مؤقتة. **تتميز رواياته بالتماسك**؛ لأنها تضم شخصيـات تكون دائما على حافـة اليأس وتتخلص من الصراع المفقـود بجوار المقبرة وتطلق صرخـة أخيرة لـلإنسانيـة في صحـراء الضياع الـرماديـة اللون. ففي روايتـه الأولى **«البئر»** التي نشرهـا عام ١٩٣٩م يعالج قصة إنسـان وحيد يحاول أن يكتب وأن ينقل آراءه إلى المرأة التي يعشقها، إلى فتاة سيئة السلوك أو إلى صديق **«وحيد بين القاذورات»**، **«مسجون في غرفة»**، إنـه البطل النموذج للكـاتب أونيتي الـذي بلغ مرحلـة يكون فيهـا الخداع الذاتي والأمل في طريقهما إلى النهاية. كل ما يمكن أن يسرده هو حالات الفشل المتتالية من أجل نقل أفكاره. لا يشاركه أحد أحلامه، ليس لديه إنسان مثالي يصبح واقعا، على عكس صديقه لاثارو، العضو السياسي، أو كورديس الشـاعر. وفي النهـاية يقبل فقط وحـدته الكـاملة. أعـداء الإنسان: القـذارة والعمر والبغـاء والروتين والمال. ولكن الأسـوأ في كل هـذا هو اليأس. عنـدما يفقـد الرجـال والنسـاء الأمل ينقلبـون رأسا على عقب وسط حـالـة من اليأس الكامل. ففي روايته **«حزينا مثلها»** يقول إن زوجا هـدم حديقة منزلـه عمدا، تلك الحديقة التي هي رمـز الحب والوصال، وغطى أرض الحديقـة بالإسمنت حتى تنتحر زوجته بعـد أن فقدت الأمل. وفي روايته **«الجحيم الخجول»** تطلب زوجة خائنة من زوجها أن يرى صورها في مواضع غير أخلاقية، وعندما ترسل إحدى الصور إلى ابنتها ينتحر الزوج. ونتساءل كيف تقع هذه الكائنات في بئر الكـراهيـة والإحباط. ولا يشرح الكـاتب أونيتي لنـا ذلك، وإنما يصـور هـذا الانحطاط والعفن، لأنـه يرى أن الـرواية هي مـرآة تكبر الصور لتجسـد هذه العفونة في المجتمع.

وفي إحدى المناسبات قال الناقد والروائي **بيرو ماريو بارجاس يوسا** إنه ربما

منظور الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية

يكون تاريخ ميلاد الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية هو عام ١٩٣٩ عندما ظهرت رواية «البئر» لكاتب أوروجواي **خوان كارلوس أونيتي**. **وبالطبع فإن أونيتي هو الكاتب الروائي المتعمق في الأصالة الذي يستطيع بناء عالمه الروائي الخاص**، مثلما فعل من قبل كل من **كافكا وفوكنر**. ليس فقط من حيث الإصرار على نظرية المكان لرواياته في إحدى قرى سانتا ماريا وظهور شخصياتها، وإنما بقدرته الإبداعية على خلق مناخ روائي خاص يدخل في أعماق القارئ العادي.

ويتضح أن الروائي أونيتي يعتبر واحدا من حملة تيار التشاؤم. ويمكن تفسير ذلك بأن حياته الأدبية لم تكن سهلة بالقدر المطلوب؛ فلقد أفلس

روايات كاربنتير افتقرت للتحليل النفسي لأن نظرته الواسعة شملت تفاصيل الحياة الإنسانية.

ناشروه وتجاهله النقاد وقلت مبيعات كتبه. وفضلا عن ذلك ففي أعماله الروائية نجد أن الوصف يكون في خدمة فهم الشخصيات وخلق المناخ الخاص بها. ولهذا قال في عام ١٩٦١ «أريد أن أعبر عن مغامرة الإنسان فقط». الإنسان دون نعته بأية صفات كما يفعل الروائيون التقليديون في أمريكا اللاتينية.

ويستطرد مركّزا على صعوبة الاتصال الحقيقي: «إن الخبرة العميقة لا يمكن نقلها إن سوء الفهم شائع». وعن عدم جدوى الجهود المبذولة: «لقد بدؤوا في بذل الجهود من أجل لا شيء. إن عالم العلاقات الإنسانية يخفي هوات سحيقة، تصرفات حقيرة تصبغ أعمالنا اليومية بالسواد. الروائي يحطم الصلابة ويفتت الواقع إلى ألف قطعة ويغمرنا في عالم قلق أساسا». ويقول: «لقد شعرنا بهذا مرة ما مثل يوم ممطر يحضرون لي فيه معطفا مبللا بالماء كي أرتديه». ومن ثم فقد أعطى أونيتي شكلا أدبيا عظيما لهذه الحالة النفسية التي تغلب عليها الكآبة واليأس والإحباط، ويعترف بأنه رجل بلا دين، وربما يكون هذا إحساسَ التشاؤم الذي يسيطر عليه.

ويقول **أونيتي** ـ كما يقول **سارتر** ـ إنه عند اختيار، شيء عليك برفض شيء آخر. ومن يقول لنا بأننا على صواب أو خطأ عند الاختيار كل هؤلاء الناس الذين يموتون جوعا هل اختاروا مصيرهم هذا؟ لا أعتقد بالطبع. في الواقع إن الظلم يثيرني. ومن جهة أخرى لا أعتقد أن الثورة تحمل العدالة. إن الثورة تحمل طبقة أوليجارشية أخرى تضم البيروقراطيين. ولننظر إلى روسيا بعد نصف قرن من الثورة وما زالت هناك ثورات في أقاليمها. ولننظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من سلطانها وتفوقها. ولكن حتى هذه اللحظة لم يطلب مواطن أمريكي حق اللجوء إلى روسيا. وهذا ليس تعصبا ضد روسيا، وإنما ما أريده هو أن تأتي حرب ذرية تجرف أمامها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وتتركنا نعيش في هدوء وسلام»(١٢).

ماريو بارجاس يوسا روائي بيرو

أما **ماريو بارجاس يوسا** (١٩٣٦م ـــ) روائي بيرو، **فيعدّ واحدا من أفضل النماذج التي ترى أن التجربة الحياتية هي الأساس في فن الرواية**، إذ تعالج رواياته واحدة من أخطر مشكلات العصر وهي التناقض بين ما هو تاريخي وما هو بنيوي. وتشير رواياته «**المدينة والكلاب**» (١٩٦٢م) (١٣)، و«**المنزل الأخضر**» (١٩٦٦م)(١٤) و«**محادثة في الكاتدرائية**» (١٩٦٩م) (١٥) إلى الهياكل البنيوية وإلى أن هناك شيئا في طبيعة البناء الذي يتسلط على عقل المؤلف. في كل واحدة من هذه الروايات تمثل المباني نظما وتسلسلا للأفكار بشكل معقد لدرجة أن كلمة «الرمز» المستخدمة لا تكون لها علاقة بالمكان. المدينة والمدرسة في رواية «**المدينة والكلاب**»، والجزيرة والدير في رواية «المنزل الأخضر»، والحانة المسماة بالكاتدرائية في رواية «**محادثة في الكاتدرائية**»، هي جميعها عناصر متماثلة لبعض طرق بناء الرواية لدى الكاتب. إنها أنظمة مرتبة للغاية، تكون فيها العناصر المتنوعة ملزمة بالعمل بشكل متناسق. ومن ثم فإن مذهب الحتمية الذي يشير إليه عديد من النقاد عند الحديث عن هذه الروايات هو شيء آخر أكثر تعقيدا مما كان مفهوما في القرن التاسع عشر حول هذا المصطلح. في مؤلفات **ماريو بارجاس يوسا** يكون كل ما هو عضوي وكل ما هو بنيوي فضلا عن المسائل التطورية والعلاقات المتزامنة متناقضة تماما. ولدينا مثال في رواية «**المدينة والكلاب**» التي تدور أحداثها في أكاديمية «ليونثيو برادو العسكرية». مجموعة من تلاميذ المدرسة الحربية «الكلاب» يتفقون في شيء واحد، هو أنهم جميعا في سنة دراسية واحدة. وتحت إشراف «جاجوار» يسرقون أسئلة امتحان الكيمياء.

أما «اسكلابو» الذي يظل على هامش المجموعة، فيقوم بالوشاية والإبلاغ عن اللص؛ حتى يتمكن من الحصول على إذن بالخروج يوم السبت، إلا أنه يتم اغتياله في إحدى المناورات في ظروف غامضة. ولا يكشف الغموض عن هذا الحادث وإنما يؤدي إلى مواجهة بين «جاجوار» والشاعر «البرتو» الذي يشكو بدوره «جاجوار»، باعتباره هو الذي اغتال «اسكلابو». وهذه المحادثة هي الإطار. أما السرقة والجريمة والوشاية فإنها تمثل تسلسل أحداث الرواية، ولكن جوهرها أبعد من ذلك، حيث تتقارب الحكايات الفردية للتلاميذ ومعلميهم مع نظام وبيروقراطية المدرسة. يتقارب التطور العضوي مع العلاقات الأسرية وتتقارب الأكاديمية العسكرية مع مواعيدها وقواعدها ولوائحها وميدان الرماية حيث يتكيف الطلبة العزّل وفقا لظروفهم الشخصية.

إن البناء التزامني غير الشخصي للأكاديمية له تأثير مشوه لغرائز ورغبات التلاميذ، وتأثير يحد من اختياراتهم. عليهم أن يتحولوا إلى جلادين مثل

«جاجوار» وإلى ضحايا مثل «اسكلابو» أو إلى مهرجين مثل الشاعر «البرتو». والمدرسة هي بناء شبيه الإنسان بالكامل وهي نتاج لفلسفة فكرية (أيديولوجية)، يحتاج تقبلها إلى عملية غسيل المخ أولا، ومن ثم التخلص من نزعة الوفاء القديمة لديهم وتلقينهم اللائحة الجديدة للأكاديمية التي توجزها شخصية «البرتو» الشاعر في الرواية: «أنت هنا جندي رغم أنفك. إن ما يهم في الجيش هو أن تكون رجلا جيدا، تطيع الأوامر دون تفكير».



جارثيا ماركيث

روائي كولومبيا الحائز على جائزة نوبل

ونختتم هذه الدراسة بروائي كولومبيا **جابرييل جارثيا ماركيث** (١٩٢٨م ـ) الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٢م، عن روايته **«مائة عام من العزلة»** (١٩٦٧). وليس من المبالغ فيه القول إن رواية «مائة عام من العزلة» قد وصلت شهرتها وشعبيتها في العالم الناطق بالإسبانية مثل شهرة «دون كيشوت». كانت روايته تتويجا لمرحلة طويلة من التعليم المتأني، مثلما ابتدع مدينة «ماكوندو» الخيالية مسرح رواية مائة عام من العزلة. وفي رواياته **«ما يتساقط من الأوراق»** (١٩٥٥م) و**«المقدم لا يجد من يكاتبه»** (١٩٦٢م) و**«ساعة الشؤم»** (١٩٦٣م). وفي حكاياته **«جنازة الأم الكبيرة»** يكون البطل هو المدينة البعيدة المعزولة، المقسمة إلى تناقضات داخلية، وإلى مستويات من الكراهية، تلك الأرض المشتركة لكل الأجناس. ومنذ ظهور روايته الأولى **«ما يتساقط من الأوراق»** استطاع جارثيا ماركيث أن يثبت وجوده في تخيله لشخصية المنعزل والمتكبر، المرتاب دائما في مواجهة المجتمع الذي كان يحيط به. في هذه الرواية تعتبر شخصية الطبيب، الذي تمثل مسألة دفنه إطار الرواية، شخصية مبهمة غامضة. إنها شخصية الغريب الذي يصل إلى المدينة الصغيرة؛ ليمارس مهنة الطب ويتأكد من أن عملاءه بدأوا في الابتعاد عنه، وأن الشركة المهتمة بزراعات أشجار الموز تصل إلى هذه المدينة بأطبائها العديدين، الأمر الذي يؤدي بالطبيب إلى أن يحبس نفسه في عزلة اختيارية، وعندما تغادر الشركة المدينة، وتنشب الحرب الأهلية يرفض العناية بالجرحى، ولهذا السبب يتم إرساله إلى مدينة «كوفنتري»، ويظل هذا الحقد بداخله زمنا طويلا، حتى يتسم نسيان الأسباب التي دفعته إلى ذلك، ويصل إلى ما هو أبعد من الموت.

وهنا يظهر الانشغال الرئيس لجارثيا ماركيث وهو مشكلة الحقيقة الفردية داخل المجتمع غير العادل. وهذا هو الموضوع الذي يتردد من جديد في روايته **«قيلولة الثلاثاء»** التي كتبها نحو عام ١٩٤٨م، وتقوم على حادثة كان يتذكرها المؤلف في طفولته: يصل إلى المدينة لص أثناء ساعة القيلولة، ويقتل ابن امرأة بالرصاص وتقوم المرأة بوضع إكليل من الزهور على قبر ابنها، بينما أهل المدينة يتجمعون على الأبواب وفي نوافذ البيوت وعلى وجوههم الغضب الجامح. وتظهر المرأة بالثبات في كبريائها وجلدها. وفي روايته **«المقدم لا يجد من يكاتبه»** نجد أنفسنا أمام واحد من النماذج الأصلية في الرواية التي تختفي فيها البلاغة، فنحن أمام العزلة العارية للبطل. هذا البطل المحنك في الحرب الأهلية الذي ظل خمسة عشر عاما منتظرا الحصول على المعاش. وعندما كان يصل البريد كل أسبوع لا تتحقق آماله. ولده الوحيد «أجوستين» قتل بالرصاص بسبب توزيعه منشورات دعائية غير مشروعة، ويظل المقدم بدون مصادر مالية سوى ديكة المصارعة التي لا يتمكن من إطعامها بسبب ضيق ذات اليد. بالإضافة إلى ذلك يسيطر على المدينة أعداؤها السياسيون، الأمر الذي لا يسمح له باختيار آخر، فليس هناك من مخرج سوى أن يسجن كرامته وعزة نفسه وجلده وكبرياءه التي يتشبث بها بعناد مؤثر. وتتجسد الكبرياء في ديكة المصارعة التي يراها رمزا للقوى المقهورة في المدينة ويرفض بيعها في النهاية. وفي نهاية الرواية يفقد كل الآمال ويموت جوعا ولكن بعزة نفسه وكبريائه التي لا تمس إذ «شعر بنقائه وبوضوحه وأنه لا يقهر».

> لم يهتم أستورياس بالأسطورة الغربية ودارت أعماله الروائية حول الأسطورة الهندية الكولومبية.

ويقول أديب وناقد بيرو ماريو بارجاس يوسا إن رواية «مائة عام من العزلة» هي أماديس أمريكا[١٦] **ومن ثم يتم تتويج كل أعمال جارثيا ماركيث الأولية في هذه الرواية. إنها عمل أسطوري يعالج دائما تداخل الأسطورة والهجرة وبناء المدينة.**

ومن بين الجوانب المهمة في رواية **«مائة عام من العزلة»** أن الرواية تكسر قالب الواقعية وتعود إلى مصادر الخيال في الأسطورة والرواية الخيالية. وأسلوب الرواية ذو لهجة تقليدية يقص حكاية شعبية: «بعد سنوات طويلة وفي مواجهة فرقة الرمي بالرصاص، كان على الكولونيل أورليانو بوينديا أن يتذكر ذلك المساء البعيد الذي حمله فيه والده ليتعرف الجليد». إنه زمن الماضي الأسطوري، حيث إن ضمير الإشارة «ذلك» يشير إلى أن الذي يحكي التاريخ هو وحده فقط الذي يستطيع أن يكشف سحره.

ولأهمية هذه الرواية وقيمتها الأدبية نسرد بعضا من التعليقات التي دارت حولها عندما أعلن في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٨٢ عن فوز مؤلفها بجائزة نوبل في الآداب. يقول الناقد والروائي الأسباني أندريس **أموروس** في مقالة صدرت له تحت عنوان **«صحبة مع مائة عام من العزلة»**: منذ أكثر من عشر سنوات كتبت أن الإقبال الجماعي من القراء قد أجاز عملا أدبيا ذا قيمة

منظور الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية

كبيرة. «مائة عام من العزلة» رواية نموذجية لا تدع للناقد مجالا لانتقادها فنيا. الشيء نفسه مع كل روايات جابرييل جارثيا ماركيث التي تحوز دائما إعجاب القارئ لفائدتها الأدبية»[١٧].

ونشر الناقد الأسباني **ريكاردو جويون** دراسة بعنوان «**جارثيا ماركيث أو فن الرواية**» مشيرا إلى أن هذا العمل الأدبي هو لقصاص أصيل وكاتب لا يستطيع إخفاء المتعة التي يشعر بها عندما يقص الأحداث، ومدى قدرته الفائقة على سردها، إذ يتملك القارئ (مثل السامع لحكايات الأطفال) بطبيعته التي تضفي جوا منعشا وخيالا خصبا خالصا»[١٨].

ماركيث انشغل بمشكلة الحقيقة الفردية داخل المجتمع غير العادل.

وفي دراسة للباحثة **كارمن أرناو** بعنوان «**عالم الأسطورة عند جابرييل جارثيا ماركيث**» تقول: «إنه عالم مستقل، يختلف عن العالم الحقيقي، رؤية عامة للحضارة. كل شيء ورد في رواية «مائة عام من العزلة». كل شيء يشارك في خلق هذا العالم الأسطوري، هذا العالم الذي يفسر نفسه بنفسه. وبعيدا عن هذا العالم لايوجد شيء، لأن كل شيء يوجد في هذا العالم المتمثل في عالم الخيال»[١٩].

وقد لاقت هذه الرواية تقديرًا من العاملين في حقل الإبداع الروائي والفني مثل المكسيكي **كارلوس فوينتيس** والأرجنتيني **خوليو كورتاثار**. وقد أشار هذا الأخير بنظرته الفاحصة الواعية إلى القيمة الأدبية النموذجية التي تتسم بها هذه الروايةداخل إطار «الرواية الجديدة في أمريكا اللاتينية» إنها تقدم تجربة جديدة: كيف يكون الخيال في قدرته الخلاقة طريقا في مسار الرواية بأمريكا الجنوبية من خلال الشرح المطول للظروف أو للحدث؟ إن جارثيا ماركيث يقوم بإبداع روايته من منطقة مميزة مثل ماكوندو ليصل بأقدام ثابتة إلى منطقة جواناهاني».

ويقول الناقد الأسباني **اندريس اموروس**: لم يقصد جارثيا ماركيث بروايته أن يقدم لنا نظرية أو دراسة سوسيولوجية أو سيميولوجية، وإنما أراد أن يقص علينا ببراعته الفريدة قصة جميلة. في ماكوندو يعاني الناس من وباء النسيان، الأمر الذي يجعله يضع اللافتات باسم كل الأشياء: الشبح يصبح أفضل صديق لقاتله، يغسله ويرعاه في مرضه، فتاة رائعة الجمال تصعد إلى السماء بين هرج ومرج الملاءات البيضاء... وعبر طريق هذا الخيال الجامح، نحصل في الوقت نفسه على وثيقة حقيقية وحرجة حول الواقع الحقيقي لشعب ضائع وسط غابات كولومبيا. هذا، من بين الكثير، هو امتياز الرواية العظيمة. عندما يُكتب عمل أدبي على هذا النحو فليس من المهم الحصول على جائزة نوبل، ولكن المهم هو إجازة هذه الرواية، لأنه بفضل الجائزة سيكتشف آلاف وآلاف من القراء في كل أنحاء العالم هذه الفتنة الخيالية[٢٠].

ولو تساءلنا: بماذا ينفرد أدب جارثيا ماركيث؟ فالإجابة بكل سهولة أن جارثيا ماركيث يقص في رواياته موقفا نفسيا ويقدم وصفا تصويريا للأشياء، ويعود إلى التقليد القديم الخالد للقصاص. رجل ذو خبرة وفقا لكل القواعد الكلاسيكية، يقص علينا قصة مشوقة ويرويها لنا بكل الخفة التي يتلقفها السامعون والقراء مثل الأطفال كما لو كانت سحرا.

خاتمة

وفي كلمة أخيرة نقول: إن تنوع الرواية المعاصرة في أمريكا اللاتينية يقوم على جانبين: الجانب الأول هو الحاجة الشبه العالمية التي شعر بها الكتاب نحو كسر قالب الفن الروائي التقليدي، والجانب الثاني هو استخدام الأسطورة والخيال والفكاهة والسخرية. وبالطبع فإن الخيال والفكاهة يمكن أن يكونا بمثابة الدرع الموجود بين الكاتب والواقع ليكونا وجها لوجه. فالفكاهة لدى **جارثيا ماركيث**، ومعالجة الزمن عند **بارجاس يوسا**، والسخرية عند **خوليو كورتاثار** هي نوع من الإثارة، تجعل القارئ يتنبأ بما يمكن أن يحدث.

ولكن قد لا يجانبنا الصواب إذا كان لدينا الانطباع بأن كل الكتاب المحدثين في أمريكا اللاتينية قد تخلّوا عن تيار الاحتمالية. ولو نظرنا إلى الكتاب في شيلي وأوروجواي وبعض دول القارة الأمريكية اللاتينية الأخرى فسنجد أن نزعة القلق التي يعيشونها ويبدعونها تقترب من تيار الواقعية الاستبطانية التي تبحث في أعماق النفس البشرية.

الهوامش

10. Miguel Angel Asturias: Obras Escogidas, 3 vols, Madrid, 1955.

11. Juan Carlos Onetti. Novelas cortas, Caracas, 1968.

12. El arte de contar, ABC, Sabado cultural, 16 mayo 1981, Madrid, P.5.

13. Mario Vargas LLosa: La ciudad y los perros, Ed. Seix Barral, Barcelona, 1963.

14. Mario Vargas Llosa: La casa verde, Ed. Seix Barral, Barcelona, 1966.

15. Mario Vargas Llosa: Conversacion en la Catedral, Ed. Seix Barral, Barcelona, 1969.

16 Mario Bargas Llosa: Amadis de América, Amaru, Num. 3, 1967.

17. Andrés Amoros: Companias Para: Cien anos de soledad., ABC.

18. octubre, 1982, p.4.

19. Ricardo Gullon: Garcia Marquez, Madrid, 1970.

20. Carmen Arnau: El mundo Mitico de Gabriel Garcia Marquez, Barcelona, 1971.



نافذة على ثقافة الغرب



تأليف:
جوزيف كوتس
و جنيفر جرات
عرض:
د. بهاء لطفي قابيل

مايراه المستقبليون

في هذا الكتاب الضخم (٣٤٠ صفحة) قام المؤلفان بتشكيل استطلاع لمجموعة من علماء المستقبل، الذين نالوا شهرة بوصفهم محللين للاتجاهات الاجتماعية والتقنية. وكانت مفاجأة أن يتفق الجميع على أن المستقبل يتعقد جدا أكثر مما نتمنى، وهؤلاء المستقبليون هم:

ألكسندر كنج (إيطاليا)، آرثر كلارك (سري لانكا)، باري هوجز (أمريكا)، دانييل بل (أمريكا)، دينيس ميدوس (إنجلترا)، جيرارد أونيل (أمريكا)، جيمس أوجيلفي (ألمانيا)، جون بيرس (أمريكا)، كينث بولدنج (أمريكا)، مايكل مارين (إنجلترا)، بيتر دروكر (أمريكا)، بيتر شوارتز (ألمانيا)، ريتشارد لام (أمريكا)، روبرت ثيوبولد (أمريكا)، روبرت أيرس (أستراليا)، روي أمارا (فرنسا)، فيكتور فيركس (أمريكا).

إرهاصات المستقبل

بلغ تغير الأحوال حدا من السرعة بحيث أصبح مستحيلاً أن نعتمد على استجابات سطحية في تعاملنا مع المستقبل، فلنتصور أن شركات إنتاج السيارات كانت تعلم عام ١٩٧٠م أن السيارات الصغيرة ستصبح ضرورة حتمية. لا شك أن مثل هذه المعرفة كانت ستوفر عليها الجهد وتحقق لها الأرباح. ولا شك أن لدى كل منا التساؤلات حول ما ستبدو عليه السنوات الباقية من هذا القرن. هل يكون موقف الإنسان المالي هو نفسه؟ الواضح أن الإنسان سيظل شغله جمع المال، وسوف يتضاعف البترول خلال السنوات القادمة وغيرها من التنبؤات التي وصلنا إليها عن طريق «قاعدة البديل»، وهي أن شيئا ما يحل محل آخر إذا كان أرخص أو أكثر أو يؤدي المهمة أداءً أفضل. فصناعة السيارات وصلت في استخدام البلاستيك إلى النصف تقريبا. وهناك قاعدة تقول: إذا وصلت نسبة المادة البديلة في الاستخدام إلى النصف فهي غالبا ما تمضي إلى ٩٠ بالمائة أو أكثر. وقد حدث هذا بالنسبة للسمن النباتي، وطلاء الحوائط الرصاصي، والفحم، والبترول. ومن أهم الدلائل الحيوية التي يرجع إليها علماء المستقبل هو معدل الدخل. لكن عند البحث في استقرار دولة ما لا تفيد معرفته، فالمهم أن نعرف مدى الهوة بين دخل القمة ودخل القعر. فالتباين الشديد يجعل الدولة كالفرد الذي يضع قدميه في فرن ورأسه في ثلاجة. وأكثر الدول استقرارا بهذا المعيار هي السويد حيث يبلغ الدخل الأكبر ٥,٢ أعلى من متوسط أقل دخل. بينما يبلغ في الولايات المتحدة ١١ ضعفا. وإذا استخدمنا هذا الدليل وجدنا أن أقل الدول استقرارا هي الأرجنتين وإندونيسيا. ومن مظاهر استقرار دولة ما أيضا يأتي معدل البطالة والفارق بين الصادرات والواردات والطعام والمواد الخام إلى غير ذلك.



مايراه المستقبليون

الدولة المستقبلية

أقوى الدول وأكثرها استقرارا في القرن القادم ألمانيا، ثم تأتي بعدها الولايات المتحدة واليابان وأستراليا وكندا وإنجلترا، ثم فرنسا والاتحاد السوفييتي، أما الصين فستتعاظم قوتها بسبب ما لديها من فحم وبترول ومعادن. والدول العربية لن تبقى متحكمة في بترول العالم بعد توليد الطاقة من عمليات الاندماج النووي، وإن كانت هذه الدول ستظل قوية ماليا. أما الدول التي تسمى «العالم الرابع» وهي التي لا تمتلك بترولاً أو معادن أو موادً خامًا وتكتظ بسكانها، مثل الهند وباكستان وسريلانكا وتشاد والنيجر وموريتانيا وبوليفيا فستكون محظوظة، إذا ما ظلت باقية على ما هي عليه من كونها مستقلة.

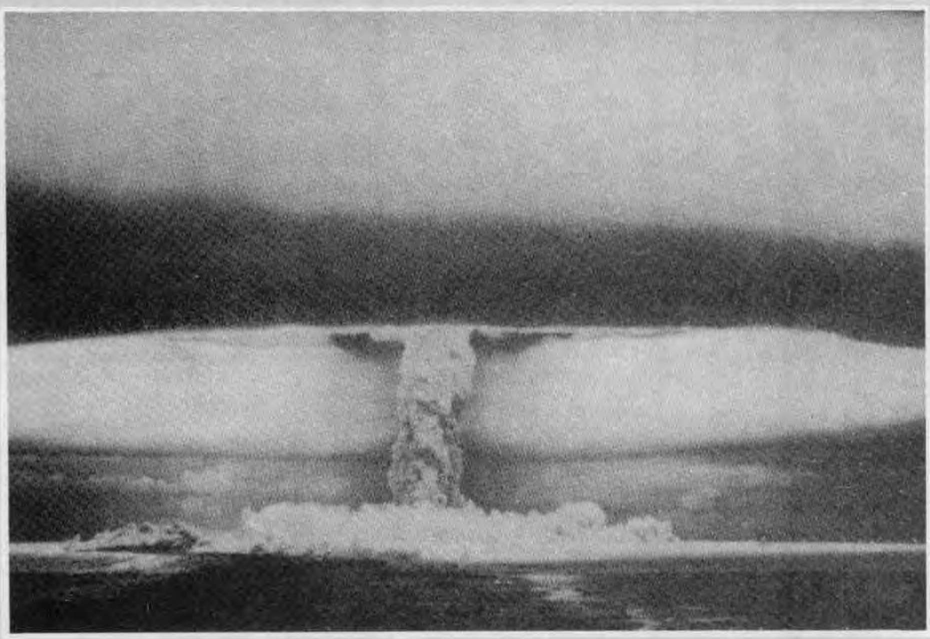
ألمانيا وأوربا والصين

بعد إتمام توحيد ألمانيا ستصبح قوة هائلة في جميع المجالات العلمية والتقنية والعسكرية، وبخاصة بعد ما تكوّن أوربا أيضا اتحادا اقتصاديا قويا. والاتحاد السوفييتي مقبل على أيام صعبة بعد أن خسر الحرب الباردة بإرادته. وعلى العكس ستصبح الصين قوة تكنولوجية عظمى. وفي إطار احتمالات الحرب بين دول العالم يتنبأ الكتّاب باستمرارها، بل إنه يحذر من هذا القادم المدمر الجديد وهو قنبلة النيوترون؛ فهي ذات أثر إشعاعي لم يسبق له مثيل وقادر على تدمير الأرض كلها.

ويرى الكتّاب أن الحضارة الصاعدة تتناقض كثيرا مع الحضارة الصناعية الحالية، ولكي نحدد الموقف الأسلم في هذا الزمن الحرج علينا أن نميز بوضوح بين الظواهر المتصلة بالحضارة الحالية وبين تلك القادمة، وباختصار علينا فهم القديم والجديد، وهذا يتطلب إلقاء نظرة أدق على التغيرات السابقة، وسنكتشف أن البنية الأساسية للحياة الصناعية كانت هي نفسها في دولة بعد أخرى.

الشرق الأوسط
أكثر المناطق سخونة

يقال إن المنطقة هذه بها نصف بترول العالم ونصف توتره. وقد قامت حتى الآن ثلاث حروب كبرى بين العرب وإسرائيل، . ولا يمكن أن يتحدث الإنسان عن عدم الاستقرار في الشرق الأوسط، دون أن يشير إلى حالة عدم الاستقرار التي تهدد إسرائيل، فما يُبقي عليها متماسكة حتى الآن



الرعب القادم: قنبلة النيوترون الأخطر من القنبلة الذرية

هو آلتها العسكرية، وقدرتها على تسديد الضربات الخاطفة لمن حولها. وهي لا تمتلك مصادر طاقة وتعتمد في كل شيء على الولايات المتحدة.

كما أن هناك صراعات متزايدة بين اليهود أنفسهم؛ فالتقارير تتوالى عن التفرقة العنصرية، وفوق ذلك بدأت أوربا تفقد صبرها بالنسبة لممارسات إسرائيل، وإذا ما عادت إسرائيل إلى صوابها وأعطت العرب حقوقهم، استطاعت أن تقيم سوقا لتصدير أسلحتها الحديثة، وأمكنها دخول القرن الحادي والعشرين أقوى مما كانت عليه في أي وقت آخر.

مضاعفة الذكاء البشري

ما حققه الحاسوب (الكمبيوتر) خلال العقدين الماضيين كان شيئا خارقا، والتغيير العميق في المجال الإعلامي مقدر له أن يحدث تحولا في عقولنا كبشر، وفي طريقة نظرنا إلى المشكلات أو تحليل المعلومات. سيتكفل الحاسوب بزيادة قوة عقولنا، بل إنه قادر على تعميق رؤيتنا الحضارية لقانون السببية، مما يضاعف فهمنا للعلاقات المتبادلة بين الأشياء، وهذه البيئة التي يحققها الحاسوب يمكن أن تحدث لنا تغيرا كبيرا في كيمياء عقولنا، فقد أثبتت التجارب أن الحيوانات التي تتوافر لها بيئة أكثر غنى بالمعلومات، تتميز من نظائرها بخصائص بيولوجية في المخ، تضعها في مصاف الأذكى والأكثر تطورا، وهكذا. واليوم ونحن على وشك الانتقال إلى قلب مرحلة الذاكرة الاجتماعية فإن هذا ليس تغيرا كميا فقط، فالحاسوب لا يقف عند حد مساعدتنا على تنظيم شذرات المعرفة في شكل نماذج متكاملة للواقع فقط، بل إنه يعمل على توسيع الحدود البعيدة للممكن.

الثورة القادمة

عند مطلع القرن القادم سنشهد ــ بلا شك ــ

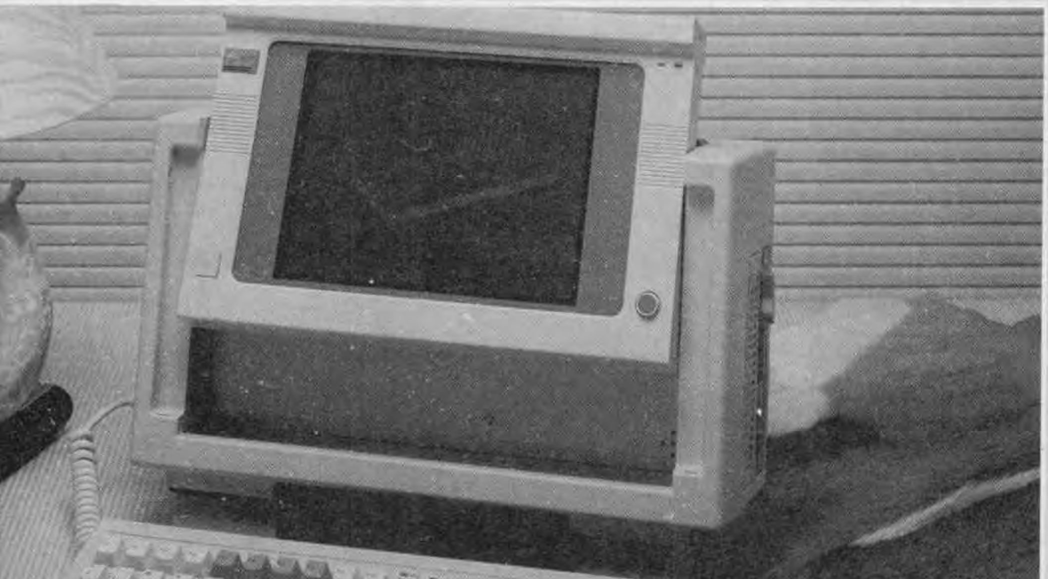
ثورة في المصنع وفي المكتب معا، ثورة ستقود إلى قيام أشكال جديدة تماما في الإنتاج، وتكون أكثر فائدة، وهذا سيقود إلى مجموعة من النتائج المركبة المتشابكة التي تؤثر في مناحي حياتنا. فما يحدث لن يقتصر على مستوى العمل الوظيفي أو كيان الصناعة، بل سيؤثر على توزيع القوى السياسية والاقتصادية، وعلى حجم وحدات الإنتاج وغيره. وكما تتجه وسائل الاتصال الجماهيري نحو التشرذم، ويتحول الجمهور العريض إلى جماهير صغيرة متعددة ومتباينة، كذلك يتحول الإنتاج الصناعي الذي يجري على نطاق واسع إلى إنتاج محدود لعدة أنماط متباينة، وفقا لمزاج الجماهير المتباينة ورغبتها وطلبها. ولذا فالخطوة القادمة ستكون خضوع الصناعة للمستهلك تماما. فمكتب المستقبل سيكون بلا أوراق، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما تمّ من تطور علمي في الحاسوب، يتيح لك أن تتحدث وتتابع على شاشات تليفزيونية، والنظام الاجتماعي الجديد هذا بالإضافة إلى أنه يشجع على قيام وحدات العمل الأصغر، ويقود إلى تفتيت مركزية وتركيز الإنتاج في المدن، ويغير الطابع الفعلي للعمل، بالإضافة إلى ذلك كله يحول ما بين الوظائف من المصانع والمكاتب إلى البيوت بشكل حرفي، وهذا ما يقود إلى تغيير في المؤسسات الاقتصادية. لقد عرف العالم الصناعي عديدًا من الأزمات، لكن الأزمة الجديد التي يمر بها تختلف عن كل ما سبق، فهي تمس هيكل المجتمع، وهي على عكس السابقة تشيع التضخم والبطالة في آن واحد، وليس على التتابع. ولذا فالنقاد يهاجمون القطيعة المفتعلة بين الاقتصاد والسياسة والأخلاق وباقي أبعاد الحياة.

حضارة ما وراء السوق

عمل الجنس البشري منذ آلاف السنين على تطوير شبكة مبادلاته (السوق)، وخلال القرنين الماضيين بدأت هذه العملية تأخذ دفعًا صاروخيا، إلى حد أن فرضت السوق على حياتنا بأكملها. ولنا أن نتوقع نهاية لسطوة السوق هذه وحدًّا لفعاليتها في حياتنا، لهبوط عواملها المميزة كابتكار بضائع وخدمات جديدة لتسويقها، وتزايد وتعقيد

«الطاقة النووية ستُفقد الدول العربية تحكمها في النفط العالمي»

وتركيب المجتمع والنشاط الاقتصادي، واندفاع التجار المبشرين بحضارة أوربا إلى دعوة وإجبار البشر على الدخول إلى السوق، لقد أوصلنا النظام الرأسمالي إلى عالم لم يعد لأحد فيه أن يتحكم بمصيره، ولذا فنحن سنرى اقتصادًا يقوم على أساس العمل لبعض الوقت، مما يقتضي تعريفًا جديدا لمعنى يوم العمل الكامل ولمعنى الفراغ، فقد ثبت أن نسبة كبرى مما نطلق عليه وقت الفراغ،



الحاسوب يعمل على توسيع الحدود البعيدة للممكن

ينفقها الإنسان في إنتاج ما يحتاج إلى استهلاكه، ومن هنا سنرى سقوطا بين العمل ووقت الفراغ.

متى نتعلم حرفة الأمل؟

لم يحدث من قبل أن وقع مثل هذا العدد الكبير من المثقفين في مثل هذا اليأس العقلي، بعد أن غرقوا في دوامة الأفكار المتصارعة المختلطة المتنافرة، ونحن نشهد تمردا فلسفيا يستهدف الإطاحة بالافتراضات التي سادت العالم على مدى ٣٠٠ عام مضت. وإذا كانت الحضارة الصناعية تنظر إلى الطبيعة على أنها شيء يمكن استغلاله كاملا، وعدّت نفسها في حرب مع الطبيعة، فإن ثقافة المستقبل تمضي بنا إلى طريق التوافق معها والحرص على الأرض وعلى غلافها المحيط بها. ويصل التغيير أخيرا إلى قانون السببية الذي يقوم عليه فكر الحضارة الصناعية، والذي يقول: إنه في ظل الظروف الواحدة نحصل على النتائج نفسها، ولكن مع التجارب تبين أن السببية حالة خاصة لا يجوز تعميمها. أما قانون المستقبل فيستمد كيانه من المضمون الأساسي لنظرية النظم أو من فكرة التقليم المرتد أو التغذية المرتدة، ومثلها مثل الثرموستات في جهاز التكييف الذي يحفظ درجات الحرارة عند حد معين، فإذا ارتفعت عنه يعمل الثرموستات على تشغيل الجهاز؛ ليخفض الحرارة إلى الدرجة المطلوبة. باختصار نحن نتحرك نحو نظام عالمي يتكون من وحدات صغيرة ترتبط فيما بينها بقوة. والقرن القادم لا يسقط - فقط - أفكار قرننا هذا، وإنما ينسف كل ما تعارفنا عليه من أفكار للقضاء على الفقر في العالم، ويسقط المبررات الكاذبة التي تسوقها الدول الصناعية لفشل الدولة النامية في التطور والتصنيع.

احتضار المجتمع الصناعي والمدينة الفاضلة العملية

واليوم لم نعد حيث كنا منذ سنوات، تنتابنا



مايراه المستقبليون

الحيرة نتيجة للتغيرات العديدة التي تجري من حولنا، لا ندرك ما بينها من علاقات. إن ما يحدث ليس مجرد ثورة تقنية لكنه مقدم حضارة جديدة متكاملة بكل معنى الكلمة. ومع ذلك فاستتباب هذه الحضارة لن يكون هينا، ففترة التحول تمتلئ بالقلاقل الاجتماعية والتذبذبات الاقتصادية والصراعات والانقسامات. وسيادة الحضارة القادمة لن تتم من دون عوائق أو مقاومة، ففي ظل تحلل المؤسسات والقيم القادمة سيسعى دعاة النظم الفاشستية والشمولية إلى الاستيلاء على السلطة، ولذا فالاحتمالات لن تكون في صف التجريب والفوضى بل ستكون حتما في جانب الحياة والوجود. والمستقبل لا يمكن اعتباره مدينة فاضلة كاليوتوبيا الفلسفية. إن أصح لفظ هو براكتوبيا عملية Practobia وحضارة المستقبل ستصاحب مع العديد من المشكلات مثل مشكلات علاقة الإنسان بالمجتمع والحياة السياسية والعدل والعدالة والأخلاق. ثم مشكلات أخرى كمشكلات استقرار الأوضاع الاقتصادية الجديدة والعمالة والضمان الاجتماعي والتحول للاستهلاك الشخصي. ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن حضارة المستقبل مدينة فاضلة سلبية متشائمة، كالتي تصورها قصص الخيال العلمي، وترسم فيها صورة المستقبل قائمة على المزيد من التركيز والبيروقراطية، والمجتمعات النمطية تنمحي فيها الفوارق الشخصية والفردية، إننا على العكس نتجه إلى المسار المضاد، وبراكتوبيا هذه ـ كما وصفها آلفين توفلر ـ ليست أفضل الاحتمالات ولا أسوأها، لكنها تجمع بين أمرين: فهي عملية وتفضل ما بين أيدينا. وبعكس المدن الفاضلة الأخرى الفلسفية ليست مدينتنا خالية من الأمراض أو الآفات الاجتماعية أو الانحطاط الخلقي، كما أنها ليست متحجرة تحجر الصور المثالية غير الواقعية. القرن القادم سوف يتيح للأفراد أكبر قدر من التنوع. وهو يشجع الفوارق العرقية والإقليمية والدينية.

«ما يحدث ليس مجرد ثورة تقنية، لكنه مقدم حضارة جديدة»

الطاقة والمؤسسات المستقبلية

يشعر الباحثون بالقلق إزاء النمو السكاني والدمار البيئي والتلوث وصعوبة الحصول على مصادر الطاقة؛ نظرًا لأن احتياطي النفط لم يعد كافيا، كما يأسفون لقصور التعاون السياسي والاقتصادي، ويشفقون من المخاطر الناجمة عن الاستمرار في تطوير السلاح النووي. ويتفق الجميع على توقع المزيد من التعقيد في الجهود الإنسانية، في الوقت الذي لا يجدون المؤسسات الاجتماعية والحكوميّة معدة بما يكفي لمواجهة هذه الظاهرة. ويلتقي عدد منهم والرأي القائل بافتقار الحكومات إلى نظرة عالمية، وبتخلفها في كثير مما يضطلع من وظائف. كما يشعرون بأنه يتعين على المجتمعات العمل على إيجاد مؤسسات أكثر مرونة، على نحو يمكنها من مواجهة ما يستجد من مشكلات عالمية. ويتوقع عدد آخر أن المؤسسات سوف تقدم إلى المجتمع المزيد من الخدمات. ويتوقع المستقبليون جميعًا التباطؤ في معدل النمو الاقتصادي العالمي؛ تبعا لتزايد تكاليف الطاقة وتزايد النمو السكاني، فضلا عن تزايد الحاجة إلى المصادر الطبيعية والغذاء. ومع ذلك فلا يبدو عليهم في الوقت الحالي الاهتمام بعدم الاستقرار في البنى العالمية، فهم يرون أن التغيرات سوف تحدث في نطاق الاستمرارية، ولسوف تقوم صراعات وثورات، وإن تنبؤوا بصورة أفضل في إدارة أمورنا.

ويخص الباحثون الولايات المتحدة بفصل منفرد يتوقعون لها قدرا من التدهور في اقتصادها وقوتها العسكرية، ويقلقون إزاء الوضع التعليمي الأمريكي ونظامه، وأنه لا يستجيب لحاجات المستقبل. ويصرحون بأن المجتمع المعلوماتي الذي أصبحت عليه الولايات المتحدة في حاجة إلى مستويات جديدة من التعليم والمهارات العلمية والتقنية، وفي حاجة إلى نظرة عالمية موسعة. ويتفق الجميع على أن الجامعات والمؤسسات الأمريكية لا تعمل كما ينبغي على المساعدة في تلبية الحاجات العلمية للعمالة المستقبلية.

كما نرى المستقبل

كان هناك تضارب في وجهات النظر بين المستقبليين، فمثلا هناك تضارب في الآراء حول موضوع مدى الحاجة إلى إصلاح البنى المؤسساتية الجديدة، ومدى إمكان التحكم في العلم والتقنية أو توجيهها، وما الافتراضات التي أدت إلى التفاؤل أو التشاؤم؟ ويميل هؤلاء إلى النظر إلى المشكلات بشمول، ذلك أنهم لا يركزون على مصير أمة واحدة، ويرى المؤلفان في نهاية الكتاب أن المؤسسات هي العامل الأعظم والأوحد في المجتمع القادر على تشكيل برنامجه الاجتماعي والسياسي بإيجابية، على الرغم من أن أهداف هذا البرنامج ما زالت في بدايتها. ويقول المؤلفان إنه بالنسبة للولايات المتحدة نجدها تنمو بالنسبة للطبقة المتوسطة وكذا في عدد النساء العاملات. ويتنبأ المؤلفان بأن مشاركة المرأة للرجل في العمل ستكشف عن نتاج مؤثر في المستقبل. وكذا فالحياة السياسية الأمريكية سوف تتدهور في نوعية القيادة الحكومية بشدة، وكذا في التعليم. فالتقدم التقني هبة من الله للأمريكيين حيث سيؤدي إلى إنتاج بضائع ذات جودة عالية، كما ستزيد حصانة البشر ضد الأمراض، وستقل العيوب الوراثية نتيجة للتقدم الطبي. وكذا فالتقنيات الرائدة مثل «التليماتكس Telematics» وهو مصطلح يعني الاتصال عن بعد والحاسوب والتطبيقات الإلكترونية كل هذه التقانة المتطورة سوف تسهم في صياغة الصورة القادمة لعالمنا.

أربعة مقاطع دامية
"إلى سرايفو المحاصرة"

شعر: د. حسين علي محمد

١ ـ غلبت الروم

مشى الرومُ فوق جبينيَ هذا المساء
وداست خيولُهم بالسنابك وجه الضياءْ
وكان « صهيبٌ » ينادي
جيوشَ محمدْ
فلم تُرجع الريحُ حتَّى الصدى
وضاع النّداءْ
وظِلّي تجمّدْ
فلا الأفق تعلوه رايـة أحمدْ
ولا الخيلُ خيلي
ولا الظلُّ ظِلّي !

٢ ـ بكائية المسلم الحزين

كنت أغنّي
وأعيش سعيدًا في قصر الوهْـم
محبوبًا من سـرِّ الكلمـات
أسمعُ شكوى الحرفِ من الفِعْل
أقفُ إلى جانبِ فاصِلةٍ في الظِّل
في الليل أُصـادقُ أسمـاءً
أو أفعـالاً
تهربُ من قائظةِ الوَيْل
أخطو فوق اليـمِّ
وأسمع للنَّمل
أعْطي المحتاجين . . وأصْدُقُ في القَوْل
(هأنذا يمسك حزني بتلابيب الفِعْل
تتدابرُ أسمائي عن أفعالي
أشكو من جملة أحوالي) !

٣ ـ القمر يشرق في سماء « إيزابيلاّ » *

في غبشي الأخضر
ترسمُ « إيزابيلاّ » في دفترها نجمًا أحمرْ
تضحـكُ :
« فردينانـدو » *أكبرُ منِّـي .
يعرفُ أكثر
ماذا يعني اللونُ الأحمر يـا (فردينانـدو) ؟
يعني أن تتدفَّق في (قرطبـة) سيول الدم
يشرقُ في أفقي الـحُلْم
(كانت تتهدّدني دومـا :
الـخَطَرُ أمامك والموْتْ
أو أنت خَطوْت
هذا ظـلُّ « صهيب »
مارد قرطبـة الشرقيـة
حاصرنـي
طـاردنـي
وأنا أجمعُ أشلاءَ الـحُلْم)
(إيزابيلاّ) يتطايرُ من عينيها شررُ الموتْ
تحملُ خنجر « فردينانـدو »
و « صهيب » ينادي :
وا معتصماه !
يهوي الصوتُ إلى قيعانِ الصمتْ !

٤ ـ اعتذارية إلى سرايفو

ماذا بعثْتَ لها سوى الأملِ الكذوبْ ؟
العاشقُ الرِّعديد يُغلقُ دفترًا منْ أُمنيـاتْ
والعاشقـهْ
. في دفتر الأشواق تُبصِرُ حبَّها
بدرًا يضيء الأمسياتْ
هل تضحكُ الأيامُ للوجْـهِ الحزينْ
هل تعرفُ المخدوعـةُ الحسناءُ
أكثر من حصاد التُّرهـاتْ ؟
هل تعرفُ السلوى ، وتقنعُ بالـجِراحْ ؟
ماذا تغني في دجـى الليلِ المطاردِ بالحرابْ ؟
قُزحيَّـةَ الأشواقِ . . . .
ماذا يصطليك من العذاب
يا أيُّها الجرحُ . .
المضمّخُ بالعذابات الجديدة
والهناءات البعيدة
والغيابْ ؟

○ ○

* « إيزابيـلا » « فردينانـدو » الملكان الزوجـان اللذان قـادا الهجوم الصليبي على قرطبـة ، وقضيا على النفوذ الإسلامي في الأندلس منذ خمسمائة عام .

"المسرح العربي والتاريخ"
دراسة في العلاقات الفنية

كمال سعد خليفة

يُعدُّ المسرح من الفنون ذات الحضور الطاغي في العصر الحديث؛ لما لهذا الفن الإبداعي من أدوات فنية تعمل على جذب الذوات المتلقية، « فتملأ نفوسهم بالسعادة والنشوة، كما تسمو بأذواقهم، وتمدهم بالطاقة الروحية والفكرية» [١]؛ وذلك لأنه من الفنون الراقية التي يتأتى لأي فن منها أن يبلغ ما بلغه المسرح من روعة وعبقرية في تصوير أزمة العصر الراهن بكل أبعادها الفردية والجماعية، بما أنه جماع الفنون كلها : الكلمة والحركة، والموسيقى والصورة، والتعبير والأضواء والظلال، وبخاصة بعدما هيأت له التقنية (التكنولوجيا) الحديثة من وسائل آلية مكّنته من أداء مهمته أروع أداء [٢].

والفنان المسرحي (كاتب المسرحية) عندما يلجأ إلى التاريخ في إبداعه الفني، لا يسرد لنا الأحداث كما حدثت في الواقع التاريخي لنعرف سيره ونتوه خلال دروبه، فإن هذه المهمة أجدر بأن يتصدى لها المؤرخون أنفسهم.

وهنا يقفز أمامنا سؤال مفاده : ما العلاقة بين الفن والتاريخ ؟ أو بعبارة أدق : ما العلاقة بين المبدع والتاريخ ؟

المبدع المسرحي عندما يستلهم التاريخ، فإنما يستلهمه ليمنحه حريّة الحركة في إلقاء الضوء على مشكلات الحاضر، «فالفن يجد لنفسه الوحي والإلهام في أحداث التاريخ، والفنان الذي يستلهم التاريخ في إبداعه الفني يتخذ من الأحداث (أو الحقائق) التاريخية المجردة نواة ينطلق منها خياله المبدع، لينسج حولها من رؤيته، ورؤاه الإبداعية، والخيال المبدع للفنان يكون هنا قصدا بالحدث التاريخي؛ إذ إنه يبدأ بالمحسوس، بالحدث المادي الماثل؛ لينطلق إلى الرمز المعنوي المثال» [٣].

فالكاتب المسرحي لا يختار أحداث التاريخ وشخصياتها ــ كما قلنا ــ لكي يكتفي بعرضها في إطار مسرحي دون هدف إلا ما يخلع هذا الإطار على صور التاريخ من حياة؛ بل يختار من تلك الأحداث والشخصيات ما يرى أنه ذو دلالة خاصة، قد تكون نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك، ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة في بناء فني متكامل، تتحقق فيه السمات الفنية للمسرحية الناجحة [٤]، ملتزمًا تصورًا شاملا متكاملا صحيحًا للكون والحياة والإنسان، فيجيء عمله الفني (شكلا ومضمونا) عفويا متساوقًا منسابا، علاقته بالعطاء الفني لا تقوم مطلقا على القسر والتكلف والإكراه، ولا تعترف أبدًا بالمدرسية أو الوعظية أو المباشرة [٥]، فإن كلمات الصدق والورع والشجاعة والإيمان إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية الجمالية التي يشعها البناء الفني، أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء [٦].

وعلى هذا تتضح العلاقة بين المبدع والتاريخ، بين المسرح باعتباره فنًّا، والتاريخ بوصفه علمًا، وذلك وفقا لوعيه الاجتماعي التاريخي بواقعه، وبالدور الذي يؤديه في هذا السياق؛ لأن الكتّاب عندما يحاولون استفهام تاريخهم، ويجلون عنه غبار النسيان فيقدمون النماذج الرائدة لشعوبهم، ويربطون حاضرهم بماضيهم تتبلور هويتهم، ويتجهون نحو مسارهم الحضاريّ الصحيح.

استلهام التاريخ ليس هروبا من الواقع

الاتكاء على التاريخ في كتابة المسرحية ليس هروبا من الواقع الذي نعيشه، أو انزواء وراء ماض نتباكى عند أطلاله ورسومه. فالتاريخ هو الواقع، وما الواقع الذي نعيشه إلا امتدادٌ لهذا التاريخ أو إسقاطٌ على الواقع، أو اتخاذه رمزًا للعدول عن التعبير المباشر، أو إعادةٌ للوعي الحضاري للأمة وإيقاظ لمشاعرها والاعتداد بنفسها. فالمسرحي عندما يلجأ إلى التاريخ يستلهمه في مسرحه، يربطه بما يحتوي حاضرنا من قضايا ومشكلات، ويعبر خلاله عن آمال وطموحات وثيقة الصلة بالحاضر واهتماماته وتعقيداته. وكثيرا ما تتشابه الأحداث، «فهناك أمور مشتركة في الحياة تعلو فوق خصائص الزمان والمكان، وتلك في الغالب هي الملتقى الذي يجتمع فيه المفكرون والكتاب من كل جنس وعقيدة عندما يستخدمون التاريخ في الفن» [٧].

وينبغي على المبدع المسرحي عند التعامل مع التاريخ ألا يتعامل معه كمادة خام تنتمي إلى الماضي الذي انتهت وظيفته، وإنما نتعامل معه كموقف، وكحركة مستمرة تسهم في تطوير التاريخ وتغييره. فالفكر الإنساني خليط من البيئات التراثية التاريخية التي فرضت وجودها انطلاقا من جدلية التأثير والتأثر. وكل تراث لا يؤكد استمراريته في حركة التاريخ لا يعتبر أصيلاً؛ لأن الارتباط وثيق بين الماضي والحاضر والمستقبل في علاقة جدلية حتمية، تجعل الماضي منعكسا على الحاضر ومؤثرًا في المستقبل، وتجعل بذلك حركة التاريخ حركة كلية لا تتجزأ [٨].

الصدق الفني والصدق التاريخي

المبدع أو الفنان المسرحي عندما يتعامل مع التاريخ، باعتباره خامة علمية (مضمونًا) لعمله الأدبي، يجب ألا يعمد إلى لَيّ عنق الحقيقة التاريخية في سبيل الإبداع الفني، فإن ذلك يعد تزييفًا للتاريخ، وينأى بالأثر الفني عن خاصية أولية

تميزه، هي الصدق، «فالصدق الفني ينبغي ألا يجور على الصدق التاريخي»[(٩)].

وإنّ التزام الحقائق التاريخية هذا، لا يعفيه كذلك من البراعة في استخدام الوسائل أو الوسائط الفنية المشروعة في المسرحية والتي تمكنه من الإضافة إلى أحداث التاريخ، وإلقاء أضواء خاصة عليها، تجعلها صالحة للتعبير عما يريد الكاتب من رموز ومعان ودلالات. فإذا كان مؤلف المسرحية التاريخية لا يستطيع أن يغير حقائق التاريخ الكبرى، فيمكنه أن يغير دلالاتها المألوفة عند الناس، أو ينتزعها من إطارها التاريخي البعيد؛ لتصبح صورة حية من صور الحياة المعاصرة بالاختيار والعزل والإضافة[(١٠)].

ومن ثمّ يعد التاريخ مادة ثرية وخامة جيدة للفنان أو المبدع المسرحي الذي يتميز بالوعي واليقظة حتى يناسب أو يوازن في عمله بين التاريخ بصفته علمًا، والعمل الفني بوصفه فنا، فيمارس العزل والاختيار في الربط بين الأحداث التاريخية ووقائع الحاضر.

وليس هذا معناه أن يسير التاريخ مع الفن في خطين مستقيمين يتوازيان ولا يتقابلان، فدرجات الوعي عند المبدعين تتفاوت بين الاستغراق في الحدث التاريخي واستعادته في نسق جمالي يدل على الحدث كما وقع في الماضي، أو تحويره بما لا يخرج به عن سياقه الأصلي. وقد يتصاعد وعي الكاتب إلى حد امتلاك نظرة نقدية تأملية تتيح له قدرا من الانفصال، ومن ثمّ قدرة على ربط الماضي بالحاضر، والوصول إلى القوانين الكلية التي تحكم حركة التاريخ فيما نعرفه بفلسفة التاريخ[(١١)].

عناق بين الفن والتاريخ

فالأديب ليس مؤرخًا، ولذا ينظر إلى الحدث التاريخي ينفعل به أو يتفاعل معه من زاوية خاصة أو جانب معين، لا نستطيع في كثير من الأحيان أن نفصله عن مشاعر الفنان ومواقفه الذاتية وانتماءاته الفلسفية أو العقدية، بل ومزاجه الشخصي، وتأثره بوجهة نظر ذات طبيعة متميزة، أي يدع أفكاره في عمله الفني من خلال ذلك الحدث التاريخي المستلهم، وهذا ما يقوم به الخيال المبدع.

فالخيال - إذن - فعّال لدى كل من المبدع والمؤرخ في صياغة المادة التاريخية بصورة معينة وفق منطق معين؛ لأنه يرتبط بعملية التشكيل في البناء الفني للعمل المبدع. فالخيال يمثل قدرة المبدع المؤرخ على التخييل الإبداعي العقلي الذي يصوغ المادة التاريخية؛ إذ تبقى الصورة التي يرسمها المؤرخ عن الماضي مشتقة من نسج خياله، كل تفصيل من تفاصيلها لمنطق يمليه أو يتحكم فيه هذا الخيال الإبداعي الذي يصوره الاستدلال العقلي البحت. وهنا يلتقي عند هذه المؤرخ بالمبدع، فكل منهما يرمي إلى رسم صورة تتألف من عدة عناصر، بحيث تنطوي على حكاية أو قص الأحداث، ووصف المواقف، وعرض الدوافع أو البواعث، وتحليل السلوك أو فعل الشخصيات في البيئة وانفعالها لها بالأشياء، كما أن كليهما يرمي إلى تقديم صورة كاملة من حيث التماسك والتناسق، حيث تبدو كل شخصية، وكل موقف حلقة متصلة ببقية الشخصيات والمواقف لكي تسهم بتضافرها في تكامل أبعاد الصورة[(١٢)].

معطيات التاريخ للفن والمسرح

يعدّ التاريخ جزءًا من التراث الذي يعد بدوره المصدر الشامل الذي وجد فيه كثير من مسرحيينا العرب ضالتهم، وذلك لأنه يمثل مقومات الأمة واستمرارية تميزها، وهو شيء قائم فنيا، وهو ذاتنا التي تنادينا من وراء العصور. وإن العودة الفعلية إليه بقصد الاكتشاف أو المعرفة أو التعرف، ينبغي أن تكون طريقا لتنميته والامتداد في المستقبل بقيم متطورة عنه مستلهمة رؤاه، ومستمدة حوافزها في كثير من حقائقه مضافة إلى حقائق عصرنا[(١٣)].

كما أن الاحتفاء بالتراث في الإبداع المسرحي - والتاريخ جزء منه - يحقق بعدًا جماليا خاصًّا في توظيف شخوص التاريخ أو أحداثه، فهذا التوظيف يعد أداة تحقق نوعًا من التواصل الفني الذي يتجاوز الطرح المباشر للقضايا، ومن ثم فإن المبدع المسرحي يدرك أن مهمته لا تكمن في إيصال المعارف فقط، بل تكمن أيضًا في تحقيق نوع من التأثير والجمالية، فلجأ إلى الرمز والأسطورة والأحداث التاريخية وغيرها من الوسائل التي تحقق هذه الجمالية[(١٤)].

وفضلاً عن هذا، فإن استدعاء التاريخ في الفن المسرحي يحقق وقاية الإنسان العربي من الذوبان والتشتت في معترك الغزو الأجنبي، ويحقق له نهضة فكرية وأدبية، كما أنه محاولة للبحث عن صيغ مسرحية قومية أصيلة في هذا التراث تكون بديلاً للوافد؛ إذ المسرح لم ينشأ عربيًّا بهذا الشكل والمستوى الفني، وإن كانت لدى العرب محاولات درامية جادة منذ منتصف القرن التاسع عشر.

إذن فلا ضير أن يستلهم المبدع التاريخ لا سيما إذا كان تاريخا خاصًّا بالمواقف المشرقة والجوانب الحية والحضارية في حياتنا على امتداد تاريخها الطويل، مثل تاريخنا العربي الإسلامي. فلنفسح لأبي الفنون أن يجلّي هذه المواقف، ويزيح غبار النسيان عن نماذج الأمة الرائعة الخالدة.

الهوامش

(١) انظر: نحو مسرح إسلامي، نجيب الكيلاني. بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٠م ص ٩.

(٢) انظر: فوضى العالم في المسرح المعاصر، عماد الدين خليل. بيروت، مؤسسة الرسالة. ص ٨.

(٣) الرواية التاريخية في الأدب العربي، أحمد الهواري وقاسم عبده قاسم. القاهرة، دار المعارف. ص ٨.

(٤) من فنون الأدب (المسرحية)، عبد القادر القط. بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م. ص ٥١.

(٥) في النقد الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل. بيروت، مؤسسة الرسالة. ص ١٨٩.

(٦) الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني. ص ٢٥.

(٧) الإسلام وحركة الحياة، نجيب الكيلاني. بيروت، الرسالة، ١٩٩٠م. ص ١٢٨.

(٨) توظيف التراث وإشكالية التأصيل في المسرح العربي، مصطفى رمضاني. عالم الفكر، ع٤ مج ١٧ مارس ١٩٨٧م. ص ٧٩.

(٩) الرواية التاريخية، ص ٨.

(١٠) من فنون المسرحية، ص ٥٢ و٥٣.

(١١) المواقع والتاريخ، اعتدال عثمان. فصول، ع٣، يونيو ١٩٨٢م. ص ٢٣٧.

(١٢) الرواية التاريخية، ص ٨ و٩.

(١٣) راجع: الأقلام العراقية، ع ٩ س ١٣، ١٩٧٨م. ص ٢٤.

(١٤) توظيف التراث، ص ٨٥.

إعداد : محمد عبد العظيم دكروري

أعلام المفسّرين "٥"
(من المعاصرين)

ج

جمال الدين القاسمي :

هـو جمال الدين بـن الشيخ سعيد بن الشيخ قـاسم الملقب «بـالحلاَّق»، والقاسمي نسبة إلى جده الشيخ قاسم الحلاق.

ولد في بيت من بيوت العلم في دمشق الشـام، سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف من الهجرة، وكان القاسمي منذ وعى على نفسه يعمل على تهذيبها، ولا يكاد يمضي عليه يـوم لـم يستفد منه فـائدة ولـم يقيد شاردة، فظهـرت عليه مخايل النبوغ ولمَّا يبلغ العشرين، وقد وصفه الأمير شكيب أرسلان بأنه : «هو قبل كل شيء العالم بأحوال عصره ومصره».

صفته وحليته :

وصفه الإمام محمد رشيد رضا في «المنار» بقولـه :

«كان مـن أكمل ما رأيت في أخـلاقه وآدابـه وشمائله : كان أبيـض اللون نحيف الجسم، ربعة القد، أقرب إلى القصر منه إلى الطول، غضيض الطرف، كثير الإطراق، خافض الصوت، ثقيل السمع، خفيف الروح، دائم التبسم».

«وكان تقيـا ناسكـا، واسع الحلم، سليم الصـدر، نزيه النفـس واللسان والقلم، برًّا بالأهل، وفيًّا للإخوان، يأخذ مـا صفا ويدع ما كدر، عائلا عفيفًا قانعًا، ومن حُسْن وفائه أنه لـم يقطع مراسلتنا ولا مراسلة الأستاذ الإمام (محمد عبـده) في إبان ثقل وطـأة الاستبداد الحميـدي، إذ كـانت مراسلتنـا تُعَـد من الجنايات السيـاسية التي تعاقب الحكـومة صاحبها أشد العقـاب، ولكنه نقل التصريح بنقل شيء عنَّا» . . الخ.

ومن جميل خلقه، وفطنة نفسه، أنه رآه تلميذه يـومًا يتواضع لزميل كان له أيام الدراسة، فاستغرب عمله، وقال لـه : ما هذا التواضع؟

فقال له : إن هـذا كان زميلا لي في طلب العلم، ولـم يَـجِـدّ ويجتهد بل كان يناوئني العداء، فرأيت أن أخفف شيئا من حسده خشية الإضرار بي، لأن الله تعالى يقول : ﴿ومن شر حاسد﴾ ثم قال بعدها : ﴿إذا حسد﴾ أي إذا تمكن الحسد منه فيخترع أنواع الأذى التي لا تخطـر على البال، فإننا لا ننجو من شر الحسَّـاد إلا إذا التجأنـا إلى الله تعـالى منهم، ثم سعينـا لمداراتهم لتخفيف وطأة حسدهم إذا أمكن.

هـذا الرجل ذو المنـاقب الجمـة، والسجايـا الكـريمة، والخلال النبيلـة، والسمت الحسن لا يقبل أن يعطي زوجته ولا بناتـه «المنديل» الذي يبصق به، بل يغسله بيده، حتى لا يكلفهم شيئا يتقززون منه وتنفر منه نفوسهم.

سلفي مُـجَدِّد :

كان القاسمي سلفيا، داعيا إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، ينفر من إثارة الخلافـات في الفروع والتعصب للمـذهب، ويحذر منها، لأنها لا يزيـدان الأمة إلا فرقة وتباعدًا، وكان يدعـو إلى التوحيد الصحيح الذي دعا إليه الإمام محمد بن عبـد الـوهـاب، ويقـول : إذا أردت أن تدعـو أحـدًا إلى الإسـلام الصحيح فحثه على دراسـة كتب السنة الصحيحة كالبخـاري ومسلم، وكان يعتني بطبع ونشر وقراءة كتب الأصول على اختلاف مذاهبها. وكان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والإنصاف.

ودعـا إلى العودة إلى السلفية الناصعة التي تعني :

١) الرجوع إلى الكتاب والسنـة الصحيحة، وفهمهما على النهج الذي كان عليه السلف الصالح.

٢) تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه.

٣) إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود القواعد العلمية الإسلامية.

٤) إزالـة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين.

٥) تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره.

٦) المشاركة في تقديم حلول إسلامية لمشكلات الحياة الراهنة.

هذه أهـداف السلفيين، وخليق بكل مسلم مخلص مـؤازرتهم في حمل هذه الأمانة التي تنهض بالمسلمين وتنشر رسالـة الإسلام الخالدة.

ولـم يترك المقلدون جمال الـدين ينعم بدعوته، وينشر علمـه، بل وصفوه بأنـه يفرق صفوف المسلمين، ويشتـت جماعتهم، وكذبـوا ـ فقـد دعا إلى جمع المسلمين على مذهب واحد، وذلك بالرجوع إلى الدليل في كل شيء.

تفسير القاسمي «محاسن التأويل» :

هو تفسير للقرآن الكريم كله، وقد امتـاز على سائر التفاسير الأخرى بأنه

لـم يكن مقلدًا لواحد منهم، وإنما ينقـل من كل تفسير خير ما فيه على طريقة السلف بعيدًا عن التعطيل والتشبيه.

كما امتـاز تفسيره بالنقل عن شيخ الإسـلام ابن تيميـة والاستشهاد بفتـاواه ومحاسن آرائـه.

وكان في تفسيره يدعو إلى الاهتداء بالقرآن الكريم واستنباط القوانين التي لا تخطر على البال والتي يعمل بها في جميع الأحكام، وأنه هو الهادي الوحيد الذي لـم تتطرق إليه زيادة ولا نقصان وقد تكفل الله تعالى ـ بحفظه.

وقد استنبـط من قولـه تعالى: ﴿**وهو على جمعهـم إذا يشاء قـدير**﴾. بأنه يمكن إذا تقدم العلم أن تحصل المخابرة واللقاء بين سكان الكواكب المختلفة، وهو ما يسعى العلماء إلى تحقيقه في وقتنا الحاضر !!

وهو تفسير مطبوع متداول بين أهل العلم، ويقع في عشرة مجلدات.

وفـاتـه:

تـوفي سنـة اثنتين وثـلاثين وثـلاثمائة وألـف من الهجـرة (١٣٣٢ هــ ـ ١٩١٤م) رحمه الله رحمة واسعة.

س

سيـد قطـب:

هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم بن حسين شاذلي، ولد في قرية «مُوشَا» إحدى قرى مُحافظة أسيوط من صعيد مصر، وكانت ولادته في سبتمبر سنة ست وتسعمائة وألف ميلادية (١٩٠٦م).

وكان والده الحاج قطب بن إبراهيم، ميسورَ الحال ذا مكانة عالية في قريته (مُوشَـا) وكان متـدينا مثقفًا، وكـذلك كانت والدتـه سيدة فـاضلة ذات دين تنتسب إلى أسرة كريمة. ولنُفسح المجال لسيد قطب ليحدثنا عن نفسه: «نشأ في أسرة ليست عظيمـة الثـراء، ولكنهـا ظـاهـرة الامتيـاز، كـانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث وبقي لوالده قدر لا بأس بـه منها، ولكنـه كان يتنـاقص دائما، كـان والده قـد صار عميـد الأسرة المكلف حفظ اسمها ومركزها، في الوقت الذي لـم ينلـه من الميراث إلا نصيب محدود، لا ينهض بما كانت تنهض به ثروة الأسرة مجتمعة، على حين لا يستطيع أن ينقص شيئا من تكاليف المظهر في الريف».

وكانت أمه من أسرة عريقـة متدينة، وكـان اثنان من أخوال سيد قطب قد ذهبا إلى الأزهـر الشريف لتلقي العلم، وبـذلك جمعت عائلـة أمه بين وجـاهة الدنيـا وشرف العلم، في هذه البيئة الطيبة نشأ سيـد، وظهر نبوغه منـذ الصغر فأتم حفظ القرآن الكريم وهو في العـاشرة من عمره، ثم ذهب إلى القاهرة فأتم دراسته الثـانوية والتحق بـدار العلوم عام ١٩٢٥م وكـان محبا للقراءة، مُـولعًا بـالاطلاع، مثـابرا على البحث والاستقصـاء. وفي القاهـرة تردد على المجـالس الأدبية، وخاصـة ندوة «العقاد» الذي كان يعتبره أستاذا لــه، وتأثر به كثيرا في مجال الثقافة والأدب، وبـالغ في إطرائه وغالى في وصفه، وحكم على شـاعريته وأدبـه بغير موضوعية، بعاطفة حارة وتحيّـزٍ ظاهر بَيْد أنه رجع عن ذلك وقال:

«إنني أنتفع بـالعقاد، ولكنني لا أقلـده، وإن لي طريقـا ألمحُ معالمه واستشرف آفاقـه، وإنني أتذوق بحسِّي وأنظر بعيني وأسمع بأذني».

آثاره ومصنفاته:

لـم يتعجل سيد قطب في تأليف الكتب ونشرها، فقـد أمضى ما يربو على عشرين سنة من حياته الأدبية والفكـرية يُدّبج المقالات والبحوث ويُبدع نظمًا ونثرا، وبعد أن آنس من فكـره نضجًا، ومن قلمه رصانة ومتانـة وثباتًا، شرع في تأليف الكتب والدواوين ونشرها، والتي منها:

مهمة الشـاعر في الحيـاة، الشاطئ المجهـول (شعر)، نقـد كتاب مستقبل الثقافـة في مصر (لطه حسين)، التصويـر الفني في القرآن، طفل من القـرية، المدينـة المسحورة، كتب وشخصيـات، أشـواك (قصة)، مشـاهـد القيامـة في القرآن، القصص الـديني (سلسلة كتب دينيـة للأطفال) كتبهـا بالاشتراك مع عبد الحميد جودة السحَّار، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، العدالة الاجتماعية في الإسلام، معـركة الإسـلام والرأسمالية، السـلام العالمي والإسـلام، دراسات إسـلامية، هـذا الدين، المستقبل لهذا الـدين، خصـائص التصور الإسـلامي ومقوماته، الإسلام ومشكلات الحضارة، معالم في الطريق، أفراح الروح، نحو مجتمع إسـلامي، في التاريخ فكـرة ومنهـاج، معركتنـا مع اليهـود، في ظـلال القـرآن: وهو لـــون جـديد في تفسير كتـاب الله تعـالى، ويـدور حول عقيـدة العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى».

في ظلال القرآن:

هـل قصد سيد قطب تفسير القرآن؟

يقول: «قد يرى فريق من قُرّاءِ هذه «الظلال» أنها لـون من تفسير القرآن، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن، وقد يرى فـريق ثالث أنها محاولـة لشرح ذلك الدستـور الإلهي في الحياة والمجتمع، وبيان الحكمة في ذلـك الدستور، أمَّا أنا فلـم أتعمد شيئا من هـذا كلـه، وما جاوزت أن أسجِّل خواطري وأنا أحيا في تلك الظلال».

وقد ورد في مقدمة «الظـلال»: «وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن ـ إلى يقين جازم حاسم، أنـه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينـة لهذا الإنسان، ولا رفعـة ولا بَـركَة، ولا طهـارة، ولا تنـاسق مع سنن الكون وفطرة الحياة، إلا بالرجوع إلى الله».

إنَّ الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار، إنما هو الإيمان، أو فـلا إيمان ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنـة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ الأحزاب: ٣٦.

﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنـوا عنك من الله شيئًـا، وإنَّ الظالمين بعضُهم أوليـاءُ بعضٍ والله ولي المتقين**﴾ الجاثية: ١٨، ١٩.

وفي الحقيقـة أن «الظلال» ليس تفسيرًا للقـرآن، بـالمعنى التقليدي لكلمـة تفسير، وإنما هو مـوسوعة تعَـرَّض فيها سيـد قطب، لفنون المعرفـة، والثقـافة كـافـة على ضـوء الإسـلام وعلى منهج القـرآن، كما تعَـرَّض لمنـاهج الحيـاة في

الإسلام، المناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والحركية، والأهم من هذا كله أن (ظلاله) حياة في (ظلال القرآن) بكل ما تحمله كلمة حياة من معنى، إنه وهو يتحدث عن الآيات يتحدث عن حقيقة لَمَسَهَا، وحياة عاشها، وتجربة واقعية مرَّ بها، وحلاوة تذوقها، ونعمة أحسَّ بها، ولذلك هو ليس تفسيرا للقرآن فقط، بل هو أكثر من التفسير بكثير.

استشهاده :

في شهر صفر ١٣٨٦ هـ الموافق أغسطس ١٩٦٦م تلقى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار ـ يرحمه الله ـ في مكة المكرمة رسالتين من سيد قطب وهو في السجن الحربي، ونشرهما في مجلة «كلمة الحق» بخط سيد قطب بالزنكوغراف، كتب في إحداهما : «أهم مِنْ شكرك ـ فيما اعتقد ـ أن اطمئنك عليَّ وأنا في وضعي الذي تعلمه، لقد وجدت الله كما لم أجده من قبل قط، ولقد عرفت منهجه وطريقه كما لم أعرفه من قبل قَط. ولقد اطمأننت إلى رعايته ووثقت بوعده للمؤمنين كما لم أطمئن من قبل قَط، وأنا بعد ذلك على ما عهدتني مرفوع الرأس لا أحنيه إلا لله، والله يفعل ما يشاء، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

وقبل بزوغ فجر يوم الاثنين ١٣ من جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩/٨/١٩٦٦م. تقدم سيد قطب ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل إلى حبل المشنقة بخطى وئيدة ثابتة، وصعدت الأرواح الطاهرة إلى بارئها.

ط

طنطاوي جوهري :

هو طنطاوي بن جوهري المصري، وُلد في قرية (كفر عوض الله حجازي) سنة سبع وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٧ هـ ـ ١٨٧٠م) وهي قرية من قرى «الشرقية» بمصر، وتعلَّم في كُتَّاب القرية، ثم سافر إلى القاهرة وجاورَ بالأزهر مدة، ومنه انتقل إلى مدرسة «دار العلوم» وتخرج فيها سنة ١٣١١ هـ ـ ١٨٩٣م، وعمل معلما بالمدارس الابتدائية والثانوية، قبل أن يُنقل أستاذًا للتفسير بمدرسة «دار العلوم».

وقد تأثر خلال فترة إعداده وما بعدها بالمنهج الذي سار عليه الإمام محمد عبده في دروس التفسير التي كان يُلقيها بالأزهر، والتي استثار فيها العناية بعلوم الطبيعيات إزالة للوهم بأن هناك تناقضا بين الإسلام والعلوم العصرية.

وقاد دعوة إلى الإصلاح الاجتماعي وإلى نشر التعليم، بإنشاء المدارس والجامعات، مؤيدًا دعوته بأن القرآن الكريم يحث المسلم على طلب العلم بمعناه الشامل.

مؤلفاته وآثاره :

قضى طنطاوي جوهري في التدريس سبعة وثلاثين عامًا، وفي أثناء هذه السنوات أصدر نحوا من ثلاثين كتابا منها : ميزان الجواهر في عجائب الكون الباهر ـ ١٩٠٠م، وجواهر العلوم ـ ١٩٠٤م، ونظام العام والأمم أو الحكمة الإسلامية العليا ـ ١٩٠٥م، والفرائد الجوهرية في الطرق النحوية، وبهجة العلوم في الفلسفة، وغيرها.

تفسير الجواهر :

بدأ طنطاوي جوهري بعد سن الستين وضع التفسير الذي اشتهر به المسمى «تفسير الجواهر» ويقع في نحو ستة وعشرين جزءًا وكان قد نشر شذرات متفرقة منه باسم : «التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم» سبق أن وضعه ووجهه إلى دعاة الحركة الفكرية في اليابان لتفهم الأسس السامية التي قام عليها الإسلام.

والرجل نشأ مُولعًا بما في الكون من إبداع وجمال، يقول عن نفسه، : «خُلقت مغرما بالعجائب الكونية، مُعْجَبًا بالبدائع الطبيعية، مَشُوقا إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال».

منهجه في التفسير :

سلك المؤلف طريقة في تفسيره مؤداها :

أنه يفسر الآيات القرآنية تفسيرًا لفظيا مختصرا، لا يكاد يخرج عما في كتب التفسير المألوفة والمتداولة بين أيدينا، ثم يدخل في أبحاث علمية مستفيضة يسميها هو : لطائف أو جواهر، ويستشهد بأفكار علماء الشرق والغرب، ليبين للناس أن القرآن سبق إلى هذه الأبحاث والعلوم قبل أن يعرفها العلماء بقرون متطاولة.

وكان يضع في تفسيره كثيرا من صور النباتات، والحيوانات، ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، بقصد التوضيح والبيان.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد... الآية**﴾ البقرة : ٦١. نجده يقول : الفوائد الطبية في هذه الآية، ثم يأخذ في بيان ما أثبته الطب الحديث من نظريات طبية، ويذكر مناهج أطباء أوربا في الطب، ثم يقول : «أو ليست هذه المناهج هي التي نحا نحوها القرآن ؟ أو ليس قوله ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**﴾ رمزا لذلك ؟ كأنه يقول : العيشة البدوية على المن والسلوى، وهما الطعامان الخفيفان اللذان لا مرَض يتبعهما، مع الهواء النقي والحياة الحرة، أفضل من حياة شقية في المدن بأكل التوابل، واللحم، والإكثار من ألوان الطعام، مع الذلة، وجور الحكَّام، والجُبن، وطمع الجيران من الممالك، فتخطفكم على حين غفلة، وأنتم لا تشعرون، بمثل هذا تُفسر هذه الآيات بمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله».

وقد لاَمَهُ على هذا المسلك كثير من العلماء وردوا عليه منهم : الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ مصطفى المراغي، والشيخ محمود شلتوت، والأستاذ أمين الخولي وغيرهم.

وفاته :

توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٤٠م ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

ع

عبد الرحمن بن ناصر السعدي :

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي من قبيلة تميم، ولد في بلدة «عُنيزة» بالقصيم سنة سبع وثلاثمائة وألف، ونشأ يتيما، وظهرت عليه علائم النبوغ، ومظاهر النجابة منذ صغره، فأتقن حفظ القرآن وعُمره إحدى عشرة سنة تلقى الفقه والحديث والتوحيد والتفسير وعلوم العربية على علماء القصيم ومنهم: الشيخ محمد الشبل والشيخ صالح القاضي والشيخ عبد الله بن عايض والشيخ علي السناني والشيخ محمد المانع والشيخ محمد الشنقيطي وغيرهم.

فضائله :

كان السعدي على جانب كبير من التواضع ولين الجانب، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء، يمد لهم يد العون والمساعدة، ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير، وكان يعقد مناظرات لطلابه لشحذ أفكارهم واستثارة هممهم، ويجعل جوائز لمن يحفظ بعض المتون، وكان على جانب كبير من العفة والنزاهة والحزم في كل أعماله، من أحسن الناس تعليما وأبلغهم تفهيما، وكان يتشاور مع تلاميذه لاختيار الأنفع من كتب العلم، وتلاميذه يجدون متعة ولذة في مجالسته والتلقي عنه.

مكانته العلمية :

كان الشيخ ذا معرفة تامة بالفقه، أصوله وفروعه، وكان في أول أمره متمسكا بالمذهب الحنبلي تبعا لمشائخه، وحفظ بعض المتون في ذلك، وكان له مصنف في أول أمره في الفقه، وقد أكب على مؤلفات السلف وخاصة ابن تيمية وابن القيم وبسبب تأثره بكتب الشيخين، لم يتقيد بالمذهب «الحنبلي»، بل يؤيد ما ترجح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوسين - هدانا الله وإياهم للصواب والصراط المبين -.

مصنفاته :

ألف الشيخ كثيراً من كتب العلم النافع، الذي بقي له ذكرًا، وعملا صالحًا موصولاً، منها :

١) تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان»، وقد حققه وضبطه ونسقه وصححه، محمد زهري النجَّار، وطبعته رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية سنة ١٤٠٤ هـ.

٢) إرشاد أولى البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، رتَّبه على السؤال والجواب.

٣) الدرة المختصرة في محاسن الإسلام.

٤) القواعد الحسان في تفسير القرآن.

٥) الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

٦) القول السديد في مقاصد التوحيد.

٧) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

٨) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أُصول الملحدين.

٩) الدلائل القرآنية.

١٠) الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

١١) المختارات الجلية من المسائل الفقهية.

وغيرها من المؤلفات النافعة القيمة التي تدل على رسوخ قدمه ومتانة علمه في التفسير والتوحيد والفتوى وغيرها.

تفسير «تيسير الكريم الرحمن» :

قال - يرحمه الله - في بداية تفسيره اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا اكتفى بذكر ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة، لأن الله تعالى وصف هذا الكتاب أنه «مثاني» تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتَدَبُّره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها.

وعند تفسير قوله تعالى: **﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها . . . الآية﴾** البقرة : ٢٦.

قال: يقول الله تعالى: **﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما﴾** أيْ أيَّ مثلٍ كان **﴿بعوضة فما فوقها﴾** لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحي من الحق، ولهذا قال :

﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ فيفهمونها، ويتفكرون فيها. فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم.

وفاته :

توفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة في مدينة عنيزة من بلاد القصيم.

عبد الرحمن بن محمد الدوسري :

هو عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر الدوسري من قبيلة الدواسر ومن أسرة أمراء بلد (السليِّل) المشهور.

ولد في مدينة البحرين سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية (١٣٣٢) هـ وسافر به والده إلى الكويت، نشأ في بيئة صالحة، وفي محلة من حارات الكويت تُدعى محلة (المرقاب)، وطلب العلم في المدرسة المباركية، وبها حفظ الدرة المضية في التوحيد والرحبية والبرهانية في الفرائض، ولامية ابن الوردي، ولامية العجم - والصحيح أنها لامية العرب - ودليل الطالب في الفقه، ومنتقى الأخيار في الحديث، والكافية الشافية لابن القيِّم.

وكان يحب الجمع بين الفقه والحديث، ولا يرى الفصل بينهما، فلا يحب الفقه ناشفا خاليًا من الدليل، ولا يحب تطرف الزاعمين أنهم من أهل الحديث في رفضهم للفقه، ومناصبتهم الصدارة للفقهاء أو التحقير من شأنهم ونحوه مما فيه إهدار لكرامتهم ونكران لجميلهم.

وقد تأثر بشيخين جليلين هما: عبد الله بن خلف الدحيان، وقاسم بن مهزع - رحمهما الله -.

وكان لـه نشاط واسع في نشر العلم وتبصير الناس بالحق.

مصنفاته وآثـاره :

للشيخ الدوسري ـ يرحمه الله ـ مؤلفـات متنوعة أثرى بها المكتبة الإسلامية، ويـدل هذا التنـوع على علم غزيـر، وفهم عميق، ووعي بصير، منها : صفـوة الآثار والمفـاهيم من تفسير القرآن العظيم، معارج الوصـول إلى علم الأصول، مشكاة التنوير حاشيـة على شرح الكوكب المنير، الجواهر البهية في نظم المسائل الفقهية على مذهب الحنابلـة الأحمدية، إرشاد المسلمين إلى فهم الدين، إيضاح الغـوامض من علم الفرائض، الجواب المفيـد في الفرق بين الغنـاء والتجويـد، مختارات من التفسير والـروايات، الحق أحق أن يتبع (ثلاثة أجـزاء) في الردّ على القوانين الـوضعية، كيف نحـارب إسرائيل ؟، كتاب «مـركّبُ النَّقص»، قمع المفتري على الله. عـدة أجـزاء في الـردّ على أهل الـزيغ والإلحاد، نـور على نـور مقتبس من سورة النـور، تأملات عميقة في أحسن القصص، مـلاحظات على التاريخ، فلسفـة أركان الإسـلام، الأسلحة التي انتصر بها اليهود، أضواء على الروايات والتاريخ، عروبـة وعروبة، من هم المنافقون ؟

صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم :

طبع هـذا التفسير القيِّم عـام واحـد وأربعمائة وألف من الهجـرة بـالمطبعـة العربية الحديثة بالعباسية بالقاهرة، وتولت نشره وتوزيعه دار الأرقـم بالكويت، وتُعَـدُّ الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

ويمكن التعرف على منهج الرجل في تفسيره من خـلال ما كتبه عند تفسير قوله تعالى : ﴿**إياك نعبـد وإياك نستعين**﴾، كتب يقـول : متى يتكامل بنـاء الإنسان ؟.

بتحقيق ﴿إيـاك نعبـد وإيـاك نستعين﴾ يحصل تكـامل الإنسـانيـة، فإن الإنسانية لا ينيها نموها المادي الحاصل بالطعام والشراب، ولا «الفيتامينات» المجهـزة في العقـاقير الطبيـــة، بل ولا يشفيهـا مـن أمـراضهـا المعنـويـة تلك الـوصفات الماديـة من طبيب الجسم، وإنما يتكـامل بنـاء الإنسـانيـة بالتـوازن الحقيقي للتربية الروحية، مع التربيـة الجسمية والعقلية، بحيث يتتبع هذا بهذا على أكمل وجه.

ويقــول في موضـــع آخـــر تحت عنـــوان، «**الأصالـة الفكريـــة والهوية الروحيـة**» :

هذا الإرشـاد من الله لعبـاده بـ «إيـاك نعبد وإيـاك نستعين» فيه الأصـالة الفكـريـة والهوية الـروحيـة، للمسلمين عـامـة، والعـرب خاصـة؛ لأن فيـه الاستقلال الفكـري الرائع الذي لـم يلتقط مـن أفكار شرقية أو غربيـة.

وفـاتـه :

توفي في يوم السـادس عشر مـن ذي القعـدة عـام تسعة وثمانين وثلاثمائـة وألف من الهجـرة ـ يرحمه الله ـ.

م

محمد رشيد رضا :

هو محمد رشيد بن علي رضا، وُلد بقرية القلمون من نواحي طرابلس الشام عـام اثنين وثمانين ومـائتين وألف (١٢٨٢ هــ) الموافق (١٨٦٥م) ونشأ وتعلم بها، ثم انتقل إلى طرابلس والتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية، وتوفر على علوم اللغـة والقـرآن والفقـه، كمـا تعلـم اللغـة التركـيـة. ثم ارتحل إلى مصر عـام (١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧ م) واتصل بالإمام الشيخ محمد عبده الذي أصبح أستاذا لـه في دراسة العقيدة ورائدًا له في منهجه الإصلاحي.

وفي السنة التاليـة أصدر مجلة «المنـار» الشهـرية، وجعل الهدف منها نشر مباحـث حول الإصـلاحات الـدينية والاجتماعيـة، ومحاربة البـدع والخرافـات وأسباب التخلف بين شعـوب العالم الإسلامـي، وعاشت المنار أربعـا وثلاثين سنة تحمل هذه الرسالة التي بلغ صـداها أنحاء العالم الإسلامي البعيدة، وفي عـام ١٩١٢م افتتح «مدرسـة الدعوة والإرشاد» لتكون من وسـائل نشر رسالته الإصلاحية، كما ناصر الدعوة التي قادها مواطنه «عبد الرحمن الكواكبي».

وحارب بقلمـه التدخل البريطاني والفرنسي في الشرق العـربي، وحذَّر من أخطار الدعوة الصهيونية، واتصل بحركات الاستقلال العربية.

مؤلفاته وآثاره :

تشمل مؤلفاته : «تفسير المنار» الـذي وضعه في ضوء منهج التفسير الذي اختطه الإمام محمد عبده في دروسه بالأزهـر، صدر منه (١٢) جزءًا فقط.

وتاريخ الأستـاذ الإمام في ثـلاثة مجلدات، والـوحي المحمدي وهـو دراسة متميـزة للعقيدة الإسـلاميـة، وشبهـات النصارى وحجـج الإسلام، وعقيـدة الصلب والفداء، وإنجيل برنابا، والخلافة أو الإمامة العظمى.

كما حقق «تفسير ابن كثير» و «تفسير البغوي» و «العلم الشامخ للمقبلي». و «دلائل الإعجاز للجرجاني» وغيرها.

تفسيره ومنهجه :

يعتبر الشيخ رشيـد رضـا ــ هو الـوارث الأول لعلم الإمــام الشيـخ محمـد عبـده ــ، إذ إنه أخذ عنه فوعى ما أخـذ، وألف في حياته وبعد وفاته، فكان لا يحيد عن منهجه أو ينحرف عن أفكاره، وفيـه قال الإمام «صاحب المنار ترجمان أفكاري».

ويحدِّد الشيخ رشيد منهجه في التفسير فيقول :

«وإنني لـمَّـا استقللت بـالعمل بعد وفاته (الإمام محمـد عبده)، خالفت منهجه ـ يرحمه الله تعالى ـ بالتـوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء أكـان تفسيرًا لها، أو في حكمهـــا، وفي تحقيق بعض المفـــردات، أو الـــجُمل اللُّغويـــة، والمسائل الخلافيـة بين العلماء، وفي الإكثار من شـواهد الآيـات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقهـا، بما يثبتهم بهدايـة دينهـم في هـذا العصر، أو يقـوي حجتهم على خصوم من الكفـار والمبتدعـة، أو بحل بعض المشكلات التي أعيـا حلها، بما يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس».

وقـد فســر من السور القصار، سـورة الكوثر، والكافـرون، والإخلاص، والمعوذتين.

وفـاتـه :

توفي ـ يرحمه الله ـ بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هــ ـ ١٩٣٥م.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ «..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

«فقه اللغة وسر العربية»



عبدالملك
عبد الرحيم

يعد كتاب «فقه اللغة وسر العربية» واحدًا من أبرز الإنجازات في المجال اللغوي، للشاعر الأديب العالم الموسوعي أبي منصور الثعالبي، وهذا الكتاب أقرب ما يكون إلى المعاجم اللغوية التي تعنى بترتيب المادة ترتيبًا معنويًا، لا على ترتيب الحروف الهجائية. ويرى النقاد أنه يمت بصلة قوية إلى كتاب «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، كما يعد ممهدًا لتأليف كتاب «المخصص» لابن سيده، أكبر المعاجم المرتبة على الموضوعات في اللغة العربية.

وكتاب الثعالبي يرتب المادة اللغوية، بجمعه في سياق واحد، الألفاظ التي تستعمل في موضوع واحد، وهو بذلك يمد الكاتب برصيد هائل من الثروة اللغوية، التي تنهض دليلاً واضحًا على المقدرة التعبيرية الفائقة للغة العربية، والدقة المتناهية في تحديد الفروق بين الألفاظ المتقاربة في معناها، مما لا يتوافر لأية لغة أخرى، وقد تناول الأستاذ العقاد - يرحمه الله - هذه الناحية بتوضيح عميق، في كتابه «اللغة الشاعرة».

ولعلنا نقترب من محتوى هذا الكتاب، من خلال تقديم قطوف يسيرة مما تضمنه، تبين منحى الثعالبي في تصنيفه، فهو في ترتيبه مراحل النوم - على سبيل المثال - يقول: أول النوم النعاس، وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم. ثم الوَسَن، وهو ثقل النعاس. ثم الترنيق، وهو مخالفة النعاس العين. ثم الكرى والغمض، وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان. ثم التغفيق، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم (عن الأصمعي). ثم الإغفاء، وهو النوم الخفيف. ثم التهويم والغرار والتهجاع، وهو النوم القليل. ثم الرقاد، وهو النوم الطويل. ثم الهجود والهجوع، وهو النوم الغرق. ثم التسبيخ، وهو أشد النوم (عن أبي عبده، عن الأموي). وفي نسبة الأصوات إلى أشياء مختلفة، يقول الثعالبي: هزيز الريح. هزيم الرعد. عزيف الجن. حفيف الشجر. جعجعة الرحا. وسواس الْحَلْي. صرير الباب والقلم. قلقلة القفل والمفتاح. خفق النعل. صريف ناب البعير. وكاء النافخ في يده (وقد نطق به القرآن). دردابُ الطبل. طنطنة الأوتار. ضغيل الحجّام (وهو صوته إذا امتص المحاجم)، وكذلك النقيض. هيقعة السيوف، وهي حكاية أصواتها في المعركة إذا ضرب بها.

ويشتمل كتاب «فقه اللغة» للثعالبي على ثلاثين بابًا، تضم نحو ستمائة فصل، في مختلف الشؤون، منها: الكليات العامة، وأوائل الأشياء وأواخرها، وصغار الأشياء وكبارها، والطول والقصر، واليُبْس واللين، والكثرة والقلة، وسائر الأوصاف والأحوال المتضادة، وضروب الألوان والآثار، وأسنان الناس والدواب، والأمراض والأدواء، والحيوانات وأوصافها، والحركات والأشكال، والأصوات، والجماعات، والأرضون والجبال والرمال، والحجارة، والنبات، والزرع والنخل، وغيرها كثير.

ويتألف كتاب «فقه اللغة وسر العربية» من قسمين رئيسيين، أولهما القسم الذي عرّفنا بمحتوياته، أما القسم الثاني فهو «سر العربية». وتشير مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب إلى أن كتب الطبقات تجعل «فقه اللغة» كتابا و «سر العربية» كتابا آخر، ولكن النساخين والوراقين قديما، وأصحاب المطابع حديثا، جمعوا الكتابين معًا بين دفتين، وأطلقوا عليهما ترجمة واحدة هي «فقه اللغة وسر العربية». ويذكر المؤلف نفسُه أنه جعل عنوانه « فقه اللغة » وشفعه «بسر العربية» ليكون اسمًا يوافق مسماه، ولفظا يطابق معناه. ويدور القسم الثاني في مجاري كلام العرب وسننها، مع الاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها. وفي مجال الحديث عن إضافة الاسم إلى الفعل - على سبيل المثال - يقول الثعالبي: هي من سنن العرب، تقول: هذا عامُ يغاث الناس، وهذا يومُ يدخل الأمير، وفي القرآن ﴿رَبِّ أَنْظِرْنِي إلى يوم يبعثون﴾ وقال عز ذكره: ﴿هذا يومُ لا ينطقون﴾ وفي الخبر عن النبي ﷺ: «إن المريضَ ليخرج من مرضه كيوم ولدته أمه».

وما أجدر هذا الأديب العالم اللغوي الموسوعي أن نخص سيرته وأعماله بمقال مستقل، فإلى لقاء.





«صحف عربية» مرة أخرى

نشرت مجلة «الفيصل» في عدديها ١٩١ و١٩٢ موضوعا بعنوان **«صحف عربية ١٨٢٢ ـ ١٩١٤م»** وذلك في باب **«دائرة المعارف»** . وكنت قد قمت بإعداده و إرساله منذ فترة إلى المجلة، وعند مطالعتي له وجدت فيه بعض الأخطاء المطبعية التي لا بد من تصويبها وتصحيحها .

ولهذا أرسل لكم هذه الرسالة متضمنة التصويب، بالإضافة إلى بعض أسماء الصحف العربية التي وجدتها من خلال متابعتي المستمرة لهذا الموضوع، والتي لم أذكرها في المرة السابقة، عسى أن أكون قد وفقت في تقديم مادة وافية لكل من لديه اهتمامات بتاريخ الصحافة العربية .

أولا : التصويبات

١ ـ جاء في العدد ١٩١ اسم أحمد بن حسن **طيارة**، والصحيح هو أحمد بن حسن **طبارة** .

٢ ـ ورد عام ١٨٧٦م تاريخ انتقال جريدة الأهرام إلى القاهرة والصحيح هو عام ١٨٩٥م .

(جاء في المنجد أنها نقلت إلى القاهرة عام ١٨٩٥م، وجاء في المعجم العربي الأساسي أنها نقلت إلى القاهرة عام ١٨٩٩م) .

٣ ـ لم تذكر المجلة أن سعيد عقل صاحب جريدة «البيرق» كان من الذين أعدموا عام ١٩١٦م .

٤ ـ ورد تاريخ صدور جريدة التقدم عام ١٧٧٤م، والصحيح هو عام ١٨٧٤م .

٥ ـ وفي العدد ١٩٢ حيث نشرت الحلقة الثانية والأخيرة، وردت في باب الصاد أخطاء وهي أن جريدة «صدى بابل» أصدرها في بيروت الأمير علي ناصر الدين عام ١٨٨٦ . والصواب أنها صدرت في بغداد عام ١٩٠٩م، والذي أصدرها هو يوسف غنيمة .

٦ ـ ورد أن جريدة «صنعاء» صدرت في بغداد والصواب أنها صدرت في صنعاء في اليمن عام ١٨٧٩م، وهي من أولى الجرائد العربية التي صدرت فيها .

٧ ـ ورد أيضًا أن جريدة «الصفا» صدرت في صنعاء، والصواب أن الأمير على ناصر الدين أصدرها في بيروت عام ١٨٨٦م .

٨ ـ ورد أن جريدة «كوكب أفريقيا» صدرت عام ١٩١٧م . والصواب عام ١٩٠٧م .

٩ ـ ورد أن جريدة «المحروسة» صدرت عام ١٨٨٨م . والصواب عام ١٨٨٠م .

١٠ ـ ورد أن الأديب السوري أديب إسحق صاحب جريدة «مصر» من مواليد دمشق عام ١٩٥٦م . والصواب عام ١٨٥٦م .

ثانيًا : الإضافات

من الصحف التي لم أذكرها سابقًا :

١ ـ أبو نظارة :

جريدة عربية حملت اسم صاحبها يعقوب بن رفائيل صنّوع (أبو نظارة) المولود في القاهرة عام ١٨٣٩م، والمتوفى سنة ١٩١٢م . أنشأ الجريدة بالتعاون مع جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده . وقد أنشأ أول مسرح عربي في مصر . وقد كان أبو نظارة صحفيا نقّادا اجتماعيا سياسيا .

٢ ـ الأخبار :

جريدة أنشأها عام ١٨٩٦م يوسف الخازن، وهو صحافي لبناني عاش زمنا في مصر، أسهم في تحرير صحف عديدة . وإلى جانب «الأخبار» أصدر مجلة «الخزانة» عام ١٩٠٠م وجريدة «بريد الأحد» عام ١٩٠٢م . وعاد إلى لبنان فأعاد إصدار جريدة «الأرز» عام ١٩٢٢م، ثم جريدة «البلاد» عام ١٩٣٣م .

٣ ـ الاستقامة :

صاحبها ولي الدين يكن المولود في الآستانة سنة ١٨٧٣م، والمتوفى سنة ١٩٢١م في القاهرة . وهو من أصل تركي، تلقي علومه في مصر وأصدر جريدة «الاستقامة»، وكان مناهضًا لحكم السلطان عبد الحميد ثم مطالبًا بالحرية والمساواة للجميع وبحقوق المرأة نُفِيَ إلى سيواس، واستقر أخيرًا في مصر . له من المؤلفات «ديوان» و«الصحائف السود» و«التجاريب» .

٤ ـ التنبيه :

جريدة صدرت في مصر، كانت تصدر إبان احتلال الفرنسيين لمصر . وكان إسماعيل بن سعد الخشاب المتوفى سنة ١٨١٥م أول محرر صحفي عربي، حيث كان يدون فيها الحوادث اليومية . وهو شاعر مصري من أشهر شعراء عصره .

٥ ـ التنكيت والتبكيت :

جريدة أصدرها الشاعر والصحافي المصري عبد الله نديم المولود في الإسكندرية سنة ١٨٤٥م، والمتوفى بالآستانة عام ١٨٩٦م . وقد أصدر إلى جانب هذه الجريدة جريدة «الطائف» . وكان من مؤيدي الثورة العرابية وكان من خطبائها . له ديوان «سلافة النديم» .

٦ ـ **الدستور** :

صاحب هذه الجريدة الأديب والصحفي المصري محمد فريد وجدي المولود في الإسكندرية سنة ١٨٧٨م، والمتوفى بالقاهرة سنة ١٩٥٤م، أصدر جريدة «الدستور» سنة ١٩٠٧م، وحرر مجلة «الأزهر» سنة ١٩٣٣م. من مؤلفاته «دائرة معارف القرن العشرين».

٧ ـ **روضة المعارف** :

صاحبها الأديب اللبناني محمد الأُنسي مؤسس المطبعة الأنسية في بيروت عام ١٨٩٥م.

٨ ـ **مصباح الشرق** :

جريدة أصدرها إبراهيم بن عبد الخالق المويلحي، وهو كاتب سياسي وصحافي مصري ولد بالقاهرة سنة ١٨٤٦م، وتوفي فيها عام ١٩٠٦م. أصله من مويلح في الحجاز، وهو من مؤسسي النهضة الأدبية الحديثة. ساعده في إنشاء جريدته ابنه محمد الأديب والصحافي المصري المولود في مصر عام ١٨٦٨م، والمتوفى عام ١٩٣٠م. ومن أشهر أعماله «حديث عيسى بن هشام»، وقد صيغ على نسق المقامات وتميز بأسلوبه القصصي.

٩ ـ **نزهة الأفكار** :

جريدة أسبوعية صدرت عام ١٨٦٩م على يد إبراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال، وكانت شديدة اللهجة فألغاها الخديوي إسماعيل.

صحف أخرى

هذا وقد صدرت خلال تلك الفترة صحف أخرى، منها:

الوطن التي صدرت عام ١٨٧٧م، وقد أصدرها الصحافي المصري ميخائيل عبد السيد المولود سنة ١٨٦٠م في القاهرة، والمتوفى فيها ١٩١٤م. وقد عمل بتحرير الجريدة لمدة عشرين عامًا. له مؤلفات رياضية مدرسية.

كما صدرت في الآستانة جريدة «**السلطنة**» سنة ١٨٥٧م، أصدرها إسكندر شلهوب. وهناك جريدة «**النيل**» التي أصدرها المصري حسن الطويراني المولود سنة ١٨٥٠م في القاهرة، والمتوفى بإسطنبول عام ١٨٩٧م. وجريدة «**الصدى**» للصحافي السوري جبرائيل دلاّل المولود في حلب سنة ١٨٣٦م، والمتوفى فيها عام ١٨٩٢م. وقد أنشأ «الصدى» في باريس، وجريدة «**السلام**» **في القسطنطينية**.

وصدرت صحف كثيرة في القاهرة مثل «**الجريدة**» و«**الشعب**» و«**السياسة**» و«**البلاغ**» و«**الجهاد**» و«**المصري**» و«**الكتلة**» و«**الزمان**» و«**الجريدة المسائية**».

صحف المغرب والحجاز

وكان صدور أول صحيفة مغربية في المغرب سنة ١٨٨٩م، وقد صدرت في مدينة طنجة، وهي أسبوعية حرة أصدرها بعض اللبنانيين ولكنها لم تعمر طويلاً.

وفي سنة ١٩٠٠م صدرت جريدة «**المغرب الأقصى**»، وفي سنة ١٩٠٥م صدرت جريدة «السعادة»، وجريدة «**لسان المغرب**» عام ١٩٠٧م، و«**الحق**» عام ١٩١١م، و«**السعادة**» مرة أخرى ١٩١٣م، و«**الترقي**» ١٩١٣م.

وفي منطقة الحجاز صدر عدد لا بأس به من الصحف العربية، فكانت صحيفة «شمس الحقيقة» التي صدرت عام ١٩٠٩م، وجريدة «صفاء الحجاز» التي صدرت في مكة المكرمة في أوائل القرن العشرين، وجريدة «المدينة المنورة» و«الرقيب» في المدينة المنورة، وجريدة «الإصلاح الحجازي» في مدينة جدة.

محمد رضوان الأنظامي

دمشق ـ سورية


صُحُف عربيّة «١»
(١٨٢٢ ـ ١٩١٤م)

(أ)

ـ الأرز :

جريدة لبنانية صدرت في جونية في لبنان عام ١٨٩٥م صاحبـ فيليب الخازن وأخوه الشيخ فريد الخازن، ولد الشيخ فيليب في عرمون كسروان عام ١٨٦٥م، والشيخ فريد ولد عام ١٨٦٩م في نفس القضـ جاهدا في سبيل استقلال لبنان وهما من شهداء الوطن الذين أعدمهم الـ جمال باشا عام ١٩١٦م لهما كتاب «لمحة تاريخية في استقلال لبنان» و كتاب «المحررات السياسية».

الأفكار :

جريدة أصدرها في المهجر في مدينة سان باولو سعيد أبو جـ ١٩٠٣م.

الإقبال :

جريدة صدرت في بيروت على يد عبد الباسط الأنسي

ـ الأهرام :

جريدة مصرية. أسسها سليم وبشارة ١٨٧٥م ثم نقلاها إلى القاهـ

البابيل :

جريدة صدرت في بيروت، أصدرها حسين محيي الدين الحبّال عام ١٩٠٩م.

أبو الهول :

جريدة لبنانية عربية صدرت في مدينة سان باولو في البرازيل عام ١٩٠٦م أصدرها الأديب والصحافي اللبناني شكري الخوري الذي هاجر إلى مصر ثم البرازيل. ولد الأديب شكري في بكفيا في لبنان عام ١٨٧٢م. وتوفي في البرازيل عام ١٩٣٧م.

١٩٠٨م الصحافي اللبناني أحمد بن حسن من شهداء الوطن الذين شنقهم

نريد معلومات أشمل

لفت انتباهي ما جاء في العدد ١٩١ في باب «**دائرة المعارف**» تحت عنوان «**صحف عربية**». وكنت أتمنى أن تكون المعلومات أكثر شمولية وإيضاحا، فبعض الصحف لم يبين من الذي أنشأها، مثل «**الرائد التونسي**» و«**الزوراء**»، إضافة إلى عدم بيان السنة التي توقفت فيها، كما لم يتم بيان منهج كل جريدة وخط سيرها العام.

وما دام الباب اسمه «دائرة المعارف» فمن الأفضل أن تكون المعلومات وافية لأساسيات الموضوع.

مع خالص الشكر والتحية.

محمد مخلص حيدان

حائل

تصويب حول شيوخ الشيخ ابن عبد الوهاب


محمد بن عبد الوهاب .. وحركات التحرر في الجزيرة

بقلم : أحمد شوحا

يعتبر الشرق مصدر الخير والنور ، والإشعاع الفكري
تألق فيها نجمه ، وسطع نوره فملأ الدنيا ، إذ حمل المسلمون مشعل
الخير والسلام والمحبة وينقذونهم من عبادة الملوك والجمادات ، ومن التردي في
عبادة الله الذي خلق كل شيء .

واستمر المسلمون قروناً وهم سادة الدنيا وقادتها ، وشعر أعداؤهم أن
الانتصار عليهم في ميادين القتال من المستحيلات ، فقرروا الانقضاض
من جانب آخر خفي ، هو تفرقة صفهم ، وزعزعة عقيدتهم ،
أنفسهم في جدل لا يستفيد منه إلا عدوّهم ، فدسوا أحاديث باطلة
ونتيجة لظروف اجتماعية وسياسية قاهرة ، تسربت
العقائد الزائفة إلى عقول كثير من المسلمين
في مجالسهم وحلقاتهم ، فأصبحت
على حدّ زعم

العيينة[3] الواقعة قريباً من الرياض . فنشأ على
عائلة عرفت بالعلم واشتغلت به حيث (كان الشيخ محمد
المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد)[4] وكان
وقاضياً لبلدة العيينة ثم حريملة ، وهو القائل بعد
استفدت من ولدي محمد فوائد شتى في الأحكام
من علماء نجد المبرزين ، بل وشيخ العلم
عاش في حجر أبيه ، و
والشرعية ، وقد ألهمه

قرأت في العدد ١٥٩ من «الفيصل» مقالة عن **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** ـ يرحمه الله ـ تحت عنوان **«محمد بن عبد الوهاب . . . وحركات التحرر في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي»** بقلم : **أحمد شوحان**، وقد أخطأ الكاتب في ذكر شيوخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين كتب : «فذهب إلى مكة المكرمة حاجاً ثم إلى المدينة المنورة وبقي بها مدة ، والتقى فيها الشيخ عبد الله بن إبراهيم السندي المدني» . وهذا غير صحيح ، لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تتلمذ أولا على الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف ، وبعده وبتوصيته التحق بدرس الحديث في حلقة الشيخ محمد حيات بن إبراهيم السندي المدني . فهذا هو الصحيح . وأظن أن الكاتب قد اختلط عليه الأمر من «إبراهيم» الذي هو في كلا الاسمين وكلاهما مدنيان .

وسوف أرسل للمجلة مقالة حول حياة الشيخ محمد حيات السندي وعلاقته بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثيره على حركته .

والله من وراء القصد .

غلام مصطفى السِّندي

حيدر أباد ـ السند ـ الباكستان

حقاً .. كيف ننشط شهيتنا العلمية ؟


كيف ننشط شهيتنا العلمية ؟

مجلاتنا الأدبية تغلب على مجلاتنا الثقافية
العامة . وحتى مجلاتنا الثقافية العامة هذه
المواد الأدبية . وهذا شيء مفرح للأدباء وشداة
وربما يعني أننا أمة تقدر الأدب حق قدره ،
يبلغ درجة رفيعة من النضج والأثر ، وربما
يعني هذا أيضا عكس ما ذكرناه حالاً فيكون شاهدا على
ضعف أدبنا ورغبتنا في إنعاشه وحقنه بالجيد في كل مكان
عن طريق الإكثار من المجلات . وفي جميع الحالات ،
منها والسلبي ، نجد أن غلبة الأدب على مجلاتنا
متخصصة ، تشكل ظاهرة لافتة للانتباه .

العامة تهتم بالعلوم ، فنحن نريد لمجلات العلوم أن تزيد
وتزدهر ، لأنه يوم يحدث هذا سيكون معناه أننا أمة تقدر
العلم وتنتجه ، وأن قراءنا لا ينقصهم شيء في عصر العلم
هذا الذي نعيش فيه . وإذا كنا حديثي عهد اليوم بالعلوم
العصرية فلا بأس من ترجمة هذه العلوم وتبسيطها وتقريبها
إلى الأذهان ، إذا لم يكن عندنا ما ندلي به في دلوها . ونحن
نعرف أن العلم إبداع قبل أن يكون تجارب ومعامل
ومشاهدة وبرهانا . وهذا ما يدعونا إلى التساؤل :

ما الذي يجعلنا مبدعين في الأدب ، ومقلدين
العلم؟ هل قوة تراثنا الأدبي وغزارته

أشكركم على مجهودكم المبذول في المجلة ، وعلى اهتمامكم بأخذ جميع الآراء المطروحة والمتعلقة بموقفنا الراهن على الصعيد الفكري والحضاري . وأود في هذه العجالة التي قررت كتابتها ، بعد قراءتي لمقالة **الدكتور علي شلش** المنشورة **في العدد ١٨٩ لشهر ربيع الأول ١٤١٣ هـ تحت عنوان «كيف ننشط شهيتنا العلمية ؟!»** أن أضم صوتي لصوته ـ إن قبل ـ وأشاركه الرأي وأن أوجّه أنظار جميع المهتمين بحالنا العلمي الحاضر والذين يملكون القدرة على تغييره للأفضل ، أن يساعدوا كل المبتدئين المتحمسين من أبناء العرب للعلوم الحديثة وأن يمدوهم بالكتب والمترجمات ، وإن أمكن إنشاء المجلات العلمية بأسلوب يناسب قدراتهم حتى يُثبّتوا في نفوسهم حب العلم والثقة في النفس والقدرة على الإبداع وإزالة شبح الاعتقاد بتخلفهم وأنهم بعيدون عن التقدم .

هذا رجاء من شخص عربي يحب العلم ولا يستطيع الحصول على مورد عذب له بلغتنا المجيدة لعدم التوافر .

ولكم جزيل الشكر .

« قــارئ » *

بلجرشي ـ الباحة

---

* احتفظنا باسم القارئ صاحب التعليق بناء على رغبته .

قراءة في قصيدة "بركان"

عندما قرأت القصيدة المنشورة في العدد ١٩٥ لشهر رمضان ١٤١٣هـ استوقفتني كثيرا، فالشاعر **الأستاذ خالد الحليبي** اختار لقصيدته عنوانا شد الانتباه وجذب الأنظار، مع أن هذا العنوان كلمة واحدة هي كلمة **«بركان»**، إلا أنها تحمل في طياتها الكثير من الدلالات التي يقصدها الشاعر، والتي يُلمِّح إليها الشاعر الفنان المبدع في مطلع قصيدته :

قـف يـــا قطـــار فإنني منـــذ انطلقت بهم كئيب

فقصيدة الشاعر حسنة المطلع، وعند نتأمل هذا المطلع نجد أن الشاعر قد اختار البحر الكامل ليبثه مشاعره وأحاسيسه ولواعج وجدانه، وتفعيلات هذا البحر هي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وهي تدل على السرعة والقوة، وقد استخدمها الشاعر ليدل على الوحشية المجنونة للصربيين السفلة أو الذين قصدوا بها إبادة المسلمين واغتيال الإسلام نفسه في جمهورية البوسنة، وقد أراد الشاعر أن يحدّ من تهالك هؤلاء المفسدين على الإجرام، ويخفف من وقع المصيبة على نفوس المسلمين، فاستعمل بحر الكامل مجزوءا وأضاف إلى ضربه سببا خفيفا وهو ما يعرفه العروضيون باسم الترفيل، فالوزن الذي استخدمه الشاعر هو :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

وعندما نلمح أول لفظة في مطلع القصيدة وهي «قف» نتذكر أمير الشعراء في العصر الجاهلي امرأ القيس، في وقوفه على الديار، وبكائه الأطلال في قوله :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومنزلِ بِسِقْطِ اللوَى بينَ الدّخُولِ فَحَوْمَلِ

فشاعرنا يستوقف القطار بكاء على ما ألمّ بالمسلمين من حوادث من قتل لإخوانه المسلمين، وهدم لبيوتهم وتخريب لأرضهم، واغتصاب لنسائهم، وتنصير لأطفالهم.

وعندما نقرأ قوله :

قِفْ إنَّنِي مِـنْ هَـــــؤلاَ ءِ وَإنْ تَبَــاعَــدَتِ الـدُّرُوبُ
بَيْنِي وبَيْنَهُـمُ حِبَـــــالٌ لَـنْ تُقَطِّعَهَـــا الخُطُـــوبُ

نتذكر قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات ١٠، وقوله سبحانه ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ آل عمران ١٠٣، وعندما نقرأ قوله :



وإذَا تَحَـــدَّثَتِ القُلُـــو بُ فإنَّمَـــا تُصْغِي القُلُـــوبُ

نحس بصدق الشاعر في عاطفته ومدى ثقته في وصول قصيدته إلى قلب المتلقي؛ لأنها نابعة من قلبه. وقوله :

أَسْتَقْـــرِئُ العَبَـــرَاتِ فِي أَهْـــدَابِهَـــا ومنًى تَلُـــوبُ

يذكرنا بقول الشاعر الأستاذ الدكتور **محمد رجب البيومي** من ديوانه «صدى الأيام» :

تَصَفَّحْ وُجُوهَ النَّاسِ عِنْدَ لِقَائِهِمْ فَإِنَّ وُجُوهَ النَّاسِ سِفْرٌ مُسَطَّرُ

وقوله :

مَهْـلاً قِطَـارَ المَـاكِـرِيـــ ـــنَ فَإنَّـهُ يَـوْمٌ قَــرِيبُ
فَتَـرَقَّبَنْ يَـــوْمَ انْفِجَـــا رِ فُـــؤَادِهِ إنِّـي رَقِيبُ

يذكرنا بقوله تعالى : ﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾ البقرة ٢١٤، وقوله تعالى : ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب ﴾ هود ٩٣.

وقوله :

جَمُـــدَتْ عَلَى أجْفَـــانِهَـــا صُـــوَرُ المَجَـــازِرِ لاَ تَغِيبُ

يوحي أن هؤلاء الأطفال لم ينسوا، ولن ينسوا ما فعله هؤلاء الصربيون الأنذال من جرائم، وسيخرج من بينهم في المستقبل من يؤدب هؤلاء السفهاء و يوقفهم عند حدهم.

وفيما يتعلق بالمعجم اللغوي فإن الشاعر قد استخدم بعض الألفاظ التي تحتاج من القارئ العادي التفتيش عنها في معاجم اللغة العربية ومنها.

«الغصص - راعف الزفرات - الوجيب - تلوب - القشيب - المزجّى - ربيب - براثنه» وإن كانت هذه الألفاظ - في رأيي - لا تغض من قدر القصيدة إذ إنها تدعو إلى التأمل والاجتهاد في فهم المعنى.

محسن عبد المعطي عبد ربه
المحلة الكبرى - مصر

أسمــــاء الخــيــــل

الخيل : جماعــة الأفـراس ، ولا يـوجـد له واحـد من لفظـه ، وتعـود التسمية إلى الخيلاء في السير.

الحصــان : وهــو الفحـل من الخيل ، والجمع حُصُنٌ وأَحْصِنَةٌ .

فـرس : واحـد الخيل ، ويطلق على الذكر والأنثى ، وأصله التأنيث ، وجمعه أفراس .

حجــر : أنثـى الخيل ، والجمع أحجار وحجورة وحجور.

رسـل الــمـوت !

من أسـاطير السـابقين أن أحـد الرجال صادق ملك الموت ، فكان إذا جاءه يسألـه الرجل : أزائرًا جئت أم قابضًا ؟ فيقول الملك : جئت زائرًا .

وفي يوم قال الرجل لملك الموت : أسألك بحق الصـداقة أن تـرسل لي رســــولاً حين يحين أجلي يخبرني بقدومك لقبض روحي . فقال الملك : لك هذا .

ثم هبط ملك الموت يـومًـا على الرجل ، فقال الأخير : لعلك جئت زائرًا ؟ فقـال : بل قـابضًـا ، فقـال الـرجل : أمـا سـألتك أن تـرسل لي رسـولاً يخبرني بـذلـك ؟ فقـال ملك الموت : قد فعلت ! فقـال : لم يأتني رسـولك . قال بـل أتاك . . تقـوّس قامتك بعـد استقامتهـا ، وابيضاض شعرك بعد سواده ، وارتعاش صوتك بعـد ثباتـه ، وضعفك بعد قـوتك ، وذهاب بصرك بعد حـدته ، ويأسك بعـد أملك . طلبتَ رســولاً واحـدًا فأرسلت إليك عـدة رسل . فما بالك تلومني ؟ !

ويـأتيـك بـــــالأمثـــــال

أَكْرَمُ مِنْ خَصْلَتَي الضَّبع

يُضرب مثلاً للأمرين ما فيهما حظ يُختار.

وأصل ذلك ـ فيما تـزعم العرب ـ أن الضبع صادت مـرة ثعلبًا ، فلما أرادت أن تأكله قـال الثعلب : مُنّي عَلَيَّ أُمَّ عامرٍ . فقـالت الضبع : قد خيرتك يـا أبا الحصين بين خَصْلتين ، فاختر أيهما شئـت . فقال الثعلب : وما هما ؟ فقـالت الضبع : إمـا أن آكلك ، وإما أن أمـزقك ! فقـال الثعلب : أما تـذكرين ــ أم عامـر ـ يـوم لقيتك بهوب دابر؛ (أرض غلبت الجــن عليها) فقـالت الضبع : متى ؟ وانفتح فوها ، فأفلت الثعلب؛ وضربت العرب بخصلتيها المثل فقالوا : عَرَض عليّ خصلتي الضبع ، لما لا خيار فيه .

كندي بالاسم فقط

في نيـو مكسيكـو ينبع نهر تجري مياهه عبر ولايتي تكساس وأوكلاهوما إلى ولايــة أركنســاس في الــولايـات المتحدة الأمـريكية ، ويسمـى «النهر الكندي» رغـم أنه لا يقترب البتة من كندا .

تجدد الخلايا

يتركب جسم الإنسان حسب ما قدّره العلمـاء من ٦٠ بليون خلية ، يمـوت منها في كل ثـانية ٥٠ مليـون خلية ليولد مكـانها عدد مماثل ، وهو ما يعرف بتجدد الخلايا .

○ ○

النـــاس ثـــلاثـــة

قـال أيوب بن القـرية : النـاس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفـاجر.

فالعاقل الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والـرأي الحسن سجيته ، إن سئل أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن حدث روى .

وأمـــا الأحمق فـإن تكلم عجل ، وإن حدث أخطأ ، وإن استنـزل عن رأيه نزل ، وإن حمل على القبيح حمل .

وأما الفاجر فإن ائتمنته خانك ، وإن حـدثته شـانك ، وإن وثقت بـه لـــم يـرعـك ، وإن استكتم لـــم يكتم .

الإخـــوان ثـــلاثـــة

قـال المأمون : الإخـوان ثلاثة : أخ كالغذاء يُحتاج إليه في كل وقت ، وأخ كالدواء يُحتاج إليـه أحيانا ، وأخ كالداء لا يُحتاج إليه أبدًا !



جزء من السوق جنـوب قصر الحكم ، بمدينة الرياض ، ويبدو إلى اليســار أحد أبراج القصر الجنوبية قبل نهاية سور القصر من الجهة الجنوبية الغربية ، ٧١/ ١٣٧٤ هــ ـ ٥٢/ ١٩٥٥م .

جوار الكريم

يُروىٰ أن رجلاً كان جارًا لأبي دلف في بغداد، فأدركته حاجة وركبه دين فادح، حتى احتاج إلى بيع داره، وطلب ألف دينار ثمنًا لها، فقالوا له: إن دارك لا تساوي أكثر من خمسمائة دينار. فقال: أجل، ولكنني أبيعها بخمسمائة، وأبيع جوارها بخمسمائة أخرى. فبلغ القول أبا دلف، فأمر بقضاء دينه ووصله وواساه، وصدق الشاعر إذ يقول:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جارًا هناك ينغصُ

فقلت لهم: كفّوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخصُ

من فكاهات حفني ناصف

عُرف الأديب حفني ناصف (١٨٦٠ - ١٩١٩م) بظرفه وسرعة بديهته. وله الكثير من المواقف الساخرة والفكاهات التي تروىٰ عنه.

ومن ذلك أن رجلاً أتاه يومًا ودفع إليه بورقة بها بعض أبيات الشعر استهلها بقوله:

جارت عليّ الليالي في تصرفها

وأغرقتني في لج من المحن

ثم طلب في البيت الثاني المساعدة، وكان الشهر في آخره. فكتب حفني على الورقة نفسها:

يكاد شِعْرُكَ يبكيني ويضحكني

ولم أزل ساخرًا من ظنك الحسنِ

فاقبل عطائي بلا شكر ولا غضب

فليس والله في جيبي سوى «شلنِ»

أول من احترف الأدب

كان الشاعر اليوناني سيمونيديس (٥٥٦ - ٤٦٧ ق. م) من جزيرة خيوس اليونانية أول كاتب يطلب أجرًا عما يكتبه، وينالـه، وبذلك يكون أول من احترف الأدب والكتابة واعتبرهما موردًا للرزق، فجعل الأدب حرفة.

وقد ظل طوال ثلاثة وخمسين عامًا متتالية أميرًا لشعراء الإغريق.

كسالى

نام قوم كسالى يومًا تحت شجرة إجاص، فتعاهدوا فيما بينهم أنهم إذا سقط في أفواههم شيء أكلوه، وإلا فلا!

فسقطت إجاصة إلى جانب أحدهم، فقال الذي يليه: ضعها في فمي. فأجابه الأول: لو استطعتُ أن أضعها في فمك لوضعتها في فمي!

كلمات عبورية



اختراع آلات التصوير سبق اختراع آلات التسيير، فأتيح لنا أن نرى مدننا القديمة كما كانت قبل ميلادنا سجلها مصورون محترفون. ونحتاج الآن إلى تاريخ ناطق بالصورة، كما أن عندنا تاريخًا ناطقًا بالحرف المكتوب. فيصبح عندنا تاريخ بالصورة والصوت والمكتوب.

ولما اخترعت السيارات بدأت تحل محل الخيول والجمال والحمير شيئاً فشيئاً. حتى إذا خلت المدن من وسائل النقل القديمة والحمار على رأسها، بدأت المصنوعات تطالب بتغيير وجه الأرض. فأصبح الزقاق القديم يستوطن بيوتاً كثيرة، حل محلها، وبدأت مستوطنات السيارات تصبح شارع الثلاثين وشارع الأربعين وشارع الستين والسبعين والثمانين، وكلما زادت حرية السيارات في الحركة طردت المزيد من المنازل، ومن ثم اضطرت المنازل لمنازلة السيارات بالعمارات الشاهقة، فأصبحت مدننا شوارع واسعة وعمارات ضخمة. ومع ذلك انتصر المتحرك على الساكن وهزمت السيارات العمارات، وكان من لطف الله أن منعت سلطات المرور دخول السيارات إلى مكة خلال موسم الحج الأخير. فكان حجًا هادئا مريحا بالمقارنة مع ليلة ٢٧ رمضان الماضي، الذي بلغت السيارات فيها من الكثرة أنها لم تستطع أن تتحرك إلا بصعوبة، فوصلت إلى درجة السكون بلا حركة.

إنه لا يكفي تغيير وجه الأرض لكي تتسع للمزيد من السيارات، بل لا بد من التوعية بحسن الخلق حتى نستطيع أن نحيا. ذات يوم مر كلب بجوار أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله فطرده تلاميذه، فقال لهم: إن للكلب حقًا في الطريق!

السائق الذي يقطع إشارة المرور دون أية شبهة يحتاج إلى دورة في حسن الخلق. فلنفرض أنه مستعجل يريد أن يلحق بطائرة على وشك أن تقلع. إن هذا ليس عذراً في قطع إشارة حمراء، فالسائق الآخر الذي له الإشارة الخضراء يسير آمنا، وبغتة يضطر للوقوف فيصدمه من ورائه سائق آمن آخر ما كان يعلم بقطع الإشارة الحمراء من السائق الأول. ويلحق السائق الأول بالطائرة قبل إقلاعها لكن على حساب سائقين آخرين وربما أكثر، وربما مات من مات ونزف من نزف، وتعوق من تعوّق.

لقد تغيرت المدن القديمة من أجل استيعاب آلات التسيير هذه، وطرد الحمير من شوارعنا، وصرنا متمدنين متحضرين في تغيير وجه الأرض. ولكن موتانا من ضحايا المرور يموتون عدوانًا وظلما بسبب قلة أخلاق بعض سائقي هذه المصنوعات الجديدة التي تحتاج إلى توسيع الصدور، إلى انتظار دقيقة أو عشر دقائق إذا اقتضى الأمر كي لا نتسبب في إزهاق أرواح الأبرياء.

وهناك كلمة مهمة لابد من أن تسمعها السيدات الكريمات في مجتمعنا. فلانة عندها سيارة وسائق، وهذه فلانة لها احتياجات معينة، لنفرض أنها عشرة مشاوير في اليوم الواحد كحد أقصى، لكن بعض النساء لهن خالات وأخوات وصواحب ليس عندهن سيارات، أو يرفض أزواجهن أداء حاجاتهن من منزل إلى آخر، فتتصل هذه وتلك تريدان السائق، ويذهب السائق إلى منازل عديدة.

والنتيجة أن السائق الواحد يصبح عاملاً لأربع نساء على الأقل. وبدلاً من المشاوير العشرة يضطر لإداء أربعين مشوارًا في اليوم. وفي ذلك إرهاق شديد يؤدي إلى السرعة، إلى عدم السيطرة على أعصابه، إلى النعاس، إلى الحوادث. ومن يدري؟ ربما انتحر بعض السائقين غير المسلمين، وقتل أثناء انتحاره بعضًا منا.

لقد مضى أكثر من نصف قرن على استخدام السيارات، وكان ضحاياها كثيرين على أيدينا وأيديهن. خسرنا أحبابًا وإخوانا برغم الطرق الواسعة، برغم التضحية بمنازلنا القديمة، برغم تغيير وجه الأرض، برغم تلوث البيئة بأدخنة العوادم.

رغم كل التضحيات لا غنى عن تحسين الأخلاق.

محمد علي الجفري

أحكام العبادات



تأليف د. إبراهيم محمد سلقيني. الكتاب عبارة عن أبحاث في قسم العبادات من الفقه الإسلامي، سار فيها المؤلف على المذهب الحنفي. مع المقارنة بالمذاهب الثلاثة الأخرى.

يتكون الكتاب من مقدمة ثم ملخص للبحث، وفي القسم الأول يقدم لنا المؤلف تحت عنوان «المقدمات» تعريفًا للفقه لغة واصطلاحًا وموضوعًا، موضحًا سعة الفقه الإسلامي وصلته بالحياة، ثم يعرج إلى الحديث عن مراتب الفقهاء واصطلاحات الفقه والفتوى.

وفي القسم الثاني يتناول الوسائل وهي الطهارات، موضحًا أحكامها وسننها ونواقضها وما يهم المسلم بهذا الشأن من تفصيل وأحكام، ثم ينتقل إلى المقاصد، وهي العبادات، فيوضح مكانتها وخصائصها وشرعيتها وأوقاتها وأسباب وجوبها وأحكامها ونحو ذلك من المعلومات التي تهم المسلم، ويختتم بحديث عن فضل زيارة مسجد الرسول ﷺ وحكمه، ويقدم ملحقًا مصوّرًا لبعض مناطق المشاعر موضحًا به المعلومات الخاصة، وآخر به معلومات عن المسافات بين مناطق المشاعر وبينها وبين جدة، ويورد في آخر الكتاب فهرسًا بأسماء المراجع.

صدر الكتاب عن مكتبة النهضة في حلب بسورية ويقع في ٥٨٧ صفحة من القطع الوسط.

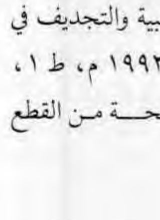
الأبراج تراث وتاريخ



كتاب مصور باللغتين (العربية والإنجليزية) جمع مادته وأعده للنشر أحمد حسن الخرخور، وهو محاولة للتعريف بالحصون والقلاع والأبراج في إمارة رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة، مع تصنيفها وتحديد الوظيفة التي أنشئت من أجلها والمواد التي بنيت بها، وغير ذلك من المعلومات المفيدة لدراسة تراث الدولة على مدى تاريخها القديم وإعطاء صورة أنواع الطرز المعمارية التي عُرفت فيها. ويختتم المعدُّ الكتابَ بتقديم خارطة توضح مواقع الأبراج والحصون داخل إمارة رأس الخيمة.

صدر الكتاب عن جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف في رأس الخيمة عام ١٩٩٢ م، ط ١، ويقع في ١١٥ صفحة من القطع الوسط.

ويبقى الأمل

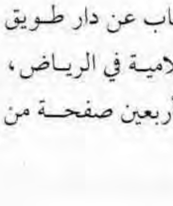


يحاول الأستاذ عبد العزيز عبد الرحمن الشايع من خلال كتابه المعنون بهذا الاسم أن يسهم في محاربة المخدرات من خلال تقديم ثلاث عشرة قصة مثيرة عن متعاطِيّ المخدرات، تتناول حالات مختلفة من الإدمان، وكيف تحول أصحابها من أناس طبيعيين محترمين وناجحين إلى شخصيات ذبحت كرامتها، وامتهنت إنسانيتها، وحطمت حياتها تحت وطأة ذلك الداء الوبيل.

وأراد الكاتب من خلال هذه القصص والنماذج أن يقدم رادعًا لبعضهم، ونصيحة لبعضهم الآخر، من أجل تجنب مواقع الزلل ومناطق الشبهات.

صدر الكتاب عن دار طويق للخدمات الإعلامية في الرياض، ويقع في اثنتين وأربعين صفحة من القطع الصغير.

الشافي في العروض والقوافي



تأليف د. هاشم صالح منّاع، ويرمي الكتاب إلى تقديم نبذة لطلاب المعرفة عن علم العروض وواضعه ومصطلحاته. وقسّمه إلى مقدمة شرح فيها خطة الكتاب، وتمهيد عرض فيه نبذة عن حياة الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤسس علم العروض. وأسباب وضعه لهذا العلم.

ثم ينقسم الكتاب بعد ذلك إلى قسمين تناول المؤلف في أولها التقطيع العروضي، وطريقة الكتابة العروضية، والأسس التي تقوم عليها القصيدة، وألقاب الأبيات من حيث العدد والأجزاء، والدوائر العروضية والبحور سواء المستعمل منها أو المهمل، وعزز ذلك بالشواهد، وذيل القسم بجداول توضح الزحافات والعلل والبحور التي تدخلها.

ويشتمل القسم الثاني على علم القوافي، وفيه تناول حروف القافية، والحروف التي لا يصح أن تكون رويًّا، وحركات حروف القافية ونوع القافية وأسماءها وحدودها، ثم أوضح عيوب القافية مدعمة بالشواهد، وأثبت في النهاية جداول بمصطلحات علم القوافي وملحقًا خاصًّا بفنون الشعر، كما ثبت المصادر والمراجع التي يمكن أن يرجع إليها من يرغب في زيادة التحصيل.

يقع الكتاب في ٢٩٦ صفحة من القطع الوسط، وصدر على نفقة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في إمارة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة.

اليابان لم تقل لا: صراع المستقبل بين الكبار



تأليف شنتارو إيشهارا، ترجمته إلى اللغة العربية هالة العوري، يتحدث الكتاب عن الانتفاضة الاقتصادية والصناعية للعملاق الياباني بعد الهزيمة العسكرية المريرة في الحرب العالمية الثانية حتى صارت اليابان تغزو بلاد الذين هزموها وتحرجهم اقتصاديًّا في عقر دارهم.

يتكون الكتاب من مقدمة بقلم المترجمة تحدثت فيها بإيجاز عن نهضة اليابان رغم كل الصعوبات ملمحة

إلى أن الإرادة والعزيمة تقهر المستحيل. يلي تلك المقدمة استهلال الطبعة الأمريكية بقلم الناشر الأمريكي تحدث فيها عن المؤلف (الكاتب) وهو روائي ومخرج مسرحي بارز، وألمح إلى ما أثاره الكتاب من ضجة في الولايات المتحدة الأمريكية حتى إن مركز الأبحاث والدراسات التابع لوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) قام بإصدار نسخة مترجمة من الكتاب دون ترخيص من المؤلف. وهناك مقدمة بقلم المؤلف شخصيًّا تحدث فيها عن دوافع ترجمته لكتابه إلى اللغة الإنجليزية ومنها حادثة طباعة البنتاجون لنسخة مسروقة.

ينقسم الكتاب إلى جزءين وخاتمة، ويضم الجزء الأول خمسة فصول هي: نحو وعي قومي جديد، التعصب العنصري، المجحف.. من يكون؟، لنقف في وجه التهديد الأمريكي، والأمن القومي وعصر الباسفيك.

أما الجزء الثاني فيتضمن ستة فصول بعنوان: اليابان والولايات المتحدة شريكان أم سيد وعبد؟، أيها الأمريكيون انظروا في المرآة، نعم لأمريكا، اليابان وأمريكا لاعبا الخط الأمامي، لننظر قدمًا إلى أوروبا وآسيا، وجدول أعمال لأمريكا، ويختتم المؤلف كتابه بحديث عن زيارته لواشنطن لتصحيح اللبس الذي أدت إليه ترجمة «البنتاجون» بما حفلت من أخطاء.

ويقع الكتاب في ١٤٨ صفحة من القطع الوسط، وصدر عن دار يافا للدراسات والأبحاث في القاهرة عام ١٩٩١م.

(راجع «نافذة على ثقافة الغرب» العدد١٩٦).

بين قوسين

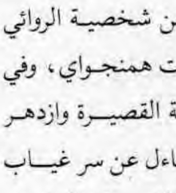


تأليف أحمد بادويلان، يتضمن مجموعة من المقالات في أغراض متنوعة: أدبية وإعلامية واجتماعية... إلخ، تعالج قضايا عامة.

ففي «الأديب يموت مرتين» ـ مثلاً ـ يعرف الكاتب قرّاءه على جوانب خفية من شخصية الروائي العالمي أرنست همنجواي، وفي «غابت القصة القصيرة وازدهر الشعر» يتساءل عن سر غياب كتاب القصة القصيرة وإنتاجهم الأدبي، وإذا ما كان الشعر قد سيطر على الساحة الأدبية أم لا.

وعلى هذا المنوال يسير الكاتب في مقالاته التي جمعتها وأصدرتها دار طويق للخدمات الإعلامية بالرياض في ٧٧ صفحة من القطع الوسط.

أضواء على البيئة



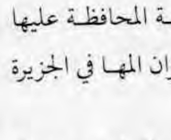
يهدف هذا الكتاب، الذي أعده الدكتور عبد الحكيم بدران، إلى التوعية بواقع البيئة وأهميتها، والممارسات الخاطئة التي ترتكب في حق البيئة وتعرضها إلى كوارث كثيرة مثل التصحر وتجريف التربة وتدمير الغابات واستنزاف الموارد وغير ذلك من الممارسات التي تؤثر سلبًا على البيئة.

يتكون الكتاب من خمسة فصول، تناول في أولها العالم الواحد الذي نعيش فيه، وكيف أن الحفاظ على البيئة مسؤولية جماعية، وتحدث في الفصل الثاني عن تدهور البيئة، وزيادة السكان واستنزاف الموارد، وحدد في الفصل الثالث أنواع التلوث ومصادره مثل تلوث: الهواء والمياه والتربة، وحذر في الفصل الرابع من القضاء على الحياة الفطرية، وتأثير إزالة الأحراج والكيماويات على الحياة الفطرية، ثم عرض لكيفية المحافظة عليها وتجربة توطين حيوان المها في الجزيرة العربية.

واختتم المؤلف كتابه بحديث عن دور الجماعات والأفراد في المحافظة على البيئة عارضًا الموقف في العالم النامي بعامة وفي دول الخليج العربية بخاصة، وألحق بآخر الكتاب قائمة بمراجع الموضوع.

صدر الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي بالرياض في ١٢١ صفحة من القطع المتوسط عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

من رحيق الكتب



تأليف عبد الله سالم الحميد، الكتاب في مجمله عبارة عن قراءات في الكتب خرج منها المؤلف بأكثر من فائدة وأراد أن يشاركه قارئه فيما خرج به، ولا يكتفي بذلك بل يقدم بفكر مستنير رؤى في التراث الفكري والأدبي القديم والحديث.

ففيما يبدأ بقراءة في الإبداع القصصي تتلوها قراءة في الإبداع الروائي نجده يبحر بقارئه إلى رحلة في أثر المتنبي، ومنها ينطلق ليصطحب الشاعر عبد الله بن إدريس في ديوانه «في زورقي»، ويطل بقراءة حديثة لفكر المفكر الإسلامي الجزائري الراحل مالك ابن نبي الذي كان من أبرز المنادين بالأصالة. ثم يناقش موضوع الفصحى ونظرية الفكر العامي، ويجول بين «البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية» و«إنسانية الإسلام» حتى يصل إلى تقديم نصوص قرآنية في النفس الإنسانية.

والكتاب بموضوعاته متنوع، ولغته سهلة ممتنعة ولا يميل صاحبه إلى إطلاق الأحكام الكلية، وإنما التمعن في الأثر، ومن ثم الخروج برؤية تزواج بين التراث والمعاصرة، بين القيم الأصيلة وجدية العصر.

يقع الكتاب في ١٢٥ صفحة من القطع الوسط، وصدر عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر في الرياض.

■ ■

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

• أجوبة مسابقة العدد (١٩٨) •

ج ١ : وردت هذه الأفعال الثلاثة في حديث الرسول ﷺ، الذي رواه البخاري ومسلم، قال: «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلاّ بإحدى ثلاث: الثّيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

□ □ □

ج ٢ : يحرم أداء زكاة الأموال إلى ستة أصناف من الناس، نذكرهم جميعًا لتمام الفائدة، وهم: ١ ـ الكفرة والملاحدة: وهذا ما اتفق عليه الفقهاء. ففي الحديث: «تـؤخذ من أغنيائهم، وتُردُّ على فقرائهم». والمقصود بهم أغنياء المسلمين وفقراؤهم دون غيرهم.

٢ ـ بنو هاشم: وهم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، وآل الحارث، قال ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس» واختلف العلماء في بني المطلب، فذهب الشافعي، وابن حزم، ورواية عن أحمد: إلى أنه ليس لهم الأخذ من الزكاة، مثل بني هاشم؛ لقول النبي ﷺ: «إنا وبني المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبّك بين أصابعه». وكما تحرم الصدقة على بني هاشم، تحرم كذلك على مواليهم، لقوله، ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لنا، وإن موالي القوم من أنفسهم».

٣ ـ الآباء، ٤ ـ الأبناء: فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز إعطاء الزكاة إلى الآباء والأجداد، والأمهات، والجدات، والأبناء، وأبناء الأبناء، والبنات وأبنائهن، لأنه يجب على المزكي أن ينفق على آبائه وإن عَلَوْا، وأبنائه وإن نزلوا. كما أن ابن تيمية يرى أنه يجوز دفع الزكاة إلى الوالدين، إذا كان لا يستطيع الإنفاق عليهما وكانا هما في حاجة إليها.

٥ ـ الزوجة: فقد قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الرجل لا يعطي زوجته من الزكاة، لأن نفقتها واجبة عليه، فتستغني بها عن أخذ الزكاة.

٦ ـ صرف الزكاة في وجوه القُرب: لا يجوز صرف الزكاة إلى القُرَب التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى غير ما ذكر في آية: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين». فلا تدفع لبناء المساجد والقناطر، وإصلاح الطرقات، والتوسعة على الأضياف، وتكفين الموتى، وما أشبه ذلك.

□ □ □

ج ٣ : هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. حكيم قريش وعالمها. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأتقنها، وألف فيها رسائل. بويع بالخلافة بعد موت أبيه، فأقام فيها ثلاثة أشهر، ثم تخلّى عنها لينصرف إلى العلم. يقال إنه أول من نقل إلى العربية من لغة أخرى، إذ أمر بإحضار فلاسفة يونانيين ينزلون مصر وقد تفصّحوا بالعربية، ثم كلّفهم نقل الكتب من اليونانية والقبطية إلى العربية، فترجموا كتبًا في الطب والنجوم والكيمياء.

□ □ □

ج ٤ : في ٢١ أكتوبر ١٨٠٥م، استطاع الأسطول البريطاني بقيادة الفيكونت هوراشيو نلسون (١٧٥٨ ـ ١٨٠٥م)، أن يلحق هزيمة مدمرة بالأسطول الفرنسي والإسباني، في معركة سميت بالطرف الأغر؛ وهو رأس يقع على ساحل إسبانيا الجنوبي الغربي، على مقربة من شمال غربي ساحل مضيق جبل طارق.

كان نلسون قائدًا بحريًا شهيرًا له تاريخه المجيد، منذ قضى على الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية (١٧٩٨م)، وتوالت انتصاراته بعد ذلك، إلى أن جاءت معركة الطرف الأغر التي دمّر فيها الأسطولين الإسباني والفرنسي، وأسر عشرين سفينة؛ في حين لم يفقد هو سفينة واحدة؛ في مناورات من أروع ما عرف في التاريخ البحري؛ إلا أنه جرح في هذه المعركة جرحًا مميتًا أدى إلى مصرعه.

□ □ □

ج ٥ : تسجيل الصوت، عملية تحويل طاقة سمعية لموجات الصوت إلى طاقة كهرو ـ ميكانيكية لحفرها على مواد مختلفة، وفي التسجيل على قرص تحول ترددات موجات الصوت إلى جهود كهربية تكون سببًا في تذبذب سن مدببة تحفر في قرص ليّن يدور تحتها. وتختلف هذه الحُفَر باختلاف سعة الجهود وترددها. ويستخدم القرص اللين عجينة لعمل طبعة معدنية يعمل منها أقراص أكثر تحملاً وبقاءً. عند سماع التسجيل يدور القرص، بينما تتحرك إبرة في هذه الحُفَر وتوصل الذبذبات إلى غشاء، وتولّد ذبذبات هذا الغشاء جهودًا كهربية تتحول مرة أخرى إلى موجات صوتية توصل إلى مكبر للصوت. في حالة التسجيل السلكي أو الشريطي، تسبب الاضطرابات في مجال مغناطيسي إعادة ترتيب الجزئيات المغناطيسية للسلك أو الشريط الذي يمر خلال المجال، وبإعادة إدارة السلك تؤثر الجزئيات المرئية مرة أخرى في المجال، وتولّد جهودًا كهربية. أما التسجيلات الصوتية المصاحبة للرسوم أو الصور المتحركة فتعمل عادة على أفلام، وتترجم الخواص السمعية للصوت إلى خواص ضوئية.

• نتائج مسابقة العدد (١٩٨) •



أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، فايز توفيق عبد الحميد رمضان، الإسكندرية ـ مصر.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، ثامر عبير، المسيلة الجزائر.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، قاسم بن العربي الحيمر، الدار البيضاء ـ المغرب.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ محمد قاسم محيي الدين حسن، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ صبحي أحمد إبراهيم، حلب ـ سورية.

٣ ـ طه محمود حسين الدوايمة، عمّان، الأردن.

٤ ـ ميلود عريوة، المسيلة ـ الجزائر.

٥ ـ ناصر محمد سليمان العويِّد، الرّس ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ خديجة بنت إدريس السنوسي، فاس ـ المغرب.

٢ ـ عثمان السيد الدسوقي، الغربية ـ مصر.

٣ ـ الحبيب بن علي بن فرج الحمامي، سوسة ـ تونس.

٤ ـ عباس بابكر الأمين عبد الرحمن، بور تسودان ـ السودان.

٥ ـ علي محمد علي الفران، صنعاء ـ الجمهورية اليمنية

٦ ـ إبراهيم عودة أبو صعيليك، الزرقاء ـ الأردن.

٧ ـ سيف حسين محمد الحربي، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٨ ـ بحرية بنت علي العلي، حلب ـ سورية.

٩ ـ محمد عماد محمد أنور، القاهرة مصر.

١٠ ـ عادل صالح الأحمدي، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ أحمد السيد أحمد العباس، أم درمان ـ السودان.

٢ ـ آمال خالد بدوي الفرواتي، الطائف ـ المملكة العربية السعودية.

٣ ـ عطيات مصطفى إمام، الدوحة ـ قطر.

٤ ـ شاهر عبد المجيد الأحمد، إسلام آباد ـ الباكستان.

٥ ـ البشير بن سالم بلحاج، مدنين ـ تونس.

• أسئلة مسابقة العدد (٢٠١) •

السؤال الأول:

علّمنا رسول الله ﷺ إذا أصابت أحدنا مصيبة أن يسترجع، وبيّن لنا أنّ للاسترجاع ثوابًا. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

□ □ □

السؤال الثاني:

يشنُّ العالم حروبًا ضارية ضد المخدرات بأنواعها لمنع زراعتها وترويجها وتعاطيها؛ لكن حربًا نشبت بين دولتين لامتناع إحداهما من استيراد الأفيون من الأخرى. متى وقعت هذه الحرب، وبين من؟

□ □ □

السؤال الثالث:

كان اختراع المسدس ذي الخزانة (الساقية) نقطة تحوّل في تاريخ الأسلحة النارية، وقد نُسب هذا المسدس إلى مخترعه بالاسم. فمن هو؟

□ □ □

السؤال الرابع:

على الرغم من أنه أحد الملوك الذين شاركوا في الحملات الصليبية، وقاد حملتين منها، وبالرغم مما سببته تلك الحروب من الخراب، إلا أن قومه يلقبونه بالوَرِع، أو القديس. من هو، وأي حملتين قاد في الحملات الصليبية التي بلغت تسعًا؟

□ □ □

السؤال الخامس:

يعرف الناس خيوط الصوف التي تصنع منها الثياب؛ لكن معدن «الصلب» له «صوفه» أيضًا؛ ففيم تستخدم هذه المادة؟

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم: نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

☐ أيام ثقافية سعودية في لندن.

☐ وقف تدريس «الشيخان» و «كفاح طيبة» في المدارس المصرية.

☐ مهرجان جرش: غياب دولي وحضور عربي محدود.

☐ توقف جائزتي «يوسف الخال للشعر» و «الناقد للرواية».

☐ اتفاقية أوروبية لحماية حقوق نشر المتوفين.

السعودية ▼ أيام ثقافية في لندن



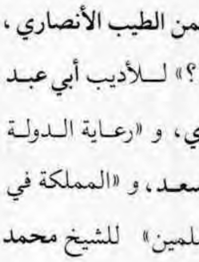
الأمير فيصل بن فهد

تنظم الجمعية العربية للثقافة والفنون اعتبارًا من ٨ ربيع الأول الجاري ١٤١٤هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٩٩٣م **أيامًا ثقافية سعودية في لندن.**

وأوضح صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل ابن فهد بن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب أن هناك **برنامجًا يستمر عامًا قد أعد لهذا الغرض،** يهدف إلى إبراز الوجه الثقافي للمملكة ودورها الرائد في خدمة الحضارة الإسلامية والعربية، حيث يتضمن محاضرات متنوعة ومعرضًا للكتاب وآخر للفنون التشكيلية.

ومن المحاضرات التي يتضمنها البرنامج في مرحلته الأولى: «الحركة الأدبية في السعودية» للدكتور **منصور الحازمي**، و «المكتشفات الأثرية والإعلام» للدكتور **عبد الرحمن الطيب الأنصاري**، و «كيف يموت العشاق؟» للأديب **أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**، و «رعاية الدولة للشباب» للأستاذ **عثمان السعد**، و «المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين» للشيخ **محمد العبودي**.

مجلة علمية لأبحاث الإعاقة



الأمير سلطان بن سلمان

قرر مجلس أمناء **مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة** التابع للجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين في اجتماع عقد - مؤخرًا - برئاسة صاحب السمو الملكي **الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز** رئيس الجمعية والمجلس - إصدار **مجلة علمية نصف سنوية، ونشرة دورية خاصة** تتناول نشاطات المركز.

ينتظر أن تكون المجلة علمية محكمة، بحيث تنشر البحوث العلمية والدراسات التي يقوم بها المركز والمراكز البحثية في مختلف أنحاء العالم حول الإعاقة، فيما تتناول النشرة الجوانب المختلفة لنشاطات المركز والمستجدات في مجال عمله بأسلوب سهل مبسط.

المتحف الوطني في الرياض

أشرفت التصميمات النهائية لمشروع إقامة **المتحف الوطني المركزي** في الرياض على الانتهاء.

ويعد هذا المتحف **أكبر متحف يقام في المملكة العربية السعودية**، حيث يوثق لتاريخها وآثارها وموروثها.

وقال **د. حامد أبو درك** مدير إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف إن مساحة الأرض المقرر إقامة المتحف عليها تبلغ نحو **مائة ألف متر مربع**، وينقسم إلى قسمين: قديم وحديث.

ومن المنتظر أن يضم المتحف **القصور القديمة للملك عبد العزيز** - يرحمه الله - التي سيعاد ترميمها، وقطعًا أثرية عن الحرف والصناعات التقليدية والملبوسات والأزياء الشعبية، والأدوات الحربية والزراعية والمنزلية وأدوات البناء قديمًا، إضافة إلى قسم مستقل للقطع الأثرية التي يرجع تاريخها إلى نحو نصف مليون عام وحتى مائة عام خلت، وقسم خاص للطفل يعنى بتنمية مداركه وتعريفه بآثار بلاده وتاريخها.

ببليوجرافية وطنية

تستعد **مكتبة الملك فهد الوطنية** في الرياض لإصدار سجلاتها **في الببليوجرافيا الوطنية.**

تشتمل المجموعة على مختلف أنواع

المعلومات مثل الكتب والبحوث والتقارير والخرائط والرسائل الجامعية فضلاً عن التسجيلات السمعية والبصرية .

مسابقة لكُتّاب المسرح العرب

وجه قسم النشاط المسرحي بعمادة شؤون الطلاب في جامعة الملك سعود بالرياض الدعوة إلى **الكُتّاب المسرحيين العرب** للمشاركة في **مسابقة التأليف المسرحي** التي أعلن عنها مؤخرًا .

يشترط في الأعمال المشاركة أن تكون باللغة العربية الفصحى ، وأن **تعالج موضوعات إنسانية ، أو اجتماعية ، أو أحداثًا تاريخية** ، كما يشترط أن تكون هادفة وملتزمة بالقيم العربية والإسلامية ، وأن تكون خالية من الشخصيات النسائية ، وألا يكون النص مقتبسًا أو معدًا ، وأن لا تقل مدة تمثيل الفصل الواحد للمسرحية عن نصف ساعة أو خمس عشرة صفحة فولسكاب . وألا يكون قد سبق تمثيل النص أو الفوز بأية مسابقة أخرى ، وإذا فاز النص في مسابقة الجامعة تحتفظ وحدها بحق تمثيله أو طباعته أو نشره .

ودعت الجامعة الراغبين في الاشتراك إلى إرسال مشاركاتهم من أصل وصورتين على الآلة الكاتبة في موعد أقصاه ١٣ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ الموافق ٢٩/ ٩/ ١٩٩٣م .

ويذكر أن الجامعة خصصت ثلاث جوائز للمسرحيات ذات الفصل الواحد كالتالي : عشرة آلاف ريال ، سبعة آلاف ريال ، وأربعة آلاف ريال وثلاث جوائز للمسرحيات ذات الفصلين : خمسة عشر ألف ريال ، اثنى عشر ألف ريال ، تسعة آلاف ريال ؛ وثلاث جوائز للمسرحيات ذات ثلاثة فصول مقدارها : عشرون ألف ريال ، سبعة عشر ألف ريال ، وأربعة عشر ألف ريال .

متحف سكة حديد الحجاز

يعد حاليًا **لتحويل موقع سكة حديد الحجاز** في المدينة المنورة **إلى متحف إسلامي** يضم المباني التراثية بالمحطة .

ويذكر أن الخط كان يربط دمشق بالمدينة المنورة مرورًا بالأردن ، وأنشىء في العهد العثماني ، وكان من أوائل الخطوط الحديدية المنشأة في العالم .

قبول المشاركات لجائزة المدينة النبوية

أعلنت الأمانة العامة لجائزة المدينة النبوية عن البدء في تلقي **طلبات الترشيح لجائزة الخدمات العامة** لعام ١٤١٤ هـ في المجالات الآتية :

- التصميم المعماري لمشروع منطقة المدينة المنورة .
- الخدمات الاجتماعية .
- المرافق والخدمات العامة .
- النشاطات الاقتصادية .

وتحددت نهاية شهر رجب ١٤١٤ هـ المقبل آخر موعد لتلقي المشاركات .

وكانت أمانة الجائزة قد بدأت - مؤخرًا - في تلقي المشاركات **لجائزة البحث العلمي** لعام ١٤١٤ هـ ، وموضوعها : «الأسرة المسلمة في ضوء القرآن» ، ومن المقرر أن يغلق باب تلقي المشاركات في ١٥/ ٥/ ١٤١٤ هـ .

ويذكر أن مجلس الجائزة يترأسه صاحب السمو الملكي **الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز** أمير منطقة المدينة المنورة .

حلقة عن المنهجية في العلوم الإنسانية

أقامت كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض - مؤخرًا - الحلقة الرابعة من ندوتها السنوية «**المنهجية في العلوم الإنسانية وتطبيقاتها**» .

نظمت الحلقة تحت عنوان «**النظريات في العلوم الإنسانية وتطبيقاتها**» وتوزعت الأبحاث المقدمة إلى قسمين ، الأول : تناول أصناف النظريات في العلوم الإنسانية وضم ثلاثة أبحاث هي : «النظرية والبحث» للدكتور **سعود الصخيان** ، و «مأزق علم الاجتماع في العالم العربي» للدكتور **محمد سعيد فرح** ، و «نظرية التبادل الاجتماعي» للدكتور **عبد الله محمد الفوزان** .

أما القسم الثاني فتناول نماذج تطبيقية في العلوم الإنسانية ، وضم بحثين هما : «المنهج الكمي والحاسب الآلي في دراسة التاريخ» للدكتور **عبد الله إبراهيم العسكر** ، و «دوائر العروض : نظرية جديدة» للدكتور : **محمد سليمان إدريس** .

كتب جديدة

- **البدعة وأثرها في الدراية والرواية** ، تأليف الشيخ **عائض بن عبد الله القرني** ، صدر عن دار الطرفين في الطائف .
- **الرسول ﷺ والشعر** ، تأليف د . **نايف بن هاشم الدعيس** ، طبع بمطابع الرشيد في المدينة المنورة .
- **الدعاية : النظريات والتوجيهات الحديثة** ، تأليف د . **عثمان العربي** ، صدر عن مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع .
- **الإفصاح عن أحاديث مختار الصحاح** ، جمع وضبط وتوثيق **إبراهيم راشد إبراهيم الصغير** ، صدر عن مكتبة الراشد في الرياض ، ودار الزهراء في القاهرة .
- **هموم ثقافية عن المسيرة الأدبية في عسير** ، تأليف **علي حسن الأسمري** ، صدر عن دار مازن للطباعة بأبها .

الإمارات

جائزة أدبية

يبحث اتحاد كُتّاب دولة الإمارات وأدبائها

الحركة الثقافية

إنشاء جائزة في مجالات الأدب المختلفة لإثراء الساحة الثقافية، وتكريم كُتّاب الإمارات وأدبائها، والكُتّاب العرب المقيمين فيها.

ينتظر أن يتم منح الجائزة سنويًا لاثنين من مبدعي الإمارات، واثنين من المبدعين العرب المقيمين بالدولة، بحيث يمنح الفائز درعًا وشهادة براءة، وجائزة نقدية لم تحدد قيمتها بعد، وإن كان يتوقع أن تكون في حدود عشرة آلاف درهم.

من الكتب الجديدة

● **قبضًا على الجمر**، ديوان للشاعر شهاب غانم، صدر عن مؤسسة البيان التجارية في دبي.

البحرين — متحف حربي ومسرح في القلعة القديمة

تقرر تحويل قلعة الدفاع القديمة إلى متحف حربي يضم المعدات الحربية التاريخية في البحرين وكل ما يتعلق بتطور التاريخ العسكري للبلاد.

وستتم الاستفادة من الباحة الخارجية للقلعة بتحويلها إلى مسرح مفتوح يتسع لخمسمائة متفرج جلوساً مع خشبة عرض مزودة بكافة المستلزمات الضرورية.

عمان — ندوة الدراسات والبحوث

يقيم **المنتدى الأدبي العماني** في شهر نوفمبر المقبل ١٩٩٣ م ندوة «**الدراسات والبحوث**».

تهدف الندوة إلى تقويم نتاجات الشباب العماني، وأعمالهم في مجال الدراسات وتناقش العديد من الجوانب المتعلقة بالدراسات الدينية والأدبية والاجتماعية.

ينتظر أن يشارك في الندوة متخصصون من داخل السلطنة وخارجها.

ويذكر أن المنتدى يعد لاستضافة عدة ندوات ومحاضرات حول فكر الأديب العماني «**السرحني**».

قطر — الحكايات والألعاب الشعبية

يعمل مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدولة الخليج العربية على إنجاز **إصدارات خاصة بالأطفال تتضمن الحكايات والألعاب الشعبية في كتب مصورة** تساعد الطفل على التعرف على موروثاته الشعبية.

أول ما صدر في هذا الإطار كتاب «**الصبة**» من إعداد **علام عبد الله قائد**، حيث يقدم هذه اللعبة

محاضرات وندوات

● «**علاج الإصابات المهنية**» موضوع ندوة أقيمت في فندق شيراتون جدة، شارك فيها عدد من الأطباء المتخصصين في جراحة العظام من المستشفى السعودي الألماني.

● «**الصورة النمطية للشخصية الخليجية في الرواية الشعبية الأمريكية**» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالرياض د. **محمد ابن منصور أبا حسين**.

● «**أفلح من ثقلت موازينه**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الخليفي بالشرائع في مكة المكرمة الشيخ **عبد الله بن سعيد القحطاني**.

● «**حقوق الجار**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد المصموم بجبل النور في مكة المكرمة الشيخ **حامد المصلح**.

● «**د. جمال حمدان وشخصية مصر**» موضوع ندوة نظمها الصالون الثقافي في نادي الصيد المصري، وشاركت فيها د. **نعمات أحمد فؤاد** وأدارها د. **يحيى الجمل**.

● «**تعريف المثقف ودوره في نهاية القرن**» موضوع محاضرة ألقاها في هيئة الإذاعة البريطانية د. **إدوارد سعيد**.

● «الطفل التوحدي» عنوان محاضرة ألقتها في الجمعية الفيصلية الخيرية النسائية في جدة **سميرة السعد**.

● «**الإسلام والمسيحية**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز توعية الجاليات في الطائف **محمد عبد الله سامسون**.

● «**مفهوم الفن العربي بين الأصالة والمعاصرة**» عنوان ندوة أقيمت في صالة رضوى الفنية في جدة، شارك فيها عدد من النقاد والفنانين التشكيليين.

● **الذكرى الرابعة بعد المائة لميلاد العقاد**، كانت مناسبة لندوة نظمتها مؤخرًا دار الأوبرا المصرية وشارك فيها الدكاترة: **مصطفى الشكعة، بدوي طبانة، عبد اللطيف عبد الحليم، والكاتب أنيس منصور**، وأعضاء جمعية أصدقاء العقاد.

● «**مكافحة المخدرات**» موضوع ندوة نظمتها في القاهرة الجمعية المصرية للصحة النفسية، وشارك فيها عدد من أساتذة علم النفس.

● «**جرش ومشروع تراجان في روما**» عنوان ندوة نظمتها في عمان السفارة الإيطالية بالتعاون مع جمعية أصدقاء الآثار في الأردن، شارك فيها البروفيسور **جورجيو جوليني**.

● «**الاتجاهات الجديدة في الرواية والقصة ونقدهما**» موضوع ندوة نظمها في دمشق اتحاد الكتّاب العرب (جمعية القصة والرواية)

الشعبية التي تعتمد على الذكاء والتفكير مدعمة بصور حيّة تعبر عن المادة التعليمية للعبة وقوانينها.

ويذكر أن كلمة «الصبة» في اللعبة تعني الشئ الموضوع بالترتيب أو بالتنسيق.

الكويت كتب جديدة

● **الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله**، تأليف **علي صبري فرغلي**.

● **الهندسة الوراثية والأخلاق**، تأليف **ناهدة حسن سلمان البقصمي**. صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

● **الأندلس الثقافية**، تأليف **زكريا علي أفللكي وجاسمين كانتاروفيتش**، صدر عن لجنة العالم الإسلامي في الكويت.

مصر وقف تدريس «الشيخان» و«كفاح طيبة»

ذكرت أنباء القاهرة أن لجنة تدريس مناهج اللغة العربية التابعة لوزارة التربية والتعليم اتخذت قراراً بإلغاء تدريس كتاب «**الشيخان**» للدكتور **طه حسين** ورواية «**كفاح طيبة**» **لنجيب محفوظ** في المدارس المصرية، استجابةً لشكاوى وردت حولهما من أولياء الأمور والمدرسين لتضمن الكتاب الأول تشكيكاً في بعض القضايا والروايات الدينية، ولكون رواية محفوظ تتناول عهداً وثنياً هو العصر الفرعوني.

وقررت الوزارة بدلاً من الكتابين الملغيين تدريس كتاب «**شوقي شاعر العصر الحديث**»، للدكتور **شوقي ضيف**، ورواية «**الصقر الجرئ**» للكاتب **عبد السلام العشري**.

الأدب يواجه مشكلات المستقبل

تقيم كلية الآداب جامعة المنيا مهرجاناً ثقافياً في شهر ديسمبر المقبل حول دور الآداب والفنون والعلوم في مواجهة مشكلات المستقبل.

وسوف تخصص في إطار المهرجان حلقات بحثية وحوارات تتعلق بالمستقبل في مجالات اللغة والسياسة والاقتصاد وعلم النفس والاجتماع والفلسفة واللغة والأدب والفن.

يشارك في المهرجان عدد كبير من المفكرين والباحثين من السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة والبحرين وتونس والمغرب إضافة إلى مصر.

مشروع قانون بتعديلات لجائزة الدولة

أعدت وزارة الثقافة مشروع قانون لتقديمه إلى مجلس الشعب بزيادة قيمة جائزة الدولة التقديرية من خمسة آلاف جنيه إلى خمسين ألفاً، والتشجيعية من ألف إلى خمسة عشر ألفاً.

يتضمن مشروع القانون المقترح بنداً يمنع المسؤولين في الدولة من ترشيح أنفسهم للجائزة

بالتعاون مع المركز الثقافي العربي، وشارك فيها أدباء ونقاد من دول عربية مختلفة.

● أحيا الشاعر زاهي وهبة أمسية شعرية في مركز دار الندوة في بيروت. قدم الأمسية الشاعر **شوقي أبي شقرا**.

● «**المياه البيضاء**» عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الحمادي في الرياض د. **ديفيد أوين**.

● «**نشاطات لجنة التعويضات الناجمة عن حرب الخليج**» موضوع محاضرة ألقاها في منتدى التحكيم العربي ـ الأوربي السفير **إلزاموراً**.

● «**السعودية تعني الأعمال**» عنوان ندوة أقيمت في لندن على هامش معرض «صنع في السعودية» شارك فيها عدد من المسؤولين ورجال الأعمال والصناعة.

● نظم فرع جمعية الثقافة والفنون في الدمام **أمسية شعرية** شارك فيها الشاعر **عبد الله الزيد ومحمد عبيد الحربي**، والناقد د. **سعد البازعي**.

● «**تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية**» موضوع ندوة نظمتها في بروكسل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو) ورابطة العالم الإسلامي، وشارك فيها عدد من الدعاة والمتخصصين في اللغة العربية.

● «**حركة الاستشراق الألمانية وعلاقتها بالصحافة والإعلام**» عنوان محاضرة ألقاها البروفسور **جيرنوت رويتر**.

● «**تعليم اللغات في المهجر وعلاقته باللغة الأم لدى أبناء الجاليات الأجنبية في ألمانيا**» عنوان محاضرة ألقتها د. **ف. كوينج**.

● «**أساليب تعليم اللغة العربية بصورة حديثة واستخدام الوسائل المتطورة في هذا المضمار**» عنوان محاضرة ألقاها د. **فردينان تسميرمان**.

● «**أهمية اللغة العربية في إطار العلاقات الاقتصادية الأوروبية مع العالم العربي**» عنوان محاضرة ألقاها د. **أوتوبلا سمان**.

● «**دور اللغة العربية في إطار السياسة الألمانية الخارجية**» عنوان محاضرة ألقاها **راينهارد شلاجنتنايت**.

● «**مفردات العربية في مضمار تعليم اللغة العربية للأجانب**» عنوان محاضرة ألقتها د. **إنجلورة جولدمان**.

● «**كيفية النطق الصحيح في إطار تعلم اللغة العربية**» عنوان محاضرة ألقتها **كاترين بويتسن**.

ألقيت المحاضرات السبع السابقة ضمن ١٧ محاضرة على هامش المؤتمر الرابع لأساتذة اللغة العربية ومدرسيها في ألمانيا.

○ ○ ○

الحركة الثقافية

أو ترشيح جهات وهيئات أخرى لهم، ويجئ هذا البند بعد الضجة والاحتجاجات الكثيرة التي ثارت عقب إعلان فوز د. **عاطف صدقي** رئيس الوزراء، ود. أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب، و د. **علي لطفي** رئيس الوزراء الأسبق بالجائزة مؤخرا.

وفاة المستكاوي



نجيب المستكاوي

توفي في الأسبوع الأخير من شهر محرم الماضي ١٤١٤ هـ الصحافي والناقد الرياضي **نجيب المستكاوي** عن عمر يناهز ٧٥ عاماً إثر أزمة قلبية.

ويعد **المستكاوي** شيخ النقاد الرياضيين العرب، وبرغم ممارسته للكتابة الأدبية، إلا أن كتاباته الرياضية ظلت مصدر شهرته، إذ عُرف منذ بدأ العمل في القسم الرياضي في جريدة الأهرام عام ١٩٥٣ م بأسلوبه الساخر. وإليه ترجع معظم التسميات التي اشتهر بها رياضيو مصر. وقد ترأس المستكاوي القسم الرياضي في «الأهرام» وعمل بعد بلوغه السن القانونية للمعاش مستشاراً لرئيس تحريرها للشؤون الرياضية.

وكان عضواً في اللجنة الأولمبية المصرية لخمس دورات متتالية بين عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٨٠ م، وأميناً عاماً للجنة الأولمبية العربية عام ١٩٥٩ م، ورئيساً للاتحاد المصري للمصارعة، ورئيساً لاتحاد المعاقين من ١٩٨٣ ـ ١٩٩٠ م، وحكماً دولياً في ألعاب القوى، وترأس تحرير مجلة اللجنة الأولمبية، كما تولى السكرتارية العامة لمجلة «الشباب».

وهو حاصل على ليسانس حقوق عام ١٩٣٩ م، وله عدة مؤلفات منها ثلاثة كتب أدبية، وثمانية كتب أدبية مترجمة، وأربعة كتب رياضية للفتيان، وخمسة كتب رياضية مترجمة للأطفال، فضلاً عن كتابين ما يزالان تحت الطبع.

«أخبار الأدب»



جمال الغيطاني

صدرت في الأسبوع الأخير من شهر محرم الماضي ١٤١٤ هـ جريدة أسبوعية أدبية جديدة عن مؤسسة دار أخبار اليوم في القاهرة.

وتهتم الجريدة واسمها «أخبار الأدب» التي تصدر بحجم صحافة «**التابلويد**» بإبداعات الجيل الجديد من الأدباء والكُتَّاب، ويرأس تحريرها الأديب **جمال الغيطاني**.

وفاة القاص عبد الوهاب داود

توفي ـ مؤخراً ـ القاص عبد الوهاب داود بعد صراع مع المرض عن عمر يناهز ٦٢ عاماً.

ويعد داود من أبرز كتاب القصة القصيرة في مصر، إلا أنه مع ذلك لم ينل من الشهرة المكانة اللائقة بمستوى قصصه.

معرض لرموز الفن التشكيلي المصري



صبري راغب



أحمد فؤاد سليم

أقامت **جريدة الأهرام** في بهو مبناها الرئيسي **معرضاً تشكيلياً جماعياً** ضم نحو **خمسين من الأعمال التشكيلية المختلفة** (خزف ـ نحت ـ رسم) **لأربعين فناناً** يمثلون رموز الفن التشكيلي المصري بمراحله المختلفة بدءاً بالرواد وانتهاء بالشباب.

من أبرز الذين ضم المعرض أعمالاً لهم الفنانون: **صلاح طاهر، فاروق حسني، صبري راغب، عباس شهدي، أحمد فؤاد سليم، وحمدي صبري**.

أقدم مركب خشبي

اكتشفت بعثة أثرية مصرية في منطقة أبو صير بمحافظة الجيزة على بعد عشرين كيلو متراً من القاهرة **مركبًا خشبيًا** يعد الأقدم من نوعه في التاريخ حيث **يرجع إلى عصر الأسرة المصرية الأولى قبل خمسة آلاف سنة**.

وأرجعت مصادر علمية أهمية الكشف إلى كون المركب أقدم ما تم اكتشافه من المراكب الخشبية التي استخدمها المصريون ـ قديماً ـ في حياتهم اليومية، وأيضا لأغراض دينية حيث كان هناك اعتقاد أن الميت ينتفع بالمركب في حياته الأخرى لرحلاته وتنقلاته خاصة زيارة الأماكن المقدسة.

مسابقة تيمور للإبداع المسرحي

فتح ـ مؤخراً ـ باب تلقي المشاركات في **مسابقة تيمور للإبداع المسرحي**.

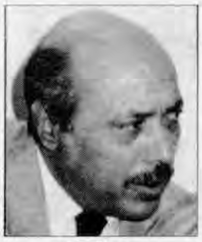
يشترط في الأعمال المرشحة ألا يكون قد سبق فوزها في مسابقات أخرى، وأن تصل في موعد غايته ١٦/ ٥/ ١٤١٤ هـ الموافق ٣١/ ١٠/ ١٩٩٣ م، وينتظر أن تعلن النتيجة في ١٤ رمضان المبارك ١٤١٤ هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٩٩٤ م.

أسبوع ثقافي ـ فني هندي

تستضيف مدينة القاهرة في مطلع العام الميلادي المقبل **أسبوعاً ثقافياً وفنياً هندياً**.

يتضمن الأسبوع عروضاً فلكلورية ومعرضاً للفن التشكيلي وآخر للأزياء الهندية التقليدية، إضافة إلى عروض سينمائية.

كتب جديدة


محمود السعدني

● **التربية الاقتصادية في الإسلام**، تأليف د. **عبد الغني عبود**، صدر عن مكتبة النهضة في القاهرة.

● **اليهود في مصر**، تأليف د. **قاسم عبده قاسم**.

● **في أصول التاريخ العثماني**، تأليف د. **أحمد عبد الرحيم**.

● **حماية المستهلكين في اقتصاد السوق**، تأليف د. **شريف لطفي**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الشروق في القاهرة.

● **الطريق إلى زمش**، تأليف **محمود السعدني**، صدر ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن مؤسسة دار أخبار اليوم في القاهرة.

● **سفر نامة**، تأليف **ناصر خسرو علوي**، ط٢، ترجمة وتحقيق د. **يحيى الخشاب**، صدرت ضمن سلسلة «الألف كتاب الثاني».

● **أيام في حضن الليل**، مجموعة شعرية **لحورية البدري**، صدرت ضمن سلسلة «إشراقات أدبية».

● **كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر**، تأليف **جاك كرابس جونيور**، ترجمة د. **عبد الوهاب بكر**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **الصيف الأخير**، تأليف **هيرمان هيسة**، ترجمة د. **محمد أحمد الجوادي**، صدرت ضمن سلسلة «جوائز عالمية» عن مؤسسة دار الهلال.

● **جيل ما بعد الحرب: من الشعر الإسباني المعاصر**، ترجمة وتقديم د. **طلعت شاهين**.

● **شيرين وخسرو**، تأليف **الأمير خسرو الدهلوي**، ترجمة ودراسة **عبد العزيز مصطفى بقوش**

صدر الكتابان السابقان عن دار سعاد الصباح في القاهرة.

● **الحرية وأخواتها**، تأليف **محمد عيسى الشرقاوي**، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف في القاهرة.

● **الشخصية العربية**، تأليف **السيد ياسين**، صدر عن مكتبة مدبولي في القاهرة.

● **اقتصاديات صناعة الصحافة**، تأليف د. **حسن توفيق حسن موسى**، صدر ضمن سلسلة «الأهرام الاقتصادي» عن مؤسسة الصحفيين.

● **الرواية الجديدة في مصر؛ دراسة في التشكيل والأيديولوجيا**، تأليف د. **محمد بدوي**، صدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

الأردن

مهرجان جرش للثقافة والفنون

شهد مهرجان جرش الثاني عشر للثقافة والفنون **غياباً دولياً**، و**حضوراً عربياً ضئيلاً** هذا العام حيث اعتذرت عدة فرق دولية عن المشاركة فيما واصل أدباء دول الخليج العربية تباعدهم عنه.

ضم المهرجان أمسيات شعرية وقصصية ومحاضرات وندوات وعروضاً فنية متنوعة، لعل أبرزها العرض المسرحي «**ملحمة جلجامش**»، كما تضمن مسرحاً خاصاً لبراعم الأطفال وعروضاً موسيقية وشعبية.

مؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

اختتمت - مؤخراً - في عمان أعمال **المؤتمر العام التاسع للمجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)** بعد أن استمرت ثلاثة أيام.

شارك في المؤتمر أكثر من **٧٥ عالماً إسلامياً من ٢٩ دولة، ناقشوا ١٨ بحثاً**.

وكان الموضوع الأساسي العلمي للمؤتمر بعنوان «**الإنسان ومستقبل الحضارة: وجهة نظر إسلامية**».

ملتقى للقصة القصيرة


د. علي الراعي

يقام خلال الفترة من ٥ - ٨ ربيع الأول الجاري ١٤١٤ هـ (٢٢ - ٢٥ أغسطس ١٩٩٣ م) **ملتقى عمان الثقافي للقصة القصيرة**.


أحمد المديني

يناقش الملتقى ستة **محاور**، **أولها**: القصة القصيرة الأردنية: النشأة والتطور، **والثاني**: القضايا الوطنية والقومية في القصة الأردنية، **والثالث**: القيم الاجتماعية والإنسانية في القصة الأردنية، **والرابع**: المؤثرات في القصة القصيرة الأردنية، **والخامس**: نقد القصة القصيرة الأردنية، **والسادس**: المرأة والقصة القصيرة.

تنظم الملتقى وزارة الثقافة ويشارك في أعماله مجموعة من النقاد والأدباء العرب، ومنهم د. **علي الراعي**، د. **شكري عياد**، **أحمد المديني**، **عبد الله أبو هيف**، د. **حسن عليان**، د. **نبيل حداد**، د. **إبراهيم الفيومي**، **يمنى السعيد**، **حسن دكروب**.

مؤتمر لتطوير العلوم الشرعية في الجامعات

تستضيف العاصمة الأردنية عمان خلال الفترة من ٧ - ٩ ربيع الأول ١٤١٤ هـ الجاري (٢٤ - ٢٦ أغسطس ١٩٩٣ م) مؤتمر «**علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والطموح**».

الحركة الثقافية

يشارك في تنظيم المؤتمر والإعداد له عدة مؤسسات وجامعات إسلامية إلى جانب جامعة فيلا دلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وتدور مناقشاته حول محورين: الأول: **علوم الشريعة: واقعها وضرورة تطويرها**، والثاني: **الخطط والبرامج الدراسية والطموح من خلال البرامج المقترحة من الباحثين.**

ينتظر أن يناقش المؤتمر أيضا حالة بعض الجامعات الإسلامية القديمة مثل الأزهر والزيتونة والقرويين، والجامعات الإسلامية الحديثة في المملكة العربية السعودية والخليج وماليزيا وباكستان، وموضوعات أخرى.

كتب جديدة

● **في القصة الإسلامية المعاصرة**، دراسة وتطبيق **محمد حسن بريغش**، صدر عن دار البشير في عمان.

لبنان كتب جديدة

● **قاموس أساطير العالم**، تأليف **آرثر كورتل**.

● **موسوعة النباتات الطبية**.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● **مجتمع الانتفاضة**، تأليف **د. أحمد الديك**.

● **مذكرات أدريان**، رواية **لمرجريت يورستار**، ترجمة **عفيف دمشقية**.

● **أنين الأعالي**، مجموعة شعرية **لوفاء العمراني**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الآداب في بيروت.

● **بيروت في التاريخ والحضارة والعمران**، تأليف **الشيخ طه الولي**.

● **إلغاء الطائفية: دراسة تحليلية وثائقية لتطور الطائفية السياسية ومستقبل إلغائها**، تأليف **د. إسكندر بشير**.

صدر الكتابان السابقان عن دار العلم للملايين في بيروت.

● **الحج قبل مائة سنة**، تأليف **عبد العزيز دولتشين**، حققه وقدم له باللغة الروسية **يُفيم ريزفان**، وصدر عن دار التقريب بين المذاهب في بيروت.

● **نقد الحقيقة**، تأليف **علي حرب**، صدر عن المركز الثقافي العربي في بيروت.

● **بودلير ناقداً فنياً**، تأليف **زينات بيطار**، صدر عن دار الفارابي في بيروت.

● **الحداثة والتراث: الحداثة بوصفها إعادة**

رسائل جامعية

● «**كتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليماني: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تقدم بها **محمد بن عبد الله زربان**.

● «**دراسات على التحولات البكتيرية للنيتروجين في بعض أراضي المملكة العربية السعودية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض - الأقسام العلمية، تقدمت بها **ليلى أحمد سالم نصر**.

● «**تركيب قشرة المخيخ**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها **سمر محمد عمر السقاف**.

● «**الأصوات: دراسة في ضوء القراءات الشاذة: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض - الأقسام الأدبية، تقدمت بها **نوال إبراهيم الحلوة**.

● «**الفروق بين الجنسين في نمط الشخصية العصامية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنيا في مصر، تقدم بها **فريج عويد العنزي**.

● «**بعض العوامل الاجتماعية والثقافية المحددة لمجالات عمل المرأة السعودية: دراسة على خريجات قسم الاجتماع في مدينة جدة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدمت بها **منيرة محمود سعيد فخري**.

● «**الأديب إبراهيم هاشم فيلالي: حياته وأدبه**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدم بها **خالد سالم جابر الديماوي**.

● «**مسند أبي داود الطيالسي، من بداية مسند جابر بن سمرة إلى نهاية مسند ثوبان: تحقيق ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **علي مختار محفوظ**.

● «**أحمد عبد الغفور عطار وجهوده الأدبية إبداعًا ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات في جدة، تقدمت بها **الشفاء عبد الله زيني عقيل**.

● «**الموطأ الصغير لعبد الله بن وهب من بداية الكتاب إلى نهاية كتاب الصوم: تحقيق ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية

تأسيس جديد للتراث، تأليف **عبد المجيد بوقربة**، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

● **أثر الخصوصية العربية في المجتمعات الإسلامية.**

● **أثر الخصوصية العربية في المعرفية الإسلامية.**

الكتابان السابقان من تأليف د. **رفيق العجم**، وصدرا عن دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت.

فلسطين

توقف صحيفة «الفجر»

بعد صدور استمر اثنين وعشرين عاماً أعلن - مؤخراً - عن توقف صحيفة **«الفجر»** الفلسطينية التي كانت تصدر في القدس الشرقية. وتعد **«الفجر»** ثاني صحيفة فلسطينية تتوقف في غضون الشهور الأربعة الماضية حيث سبقتها إلى التوقف صحيفة **«الشعب»** اليومية.

ولا تزال - حاليًّا - صحيفتان فلسطينيتان تصدران هما **«القدس»** وتطبع ثلاثين ألف نسخة، و**«النهار»** وتطبع ثمانية آلاف نسخة.

سورية

كتب جديدة

● **الحوار العربي الأوروبي**، تأليف د. **عبد المنعم زنابيلي**.

● **المرشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تأليف **محمد بن عمران المرزباني**.

صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة.

● **قصص من الخيال العلمي**، تأليف **عمر الحصوة**، صدرت عن دار المجد في دمشق.

● **التراث الفلكي عند العرب والمسلمين وأثره في علم الفلك الحديث**، تأليف **عبد الأمير المؤمن**، راجعه د. **سامي شلهوب**، صدر عن معهد التراث العلمي العربي بحلب.

● **من أوراق خريف آخر**، مجموعة شعرية **لمحمد نقشو**، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

تونس

ندوة «الكونية والخصوصية الثقافية»

نظمت جمعية شرق - غرب التونسية ندوة دولية حول موضوع **«الكونية والخصوصية الثقافية»**.

شارك في الندوة مفكرون وباحثون عرب وأجانب، وأقيمت على هامشها مائدة مستديرة لمناقشة موضوع الكونية أو العالمية، حيث تركزت المناقشات حول علاقة التأثر والتأثير بين الثقافات المختلفة، ودور الخطاب الثقافي المعاصر في التقريب بين الشعوب، والإسلام والعالمية، وتأثير الحضارة الإسلامية بعطاءاتها على غيرها من الحضارات.

الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي**.

● **«جغرافية وتاريخ المملكة العربية السعودية لتصنيف ديوي العشرى: دراسة مقارنة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدم بها **إبراهيم منشي**.

● **«الجزء الأول من كتاب الموضع شرح ديوان المتنبي للخطيب التبريزي»** عنوان رسالة دكتوراه، نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الرحمن بن محمد البراك**.

● **«الحياة الدينية في الحجاز منذ القرن الميلادي الأول وحتى ظهور الإسلام»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم التاريخ والحضارة بكلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها **فاطمة علي سعيد باخشوين**.

● **«المديونية الخارجية والقرار السياسي»** رسالة دكتوراه، نوقشت في مقر جامعة قناة السويس في مدينة نصر، تقدم بها **عبد المنعم عمارة**.

● **«علاقة المنظر المسرحي بالنص الدرامي»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للفنون المسرحية في القاهرة، تقدم بها **عبد ربه حسن عبد ربه**.

● **«نواقض الإيمان القولية والعملية»** عنوان رسالة دكتوراه، نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد العزيز محمد العبد اللطيف**.

● **«إمكانيات المسكن التقليدي: دراسة لمدينة الهفوف»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل في الدمام، تقدم بها **مشاري عبد الله النعيم**.

● **«منهج ابن حزم في الرد على أهل الكتاب: دراسة وتقويم»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **حسين بركات حسين**.

● **«كفاءة وأداء مكاتب التوجيه التربوي في المنطقة الوسطى من المملكة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العليا للطالبات التابعة لكلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها **جهير المساعد**.

● **«مسؤولية المرء عن الضرر الناتج عن تقصيره»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد عبد الله المرزوقي**.

الحركة الثقافية

حماية المدن التاريخية

استضافت تونس ـ مؤخراً ـ المؤتمر الثاني لحماية المدن التاريخية في حوض البحر المتوسط.

شارك في المؤتمر خبراء ومتخصصون من جنسيات مختلفة تناولوا مسألة وضع استراتيجية بعيدة المدى والأهداف لحماية المواقع الأثرية والتاريخية في كل من: **عنّابة، تيبازة، تونس، الجم، كركوان، لبدة، مصراتة، تطوان.**

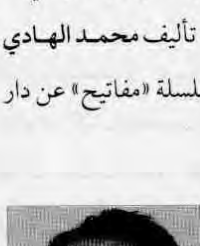
ويذكر أن المؤتمر الأول كان قد أقيم عام ١٩٨٩ م في مدينة **مرسيليا** الفرنسية.

كتب جديدة

● **الزمن يتوقف ليلة**، مجموعة قصصية للقاص **خليفة لطيف**، صدرت عن دار سيرسبي.

● **تحاليل أسلوبية**، تأليف **محمد الهادي الطرابلسي**، صدر ضمن سلسلة «مفاتيح» عن دار الجنوب للنشر.

● **النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، ط٢**، تأليف **د. غالي شكري**، صدر عن الدار العربية للكتاب.



د. غالي شكري

المغرب ◄ جائزة الشعر الأفريقي لمازيسي كونينة

مُنح الشاعر الجنوب أفريقي د. **مازيسي كونينة جائزة الشعر الأفريقي (تشيكايا أوتامسي)** التي أسسها عام ١٩٨٨ م المنتدى الثقافي العربي ـ الأفريقي (منتدى أصيلة).

وكونينة من مواليد ١٩٣٠ م، وينتمي إلى قبيلة الزولو، وتمرس بالأدب الشفوي المعروف عند قبيلته، والتحق عام ١٩٥٣ م بجامعة ناتال، ثم تابع دراساته العليا في لندن حيث تحصل على درجة الدكتوراه بأطروحة تناول فيها تطور التقاليد الشفوية عند الزولو. وهو أحد مناضلي التمييز العنصري، وتعرض لعذاب المنفى، ويكتب بلغة قومه وباللغة الإنجليزية ويتميز بغزارة نتاجه لدرجة أن بعض ملاحمه الشعرية يتعدى ستة عشر ألف بيت، ومن ملاحمه: **«قصائد زولية»**، **«الإمبراطور شاكا العظيم: ملحمة زولية»**، **«ترتيلة العشرينيات: ملحمة زولية مهداة إلى نساء أفريقيا»**، و**«الأسلاف والجبل المقدس»**.

ويعيش كونينة حاليا في منفاه بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

ديتور يفوز بجائزة الحسن الثاني

منح الكاتب الفرنسي **جان ديتور جائزة الحسن الثاني** الأدبية لعام ١٩٩٣ م عن روايته **«القاتل»**.

وقد تم الإعلان رسمياً عن أن هذه الجائزة المخصصة للأدباء الفرانكوفونيين سوف تمنح اعتباراً من العام المقبل في باريس.

معرض تشكيلي

نظمت جمعية **«رباط الفتح»** معرضاً جماعياً للفنون التشكيلية احتضنته قاعة «الباب الكبير» في ضاحية الأوداية في الرباط.

شارك في المعرض **٢١ فناناً تشكيلياً** من العاصمة المغربية يمثلون مدارس فنية مختلفة.

كتب جديدة

● **مفكرون مغاربيون معاصرون**، كتاب جماعي نشر باللغة الفرنسية ضمن سلسلة «أفق مغاربي».

● **الشعر العربي الحديث المترجم إلى الإنجليزية: مقدمة وببليوجرافيا**، تأليف **د. صالح جواد الطعمة**، صدر عن مدرسة الملك فهد العليا في طنجة.

● **بحر الظلمات**، رواية **لمحمد الدغمومي**، صدرت عن دار المعارف الجديدة في الرباط.

تركيا ◄ المؤتمر الثالث لرابطة الأدب الإسلامي



أبو الحسن الندوي

يترأس الشيخ **أبو الحسن الندوي** رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية **المؤتمر الثالث للهيئة العامة للرابطة** المقرر إقامته في الثالث من شهر ربيع الأول الجاري ١٤١٤ هـ في مدينة اسطنبول.

ويناقش المؤتمر تقرير مجلس الأمناء، وتقرير مكتب شبه القارة الهندية ومكتب البلاد العربية، وموضوع اللجان الفنية، ومجلة الرابطة واقتراح عقد ندوات عامة، كما ينتخب مجلس الأمناء.

وسيعقد على هامشه المؤتمر الذي يستمر أربعة أيام ندوة بعنوان «تقريب المفاهيم في قضايا الأدب الإسلامي»، إلى جانب أمسية شعرية.

الهند ◄ دائرة معارف إسلامية

أنجزت مجموعة من علماء الأزهر وجامعة عليكرة والجمعية الإسلامية ندوة العلماء في لكنؤ **دائرة معارف إسلامية بلغة «مالا يالام» الهندية.**

تتكون الموسوعة من **عشرة مجلدات** بكل منها ألف صفحة، وتضم فضلاً عن الرسوم التوضيحية والخرائط، موضوعات عديدة في العقيدة والشريعة والفقه والتاريخ الإسلامي والعلوم والعمارة.

ندوة الإبداع المعاصر لفناني وأدباء مصر والهند

تستضيف نيودهلي في الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر المقبل ١٩٩٣ م ندوة ثقافية مصرية ـ هندية بعنوان «**الإبداع المعاصر لفناني وأدباء مصر والهند**».

يشارك في الندوة التي تستمر خمسة أيام عشرون من كبار مبدعي مصر في مجالات الأدب والسينما والمسرح، ويصاحبها معرض للفن التشكيلي المصري المعاصر.

بريطانيا

معرض للوحات ليدي بلانت عن جزيرة العرب

أقام المركز الإعلامي السعودي في لندن ـ مؤخراً ـ معرضاً للوحات الفنانة التشكيلية البريطانية الراحلة **الليدي آن بلانت** عن الجزيرة العربية خلال القرن الميلادي الماضي.

والليدي بلانت (١٨٣٧ ـ ١٩١٧ م) هي حفيدة الشاعر البريطاني الكبير **اللورد بايرون**، وهي كاتبة ورسامة قامت برفقة زوجها الشاعر **ويلفرد بلانت** الذي كان مهتماً بالأدب والتاريخ العربي برحلة إلى المنطقة العربية بدأت عام ١٨٧٨ م من دمشق إلى شمال الجزيرة العربية ثم إلى بغداد.

وسجلت الليدي بلانت تفاصيل رحلتها في كتابها «**رحلة إلى نجد**»، وتميزت لوحاتها بكون صاحبتها لا تكتفي برسم مناظر جزيرة العرب، بل تعمد أيضاً إلى تسجيل سيطرة هذه المناظر بتفردها ورحابتها، وقد سبق أن أقيم هذا المعرض في المملكة العربية السعودية، وتنقل في عدة مدن من بينها بعض المناطق التي رسمتها **الليدي آن بلانت**.

توقف جائزتي «يوسف الخال للشعر» و«الناقد للرواية»

قررت مجلة «الناقد» إيقاف «**جائزة يوسف الخال للشعر**» التي أعلنتها المجلة عام ١٩٨٧ م وجائزة «**الناقد للرواية**» التي قدمت عام ١٩٨٨ م.

برر ناشر المجلة **رياض نجيب الريس** قرار الإيقاف بضحالة المواهب، وخشية تساوي الأمور بعضها ببعض بعد تكاثر الجوائز المدعومة رسميا أو بطرق غير رسمية.

ويذكر أن قيمة كل جائزة ألفا جنيه استرليني، وكانت تمنح سنوياً للأدباء الشبان ممن لم يسبق لهم نشر أعمالهم من قبل.

أحدث الكتب

● **الملك غازي وقاتلوه**، تأليف **عبد الرحمن الجليلي**.

● **الصراع بين دولة الإمارات العربية وإيران حول جزر أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى في الوثائق البريطانية**، أعدها **وليد حمدي الأعظمي**، صدر الكتابان السابقان عن دار الحكمة في لندن.

● **تايني رولاند: زعيم ثائر**، تأليف **توم باور**، صدر عن دار هاينمان في لندن.

● **لتكن السماء رحيمة بيلفاست**، تأليف **توني باركر**، صدر عن دار نشر كيب.

● **عاطفة ميشيل فوكو**، تأليف **جيمس ميللر**، صدر عن دار نشر هاربر كولينز.

● **حياة ميشيل فوكو**، تأليف **ديفيد ماكاي**، صدر عن دار نشر هاتشنسون.

● **ولكن مع احترامي**، تأليف **سير روبين داي**، صدر عن دار ويدنيفلد في لندن.

● **ذكريات بغدادية: العراق بين الاحتلال والاستقلال**، تأليف **موسى الشابندر**، صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر في لندن.

● **دليل الصحافة العربية في بريطانيا**، إعداد **د. محمد رجب**، صدر عن دار نشر أماندا بيلكيشن.

● **ويليام شكسبير: حياة**، تأليف **جاري أوكونور**، صدر عن دار نشر شكسبير في لندن.

المانيا

مؤتمر عن أوروبا والحضارة الإسلامية

شهدت مدينة كولونيا أعمال **مؤتمر «أوروبا والحضارة الإسلامية»** الذي نظمه اتحاد الطلبة الأوروبيين بهدف توسيع رقعة الحوار بين أوربا والعالم الإسلامي، وتوضيح صورة الإسلام وحقيقته للمجتمع الغربي ومناقشة نقاط الالتقاء بين الثقافتين الإسلامية والأوروبية وتقريب وجهات النظر وتحديد خطوط الالتقاء بينهما في المستقبل.

تحدث في جلسات المؤتمر الدكتور **محمود حمدي زقزوق** الأستاذ بجامعة الأزهر عن دور الإسلام في المجتمع، وتناولت الدكتورة **جود رون كريمر** وضع المرأة في أوربا، وعرَّف الدكتور **عبد الجواد فلاتور** بالمبادئ والأخطار الرئيسية للإسلام.

متحف لمنجزات العرب العلمية

دعا مجلس أمناء معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية المرتبط بجامعة فرانكفورت خلال اجتماع عقده مؤخراً في بون إلى دراسة إمكان **إقامة متحف مستقل عن المعهد يعرض فيه تراث المنجزات العلمية العربية والإسلامية**.

وكان أعضاء المجلس قد قاموا ـ بمشاركة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية في بون وبعض الأساتذة والمتخصصين في التراث العربي والإسلامي ـ **بافتتاح المتحف العربي الإسلامي الملحق بالمعهد** حيث اطلعوا على نماذج للمعدات والآلات العلمية والعسكرية والهندسية والموسيقية التي تعكس التطور الثقافي والعلمي العربي والإسلامي.

ويذكر أن توجهات المعهد تتركز على القيام بالدراسات العلمية واللغوية، وتحقيق المخطوطات العربية والإسلامية ونشرها، مع العناية بإعداد الباحثين العرب والمسلمين،

الحركة الثقافية

وتسهيل نقل الأبحاث العلمية الأوروبية إلى مراكز البحث والجامعات والباحثين العرب والمسلمين.

مؤتمر عن اللغة العربية

عقد ـ مؤخراً ـ في مدينة بوخوم الغربية المؤتمر الرابع لأساتذة اللغة العربية ومدرسيها في ألمانيا.

شارك في المؤتمر نحو **ستين عالماً وأستاذاً وتربوياً ودبلوماسياً**، إضافة إلى بعض الشخصيات الإعلامية والاجتماعية العربية والألمانية، حيث ناقشوا موضوع تدريس اللغة العربية واللغات الشرقية في الجامعات والمعاهد والمدارس الألمانية وعلاقة تدريسها بالحركة الثقافية والجاليات الأجنبية والمجتمع الألماني.

كما أقيمت على هامش المؤتمر سبع عشرة محاضرة ألقاها عدد من المتخصصين (**طالع زاوية «ندوات ومحاضرات»**).

قلعة نيوشفانشتاين وخطر الانهيار

حذر خبراء من تعرض واجهة **قلعة نيوشفانشتاين** التاريخية لخطر التفتت ومن ثم الانهيار.

ودعوا إلى ضرورة إجراء عمليات تجديد شاملة للحفاظ على هذا الأثر المقام فوق قمة إحدى الصخور الناتئة في جبال الألب البافارية.

ويذكر أن القلعة تعد من مناطق الجذب السياحي الأولى في ألمانيا، وقد تم بناؤها بأمر من **ملك بافاريا لودفيج الثاني** أو لودفيج المجنون كما وصفه نقّاده.

معرض «فصول من الحياة»

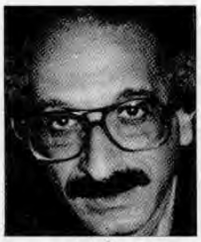
أقيم في برلين تحت عنوان **«فصول من الحياة»** معرض خاص تناول التغيرات السياسية التي مرت بها ألمانيا من الجمهورية إلى النازية إلى الشيوعية ثم إلى الديمقراطية، واضعاً إياها في إطارها التاريخي الصحيح وتاركاً للمشاهد تقويمها وتحديد موقفه منها.

يستمر المعرض حتى التاسع من شهر نوفمبر ١٩٩٣ م المقبل الذي يوافق **الذكرى الرابعة لسقوط جدار برلين**، ويقدم إلى جانب ما سبق صوراً ونماذج تمثل جوانب الحياة في ألمانيا في بداية القرن الميلادي الحالي، خاصة فيما يتعلق بنشاطات المرأة الألمانية.

مهرجان ثقافي آسيوي ـ أفريقي

أقيم في مدينة أرلنجن ـ مؤخراً ـ **مهرجان ثقافي آسيوي ـ أفريقي**.

شارك في المهرجان أدباء ومثقفون من مختلف بلدان آسيا وأفريقيا من بينهم العرب: **صنع الله إبراهيم، وسلوى بكر وعبد الوهاب المؤدب**، بينما اعتذر **رشيد بوحيدرة** عن المشاركة.



صنع الله إبراهيم

وتضّمن المهرجان قراءات وأمسيات أعقبتها نقاشات تمحورت بصفة خاصة حول دور الكاتب في العالم الثالث ومهمته، والهجرة من الجنوب إلى الشمال، وانهيار الشيوعية، والآثار السلبية للرقابة على الإبداع الفني والأدبي وموضوعات أخرى.

فرنسا

مجلة جديدة

صدر ـ مؤخراً ـ في باريس العدد الأول من مجلة «البصائر الإسلامية» التي تصدرها **جمعية الإصلاح الإسلامية في فرنسا**.

المجلة موجهة أساساً إلى المسلمين في الغربة، ويرأس تحريرها **سعيد دربال**.

معرض «موريتانيا: أرض الرُّحَّل»

يقام ـ حالياً ـ في متحف كيتان بمدينة بوردو معرض بعنوان «**موريتانيا: أرض الرُّحَّل**».

يلقي المعرض من خلال أعمال الفنانة التشكيلية الفرنسية الراحلة **أوديت دي بويسجودو** الضوء على حياة البدو الرُّحَّل في منطقة نواديبو الموريتانية.

وكانت **الفنانة الفرنسية** قد سافرت إلى هذه المنطقة برفقة إحدى زميلاتها وقامت برسم خيام البدو، وجمعت بعض الحلي والأدوات التي كانت تتزين بها المرأة بالإضافة إلى بعض الأواني الزجاجية المرسوم عليها، والجلود المزركشة وصناديق الخشب التي يستخدمونها لحفظ ملابسهم وأدواتهم وبعض آلاتهم الموسيقية، وقد ضم المعرض بعضاً من هذه الأشياء، إلى جانب نماذج من قطع القماش التي صنعت منها ملابس أهالي تلك المنطقة.

المئوية الثانية لمتحف التاريخ الطبيعي

احتفلت باريس **بالذكرى المئوية الثانية لافتتاح متحف التاريخ الطبيعي**.

جاء الاحتفال في جو ساخن مشحون بالتوتر نتيجة للأزمة الإدارية الحاصلة بين إدارة المتحف ووزارة التعليم العالي والأبحاث التي تعود جذورها إلى ما قبل ثماني سنوات.

افتتاح متحف ما تيس



هنري ماتيس

افتتح ـ مؤخراً ـ **متحف هنري ماتيس** بعد أعمال تجديد امتدت ستة أعوام لمبناه الذي بني على الطراز الإيطالي في القرن السابع عشر الميلادي.

أضيف للمتحف جناح جديد تعرض فيه الأعمال الضخمة للفنان الراحل مثل «زهور وفواكه» وأعمال أخرى من البرونز، ويحتوي

المتحف حالياً على ستمائة لوحة ورسم وحفر للفنان ماتيس.

مراسلات بوتو للمكتبة الوطنية

قدم الكاتب الفرنسي **ميشيل بوتو** مجموعة مراسلاته خلال أكثر من أربعين عاماً هدية للمكتبة الوطنية الفرنسية.


ميشيل بوتو

وتعد هذه المراسلات التي جرت ما بين سنتي ١٩٥٠ ـ ١٩٩٣ م بمثابة وثائق حية للحياة الثقافية الفرنسية خلال تلك الفترة، حيث تضم أكثر من عشرين ألف رسالة من بينها رسائل من **أندريه بريتون، وناتالي ساروت بيير، وبيير كلوسوسكي، ورولان بارت**، ومجموعة كبيرة من الأدباء والفنانين والفلاسفة والعلماء.

الفائزون بجوائز الأكاديمية الفرنسية

أعلنت الأكاديمية الفرنسية ـ مؤخراً ـ أسماء الفائزين بجوائزها الكبرى لعام ١٩٩٣ م التي تمنح كل عامين.

فاز **بجائزة الأدب لويس نصير**، **وبجائزة الشعر جورج سان كير**، **وبجائزة الفلسفة إيزابيل ستنجرز** عن مجمل أعمالهم.

أحدث الكتب

● **الأحد ينتظرني**، مذكرات الكاتب الفرنسي الراحل **جاك أوديبرتي**، صدرت عن دار جاليمار.

● **محطة الموت: ثماني سنوات في المخابرات العراقية**، تأليف **مزهر الدليمي** صدر عن دار الأنبار في باريس.

● **انظر ـ اصغ ـ اقرأ**، تأليف **كلود ليفي شتراوس**، صدر عن منشورات بلون في باريس.

● **تاريخ الشعوب العربية**، تأليف **ألبرت حوراني**، صدرت ترجمته الفرنسية عن دار نشر لوسوي في باريس.


ألبرت حوراني

إيطاليا

آداب البحر المتوسط في ندوة

نظمت مؤسسة «**جائزة جرنزاني كافور**» الثقافية الإيطالية ـ مؤخراً ـ ندوة بعنوان «**آداب البحر المتوسط: المستقبل العتيق**».

شارك في الندوة عدد من كبار النقاد الإيطاليين والغربيين والعرب، حيث تحدث من الكُتَّاب العرب كل من: **الطاهر بن جلون، محمد شكري، آسيا جابر، أميل حبيبي، إدوارد خراط، صنع الله إبراهيم، وعبد الوهاب مذهب.**

اكتشاف مسجد أثري وقصر نورماندي

أثمرت أبحاث آثارية بدأت عام ١٩٨٩ م في موقع **سيجيستي** في صقلية عن اكتشاف **آثار مسجد يعود إلى القرن العاشر الميلادي وقصر نورماندي يعود إلى القرن الثاني عشر.**

وكانت عمليات التنقيب في سيجيستي قد شملت مراحل تاريخية هيلينية وعربية ونورماندية، حيث كانت المدينة قد تأسست في العهد الهيليني، وبنى المسلمون ـ فيما بعد ـ على أنقاضها قرية عُثر فيها على آثار المسجد، ثم بنى النورمانديون الذين وصلوا إليها في القرن الثاني عشر الميلادي قصراً من طابقين ومنازل وأقاموا تحصينات.

إعادة فتح متحف أوفيري

أعيد ـ مؤخراً ـ فتح «**متحف أوفيري**» في مدينة فلورنسا أمام الزوار بعد أن انتهت عملية ترميمه وإصلاحه.

ويضم هذا المتحف مجموعة من أندر اللوحات التشكيلية يعود تاريخها إلى عصر النهضة، وقد تأسس المتحف قبل أربعمائة عام، إلا أنه تعرض لخراب جزئي إثر انفجار سيارة ملغومة بقربه في شهر مايو الماضي ١٩٩٣ م.

لوكسمبورج

حماية حقوق النشر للمتوفى

قرر المجلس الوزاري للمجموعة الأوروبية في اجتماعه الأخير في لوكسمبوج وضع **مشروع اتفاقية تنص على حماية حقوق الكاتب في نشر أعماله لمدة ستين عاماً بعد وفاته.**

وتشمل الاتفاقية أيضاً الصور الفنية الأصيلة والأعمال التي تنشر تحت اسم مستعار.

وقد رفض المشروع كل من **هولندا وأيرلندا والبرتغال ولوكسمبورج.**

إسبانيا

مراكز سيرفانتيس الثقافية

اختارت إسبانيا اسم كاتبها المسرحي **سيرفانتيس** لتطلقه على سلسلة مراكزها الثقافية في العالم التي تعنى بتعليم اللغة الإسبانية لغير الناطقين بها، بعد أن ذكرت الإحصاءات أن أكثر من ٣٠٠ مليون شخص يتكلمون الإسبانية في العالم ونموهم ملفت للنظر لدرجة أنه في نهاية الحقبة الحالية ستتكلم الإسبانية نسبة ٧٪ من سكان العالم، أي قرابة ٤٢٠ مليون شخص. وقد استبدل باسم المركز الثقافي الإسباني بالقاهرة والإسكندرية بالاسم الجديد سيرفانتيس.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية **تم افتتاح معهد سيرفانتيس** الذي يتولى إدارته نيقولاس سانتشيت ألبورنوث، ويمارس نشاطه بالتعاون مع جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، وفي خلال الفترة القادمة سيحصل المعهد على مبنىً خاص له في نيويورك، بهدف تقديم خدمة أفضل وأوسع في نشر اللغة والثقافة الإسبانية والأمريكية واللاتينية في هذه المدينة.

وتضم مكتبة معهد سيرفانتيس بنيويورك

الحركة الثقافية

خمسة وثلاثين ألف مجلد مختص في الثقافة والتاريخ الإسباني والأمريكي واللاتيني ومكتبة فيديو تتكون من ١٥٠٠ عمل باللغة الإسبانية تقدم خدماتها لـ ٢٥٠ مدرسة وجامعة في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية كافة، ومكتبة أسطوانات تحتوي على أفضل الأعمال الموسيقية الإسبانية.

جائزة لأفضل شاعر بالإسبانية

أحدث جائزة أعلن عنها في إسبانيا هي **جائزة لويس روساليس للشعر** التي تمنحها أمانة الدولة للتعاون الدولي مع أمريكا اللاتينية، لتكريم الأعمال الشعرية المكتوبة باللغة الإسبانية بغض النظر عن جنسية الشاعر.

قيمة الجائزة تبلغ مليون بيزته إسبانية، ويشترط في الأعمال المتقدمة ألا تكون قد نشرت من قبل، ويجب أن لا تقل عن سبعمائة بيت. وسينشر العمل الفائز ضمن مجموعة **«اديشيونيس دي كولتورا إسبانا»**.

إليوت يفوز بجائزة نيريخا الإسبانية

حصل المؤرخ وعالم اللغة البريطاني **جون هـ. إليوت** على جائزة إليو أنطونيو دي نيريخا الدولية التي تقدر قيمتها بأربعة ملايين بيزته، وتمنحها جامعة سلمنكا لعلماء اللغة الإسبانية الذين ينبغون فيها.

اختير إليوت الذي يعمل أستاذاً بجامعة أكسفورد من بين **١٣٨ مرشحا** يمثلون مختلف الهيئات، وأبرزت لجنة التحكيم أهمية كتاباته وقيمتها وإسهامه في تجريد كتابة التاريخ للقرن الثامن عشر.

ويذكر أن أهم أعمال إليوت هي: **ثورة القسطلان - ١٩٦٣، إسبانيا الإمبراطورية - ١٩٦٣، العالم القديم والجديد - ١٩٧٠، قصر للملك - ١٩٨٠، ريتشيليه - ١٩٨٤**، ودراسة حول **الكونت دوق أوليباريس - ١٩٩٠**.

كتاب عن تاريخ اللغة الإسبانية

يعكف مائة لغوي في إسبانيا في الوقت الحاضر على إعداد كتاب حول تاريخ اللغة الإسبانية، يقع الكتاب في ستة مجلدات وتشرف عليه لجنة مكونة من **مانويل أريثا، رفائيل كانو، أنطونيو ناربونا**.

يتكلف هذا المشروع نحو ثمانية ملايين بيزتة، ومن المنتظر أن يرى النور خلال عامين.

اليونان — كشف أثري

اكتشفت بالقرب من بيلا العاصمة المقدونية القديمة **قبر مقدوني يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد**.

يبلغ طول القبر عشرة أمتار وثلاثين سنتيمترًا وعرضه ستة أمتار وربع المتر، ويتكون من غرفة داخلية وقاعة رئيسة، ويعد أكبر قبر مقدوني تم اكتشافه إلى اليوم.

النمسا — معرض لكنوز تايلند

أقيم في فيينا - مؤخرًا - **معرض بعنوان «سبعمائة عام في تايلند وكنوز المملكة»**.

ضم المعرض آثارًا وتحفًا مختلفة عثر عليها في تايلاند خلال السبعمائة عام الماضية.

هولندا — رامبرانت في متحف رتكس

تعرض حاليًا في **متحف رتكس** بأمستردام في إطار برنامج **«العصر الذهبي في القرن التاسع عشر» سبع لوحات** للفنان التشكيلي العالمي **رامبرانت**.

وكان فريق من الخبراء قد قام بإجراء ترميمات لهذه اللوحات خلال السنوات الثلاث الماضية أزال خلالها ما علق بها من شوائب، ومن المقرر أن يستمر عرضها حتى الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر المقبل.

النرويج — متحف أبسن


هنريك إبسن

قامت السلطات النرويجية بتحويل منزل الكاتب الشهير **هنريك إبسن** (١٨٢٨ - ١٩٠٦ م) في أوسلو **إلى متحف** يحمل اسمه.

يضم المتحف مكتبة **أبسن** وعددًا من أشهر التحف الفنية الأثرية التي كان يقتنيها.

الولايات المتحدة — اكتشاف مسرحية مفقودة لشكسبير


شكسبير

أوردت مجلة **«نيوزويك»** أن مسرحية **«كاردينيو»** المفقودة **للكاتب البريطاني وليام شكسبير قد عثر عليها** في مكتبة المتحف البريطاني.

وأضافت المجلة أن خبير وثائق من نيويورك قد أعلن عن عثوره على المسرحية، وتم التعرف عليها من خلال تحليل خبراء الخط الذين قارنوا بين خط شكسبير في وصيته والخط المكتوب به المسرحية.

ويذكر أن مسرحية **«كاردينيو»** كُتبت عام ١٦١٢م، ولم تقدم قط على المسرح، وظُن بأنها فقدت.

جائزة بوليتزر لهيجيلوس

فاز **أوسكار هيجيلوس** وهو مهاجر كوبي **بجائزة بوليتزر العالمية** عن كتابه «عزف أغاني الحب».

والأوسكار عدة مؤلفات أشهرها روايته **«الأخوات الأربع عشرة»** .

وتعكس روايات أوسكار وكتبه حنينه لموطنه الأصلي كوبا التي وصفها بأنها ملعب صباه .

افتتاح متحف روكوبل

افتتح ـ مؤخرًا ـ في مدينة ستوكبريدج **متحف** الفنان الأمريكي الراحل **نورمان روكوبل** المتوفى عام ١٩٧٨م .

ضم المتحف مجموعة من لوحاته يصل عددها إلى **خمسمائة لوحة** ، فضلاً عن **مائة ألف قطعة من مقتنياته** ما بين رسائل ومستندات .

شيد المتحف على مساحة مائة وخمسين ألف متر مربع .

وتكلف إنشاؤه تسعة ملايين ومائتي ألف دولار .

أحدث الكتب

● **قوة الإقناع الأخلاقي** ، تأليف **توم راسك**، صدر عن دار نشر فايكنج في نيويورك .

● **إفادة أم استفادة ؟ برنامج المساعدات الخارجية اليابانية** ، تأليف **مارجي إنساين**، صدر عن جامعة كولومبيا .

● **عالم ينتظر مولده : إعادة اكتشاف المدينة**، تأليف **م بسكوت بيك**، صدر عن دار بانتام في نيويورك .

كندا ▼ متحف «القبة البيولوجية»

شهدت **مدينة مونتريال** ـ مؤخرًا ـ افتتاح **متحف «القبة البيولوجية»** الذي يعنى بشؤون البيئة .

أقيم المتحف في صالة الألعاب الداخلية الكبرى التي شيدت لاستضافة الموندیال عام ١٩٧٦م .

يضم المتحف تحت سقفه الشفاف المصنوع من البلاستيك صالة الغلاف البيئي التي تعد بمثابة مركز معلومات عن المتحف، وأربع منظومات بيئية متميزة تمثل بيئات العالم .

تشيلي ▼ مركز ثقافي إسباني

افتتح ـ مؤخرًا ـ في مدينة سنتياجو **أول مركز ثقافي إسباني** يقام في تشيلي .

رافق افتتاح المركز تنظيم معرض لآداب إسبانيا ضم تسعة آلاف كتاب تمثل مختلف اتجاهات الأدب الإسباني في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، وبلغ عدد زواره ثلاثة آلاف زائر يوميًا . وقد قامت الحكومة الإسبانية بإهداء الكتب المشاركة في المعرض إلى المركز لتكون نواة مكتبة أدبية إسبانية .

أستراليا ▼ بيضة عملاق عمرها ٢٠٠٠ عام

تسبب لهو صغار في اكتشاف **بيضة عملاق لطائر الفيل المنقرض تعود إلى ما قبل ألفي عام** .

إذ كان ثلاثة أطفال يلهون في سرفانتيس على بعد ٢٤٥ كيلو مترًا **شمالي بيرث في أستراليا**، وفي أثناء لعبهم عثروا على **البيضة التي يبلغ محيط قطرها ثمانين سنتيمترًا ونصف السنتيمتر**.

ويعد طائر الفيل من الطيور المنقرضة ـ وهو يشبه النعامة ـ وموطنه الأصلي مدغشقر، ويعتقد العلماء أن البيضة التي تعد أكبر بيضة عثر عليها لهذا الطائر ربما طفت عبر المحيط .

اليابان ▼ وفاة أيبوسي



أيبوسي

توفي في طوكيو الكاتب **ماسوجي أيبوسي** أحد أبرز كتّاب القصة اليابانيين في العصر الحديث عن عمر يناهز ٩٥ عامًا .

وُلد ايبوسي عام ١٨٩٨م في مدينة كامو جنوب غرب اليابان بالقرب من مدينة **هيروشيما** وتوجه عام ١٩١٧م إلى طوكيو لدراسة الأدب الفرنسي في جامعة داسيندا لكنه لم يكمل الدراسة إذ ذاعت شهرته بعد صدور كتابه **« السمندل »** .

إلا أن شهرته العالمية تعود بالدرجة الأولى إلى قصته «المطر الأسود» التي صدرت عام ١٩٦٦م، وتحكي معاناة سيدة شابة وأسرتها الذين كانوا من ضحايا قنبلة هيروشيما، وقد فازت هذه القصة **بجائزة «نوسا» للأدب** .

وقد كان الكاتب الراحل من أشهر المعارضين لإنتاج الأسلحة النووية، ودعا عام ١٩٨٢م إلى فرض حظر عالمي عليها، واستجاب لدعوته نحو خمسمائة كاتب عالمي وقعوا على عريضة دعوته .

كوريا ▼ معرض لمقتنيات الملوك والأباطرة

عرضت ـ مؤخرًا ـ في مقر المتحف الملكي في سيؤول **مجموعة من أبرز مقتنيات ملوك كوريا وأباطرتها** .

ضمت المعروضات تحفًا أثرية مثل الأواني والسجاجيد المزخرفة والأثاث والحلي، إلى جانب بعض الأزياء الفاخرة، وفناجين الشاي والسيوف الذهبية المحلاة بالأحجار الكريمة .

موناكو ▼ جائزة لروائي فرنسي

مُنح الكاتب الفرنسي **بول جويبار جائزة «الأمير بيير دي موناكو»** عن مجمل أعماله الأدبية .

وجويبار من مواليد عام ١٩٣١م، وقد سبق له الحصول على **جائزة «انترالييه»** الفرنسية للرواية عام ١٩٥٧م عن روايته **«شارع هافر»**، كما حصل عام ١٩٦٨م على جائزة المكتبات عن روايته **«أشياء في حياتي»** .

○ ○

على موعد

يركضون بغير هدى!

كثيرة هي نعم الإله سبحانه وتعالى على عباده.

وكثيرة هي متع الحياة التي تتمثل في جمال الطبيعة وعطائها الوافر.

وكثيرة أيضا هي مناحي الفكر ومجالات السعي فيما أحل الله!

ولكن بالرغم من كل ذلك، فإن الإنسان في عصرنا المتسم بالقلق والاضطراب لم يرضه شيء فلا تراه إلا متأففاً، أو متشكيا، حتى ولو كانت أضعاف خزائن قارون ملك يديه.

فما سرّ ذلك، وما الداعي لمثل ذلك التشكي، والتأفف الذي يقود - من ثم - إلى الاضطراب النفسي والأُسري، ويجعل الحياة جحيما تستسعر فيه النفوس، وتنهد فيه الأجسام، وتنفطر به القلوب كمدا؟

أنا لا أشك، بل أكاد أجزم، أن السبب الوحيد لذلك هو الخوف، وعدم القناعة بما قسمه الله للإنسان، رغم ما في ذلك من علامات الضعف بالإيمان بالله وما في قضائه وقدره مما هو من نصيب كل إنسان. **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾**.

وفي يقيني أنه لو أقنع الإنسان نفسه بما منحه الله من صحة وما رزقه به من مال، وما هيأه له بذلك من سعادة، لما اضطربت حياته، ولما عاش القلق الذي يغشاه ليلا ونهارا. فمعلم البشرية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام يقول: «من أصبح منكم معافى في جسده، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».

ولقد قال الشاعر من قديم:

وَالنفسُ راغبةٌ إذا رغبتها ... وإذا تُرد إلى قليل تقنع

ومن قبل هذا وبعد، فإن الحديث النبوي الشريف المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه - وهو من الأحاديث المتفق على صحتها - قال:

«حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

كما روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: **﴿وكان عرشه على الماء﴾**.

وعنه برواية مسلم أيضا. قال: قال رسول الله ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

والغريب أنه حتى الذين يعرفون كل هذا وما أكثرهم بين المسلمين يتناسونه، ويركضون مع عامة الخلق بغير هدى. حتى لكأنهم في سباق مع الريح من أجل ما لا يدرون. حتى ولو كان في ذلك نهاية حياتهم. كذلك الذي روى قصته الكاتب الشهير «**تولستوي**» وخلاصتها كما قرأت: «أن فلاحا طمع أن يملك قطعة أرض. وذهب إلى المسؤول عن بيع الأرض وأبلغه رغبته. فقال له المسؤول: اركض حول الأرض، وستأخذ كل المساحة التي ركضت عليها. فما كان من الفلاح إلا أن أخذ يُسرع في الركض. وكلما أدركه التعب سارع في خطوه، ليأخذ أقصى ما يمكن. ولكنه في النهاية خر صريعا ومات في التو، ولم يأخذ شبرا من الأرض. فأمر المسؤول بدفنه في المكان الذي سقط فيه ليكون عبرة لكل الجشعين والطماعين».

ومع ذلك، فلا زال الطماعون يركضون في محاولة للوصول إلى المزيد مثلهم مثل جهنم التي يقال لها: **﴿هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾**.

ولعل الأدهى والأمرّ من ذلك أن الراكضين قد نسوا وهم يلهثون ما يأمرهم به دينهم من رضىً بقضاء الله. كما أسقطوا من سلوكهم أي حساب للآداب والأخلاق التي يجب أن يلتزمها الناس عامة، والمسلم منهم خاصة، فكان أن أُهدرت القيم، وتلاشت الأعراف، وتدنى مستوى التعامل إلى كل ما لا يتفق والآداب والأخلاق الإنسانية.

إن هذا الذي تردى فيه إنسان العصر الذي نعيش، لم يقف أذاه على الذين يمارسون الركض بغير هدى. ولكنه تعداهم إلى الجيل الصاعد والنابت من أبنائهم وبناتهم الذين فقدوا القدوة، فامتلكهم الهوى وضلوا الطريق. لأنهم لم يجدوا من يهديهم سواء السبيل ويُجنبهم مغبة الانحلال ومغامسة الشهوات، في دنيا هي الأفعى التي يقول عنها أحمد شوقي:

أخا الدنيا أرى دنياك أفعى ... تُبدل كل آونة إهابا
وأن الرقط أيقظُ هاجعات ... وأترع في ظلال السلم نابا
ومن عجب تُشيب عاشقيها ... وتفنيهم وما برحت كعابا
فمن يغتر بالدنيا فإني ... لبست بها فأبليت الثيابا
جنيت بروضها ورداً وشوكاً ... وذُقت بكأسها شهدا وصابا
فلم أر غير حكم الله حكما ... ولم أر دون باب الله بابا

تُرى، هل من الممكن أن نفيق لنرى أبعاد ما سيحيق بنا إن ظل حالنا كما هو، أم أن العاصفة أقوى من إمكاناتنا البشرية وأطماعنا المتهورة؟ ذلك علمه عند ربي حيث لا يضل ولا ينسى. ويا أمان الخائفين.

عبدالله عمر خياط